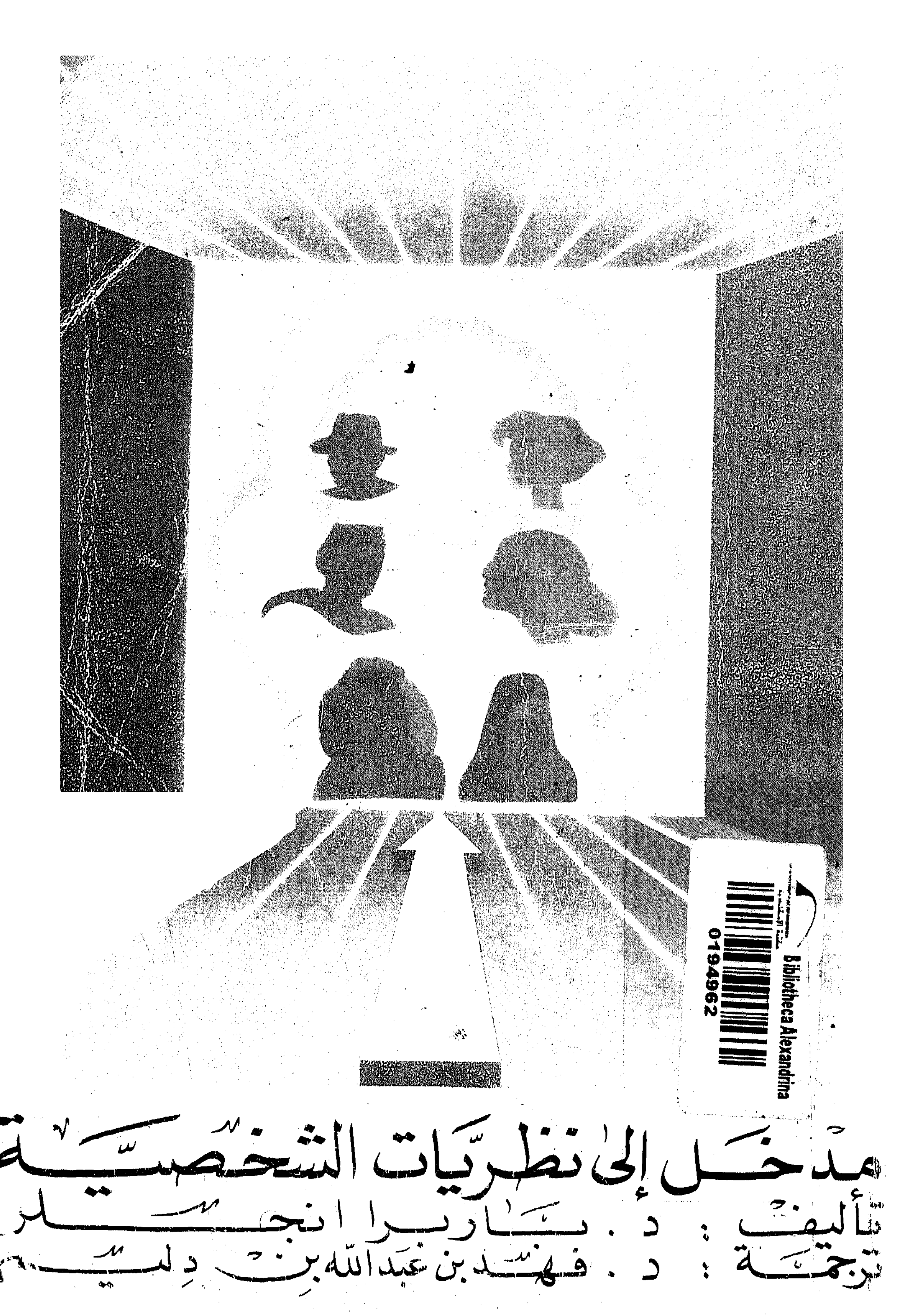


مدخل إلى نظريات الشخصية

تأليف : د. باربرا انجلر
ترجمة : د. فهد بن عبدالله بن دليم



مدخل إلى نظريات الشخصية

تأليف : د. باربرا انجلر
ترجمة : د. فهد بن عبد الله بن دليم



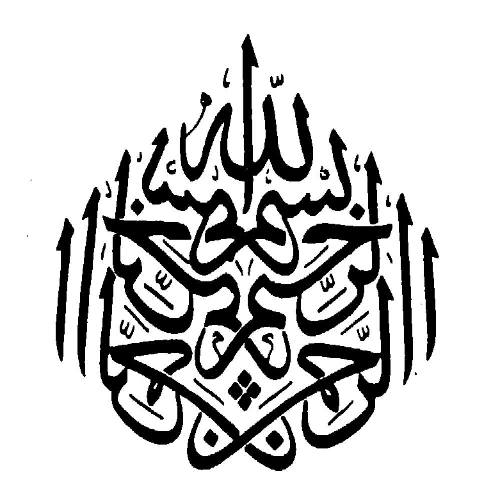
Personality Theories: *an* Introduction

Second Edition

Barbara Engler

Houghton Mifflin Company Boston
Dallas Geneva, Illinois
Lawrenceville, New Jersey Palo Alto




بسم الله الرحمن الرحيم



فهرس المحتويات

استهلال

هذا الكتاب وضع خصيصاً لطلبة الجامعة الذين يرغبون في التعرف على جوانب ومجالات الشخصية. في هذا الكتاب نتناول بعض القضايا الرئيسية التي تتعلق بنظريات الشخصية ككل في إطار منظم. إن الإنسان منا في سني حياته الأولى وخلال بحثه عن فهم ذاته يمتاز بنوع من الأنانية، مدفوعاً بخبراته وفهمه الذاتي، لكن عند نضجه يميل الفرد إلى الاستفادة من وجهات نظر وآراء الآخرين من أجل فهم نفسه. فطالب الكلية لديه الاستعداد لفهم وجهة نظر الآخرين لكنه يظل مرتبطاً بالمرحلة الأولى من الفهم الذاتي بحيث لا يهتم إلا بما يمس حياته من بين تلك الآراء ووجهات النظر.

إذن فهذا الكتاب يحاول تجاوز هذه الجسور، فهو كتاب يهدف إلى تقديم النظريات الرئيسية في الشخصية مع مناقشة لأهم فروضها وتطبيقاتها العلاجية والاجتماعية، أيضاً هذا الكتاب يحتوي على بعض التمارين التي تتعلق بالتطبيقات العملية لهذه النظريات والتي قد يجد فيها الطالب مجالاً رحباً لتحقيق ميوله بالإضافة إلى تعزيز نموه الشخصي والمعرفي. غالبية الكتب التي تتناول نظريات الشخصية تميل إلى مناقشة أربعة جوانب رئيسية هي: -

١ - مسح شامل ودقيق لنظريات الشخصية الموجودة.

٢ - المناهج والموضوعات التي تتعلق بمقارنة ومقابلة بعض القضايا التي تتناولها هذه النظريات.

٣ - التحليلات السلوكية للشخصية.

٤ - الموضوعات التي تهدف إلى تقديم خبرات تقود إلى تنمية مهارات شخصية تحقق للفرد ذاته.

هذه الجوانب الأربعة قد تكون مناسبة لطلاب الدراسات العليا خصوصاً الثلاثة الأول في حين يستخدم الجانب الرابع والأخير في الغالب مع الطلاب الجامعيين حيث يتوقع من هذا الجانب تقديم الكثير ولكن لا يتحقق إلا القليل وما ذلك إلا لعدم توفر الأساس النظري الواضح والدقيق.

إن كتاب (مدخل إلى نظريات الشخصية) يقدم لك عزيزي القاريء النظريات الرئيسية والتي لها تأثير كبير على فكرنا النفسي المعاصر، وفي هذا الصدد تم تقسيم نظريات الشخصية إلى سبعة أقسام هي: -

١ . التحليل النفسي.

٢ ـ نظريات التحليل النفسي الحديث.

٣ ـ نظريات التعلم والسلوك.

٤ ـ نظريات السمات.

٥ ـ النظريات الإنسانية.

٦ ـ النظريات المعرفية.

٧ ـ النظريات الشرقية.

ولمناقشة هذه النظريات عملت على تحقيق أربعة أهداف رئيسية هي: -

١ ـ تقديم صورة واضحة للقسمات الرئيسية التي تتعلق بكل نظرية.

٢ ـ الإشارة إلى أبرز القضايا الرئيسية والطرق الأساسية في البحوث المتعلقة بكل نظرية على حده.

٣ ـ عرض لتطبيقات النظرية في مجالات التغير الشخصي والعلاجي والاجتماعي.

٤ ـ تزويد القاريء ببعض التمارين على كل نظرية أملاً في تسهيل مهمة الطالب لمعرفة ذاته.

أعتقد أن كل نظرية تم عرضها وفق نمط أو معيار يمثلها بوضوح. المقارنات داخل الكتاب استخدمت كطريقة أكثر فائدة لتلخيص الخصائص والمساهمات المتميزة لكل نظرية. هدفي في هذا الكتاب الموضوعية والإنصاف في طرح وتقديم أسس لهذه المقارنات. لقد خصصت جزءاً كبيراً من هذا الكتاب لمناقشة نظرية فرويد اعترافاً بمساهماته وتأثير نظريته لأن معظم هذه النظريات إستمدت بذورها

ونموها من مباديء نظرية فرويد سواء تلك النظريات التي كرست مفاهيم فرويد أو التي حاولت تعديلها أو تبديلها أو رفضها.

إن تصنيف هذه النظريات تحت علم النفس العلمي لا يزال شيئاً حديثاً ، فمعظم نظريات الشخصية التي لها تأثير في فكرنا المعاصر لم تتطور ولم تكن معروفة كنظريات علمية دقيقة ولكنها تعكس طرقاً فلسفية في البحث والدراسة ، إذن فهناك محاولة لتزويدك عزيزي القاريء بالأدوات الضرورية للتمييز بين الوظائف المختلفة لكل نظرية مع معايير صحيحة لتقييمها كفلسفة وعلم وأدب .

التغييرات التي أحدثتها في الطبعة الثانية تعكس التطورات التي حصلت في حقل علم النفس ونظرياته إضافة إلى ما زودني به زملائي وقرائي من ملاحظات وتعليقات وإرشادات. فمثلاً أعمال (أريكسون) و (بندورا) و (روتر) حصلت على اهتمام أكبر بالإضافة إلى تخصيص فصل للمفكر (رولو مي) كممثل لأصحاب الاتجاه الوجودي. أيضاً قمت بتبويب وتنظيم الكتاب بطريقة تتيح للقاريء القراءة والاطلاع السريع على محتويات الكتاب وبطريقة مختصرة فقد أحدثت جزءاً خاصاً بأهداف الفصل، كذلك ملخص سريع لأبرز المفاهيم والمباديء النظرية والتطبيقية.

وفي الختام أجد لزاماً على تقديم خالص شكري لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب سواء من زملائي أو طلابي أو غيرهم من خارج الكلية وكذلك أبنائي والذين كان لملاحظاتهم وتعليقاتهم كبير الأثر والأهمية.

باربرا إنجلر



مقدمة المترجم

لقد كان لندرة الكتب المتخصصة في مجال دراسات الشخصية دوره البارز في قيامي بترجمة هذا الكتاب والذي يحتوي على تلك التصورات والأعتقادات والمفاهيم النظرية لأكثر من ثلاثين مفكراً وعالماً نفسياً فالمتوفر في المكتبة العربية من هذه الترجمات أو المؤلفات المتخصصة لا يتجاوز في عدده أصابع اليد الواحدة وهو بطبيعة الحال عدد قليل جداً قياساً بما يحظى به علم النفس في الوقت الحاضر من إهتمام ومكانة سواء في المجال النظري الأكاديمي أو التطبيقي العيادي ، فتعددية الدراسات النفسية والتربوية والسلوكية والأجتماعية وتنوعها وعلى مختلف المستويات العلمية كالبكالوريوس والدبلوم والماجستير والدكتوراه يتطلب بلا شك توفر الكثير من المراجع والمصادر المتخصصة في مجال الشخصية وبلغة عربية أيضاً ومن هنا قررت ترجمة هذا الكتاب الذي عُرضت نظرياته بأسلوب ضافٍ ومركز وتم تصنيف مفاهيمه وتبويب موضوعاته بطريقة منظمة ودقيقة علاوة على أنه يضم بين دفتية كماً كبيراً متبايناً من الأتجاهات النظرية والأعتقادات الفكرية والأساليب العلمية والفلسفية والتي يبحث عنها القارىء المتخصص .

إن الترجمة لعمل مضنٍ وشاق ويكمن ذلك في عدة أمور منها أن المترجم يجد نفسه وفي كثير من الأوقات حائراً أمام بعض المفاهيم والمصطلحات وكيفية ترجمتها ونقلها بصورة واضحة تعكس دلالة تلك الألفاظ ومضامينها ، ولعلي لا أبالغ لو قلت إن ذلك يعود في جزء كبير منه إلى ندرة المعاجم والموسوعات العربية المتخصصة في علم النفس وعدم كفاءة الكم القليل الموجود منها في الوقت الراهن وإلا لما وجدت نفسي مضطراً في بعض الأحيان لصياغة مفردات ومصطلحات عربية لتلك المفاهيم التي قال بها إلبورت أو مي أو سوليفان مثلاً !

لقـد حاولت في هذا المـترجم الأبتعاد عن حرفية الترجمة قدر المستطاع بل حرصت على الكتابة بأسلوب أدبي مبسط بغية إيصال تلك المبادىء والمفاهيم النـظرية إلى ذهن القـارىء بسهـولة ووضوح وأحسب أنني قد وفقت في هذا المسعى إنشاء الله !

كذلك لا بد من الإشارة إلى أنني قد تعمدت تجاهل بعض المفاهيم وآثرت عدم الخـوض في تفـاصيل بعض المـوضوعات والأعتقادات الفكرية كالبوذية والوجودية وأهملت بعضاً من التدريبات والأمثلة التي تضمنت في أكثرها أفكاراً ومواقف تتناقض مع ثقافة مجتمعنا العربي المسلم مع التأكيد على أن حذفها لم ولن يؤثر على مضامين تلك النظريات ومفاهيمها الأساسية .

أيضاً وحرصاً مني على إخراج الكتاب في حجم متوسط مما يسهل من عملية تداوله ونقله لم أقم بنقل المراجع الموجودة في نهاية الكتاب وإنما إكتفيت بما تم ذكره من مراجع في نهاية كل فصل من فصول الكتاب !

أخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في إختيار الكتاب المناسب وتمكنت من ترجمة تلك الأفكار والموضوعات والمفاهيم النظرية بأسلوب يخدم الأغراض المتعددة للتربية وعلم النفس والإجتماع والله من وراء القصد !

د. فهد بن عبدالله بن دليم

الطائف عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

المقدمة :

تقييم نظريات الشخصية

أهداف هذه المقدمة :

١ ـ إيضاح سبب صعوبة تعريف مصطلح الشخصية .

٢ ـ تعريف مصطلح النظرية .

٣ ـ وصف ثلاث وظائف لنظرية الشخصية .

٤ ـ شرح كيفية الاعتراف بالافتراضات الفلسفية .

٥ ـ تحديد أبرز القضايا الفلسفية مثار الجدل والنقاش بين أصحاب النظريات .

٦ ـ إيضاح كيفية تقييم الافتراضات الفلسفية .

٧ ـ إيضاح كيف أن أساس العلوم موجود في الفلسفة .

٨ ـ وصف للخطوات الخمس الضرورية للطريقة العلمية .

٩ ـ شرح خصائص الإفادات العلمية وكيفية تقييمها .

١٠ ـ تحديد الأهداف الثلاثة الرئيسية للعلاج النفسي .

١١ ـ إيضاح أهمية التمييز بين الوظائف المختلفة لكل نظرية .

ما هي الشخصية؟

ما هي الشخصية؟ هذا السؤال يبدو سهلاً لمن يعرف عدد النظريات التي تتناول موضوع الشخصية ولكن الحقيقة غير ذلك، لأن عملية البحث عن إجابة لهذا السؤال سوف تعيدنا إلى بداية التاريخ الإنساني، عندما تساءل الإنسان عن هويته وعن نفسه وطرح سؤاله الأول (من أنا؟). فالإجابات لهذا السؤال تتأثر بالسمات الثقافية كالفلسفة والدين والأدب والسياسة والعلوم لمختلف الحضارات والأمم، لذلك من الصعب أن نعطي تعريفاً موحداً أو أن تكون هناك إجابة بسيطة على هذا التساؤ ل (ما هي الشخصية؟). إذن ما دام أن مصطلح الشخصية شائع الاستعمال فليس من السهل تعريفه حيث أن الناس في أحاديثها العامة تنسب الشخصية إلى الصور أو الانطباع العام عن الشخص، فنراهم يقولون (زيد من الناس يتمتع بشخصية ظريفة) أو (أن عبيداً من الناس له شخصية أكثر ديناميكية.. الخ) هذا الاستخدام العام يعكس لنا الأصول القديمة لكلمة الشخصية (Personality) حيث تعزى إلى تلك الأقنعة التي كان يرتديها ممثلو الدراما اليونانية القديمة. لكن هذا المفهوم المرتبط بالأدوار الاجتماعية لا يشمل أو يماثل ذلك التعقيد الذي نجده الآن في بحثنا الطويل عن المفهوم الذاتي.

جوردون إلبرت (Allport) حدد أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية مما يعني عدم وجود اتفاق عام بين واضعي نظريات الشخصية حول الاستخدام الصحيح لهذا المصطلح. فمثلاً الشخصية بالنسبة لألبورت شيء حقيقي داخل الفرد يحدد سلوكه وتفكيره المميز. بينما هي بالنسبة لروجرز (Rogers) نمط منظم وثابت من الإدراك أو الوعي بالأنا التي تسكن أعماق خبراتنا. على الجانب الآخر نرى سكنر والذي يعتبر من أشهر علماء النفس في أمريكا يقول بأنه لا داعي للتشبث بالشخصية لأنه (سكينر) لا يؤمن بأنه من الضروري الخوض أو البحث في مفهوم الذات أو الشخصية، من أجل أن تفهم السلوك الإنساني، أما بالنسبة لفرويد، (Freud)، فالشخصية في معظمها غير معروفة وخفية في الأعماق المظلمة للاشعور!.

من هنا فنحن نستطيع القول بأنه لا يوجد تعريف محدد للشخصية فكل مفكر يتأثر فهمه لهذا المصطلح بواقعه النظري، لكن يجب ألا نفهم ان هذا التباين في

التعريفات أو في وجهات النظر المتعلقة بالشخصية تعني عدم جدوى هذه النظريات بل على العكس فكل نظرية تقدم إضاءات معينة لتساؤلنا عن الذات التي قد ينظر لها على أنها حوافز تساعدنا في صياغة إجابات مبدئية وفي توجيه بحوثنا الشخصية.

ما هي النظرية؟

وبما أننا نتحدث عن نظريات الشخصية فهناك سؤال منطقي يطرح نفسه إلا وهو (ما هي النظرية؟) هنا قد لا أستطيع أن أعطي إجابة محددة، فالنظرية مصطلح يوناني يعني التأمل والرؤية والتقدير. وتعني مجموعة من المفاهيم المجردة نصنفها لمجموعة من الحقائق أو الأحداث حتى نتمكن من تفسيرها. إذن نظرية الشخصية هي (نسق منظم من الاعتقادات تساعدنا في فهم الطبيعة الإنسانية. إن وصف النظرية كنسق من الاعتقادات من شأنه أن يضعف الحقيقة القائلة بأن النظرية شيء نقوم نحن ببنائه وتكوينه أثناء تفكيرنا ورؤيتنا لمحيطنا. إن النظريات ليست أموراً فطرية بل هي من عمل الإنسان وخلقه في محاولة منه لفهم هذا العالم المحيط به مستفيداً من الخبرات والمعارف والمعلومات التي لديه في وضع عدد غير محدود من نظريات الشخصية. كما ذكرنا في البداية بأن سؤال ما هي الشخصية يأخذنا إلى الوراء وإلى بداية الحياة الإنسانية، حيث كان الوعي والإدراك الإنساني للذات والعالم من حوله بدائياً في فلسفته وعلمه وفكره. الفلسفة تطورت كطريقة للفهم والتعبير لكن فيما بعد ظهر العلم كوسيلة علمية لاكتساب المعلومات.

كيف نقيم نظريات الشخصية؟:

أن تصنيف النظريات تحت المفهوم العلمي لعلم النفس يعتبر موضوعاً حديثاً فيكفي أن نعرف أنه في عام ١٩٣٠ م فقط أصبحت دراسة الشخصية موضوعاً رسمياً ونظامياً من التخصص في مجال علم النفس الأمريكي، أما قبل ذلك فالتساؤلات التي تتعلق بموضوع الشخصية كانت بصورة عامة تدخل تحت مظلة الفلسفة. ومع أن الطرق العلمية والفلسفية متباينة إلا أن هذا لا يعني أنها غير مترابطة فما العلم إلا من نسل الفلسفة وطرقه ما هي إلا ثمرات الجهود الفلسفية، لكن الطريقة الموضوعية في الدراسة والبحث كصفة مميزة للعالم الحديث تبرز كمواجهة فلسفية أولية مع العالم وإذا كانت أصول نظريات الشخصية العلمية موجودة في الفلسفة،

فهم قد بلغوا شأوا عظيماً في مجال الأدب أو التطبيقات العلمية أيضاً. إذن لا جدال حول أدب نظرية الشخصية فهو بطبيعة الحال أقدم من علمها أو حتى فلسفتها، فمنذ القدم والكثير من المفكرين يكتبون عن كيفية أن نهنأ بحياة سعيدة ومع تقدم العلم ازدادت المعارف وعرفنا طرقاً وأدوات جديدة للفهم والتطوير الذاتي.

إذن فنظريات الشخصية ليست مجرد تخمينات بل هي أنظمة ونسق من الاعتقادات صممت لمساعدتنا في فهم أنفسنا والعالم من حولنا كما أن نظريات الشخصية تعتبر فرعاً علمياً أكاديمياً لكنها تشتمل على الفلسفة والأدب، فمفكري نظريات الشخصية كعلماء يتمنون تطوير مجموعة من الفرضيات والتي تساعدنا في فهم السلوك الإنساني، فهم كفلاسفة يسعون إلى الكشف عن ما معنى أن تكون شخصاً، أما كأدباء فهم يسعون إلى تطبيق ما هو معروف عن الناس وسلوكهم لتحقيق حياة أفضل. إننا بالكشف عن الجوانب الفلسفية والعلمية والأدبية في نظرية الشخصية لنأمل في إيجاد أساس لفهم نظريات الشخصية والتوقع بما يمكن أن يحققوه أو يعبروا عنه من خلال هذه الطرق أو الجوانب الثلاثة.

الافتراضات الفلسفية:

كما أسلفنا فإن النظريات أو الأفكار ما هي إلا مجموعة من الافتراضات من عالمنا وطبيعتنا الإنسانية، فكل مفكر له افتراضاته الفلسفية الخاصة به عن طبيعة العالم الإنساني أو الوجود البشري والتي قد تؤثر في طريقة إدراكه وفهمه لهذا العالم. إن مصطلح الفلسفة هو في الأساس مركب لكلمتين يونانيتين تعنيان حب الحكمة أو البحث عنها. كل فرد منا يعتبر فيلسوفاً، كيف لا وله افتراضات وأحكام عن العالم من حوله. إن البحث عن الحكمة يستلزم أكثر من الرغبة في جمع المعلومات لمواجهة جهلنا بالأشياء بل تتعدى مسألة العلم بالشيء إلى ما ينبغي أن نعمل به وكيفية عمل ذلك. معرفة الحكمة كما هي تتحسس قلوبنا فهي تمس عقولنا حيث تتيح لنا التعرف والمعرفة وفق أحكامها أيضاً. إذن فالحكمة أكبر من مجرد عملية توفير معلومات صحيحة، بل هي مرتبطة بالتصرفات الصحيحة، معظمنا من المألوف لديه سماع رواية ذلك الغبي الذي يحمل الكثير من المعلومات لكن تنقصه البصيرة النفاذة للاستفادة منها واستخدامها، ونحن كفلاسفة نضع افتراضات وأحكام

عن الحياة وكيف يمكن لنا العيش فيها.

وتضم الفلسفة خمسة أنواع من الموضوعات والدراسات هي: المنطق، الأخلاق، والسياسة والميتافيزيقيا وعلم الجمال. فالمنطق هو دراسة التفكير الصحيح أو المألوف فهو يصف الطريقة المثالية لعمل الاستدلالات ووضع الاستنتاجات، بينما يختص علم الجمال بدراسة الأشكال المثالية والجمال، فهو يتعامل مع طبيعة الجمال والأحكام التي نطلقها على الحسن.

في حين نجد أن الأخلاق هي الدراسة التي تتعلق بالتصرف المثالي فهي تتعامل مع معرفتنا بالخير والشر فيما يقصد بالسياسة الدراسة التي تتعلق بالتنظيم الاجتماعي المثالي الذي يصف تلك الأشكال من البناء الاجتماعي أو التركيب السياسي الأكثر تناسباً للتكوين الإنساني. وأخيراً يقصد بالميتافيزيقيا دراسة للواقعية المطلقة ومحاولة خلق تنسيق بين ما هو حقيقي على ضوء ما هو مثالي. إذن نستطيع القول بأن بعضاً من أفكارنا ورؤيتنا النظرية تتأثر وتعكس واحداً أو أكثر من هذه الاهتمامات الخمسة والتي تشكل أساساً للافتراضات الفلسفية. قلة من واضعي نظريات الشخصية هم الذين يأملون في تطوير صورة فلسفية كاملة على أنفسنا وعن العالم الذي نعيش فيه.

الاعتراف بالافتراضات الفلسفية:

ليس هدفي طبعاً هو تعريفك عزيزي القارىء بطبيعة الإفادات الفلسفية لأن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى مساحات واسعة وصفحات كثيرة من كتب الفلسفة ذاتها، ولكن من الضروري أن نعرف أن نظريات الشخصية تنطوي على افتراضات فلسفية نحددها عندما تظهر للعيان. من هنا فإنني سأحاول أن أعطيك بعض المعايير التي قد تفيدك في التعرف على بعض الافتراضات الفلسفية عندما تظهر ويكون بمقدورك تقييمها بناءً على ذلك.

فالموضوعات الفلسفية مراراً وتكراراً تضع تمييزاً بين ما يكون وما ينبغي أن يكون. فالناس لا يفكرون دائماً بمنطقية ولا هم في سلوكياتهم مثاليين. الإفادات الفلسفية ترى أن الأشياء ليست بالضرورة هي نفسها كما تبدو للعيان، فعلى سبيل المثال فالتسليم بحقيقة أن عدداً كبيراً من الناس يكذبون أو يسرقون لا تعني أن

الكذب والسرقة شيء صحيح أو أن الكذب والسرقة يشكلان الجوهر المطلوب لنكون بشراً، فأي شيء يظهر أو يحدث في حياتنا اليومية ليس بالضرورة مطلقاً.

إن الافتراضات الفلسفية تختلف عن الإفادات العلمية والتي تكون في العادة مبنية على ملاحظات عادية، خذ مثلاً هذه العبارة (كل الغربان سوداء) وعبارة (كل الناس تنشد أو تبحث عن كل شيء طيب) من النظرة الأولى إلى هاتين العبارتين يبدو للوهلة الأولى أنهما متشابهتان لكن عندما تعمل اختباراً للتأكد من الأولى فأنت ستنظر من حولك لترى أذا كان هناك أي غراب أسود، بينما هذا الاختبار لن يكون مناسباً للعبارة الثانية لأننا لا ننسب ما نقول إلى شيء نراه في ملاحظاتنا اليومية ولا ينطوي على ملاحظات عملية، بل بدلاً من ذلك فهذه العبارة تعزي إلى نوع من الحقيقة المطلقة أو ما يشابهها والتي ندركها بطرق متعددة.

من الخصائص العامة للإفادات الفلسفية أنهم يعزون إلى الحقيقة الواقعة وراء الظاهرات حيث يقترحون أن الحقيقة (Reality) والظاهرات (appearances) ليسا نفس الشيء بالضرورة. (كل شيء حقيقي هو من طبيعة العقل) هذه الإفادة تتعارض مع ملاحظاتنـا اليومية، فبينما يبدو لنا أن عدة أشياء لها واقعية مادية حقيقية ووجود ملموس بعيداً عن عقولنا، الإفادة تشير إلى أنه على الرغم من ظاهراتهم فكل الأشياء في النهاية من طبيعة العقل، ونحن يجب أن نكون هنا متأنين في إطلاق مثل هذه الأحكام حيث أن الإفادات العلمية غالباً ما تنسب إلى أشياء لا نراها في ملاحظاتنا العادية. عدد من المفاهيم العلمية العامة تستلزم طرح أفكار خيالية لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولا حتى بالأجهزة الحديثة، فمثلاً البيروتنز والنيترون والذرة، والتي تمثل اللبنات الرئيسية في الطبيعة هي أشياء غير مرئية لكنها مشتقة من شواهد وملاحظات أخرى. الاختلاف يأتي في طبيعة الملاحظة التي تعطي قيمة وشأواً عظيماً للمفهوم والطريقة التي تختبر بها. فالإفادات في العلوم تعتبر مطلقة حتى وإن كانت غير مباشرة ومبنية على ملاحظة عادية، ووسائل اختبارها أو قياس صدقها، كما سنرى فيما بعد، تختلف عن تلك الوسائل المتبعة في الإفادات الفلسفية.

الخاصية أو الصفة الثانية للافتـراضات الفلسفيـة تكمن في نزعتهم إلى الشمولية أو العالمية فالافتراضات هذه تشمل العالم وكل الأشياء ولكن الكلمة التي

نبحث عنها هي (كل) (كل شيء حقيقي يكون من طبيعة العقل) (كل الناس تنشد أو تبحث عن الأشياء الطيبة) هذه الإفادات تتجاوز المجال الفردي وتنسب إلى كل أو كامل الطبقة التي تتحدث عنها. المهم في الإفادات الفلسفية أنها لا تقبل باستثناءات، وهذا يمثل تمايزاً رئيسياً بين التعميمات العلمية، والتي يمكن أن تكون عالمية وشاملة، وبين الافتراضات الفلسفية. وكما سنرى فيما بعد فكل الإفادات في المجال العلمي يجب أن تكون قابلة للدحض والنقاش، بل أن العلم مطلوب منه الإشارة إلى الأوضاع أو الشروط التي يمكن في حال توفرها إثبات عدم صحة تلك الإفادات، وإذا ثبت أن هناك استثناء للتعميم العلمي، فذلك التعميم يجب أن يتم تأهيله وتحقيقه من جديد!

عندما نتفلسف فنحن نتعامل مع الاستثناءات بأسلوب أو طريقة مختلفة تماماً. لنفرض أن شخصاً قال بأن (كل الناس تنشد الشيء الطيب)، أحد الناقدين يمكن أن يعترض ويطرح استثناء بقوله كيف يمكن لكم وصف الأنشطة والأعمال التي قام بها ريتشارد نيكسون أو أدولف هتلر في محاولاتهما شيء طيب؟ كفيلسوف يمكن أن يكون ردك عليه (أنا أتفق معك، على أنه يبدو أن نيكسون قد عمل خطأ. لكن هذا الخطأ فقط في عالم الظاهرات فهو في محاولته لعمل شيء طيب، نيكسون أصبح منحرفاً ولم يحسن التصرف مما جعله يظل الطريق السوي في محاولته تحقيق شيء طيب أو مرغوب). الاستثناء هنا عومل على أساس أنه إفادة فلسفية في حد ذاته وتم تفسيره على ضوء تلك النظرة.

إن الإفتراضات الفلسفية ليست مجرد فرضيات مبدئية تنسى أو تهمل عندما تتعارض مع الشواهد، فلا يمكن تصميم اختبار عملي يسمح لنا أو يؤهلنا لدحض تلك الافتراضات الفلسفية، فلو أن فلسفتي تقوم على الافتراض السابق ذكره بأن جميع الناس تنشد الأشياء الطيبة، فمعنى ذلك أنني لن أسمح لأي ملاحظات عادية لكي أقتنع بطريقة أخرى.

الخاصية أو الصفة الثالثة للافتراضات الفلسفية أنها في الغالب ضمنية وليست ظاهرة واضحة فالإفادة الظاهرة هي تلك الإفادة المحددة بوضوح كما أن كل مسلماتها قد رسمت بدقة وربطت ببعضها البعض ونظمت بإحكام في كل موحد. أما

الإفادة الضمنية فلا يمكن إخضاعها بصفة مستمرة لهذا التحديد الواضح، كما أن مسلماتها ليست بالضرورة دائمة الدقة ويمكن الاعتراف بها بصورة مطلقة. فالفرد منا قد لا يدرك الافتراضات المحددة لنظريته فغالباً ما نجد صعوبة في تحديد افتراضات شخص ما إذا كانت تلك الافتراضات مبهمة أو غير محددة بوضوح، وعلى الرغم من كل ذلك، وكما سنرى فيما بعد، فكل نظريات الشخصية تقريباً مبنية على افتراضات فلسفية أساسية مؤكدة، فمثلاً أحد واضعي نظرية الشخصية يمكن أن يعتقد أن كل الناس أحرار في تحديد سلوكهم أو أنهم من الأصل مكبلين بقوى داخلية وخارجية، هذه الافتراضات الظاهرة أو الباطنة تؤثر بعمق وقوة على طريقة المفكر في إدراك وفهم عالمه الذي يعيش فيه.

تقييم الافتراضات الفلسفية:

رأينا فيما سبق، أن افتراضات الشخص تنسب إلى واقع أو حقيقة ليست بالضرورة مفهومة أو مدركة بواسطة الملاحظة العادية. فالواقع الذي تنسب إليه الافتراضات الفلسفية ليس عالم الملاحظات اليومي ولكنه بدلاً من ذلك عالم من الواقعية المطلقة. هذا معناه أن الافتراضات الفلسفية لها معايير للتقييم تختلف عن تلك المعايير المستخدمة في الإفادات التطبيقية أو أي إفادات أخرى تقوم على الملاحظة العادية، بمعنى أوضح الإفتراضات الفلسفية لها معايير مناسبة للرؤية الظاهرية التي تشكل الأساس لهذه الافتراضات، ففي العلم التجريبي نجد أن الإفادات يتم دحضها أو إثبات عدم صدقها بواسطة عملية الملاحظة الإدراكية، هذه الطريقة طبعاً غير مناسبة للإفتراضات الفلسفية! إن الافتراضات الفلسفية مبنية على تصرف أو سلوك خاص من المعرفة الظاهرية المصاحبة (Epiphanic Knowing) لذلك يأتي تقييمهم بواسطة معايير مناسبة لطريقة المعرفة. نحن هنا سنقترح ثلاثة معايير رئيسية لتقييم الافتراضات الفلسفية والتي سنضيف لها معياراً رابعاً ونهائياً هو الإلزام (Compellingness)!

١ ـ المعيار الأول هو (الترابط والتماسك، Coherence) والذي يتضمن السؤال التالي. هل هذه الافتراضات الفلسفية مترابطة؟ إذن نحن نتساءل هل الإفتراضات الفلسفية للنظرية التي نحن بصددها قدمت بطريقة واضحة ومنطقية وبأسلوب ثابت ومنتظم؟ أم أنها تنطوي على تناقضات وعدم ثبات وانتظام منطقي.

النظام الفلسفي قد يكون مفككاً أو متنافراً وبه عبارات موهمة للتناقض ومع ذلك يظل مترابطاً فهو يزودنا بما يبدو ظاهرياً تعارضات وتناقضات تكون قد سويت داخل الموقف الفلسفي نفسه بحيث يبدو الوضع النهائي كل دقيق ومجموع مترابط. الافتراضات الفلسفية للشخص يمكن أيضاً أن تكون غير نهائية، بمعنى أن تكون مفتوحة لمزيد من النمو، لكن لكي تكون مترابطة لا بد أن يكون لها اتجاه ثابت ومعترف به.

٢ ـ المعيار الثاني هو (الصلة الوثيقة ، Relevance) فالإفتراض الفلسفي لكي يكون ذا مغزى ومعنى يجب أن يكون له تأثير على وجهة نظرنا حول الواقع، فنحن إن لم نشترك في نفس وجهة النظر هذه، كما هو الحال مع بعض الفلسفات المبكرة، فسوف نواجه صعوبة مؤكدة في حكمنا على الافتراض لأننا لا نعرف تأثيرها في الأزمنة القديمة أو كيف يمكن لها أن تنطبق على عالمنا المعاصر. في عالمنا الحديث، معيار الصلة الوثيقة يتضمن الحاجة إلى التكامل مع الواقع التطبيقي قدر الإمكان.

٣ ـ المعيار الثالث هو الشمولية (Comprehesiveness) هل الافتراض الفلسفي عميق بما فيه الكفاية؟ هل هو يغطي ما يفترض فيه تغطيته؟ أيضاً هذا المعيار يتضمن التساؤ ل حول ما إذا كانت معاملة الشخص أو الشيء المحكوم بهذا الافتراض عميقة طويلة أو سطحية ظاهرية.

فالافتراض الفلسفي يعتبر سطحياً إذا ترك عدداً من التساؤلات بدون إجابات محددة أو إذا رفض الإجابة عليهم.

هذه المعايير الثلاثة مضافاً لها المعيار الرابع والذي نطلق عليه الإلزام (Compellingness) تحاول الإجابة على السؤال النهائي والمهم وهو (هل الافتراض والفلسفة التي تشكل أساساً له مقنعة لك؟) فمن الممكن أن يكون الإفتراض الفلسفي رائعاً من حيث ترابطه وتماسكه ممتازاً في صلته الوثيقة بالموضوع وجميلاً في شموليته ومع كل ذلك نجده لا يجبرك على الإيمان أو الاعتقاد فيه.

الشيء المؤكد، أن نظريات الشخصية التي نحن بصدد دراستها تعكس وجهات نظر فلسفية، بعضها تظهر عليها السمة الفلسفية بكل وضوح، بينما يشوب

البعض الآخر الغموض ومع ذلك فهم موجودين. كارل روجرز (Rogers) يعترف صراحة بأن نظرته للنفس فلسفية وأن خلافاته الرئيسية مع أصحاب النظريات الآخرين مثل سكنر (Skinner) فلسفية بحتة. فرويد كان ينظر في البداية على أن عمله منفصلٌ عن الفلسفة، لكن في النهاية وجد نفسه مجبراً على الاعتراف بأن عدداً من افتراضاته عملت بطريقة أو أسلوب فلسفي.

إنه من المهم أن نعرف أو ندرك أن نظريات الشخصية تحتوي على افتراضات فلسفية لدرجة تجعلنا أو تحملنا على الاعتراف بذلك وبالتالي نبدأ في عملية اختبار وتطبيق المعايير المناسبة لهذه الافتراضات.

الأسس العلمية:

ومن الناحية العلمية يقوم أصحاب نظريات الشخصية باعتبارهم علماء بالتحديد الواضح لطرق الاختبار التي تستخدم في البحث وفي محاولاتهم وقياس صدق أفكارهم عن الشخصية. فالعلم والذي اشتق من الكلمة اليونانية (يعرف، Scire) ما هو إلا نظام من الطرق التي نستخدمها لاكتساب المعرفة المبنية أو التي يفترض فيها أن تكون مبنية على مباديء محددة.

إن الركن الأساسي في العلم هو الملاحظة ولا يعني هذا أن تكون في البداية دائماً، ففي الإمكان بناء نظريات متقنة ومحكمة ثم إخضاعها في النهاية للملاحظة التطبيقية. إذن فالعلم يعتمد على التطبيق كما لاحظنا، والمقصود بمصطلح تطبيقي هنا يعني الاعتماد على التجربة وأبسط أنواع الإفادات في العلم هي التطبيقية مثل قولك (هناك أسد على الجبل) ولمعرفة ما إذا كانت الإفادة التطبيقية لها ما يبررها فالشخص منا يجب أن يرى شاهداً مبنياً على معلومات محسوسة تتعلق بما نراه ونسمعه ونحسه ونشمه ونتذوقه. إذا قال أحدنا (أنا أرى شخصاً).

نحن قد ننظر لهذه الإفادة بطريقتين. ففي الحالة الأولى، نحن ننسب إلى الشيء موضع الخبرة أو المعلومات الموضوعية وفي الحالة الثانية، ننسب إلى خبرة المشاهدة أو الرؤية أو المعلومات الذاتية وكلاهما المعرفة الموضوعية والذاتية ينسبون إلى معلومات تطبيقية. الاختلاف بينهما يتوقف على موقف الملاحظ ٢ ففي المعرفة الموضوعية، يكون الموقف ظاهرياً أو خارجياً، فالذات تنظر إلى العالم

كشيء محسوس، بينما في المعرفة الذاتية الموقف يكون باطنياً أو داخلياً والذات تنظر داخلياً في خبراتها الخاصة كشيء محسوس! إن التقارير المتعلقة بالمعلومات الظاهرية بسيطة تقريباً في الإثبات أو التصديق فنحن بوضوح نشير إلى الظروف أو الأوضاع التي يمكن أن تعاد تحتها أو في ظلها الملاحظة، أما التقارير المتعلقة بالمعلومات الباطنية أو الظواهر الذاتية فهي أكثر صعوبة عندما يتعلق الموضوع بقياس صدقها بطواعية ورضا فعلى سبيل المثال قطعة من العمل الفني كلوحة تشكيلية يمكن أن تجلب لي المتعة لكنها تفشل في تحريك شجون أو مشاعر شخص آخر. وذلك لأن الظواهر الذاتية تظهر تحت ظروف أكثر تعقيداً من تلك التي تبدو في الأشياء المحسوسة أو الخارجية. إعادة مثل هذه الملاحظات الباطنة يمكن أن تطلب من الملاحظ الثاني الخضوع لتدريب مكثف أو خبرات أخرى من أجل أن تكرر أو على الأصح تعاد كل الظروف. بلا شك فإن استمتاعي برؤية قطعة معينة من الفن لا يعتمد ببساطة على الفن ذاته، بل أيضاً على مزاجي وتاريخي الشخصي.. الخ.

وبما أن التقارير المرتبطة بالظواهر الذاتية أو الباطنية أكثر صعوبة عند قياس الصدق اتجه بعض المفكرين النفسيين إلى تجاهلهما واستثمروا جهودهم في نتائج موضوعية أو ظاهرية فواطسون (Watson) الأب الروحي للمدرسة السلوكية أوصى بأنه نظراً لأن أفكارنا ومشاعرنا ورغباتنا لا يمكن ملاحظتها مباشرة بواسطة شخص آخر، لذا يجب على الأخصائي النفسي أن يتجاهلها ويركز ببساطة على السلوكيات الظاهرة، ويوجد عدد من الاختصاصيين النفسيين وإن كانوا قلة يوافقون على هذا الرأي المتطرف ولكن معظم أصحاب نظريات الشخصية يؤكدون أننا يجب أن نهتم بتلك المعلومات الذاتية أو الموضوعية من أجل فهم السلوك.

الاعتراف بأهمية الأسس العلمية:

إن أبسط أنواع الإفادات العلمية هي التطبيقية والتي نعتمد في ملاحظاتها على الحواس. عندما تتطابق مجموعة من الأمثلة المختلفة والتي تتعلق بالملاحظة موضوع الدراسة فالعالم يمكن له أن يقوم بالتعميم والمقصود بالتعميم هنا هو استنتاج استقرائي في ضوء عدد من أوكل أعضاء طبقة معينة بأن شيئاً ما حقيقي.

مثال ذلك قولنا (كل الفئران مصابة بعمى الألـوان) وهو تعميم استنتجتـه من ملاحظاتي لبعض الفئران على الرغم من أنني لم أختبر كل فأر على حدة لأنه من المستحيل أن أختبر كل فأر ظهر في الماضي أو سيظهر في الحاضر أو المستقبل، لذا فتعميمي التطبيقي لا يمكن أن أطلق عليه حقيقة مطلقة أو نهائية لأنه يجب أن تبقى هذه التعميمات مفتوحة للدحض المحتمل! معظم الإفادات التي بنينا عليها حياتنا تعميمات تطبيقية من هذا النوع، تعزى إلى الخبرات التي حدثت مع التكرار والثبات، ولعل مجرد تفكيرنا في أنها خاطئة أو غير صحيحة ينزل علينا نزول الصاعقة. مثال آخر هو (لماذا نؤمن بأن الشمس ستشرق صباح الغد؟). السبب بسيط لأنها تشرق كل يوم ، هذا الاستنتاج المبني على الفهم المنظم للقانون الفلكي والالتزام الـوجـودي الذي نؤمن به مبني على خبرتنا وإلا فنحن لا يوجد لدينا ضمان بأن الشمس ستشرق غداً ، لكن قد يكون من الغباء أن نفكر أو نتصرف على أساس أنها لن تشرق .

العالم يستخدم أيضاً التعريفات والتي هي كما أسلفنا تعد إفادات حقيقية بسبب الطريقة التي اتفقنا فيها على استخدام الكلمات فتوجد بعض الكلمات مثل (الأعزب) أسهل في التعريف بينما على النقيض من ذلك توجد بعض الكلمات الأخرى مثل (الشخصية) أصعب في التعريف وعرضة للاختلاف والتناقض، ولحل هذه المشكلة يلجأ العالم الاجتماعي دائماً إلى إيجاد تعريفات عملية تحدد تلك السلوكيات التي تتضمن المفهوم المراد تعريفه وعلى الرغم من أننا لا نستطيع الوصول إلى اتفاق على التعريفات العملية المناسبة وعلى الرغم من أن بعض التعريفات الإجرائية قد تشـوه الفكرة التي نحاول وضع معناها إلا أن ميزة التعريفات الإجرائية مهما كانت قيمتها أنها تزودنا بأرضية مألوفة من المراجع أو الأسناد.

لتحقيق أغراضنا نجد الإفادة الأكثر أهمية والتي يجب مراعاتها في العلم هي الفكرة العلمية التي تسبب أو تحدث فكرة خيالية أو افتراضية والتي لا يمكن رؤيتها أو ملاحظاتها في محاولتنا لشرح تلك الملاحظة. حقيقة أن الفكرة الخيالية أو الافتراضية لا تعني أنها غير موجودة أو غير حقيقية فهي بكل بساطة تعني أننا فقط لا نستطيع أن نلاحظها مباشرة ويجب علينا أن نستنتجها من الشواهد والقرائن. مثال

ذلك مصطلح الذكاء (IQ) ما هو إلا فكرة أو تركيب نستعمله لشرح سلوكيات معينة وإلا فإن نسبة الذكاء ليست تركيباً أو فكرة نستطيع رؤ يتها أو ملاحظتها مباشرة، كما أنه من الغباء أو الخطأ أن نفكر في هذه النسبة (IQ) كشيء جوهري محسوس وفي وضع يقوم علانية على فتح دماغ هذا الشخص لرؤ ية أو التأكد بأن نسبة الذكاء (١١٠) مطبوعة أو موجودة هناك. نسبة الذكاء هذه لا تمثل شيئاً في الحس العادي فهي تستخدم كمفهوم تخيلي يمكن أن يكون أقل أو أكثر فائدة في تفسير أو توقع السلوك. هذه النسبة تساعدنا في تفسير لماذا زيد من الناس، والذي لديه سجل تعليمي جيد، يكون أداؤ ه متميزاً، في حين أن زميله عبيد والذي يدرس بنفس المستوى يواجه صعوبات ولا يستطيع الحصول حتى على معدلات متوسطة في دراسته. العالم في محاولته التعامل مع واقع حياته أو عالمه اليومي يبني أو يكون عالماً شبيهاً يمتاز بأفكار وأسس منطقية وحسابية وعددية تخيلية يوضع بجانب عالمه اليومي.

إن العالم عند قيامه بتطبيق أنظمة معينة من المراجع، فهو يستطيع الربط بين العالمين (اليومي والمثيل) ويطبق استنتاجات مشتقة من العالم المثيل للحياة في العالم اليومي.

لنفرض، أنني قررت غداً السفر إلى مدينة تبعد حوالي ستين ميلاً عن سكني، هنا سأحاول معرفة كم من الوقت يلزمني للوصول إلى هناك، وذلك بإجراء عملية حسابية تناسب الأفكار التخيلية التي لدي وذلك باستخدام المعادلة التالية:

$$\text{الوقت} = \frac{\text{المسافة}}{\text{السرعة}} = \frac{٦٠}{٤٠\ \text{م/س}} = ١\frac{١}{٢}\ \text{ساعة}.$$

إذن العملية الحسابية تفيد بأنني سأستغرق ساعة ونصف للوصول إلى هناك عندما أسير بسرعة ٤٠ ميلاً في الساعة، لكنها أي الصيغة الحسابية لا تضمن أن مرحلتي في عالمي اليومي سوف تتم في ذلك الوقت أو المدة لأن متغيرات أخرى يمكن أن تتدخل مثل الازدحام الشديد أو حركة السير البطيئة أو حدوث عطل في السيارة... الخ. إذن العالم المثيل الذي يخلقه العالم ذا صلة وثيقة بعالمه اليومي حتى وإن لم يكن نفس الشيء.

تقييم الإفادات العلمية : -

مع أن الأفكار والأسس العلمية تسبب أو تحدث أفكاراً ومفاهيماً تخيلية، إلا أنها لا تزال تحتفظ بجذورها في الملاحظة اليومية. إن العلـم يحتوي على مختلف الأساليب لتقييم المعلومات ومع ذلك هناك طريقة واحدة للفحص أو الاختبار أصبحت معروفة ومحددة كخاصية للتجربة العلمية والتي اصطلح على تعريفها بالطريقة العلمية والتي يجب أن تكون مألوفة لديك كطريقة أو كمثـال للعمل العلمي. هذه الطريقة العلمية ليست مقصورة على علم النفس بل تستخدمها جميع العلوم. هذه الطريقة تتكون من خمس خطوات هي : -

١ ـ معرفة المشكلة.

٢ ـ تطوير الفروض.

٣ ـ عمل التنبوء.

٤ ـ اختبار الفروض.

٥ ـ كتابة الاستنتاج.

١ ـ الخـطوة الأولى: معرفـة المشكلة: البحث العلمي يبـدأ بمشكلة، والمشكلة لا تظهر في المختبر العلمي ولكن في عالم حياتنا اليومي. وفي سبيل التعامل مع مشكلة ما، العالم يضعها في صيغة سؤال! هذه الخطوط المبدئية تساعدنا في تركيز اهتمامنا على ماهية المشكلة وما هي الحلول المحتملة. إننا ونحن نطرح عدداً من الأسئلة نركز ونحدد المشكلة من الصفر لنجعلها أكثـر طواعية، وفي نفس الوقت. الأسئلة المطروحـة تبني أو تكون البحث وتحـدد الإجابات المتوقعة.

وفي العادة يتم التركيز على سمة واحدة أو أكثر يعتقد أن لها صلة وثيقة بالمشكلة المطروحة للبحث، والعالم بهذه الطريقة يستطيع أن يحول اهتمامه مؤقتاً من الأمور الأخرى الوثيقة الصلة بالموضوع وقد يثير هذا بعض النقاد الذين يرون بأننا في مجال العلوم الاجتماعية نتجاهل مشاكل رئيسية أثناء محاولات التحديد

التي قمنا بها ولكن من الضروري أن نعمل على تضييق حدود مشاكلنا من أجل معالجتها بفاعلية.

٢ ـ الخطوة الثانية تتمثل في: صياغة الفرضية: وهـي افتراض مبدئي يعمل على توجيه البحث. عدد كبير من المحللين يؤكدون على أهمية البحث المبدئي أو مراجعة الدراسات ـ السابقة للتوسع في مجال تطوير الفرضية. مثل هذه المراجعة تتضمن دراسة المتوفر من المعلومات عن جوانب المشكلة ومقارنتها بمشاكل مماثلة وهكذا. هذا النوع من البحث المبدئي مفيد وضروري لكننا سنكون مخدوعين لو اعتقدنا أنه متميزاً أو مختلفاً عن تشكيل الفرضية نفسها. فلو أن عالماً لا يملك بعض الأفكار (أو فرضية مبدئية) ليبدأ بعدها بحثه عن أنواع المعلومات التي سوف تفيد، فهو أو هي لن يعرف عن ماذا هو يبحث في المقام الأول. فبدون شعور حدسي أولي عن المعلومات الهامة، الواحد منا لن يعرف هل يستشير نتائج أو دليل مباريات كرة السلة أو دليل صيانة السيارة ليتعرف على مشكلة سيارته المعطلة. إذن مراجعة التراث الأدبي لا تزودنا في حد ذاتها بالفرضية بل أن الفرضية يخلقها العالم نفسه حين يبدأ في تسخير طاقات ذهنية إبداعية لحل هذه المشكلة. ويعتقد بعض العلماء أن الفرضية ما هي إلا مجرد فكرة أو شعور حدسي داخلي، ويذهب آخرون إلى القول بأنها الهام أو تكهن أو نبؤه. النقطة المهمة، هي أنه في حين أن الطريقة العلمية ما هي إلا وسيلة لفحص الفرضية فهي (أي الطريقة العلمية) من جهة أخرى تفترضهم مقدماً أو ضمنياً وهناك عدة شروط للفرضية الصحيحة في العلوم هي: ـ

أ ـ الفرضية يجب أن تجيب على السؤال المطروح في المشكلة. فإذا كانت المشكلة تتعلق بالقضاء على فيروس جديد، فالفرضية التي تقول أن سيارتي لا تعمل بمستوى عال لا علاقة لها البتة بموضوع مشكلتنا أو فرضيتنا وذلك لأن هذين الحدثين لا يوجد بينهما علاقة على الإطلاق ولكن هنا نحن يجب أن نكون حذرين فأحياناً ما يبدو لنا بعيداً يمكن أن يكون أكثر قرباً مما تصورناه للوهلة الأولى هذا هو السبب في أن البعض يتوقع تدفق أو نوبة مفاجئة من التفكير (Brainstormming) عندما نرى مجموعة من العلماء تحاول أن تحل مشكلة ما مستعصية. في هذا الانفجار الفكري المفاجيء كل عالم يخرج ما يدور في ذهنه أو ما يرد على عقله،

بغض النظر عن علاقتها بالمشكلة من عدمه. فيما بعد هذه الأفكار تقيم وفي بعض الأحيان نجد أن تلك الفكرة التي بدت للوهلة الأولى بعيدة ولا علاقة لها بصلب المشكلة تحمل ميزة جيدة ومجدية.

ب ـ الفرضية يجب أن تكون ممكنة ونعني بذلك أنه يجب ألا تخالف أي قانون سببي معروف. القوانين السببية هي قوانين ثابتة تتناول السبب والنتيجة، وفي العلوم لا نتوقع وجود أشخاص قادرين على اعتلاء البنايات الطويلة في قفزة واحدة لأن هذه الأنشطة تخالف القوانين السببية المعروفة وفرضيات مثل هذه ببساطة غير مقبولة أو مسموح بها عملياً.

جـ ـ الفرضية يجب أن تكون قابلة للاختبار والتجريب ونقصد بذلك أن العالم في مستطاعه استنتاج نتائج أخرى من الفرضية إلى ما وراء حقيقة أن وضع المشكلة موجود. إن الجدل بأن زيداً ولد بليد لأن لديه استعداداً بليداً كمن يدور في حلقة مفرغة ولا يزودنا بأية معلومات جديدة أو إضافية. لكن عندما نقول أن زيداً يتصرف بأسلوب البلداء لأن لديه مستوى منخفضاً من الأيض فأنت تقترح أو تضع فرضية تحرض على مزيد من النتائج واختبار الدم مثلاً يمكن أن يظهر مستوى منخفضاً من سكر الدم لدى هذا الشخص. كذلك فإن المستوى المنخفض من الأيض يمكن أن يظهر نفسه في أعراض سلوكية أخرى أيضاً.

٣ ـ **الخطوة الثالثة هي عمل التنبؤات**: هذا التوقع ينسب إلى تحديد تلك الأشياء التي ستظهر إذا أثبتت الفرضية التنبوء مما يسمح لنا بالذهاب إلى أبعد من الوضع الذي سمح بظهور الفرضية في المقام الأول وذلك لنصل إلى نتائج أخرى لهذا العالم.

٤ ـ **الخطوة الرابعة اختبار الفرضية**: ـ وهي نقطة مهمة يدرك أهميتها العالم لأن التنبوء نفسه يحدد نوعية الاختبار فبعض الفرضيات تختبر بكل بساطة بالنظر إلى شيء أو مكان ما، بينماالأخرى تتطلب تجربة دقيقة تحت تلك المتغيرات التي يتم ضبطها بكل هدوء وتعديلها بأناة. وفي بعض الأحوال نحن قد لا نكون قادرين على اختبار الفرضية للوهلة الأولى وهذا غالباً ما يحدث في مجال الفلك عندما تقوم ظواهر معينة بتقديم كوكب أو نجم جديد وهنا قد لا يكون بمقدورنا إجراء اختبار

للفرضية في الوقت الحالي لأنها تنسب إلى أحداث مستقبلية أو لأنه ينقصنا أجهزة تكنولوجية ذات فاعلية كبيرة.

٥ ـ **الخطوة الأخيرة الخروج باستنتاج معين**: حيث أن كثيراً من الناس يحبون أن ينظروا للمفاهيم العلمية في صورة مثبتة أو صيغة محددة، بمعنى أن هذه حقيقة يؤكدها اجتيازها الاختبار لكن منطقياً هذا غير صحيح. مثال بسيط يوضح هذه النقطة، افترض أن شخصاً يناقشك في هذه المعادلة التي تقول: إذا كانت

س سمكة فهي إذن تستطيع السباحة
س تستطيع السباحة.
إذن س سمكة.

طبعاً النقاش غير منطقي أو معقول لأن شيئاً ما خطأ في هذا الاستنتاج، فأنا أستطيع السباحة أيضاً ولكنني لست سمكة. في المنطق هذه تدعى مغالطة في إثبات النتيجة. هي بالضبط نفس النوع من التفكير الذي نتبعه إذا نحن افترضنا أن الفكرة الخاضعة للبحث كانت صحيحة. دائماً يمكن أن يكون هناك عوامل ومتغيرات أخرى لا بد من أخذها في الحسبان عند مراجعة النتائج المتعلقة بالاختبار. إذن فالعالم لا يدعى مطلقاً أن المعلومات التي حصل عليها بطرقه أو طرقها صحيحة على الإطلاق فالعلم يتطور نتيجة عدم وجود التأكيدات وبما أن العلم مبنى على الملاحظة لذا يجب أن يكون معرضاً للدحض والتكذيب، فواقع الأمر يقول أن العالم مطلوب منه أن يثبت تحت أي الظروف أو الشروط فرضيته يمكن أن تنفى! الطرق العلمية تحدد نوعية المعلومات التي يمكن أن نسمح بها فكما رأينا فالعالم يحاول دوماً التعامل مع مفاهيم العالم اليومي كعالم مثيل ولكن في الحقيقة إن الطرق العلمية التي يستخدمها العالم محدودة في العالم المثيل، وهذا هو السبب في أن نشاط العالم وجهوده لإثبات أو قياس صدق ملاحظاته وفرضياته لن يكون مقنعاً على الإطلاق كما هو الحال مع السلوك المعرفي الذي يشكل أو يكون أساس افتراضاتنا الفلسفية. في حين تسليمنا بأن الطرق العلمية ليس بمقدروها أن تسمح بحقيقة مطلقة فهي تضيف ثروة من المعلومات المفيدة التي يمكن أن تساعدنا في العيش في عالمنا اليومي. إذن فمن مصلحتنا أن نعمل كما لو

أن الاستناجات التي حصلنا عليها بطرقنا العلمية صحيحة. المعيار الذي يجب أن يستخدم للحكم على الأفكار والإفادات العلمية هو مدى جدوى وفائدة هذه الإفادات لا حقيقتها!

في عملية البحث العلمي، العالم مراراً وتكراراً يفكر ويتسلى بأكثر من فرضية تدخله في تنافس وخصام تحدد ظروف الاختبار فشله أو نجاحه. لكن لو افترضنا أن الفرضيتين سليمتين فكيف يميز العالم أو الباحث أو يقرر بينهما. بصورة عامة هناك ثلاثة معايير لتحقيق ذلك ألا وهي:

١ ـ البساطة.

٢ ـ القدرة أو القوة التنبوئية.

٣ ـ التجانس والتناغم.

أخيراً العلم والفلسفة طريقتان مكملتان لبعضهما البعض وهما طريقتان من طرق البحث وكل واحدة منهما لها قوانينها وإجراءاتها في عملية بناء المعلومات ولكل طريقة معاييرها الخاصة في الحكم على صدق أو سلامة نتائجها. أيضاً كلاهما (الفلسفة والعلم) ضروريتان لواضعي نظرية الشخصية فالدراسات العلمية تستند على فرضيات ذات بناء أو تركيب فلسفي.

أدب العلاج النفسي:

إذا كانت أصول نظريات الشخصية في الفلسفة تهدف إلى قياس صدق مفاهيمها من خلال الطرق العلمية فهم أيضاً يبلغون الذروة في بعض الأشكال الأدبية والتطبيقات العلمية.

وفي الوقت الذي نجد فيه أن النظريات الشخصية قد طبقت واستخدمت في بعض الجوانب الهامة كالتقييم والبحث والاهتمامات الاجتماعية، فمن المتوقع أن تكون معروفة أكثر في مجال العلاج النفسي. ويقصد بالعلاج النفسي تلك المحاولة الهادفة إلى تطبيق نتائج نظريات الشخصية لمساعدة الأفراد وتحقيق أهداف إنسانية. كلمة علاج جاءت من الكلمة اليونانية (Therapeia) والتي تعني الشفاء، مع أن المعالجين النفسيين اهتماماتهم أكثر بشفاء الناس المرضى، فهم أيضاً يرغبون في

فهم الناس العاديين، يتعلمون كيف يعملون ويساعدونهم ليعملوا بإبداع أكثر! في حين أن العلاج النفسي في أغلب الاعتبارات هو صفوة نظريات الشخصية فهو أيضاً بذرها. عدة نظريات في الشخصية لا يمكن لنا فهمها بدقة بدون فهم لطريقة العلاج النفسي التي تصاحبها. إن القاريء لا يحتاج إلى مقدمة خاصة بالإفادات المستخدمة في العلاج النفسي لأن لغة العلاج لا تختلف عن اللغة العادية بل أنها تتكون من محادثة بين شخصين أو أكثر ولقد اعترف فرويد بذلك حين قال لا شيء بين المريض والمحلل الطبيب سوى حديثهما لبعضهما البعض.

أهداف العلاج النفسي:

حدد جوزيف رتشلاك (Rychlak) عام ١٩٦٨ م ثلاثة جوانب رئيسية للعلاج النفسي هي: -

١ - الفكري.

٢ - الأخلاقي.

٣ - العلاجي.

١ - **الهدف الفكري**: ينظر إلى العلاج كوسيلة لفهم النفس والطبيعة الإنسانية بالتحليل النفسي. فعلى سبيل المثال نظر فرويد إلى هذا الجانب كوسيلة لاكتشاف الحقائق المرتبطة بالطبيعة الإنسانية وبالتالي لم ينظر إلى التأثيرات الجانبية العلاجية للتحليل النفسي كوظيفة رئيسية أو ميزة حسنة لها. هدف فرويد كان مساعدة الشخص أو الفرد منا في اكتساب الفهم الذاتي وتطوير نظرية شاملة عن الطبيعة الإنسانية، ومن هنا تطور التحليل النفسي كطريقة للبحث هدفها تحقيق تلك الغاية.

٢ - **الهدف الأخلاقي**: ينظر إلى العلاج كوسيلة لمساعدة الفرد على تغيير وتطوير أو تنمية وتحسن نوعية أسلوب حياته فالمحاولة هنا، ليست لدراسة أو فهم الناس بقدر ما هي تهدف إلى خلق جو يمكن الناس من التغيير إذا هم رغبوا في ذلك.

وتعد أعمال روجرز (Rogers) خير مثال لهذا الاتجاه، فتركيزه على أسلوب أو الموقف الذي يتخذه المعالج ليسمح بظهور التغيير داخل العميل، بدلاً من

التركيز على الفهم المعرفي أو تعديل السلوك.

٣ - الهدف العلاجي: ويهدف إلى إزالة الأعراض المتعلقة بالمشكلة واستبدالها بالسلوك الملائم هنا نجد تشابهاً مع العمل الذي يقوم به الأطباء الذين يهدفون إلى شفاء الناس من الأمراض. فمعظم المعالجين السلوكيين مثلاً، يعتبرون أنفسهم أشخاصاً مستأجرين لإداء وظيفة معينة ويسعون لتحقيقها بفاعلية وسرعة قدر المستطاع! من وجهة النظر هذه، المعالج يرى أنه مسؤول عن خلق التغييرات وإزالة الأعراض والتحكم في السلوك.

غالبية الناس تأتي للعلاج وهي تحمل توقعات كبيرة في أنها سوف تشفى أو تجد من يساعدها ويعمل على تحسين أحوالها وفي هذه الجوانب يعتبر الجانب العلاجي هو الأكثر ثباتاً وتناسباً مع الفهم العام للعلاج النفسي. إذن نستطيع القول إن هذا التوقع الشائع لدى الناس يجعلهم يجدون صعوبة، خصوصاً في البداية، في مسألة القبول بالتحليل النفسي أو أي شكل من أشكال العلاج النفسي التبصيري (insight)! على كل حال، لو استمر هؤلاء الناس الذين يطلبون العلاج فسيجدون أن أسباب وجودهم للعلاج سوف تتغير وسيبدأون في تقدير قيمة الدوافع الأخرى، بكل وضوح أن أسباب الانخراط في ممارسة العلاج النفسي متباينة ومتمازجة وهذا هو ما يجعل عملية تقييم العلاج موضوعاً معقداً.

تقييم العلاج النفسي:

كيف يستطيع الواحد منا تقييم العلاج النفسي؟ وما هي المعايير المناسبة لهذا التقييم؟

استخدم هانس ايرنك (Eysenck) في تقييمه لفاعلية العلاج النفسي معيار (إزالة الأعراض) في تلك التقارير التي قدمها عن معدلات التحسن في المرضى وكانت غير مشجعة كما أن هذا المعيار وإن كان مناسباً للعلاجات المحكومة بالدافع العلاجي فهو ليس بالضرورة مناسباً لتلك الأهداف التي استخدمت لأغراض أخرى إذن فلو أن معيار (إزالة الأعراض) هو المعيار الوحيد الذي نحكم به على قدرة العلاج النفسي وفاعليته فقط، لوجدنا أن التحليل النفسي والعلاجات المعرفية

الأخرى سوف تكون قد اختفت واندثرت وظهرت أساليب أقل تكلفة أو أكثر فاعلية منها ، فلو كان معيارنا يعتمد على الأسس الفكرية لوجدنا أن التحليل النفسي سوف يكون هو الأسلوب الرابح حيث لا توجد طريقة أخرى من العلاج زودتنا بمثل تلك الثروة الهائلة من المعلومات عن تعقيدات وعمق الشخصية الإنسانية .

باختصار، كل طريقة من طرق العلاج النفسي يجب أن تقيم من خلال أغراضها وأهدافها. المعالجون السلوكيون الذين يهدفون إلى جلب الشفاء نجدهم على وجه الخصوص يهتمون بالكشف عن جوانب وأجزاء الشفاء المتعلقة بأساليب متعددة. أما النظريات الأخلاقية فتهدف إلى خلق جو ملائم للتغيير العلاجي وتحسن الحياة وإثارة البحث والدراسة الميدانية لمعرفة تلك الظروف التي تسهل تغييرات الشخصية وتأثيراتها كما أنهم يثيرون عدداً من التساؤلات الأخلاقية حول الرغبة في سلوكيات معينة. كذلك المدرسة الفرويدية تُقيم من حيث تأثيرها كطريقة بحث هدفها فهم الطبيعة الإنسانية.

إذن قد يكون من المناسب في هذا المقام الحديث عن نوع الشاهد الذي يمكن استخدامه في التحليل النفسي حتى نصل إلى المعرفة ، لأن لها علاقة واضحة بموضوع المناقشة التي تتعلق بالمعرفة العلمية والفلسفية. من وجهة نظر المحلل يعتبر الشاهد هذا شاهداً تطبيقياً أو عملياً مع أن تكنيكات المحلل كانت مبنية وبوضوح على الافتراضات الفلسفية للتحليل النفسي فالمحلل يلاحظ بأناة المريض ويستمع لإفادته ويعمل تفسيرات مبنية على علاقات مدركة بين تلك العناصر وينظر إلى السلوك التالي للمريض كإثبات أو نفي لفرضياته. لسوء الحظ هذا البحث ليس مفتوحاً لقياس مراقبة طبيعة العلاقة الثنائية التحليلية. من وجهة نظر المريض، الشاهد يعتبر معرفياً فقبول المريض أو رفضه للتأويل أو التفسير الذي يدلي به المحلل مبني على إجباره أو إكراهه على التأويل والذي يمكن ألا يظهر كنتيجة لترابط أو لصلة أو شمولية. بهذه الصورة، المريض يمكن أن يرفض تفسيراً صادقاً، وهذه الاحتمالية تفسر لماذا الأخصائيين النفسيين والذين يحملون وجهة نظر علمية صارمة نراهم مراراً وتكراراً مشككين في البصيرة الأكلينيكية. فالأخصائيون

النفسيون يعرفون ويدركون أن رفض أو قبول التفسير أو التأويل من المريض ليس مبنياً على أرضية علمية، وعلى الرغم من ذلك فإنه لأمر صعب أن نرى كيف أن البصيرة يمكن أن تنتج أو تأتي من الطريقة العلمية لوحدها، نظراً لأن الفهم الذاتي وفهم الآخرين يعتمد على أسس فلسفية. من المناسب أن نختتم هذا الفصل بعبارة للكاتب والمفكر التربوي الأمريكي دورانت (Durant) والذي يقول (العلم يعطينا المعرفة، لكن الفلسفة هي الوحيدة التي تزودنا أو يمكن أن تمنحنا الحكمة) وكذلك قوله (كل علم يبدأ. كفلسفة وينتهي كأدب وفن).

ملخص:

١ ـ مصطلح الشخصية من الصعب تعريفه لعدم وجود اتفاق عام حول استخدام هذا المصطلح في حياتنا اليومية وفي أحاديثنا المستمرة، الشخصية تنسب إلى الصورة العامة للواحد! عدد من مفكري نظريات الشخصية وضعوا تعريفاتهم تحت تأثير خلفياتهم النظرية والفكرية.

٢ ـ النظرية هي مجموعة من المفاهيم المجردة التي نقول بها عن مجموعة من الحقائق أو الأحداث من أجل أن نقوم بشرحها أو تفسيرها.

٣ ـ نظريات الشخصية يمكن أن تعمل كفلسفة وعلم وأدب فأصحاب نظريات الشخصية كعلماء، طوروا فرضيات ساعدتنا في فهم السلوك الإنساني وكفلاسفة، أصحاب النظريات كشفوا عن معنى أن تكون شخصاً، وكأدباء، نجدهم يسعون لتطبيق أعراف عن السلوك الإنساني من أجل حياة أفضل.

٤ ـ الافتراضات الفلسفية ترى أن الأشياء ليست بالضرورة هي كما تبدو لنا، فهذه الأشياء مبنية على نظرة خاصة تذهب إلى مدى أبعد من إدراكنا الحسي. الإفادات الفلسفية تميل إلى العالمية والشمولية ولا تسمح بأية استثناءات. أخيراً، هذه الإفادات في الغالبية تكون إفادات ضمنية.

٥ ـ بعض من القضايا الأساسية التي يختلف عليها أصحاب النظريات تتمثل في الحرية مقابل الحتمية، العوامل التكوينية مقابل الموضعية، والفردية مقابل العمومية والتفاؤلية مقابل التشاؤمية ونظريات ما قبل الفعل وردة الفعل.

٦ ـ الإفادات الفلسفية تقيم بواسطة معايير مناسبة مثل (أ) الترابط والتماسك (ب) الصلة الوثيقة (جـ) الشمولية (د) الإلزام.

٧ ـ العلم له أسسه الفلسفية لأن الملاحظة العادية التي يعتمد عليها العلم تستند على صيغ ونماذج موجودة في الفلسفة. قيم ومعايير العلم تعمل كالتزامات فلسفية.

٨ ـ الخطوات الخمس التي تميز الطريقة العلمية هي: (١) إدراك المشكلة (٢) تطوير فرضية (٣) عمل تنبؤات (٤) اختبار الفرضية (٥) تحديد الاستنتاج.

٩ ـ أبسط أنواع الإفادات العلمية هي تلك التي بنيت على الملاحظة والمعلومات أو البيانات العلمية الموضوعية والذاتية. عندما تتزامن ملاحظات مختلفة يمكن للعالم عمل التعميم، كما يستخدم التعريفات الإجرائية التي تحدد السلوكيات، كما يعمل العالم أفكاراً عالمية تستخدم مفاهيم فرضية أو تخيلية لتفسير ما نلاحظه.

١٠ ـ العلماء يستخدمون أساليب لتقييم عملهم والتي تبني في النهاية على الملاحظة اليومية.

١١ ـ الأهداف الرئيسية للعلاج هي الأهداف الأخلاقية والفكرية والعلاجية.

١٢ ـ من المهم التمييز بين عدد من وظائف نظريات الشخصية وذلك لنتمكن من معرفة كل نشاط عندما يظهر وبالتالي تقييم كل نظرية بناء على الطرق المناسبة.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Students who are interested in pursuing Gordon Allport's effort to define the Word «personality» should see his survey in Chapter Two of Personality: A Psychological Interpretation (Holt, 1937(. This chapter provides a compact survey of the origins of the word and the various ways in which it has been defined.

The Story of Philosophy by Will Durant (Pocket Books, 1954) is a lay introduction to philosophy that tells its story by focusing on the lives and ideas of significant philosophers. The introduction, «On the Usès of philosophy, helps to placė the work of these thinkers in perspective. J. B. Conant's On Understanding Science (Yale University Press, 1947(gives a concise introduction to the scientific enterprise. A comprehensive history of psychology is provided in the classic work of E. G. Boring, A History of Experimental Psychology (Appleton - Century - Crofts, 1929), a detailed but invaluable book for the serious student of psychology.

Books that try to place the study of psychology and personality theory within the general Framewarhof science and philosophy are more difficult reading, but worth the effort of the interested student. The following are especially recommended: M. Turner, philosophy and the Science of Behavior (Appleton - Century - Crofts, 1967(; D. Bakan, On Method: Towards a Reconstruction of Psychological Investigation (Jossey - Bass, 1967(; J. Rychlak, A philosophy of Science for Personality theory (Houghton Mifflin, 1968(; T. S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, 2 nd ed. (University of Chicago Press, 1970(; and 1. Chein, The Science of Behavior and the Image of Man (Basic Books, 1972). These books stress the neccessity of developing adequate conceptual structures of science and philosophy within which personality theorizing can flourish as efforts to understand the human being.

الجزء الأول

اسلوب التحليل النفسي

يعتبر سيجموند فرويد (Sigmund Freud) واحداً من كبار المفكرين ورائداً من رواد علم النفس الذين ساعدوا في فهم طبيعة الإنسان. إن مساهمات فرويد في مجال فهم ودراسة الشخصية عززت فهمنا لأنفسنا وشخصياتنا لدرجة أن عدداً كبيراً من الناس يعتبر فرويد أكثر العلماء مساهمة في هذا المجال بعد فلاسفة اليونان القدامى مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو. فالكثير من النظريات التي سوف نتناولها بالدراسة قد طورت كمحاولات لتعديل مفاهيم فرويد أو تكريسها أو رفضها أو لإحلالها محل نظريته.

إذن نستطيع القول بأن نظريات الشخصية المعاصرة لا يمكن فهمها بصورة وافية ما لم تفهم إسهامات فرويد وإنجازاته لكن كيف تسنى لفرويد تطوير نظرية التحليل النفسي؟ إن إكتشاف مفاهيم قيمة كاللاشعور والكبت وتحليل الأحلام لم يأتي من خيال ودون إعداد مسبق، فنظرية فرويد في الشخصية ومساهماته في فهمنا الذاتي كلها صور تمثل تجاوزاً وهجراً لتاريخ طويل من الاهتمامات الفكرية خصوصاً تلك التي تطورت في القرن التاسع عشر. إن النهضة العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر أثارت مشاكل جديدة لتلك التخمينات الفلسفية السائدة آنذاك خصوصاً ما يتعلق بالطبيعة الإنسانية فكوبر نيكس وكبلر وجاليلو بدأوا بحوثهم بملاحظات دقيقة كونوا على أساسها فرضياتهم عن العالم. لذا قام هؤلاء العلماء وغيرهم بإجراء التجارب والبحوث للتأكد من صحة وصدق فرضياتهم وطوروا نظرياتهم بناءً على نتائج تلك البحوث. باختصار، نستطيع القول، أن تلك الفترة تمثل فترة ظهور العلم وتطور طرق البحث العلمي. إن الطرق التطبيقية للعلم الجديد قامت تدريجياً برفض فلسفة أرسطو عن الطبيعة وقادتنا تدريجياً إلى الاستنتاج القائل بأن العالم الطبيعي يعمل كآلة ضخمة، يمكن قياس حركتها ووصفها بواسطة القوانين الحسابية.

فبعد قيام إسحق نيوتن (Newton) (١٦٤٢ - ١٧٢٧) بصياغة ونشر القوانين

الآلية للحركة ومبدأ الجاذبية ساد الاعتقاد بأنه من الممكن، ولو نظرياً، شرح العالم الطبيعي كله وفق مصطلحات ميكانيكية ونوعية، إذن فالعالم الذي تكون أو ظهر كان عالماً مادياً يعمل بنظام مبني على قوانين طبيعية ثابتة. وظل نموذج نيوتن عن هذا الكون مسيطراً على الفكر العلمي حتى نهاية القرن التاسع عشر. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تطبيق النتائج العلمية في البداية كان مقصوراً على عالم طبيعي لا حيوية ولا روح فيه حتى ظهرت في القرن السابع عشر حركة المذهب المادي الميكانيكية والتي نادى بها الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (Hobbes) (١٥٨٨ - ١٦٧٩) والذي بنى هذا المذهب على مبدأ لا وجود لشيء ما عدا المادة المتحركة.

وطبقاً للقوانين الثابتة التي كانت تستخدم في قياس هذه المادة أصبح في الإمكان تفسير كل شيء تفسيراً مادياً، ومن ثم أصبح السلوك أو الفكر الإنساني بكل بساطة حصيلة لحركة المادة وبهذا توسع العالم هوبز في المفهوم الميكانيكي للعالم الطبيعي ليتضمن الكائنات الإنسانية والحياة العقلية.

إن قول العالم الفرنسي رينيه ديكارت (Descartes) (١٩٥٦ - ١٦٥٠) (أنا أفكر، إذن، أنا موجود) والذي جاء ليعيد التأكيد على أهمية وأولوية العقل على المادة كان أجراء منصفاً للاعتقاد القائل بأن الشخص أكثر مـن مجرد مكينة أو آله. وبدون عرقلة أو أنقاص من إنجازات العلم الجديد فقد قسم ديكارت فلسفته الواقعية إلى نوعين منفصلين هما: (١) العقل (٢) المادة. فالمادة في نظره تشمل كل الأشياء المادية الاصطناعية والعضوية الحيوية بما في ذلك الكائنات البشرية والتي يمكن فهمها وفق مباديء المادية الميكانيكية وقوانين الحركة. أما العقل حسب رأي ديكارت فيتضمن كل الحالات الشعورية مثل التفكيـر والإحساس والإرادة. . وهي حالات لا يمكن تطبيق القوانين الميكانيكية والمادية بحقها عند محاولتنا فهمها أو تفسيرها. هنا وللمرة الأولى في التاريخ، نرى تمييزاً واضحاً بين العقل والمادة هذا التمييز الذي جاء ليشكل أساساً للفلسفة النظامية المتماسكة. ولقد ترك القول المأثور لديكارت (أنا أفكر إذن أنا موجود) آثاراً بعيدة المدى، فقد دفع الناس في الغرب إلى تفضيل العقل على التكوين العضوي للأفراد، فمنذ القدم كان معروفاً أن العناصر الجسمانية والعقلية تكون الشخصية لكن مشكلة ازدواجية

العقل والمادة لم تظهر إلا بعد انتشار القول المأثور لديكارت. فبعد ظهور آراء ديكارت سادت في العالم فكرة أن الأنشطة الجسمانية يمكن أن تظهر بناءً على قوانين السببية الميكانيكية، أما الحياة العقلية فليست محكومة بنفس قوانين السبب والنتيجة!

إذن فالحياة العقلية والإنسانية يصعب بقاؤها خارج عالم البحث العلمي المتنامي. هذا التطور خلال عهد فرويد يعبر عن نفسه بطريقتين: (١)مذهب النشوء. (٢) مفهوم علم النفس كعلم. إذن وخلال طفولة فرويد المبكرة، حدثين ملحوظين ظهرا في تاريخ العلم، فعندما كان في الثالثة من عمره، داروين طبع كتابه (أصل الأنواع) عام ١٨٥٩ م، والذي أحدث ثورة في مفهوم الإنسانية حيث جعل الكائنات الإنسانية جزءاً من الطبيعة وبالتالي موضوعات يمكن دراستها بالطريقة العلمية. في السنة التي تلتها أسس جوستاف فيشنر (Fechner) علم النفس كعلم طبيعي بالبرهنة على أن العقل يمكن دراسته علمياً وقياسه نوعياً، حيث أثبت ذلك بملاحظته لعلاقة قوة المثير وشدته بقوة وشدة الإحساس. لقد كانت تدريبات ودراسة فرويد المبكرة في مجال الأعصاب في المعمل الفسيولوجي لأرنست بروك (Brüke) صاحب كتاب محاضرات في الفسيولوجيا (١٨٧٤) والذي ينظر للكائنات الحية على أنها أنظمة ديناميكية من التطور والنمو يمكن فهمها تحت قوانين الكيمياء والفيزياء. لقد كان فرويد في البداية يأمل في توسيع نطاق العمل الذي قام به بروك وأسلافه من أجل فهم الحياة العقلية، لكن تطورات لاحقة، سيرد ذكرها فيما بعد، قادت فرويد إلى فهم الشخصية سيكولوجيا بدلاً من فهمهما عضوياً حيث أدرك تدريجياً أن ديناميكيات النفس لا يمكن فهمهما باستخدام مصطلحات فسيولوجية أو مادية، هنا لا بد من الإشارة إلى أن فرويد في نهاية الأمر وجد نفسه يعترض على وجهتي نظر ديكارت وبروك واللتين حاولتا إخضاع العمليات العقلية لأسباب فيزيائية وكيميائية! لكي نعفي الحياة العقلية من خاصية الحتمية والتي تختص بالظواهر الطبيعية من وجهة نظر فرويد معناه تدمير النظرة العلمية للعالم ككل. ببساطة لقد كان أسلوباً غير علمي أن نعتبر عثرات اللسان أو الأحلام أموراً تحدث مصادفة!

وبناءً على قوانين الحتمية يجب النظر إلى الحياة العقلية والحياة الجسمانية

كأشياء متماسكة ومترابطة، لكن كان خطأ أن ينسب حدوث الحلم أو زلات اللسان لسوء أو عسر الهضم أو التعب أو أي أسباب فسيولوجية أخرى كما اعتاد بروك أن يفعل ويعتقد، أما فرويد فاعتقد أن الأحلام وعثرات اللسان يجب أن تكون ذات مغزى أو معنى من خلال فهم عام للحياة النفسية نفسها!

في عام ١٩٦٠ م قال وايت (Whyte) بأن ديكارت بتعريفه للعقل كشيء نوعي يمكن أن يكون قد حرض الأوروبيين ودفعهم لاكتشاف العقل اللاشعوري كردة فعل لذلك التعريف الديكارتي. إذن لعلنا نستطيع القول بأن عمل فرويد في معظم جوانبه يمثل محاولة لحل بعض المشاكل التي خلفتها فلسفة ديكارت، فمثلاً مفهوم القوى اللاشعورية والذي قال به فرويد والمتضمن للعمليات العقلية والجسمانية، عالج إلى حد ما ازدواجية ديكارت حول العقل والبدن!

في حين يعتبر فرويد واحداً من عمالقة التاريخ الفكري فهو أيضاً قد بدا للكثيرين كشخص غامض أو سر عميق من الأسرار ولكن ورغم كل شيء، فقد كان فرويد ابن وقته وثقافته ولكنه سعى بعزيمة ليتجاوز تلك الحدود الخاصة بيومه وعمره. أنه فعلاً من الصعب أن نجد مفكراً آخراً قد تجاوز قيود الأشكال التقليدية في الفكر ومع ذلك ينجح في تحطيم تلك الحواجز ويفتح الباب على مصراعيه لمزيد من وجهات النظر الجديدة! لقد حطم فرويد عدداً من المفاهيم والتصورات التقليدية التي تضع أو تصيغ الطبيعة البشرية في قالب ميكانيكي.

لقد كان فرويد بشخصيته الديناميكية يجذب ويصد الانتقادات الكثيرة التي وجهت تقريباً ضد كل فرضياته ومفاهيمه، ومع كل ذلك، وقف فريد بكل شجاعة في وجه هذا التيار من الانتقادات اللاذعة وجعل من الممكن عمل أو صنع طريقة جديدة للنظر إلى الكائنات الإنسانية. إن فرويد بإصراره على مواقفه وجدية أفكاره أثار الحماس في مجموعة من أتباعه المخلصين له والذين حافظوا على تقليد مدرسة التحليل النفسي الفرويدي.

الفصل الأول

التحليل النفسي: سيجموند فرويد

Sigmund Freud: Psychoanalysis

أهداف الفصل:

١ ـ وصف استخدام فرويد المبكر لمصطلح «الطريقة الكلامية» والإشارة إلى استنتاجاته حول العلميات اللاشعورية.

٢ ـ وصف مفهوم فرويد لدور الانفعالات في الحياة الإنسانية وإيضاح كيف تكبت الرغبات وكيف يمكن التعامل معهم عندما يظهرون ثانية في الشعور.

٣ ـ ـ تحديد الإرشادات الخاصة بالتداعي الحر.

٤ ـ شرح أهمية عثرات اللسان والاحلام وكيفية تحليلها.

٥ ـ تحديد طبيعة الرغبات المكبوتة وإيضاح كيف استخدم فرويد مصطلح اللبيدو ومفهوم الحافز.

٦ ـ وصف مراحل النمو النفسي الجنسي.

٧ ـ وصف كيف أن المراحل النفسية الجنسيةتظهر في اضطرابات وسمات الشخصية.

٨ ـ وصف خصائص ووظائف الأنا والأنا الأعلى والهو.

٩ ـ وصف كيف أن الهو والأنا والأنا الأعلى مترابطين في الشخصيات المتأقلمة وغير المتأقلمة!

١٠ ـ وصف كيف أن الهو والأنا والأنا الأعلى مرتبطين بالعمليات الشعورية واللاشعورية.

١١ ـ مناقشة أهمية القلق في الطبيعة الإنسانية والتمييز بين ثلاثة أشكال لهذا القلق.

١٢ ـ وصف وظائف ميكانيزمات الدفاع وذكر أهمها.

١٣ ـ وصف فهم فرويد الناضج للتحليل النفسي.
١٤ ـ تقييم نظرية فرويد فيما يتعلق بوظيفتها الفلسفية والعلمية والأدبية.

إن المكانة المتميزة والإسهامات الفريدة التي عملها تضعه في مقدمة القائلين بنظرية الشخصية المعاصرة ، فلقد درس فرويد ولمدة تزيد عن الأربعين عاماً جوانب دقيقة من الطبيعة الإنسانية والتي لم تكن معروفة أو مكشوفة آنذاك. ففي تطويره لأسلوب التداعي الحر، نجد فرويد قد تعمق في دراسة حياته اللاشعورية وكذلك حياة الآخرين، فهو بهذه النظرية قد خلق طريقة فريدة من البحث هي التحليل النفسي لفهم الإنسان. كما أنه اكتشف عمليات نفسية مثل الكبت والمقاومة والتحويل والجنسية الطفولية. كما طور أول طريقة شاملة لدراسة ومعالجة المشاكل العصابية. إن مجهودات فرويد وإبداعاته لم تقتصر على النفس فقط لكن تأثيره بلغ جميع العلوم الاجتماعية إضافة إلى الأدب والفن والدين. إن مركزه المرموق وتأثيره البارز في مجال الاهتمامات الفكرية يبرز دراسة فكره وإسهاماته ومفاهيمه دراسة مركزة.

حياة فرويد الخاصة :

ولد فرويد في عام ١٨٥٦ م في فريبرج، مورافيا (Freiburg, Moravia) وهي مدينة صغيرة تعرف الآن باسم (تشيكوسلوفاكيا) لتاجر يهودي. أثناء الولادة فرويد خرج من بطن والدته ورأسه مبرقع بغشاء خارجي، مما جعل أمه تعتقد أن ابنها سوف يحقق شهرة عريضة وذلك حسب الاعتقادات السائدة آنذاك عن مثل هذه الحالة من الولادات. مع أن فرويد لم يمارس ديانته كثيراً لكنه كان مدركاً لهويته وأصله اليهودي. لقد كانت والدة فرويد في الحادية والعشرين من عمرها حين أنجبته وكانت محبة له عطوفاً تحن عليه. وتوليه عناية ممتازة مما جعل ولدها الصغير يخلص لها ويبادلها الحب والتقدير والحنان. أما والده يعقوب ـ تاجر الأصواف ـ فقد كان عمره حين ولادة فرويد واحداً وأربعين عاماً ويتميز بالصرامة والتسلط في تربيته ومعاملته لابنه سيجموند مما جعل هذا الابن لا يحترمه ولا يقدره فيما بعد ومن خلال تحليله لذاته أدرك فرويد أن مشاعره تجاه والديه كانت في الواقع متضادة بين المشاعر المشوبة بالخوف والكره وتلك الأحاسيس المتميزة بالتقدير والحب لوالدته.

لم يكن فرويد هو الابن الوحيد بل خلفت والدته من بعده ولداً وخمساً من البنات. في سني حياته الأولى عاشت معهم في المنزل سيدة عجوز تدعى (فاني) والتي كان يصفها فرويد بالقبح لكنه كان محباً لها معجباً بتمسكها بتعاليمها الدينية عن الكاثوليكية بعد فترة قصيرة من ولادة أخته آنا (Anna) وفي تطور مفاجيء طردت تلك العجوز من المنزل لاتهامها بسرقة بعض الأشياء المنزلية. لقد كانت عائلة فرويد كبيرة ويكفي للتدليل على ذلك أن فرويد كان منذ ولادته عماً بحكم أن والده كان له ولدان من زوجته السابقة وأحد هذين الأخوين له ابن يدعى (جون) وهو يكبر فرويد بسنة واحدة. فرويد كان يعتبر أخوه الأكبر بمثابة الأب، كما أن علاقته بابن أخيه كانت قوية منذ الطفولة المبكرة، ويراها فرويد ذات تأثير كبير في تطور حياته فيما بعد. عدد كبير من المفكرين يعتقدون بأن الظروف العائلية التي عاشها فرويد خلال تنشئته كانت ظروفاً غير عادية وقد تكون هي التي وضعت اللبنات الأولى لاكتشافه فيما بعد عقدة أوديب ومرادفتها. عندما بلغ فرويد الرابعة من العمر انتقلت عائلته إلى مدينة فينا حيث عاش هناك حوالي ثمانين عاماً.

على الرغم من انتقادات فرويد لمدينة فيينا إلا أنه كان معجباً بها ولم يتركها إلا بعد أن سيطر عليها النازيون في عام ١٩٣٨ أي قبيل وفاته بعام واحد فقط. خلال مرحلة صباه كان فرويد طالباً حي الضمير، فقد شجعه والداه على الدراسة ومنحوه مزايا خاصة فقد كان متوقعاً من أخوته أن يضحوا بأشياء كثيرة من أجل أخيهم فمثلاً كان هو العضو الوحيد في العائلة الذي خصصت له غرفة صغيرة في منزلهم المتواضع كما أنه الوحيد الذي كان يدرس ويذاكر على ضوء لمبة الزيت بينما بقية أخوته يستخدمون الشموع فقط. التحق فرويد بالثانوية في سن مبكرة وكان في مقدمة طلاب فصله نبوغاً وتحصيلاً وأظهر شغفاً ونزعه ملحوظه نحو دراسة اللغات فقد صار قارئاً ومحباً لكتابات شكسبير على وجه الخصوص.

عندما كان طفلاً كانت لديه أحلاماً في أن يصبح ضابطاً عظيماً أو وزيراً كبيراً، لكن الاختيار المهني لمثل هذه المهن كان مقصوراً على يهود فيينا. فرويد أيضاً تشبث بفكرة المحاماة وكان يأمل في أن يكون محامياً، لكنه رغم كل ذلك التحق بكلية الطب في جامعة فيينا عام ١٨٣٣ م ليتخرج بعد ثمان سنوات، وهي مدة أطول من المعتاد، ولكنه كان حريصاً على الدراسة وإشباع ميوله ورغباته في

جوانب عدة من مجالات الطب. فرويد لم يخطط على الإطلاق لممارسة الطب لأن ميوله الأكبر كانت نحو البحث الفسيولوجي لذلك اتجه للعمل في مختبر (ارنست بروك) (Brüke) الفسيولوجي، وشارك بمساهمات عديدة وهامة كباحث حيث نشرت له العديد من الدراسات في النظام العصبي للأسماك. لقد طور فرويد خلال عمله في هذا المختبر طريقه لصياغة خلايا للدراسة الميكروسكوبية وكشف عن خصائص التخدير لعقار الكوكائين. عدة اعتبارات عملية، بما فيها، القيود المهنية على الشعب اليهودي والرغبة في الزواج، كانت من ضمن الأسباب التي دفعت فرويد لممارسة العمل كطبيب أعصاب في إحدى العيادات الخاصة ١٨٨١ م. منذ اعتماد فرويد على العمل الخاص كوسيلة للعيش والذي جلب له الكثير من مرضى العصاب، أصبح تركيزه واهتمامه على مشكلة العصاب وهو ذلك المرض الذي يعزي إلى اضطرابات انفعالية لكنها ليست حادة وشديدة لدرجة تمنعه من العمل في المجتمع بطريقة واعية واستبصار.

كان هدف فرويد هو تطوير نظرية شاملة عن الإنسانية، لذلك كان باستمرار يعتبر دراسته للعصاب وسيلة أو طريقاً لدراسة العمليات النفسية بصورة عامة. أيضاً لا بد من الإشارة إلى أن فرويد قد درس لمدة عام واحد في باريس زميلاً للطبيب الفرنسي جين تشاركوت الذي استخدم طريقة التنويم المغناطيسي في علاج الهستريا حيث كان مأخوذاً بطريقة تشاركوت في التنويم في بداية أمره لكنه ما لبث أن رفضها كطريقة علاجية. بعد عودة فرويد من باريس أظهر تأثره العميق بالطريقة التي طورها صديقه الطبيب الفييني جوزيف بروير (Breuer) والذي شجع مرضاه على الحديث بحرية عن الأعراض المرضية. أيضاً تعاون فرويد مع زميله بروير في تأليف كتاب (دراسات في الهستريا) عام ١٨٩٥ م كما كان للبحوث العديدة التي اشتركا في عملها أثراً كبيراً في تطوير فرويد لأسلوب التداعي الحر وغيره من الأساليب التحليلية اللاحقة. هذه الزمالة لم تدم طويلاً حيث انفصلا عن بعضهما بسبب عدم رضى بروير واقتناعه بفكرة وتركيز فرويد على دور غريزة الجنس في أمراض العصاب.

في عام ١٩٠٠ م نشر فرويد كتابه (تأويل الأحلام) والذي يعتبر في نظر الكثيرين من أهم الأعمال التي قدمها فرويد رغم أنه في البداية لم يلق اهتماماً

ملحوظاً من قبل المختصين أو العاديين ولكن هذا الوضع تغير كثيراً فزادت سمعة فرويد وشهرته وبدأ بجذب نحوه الاتباع والتلاميذ وفي نفس الوقت تلقى سيلاً عارماً من الانتقادات والتوبيخ الشديد حتى أن البعض اتهمه بالإباحية. أسس فرويد وزملاءه مجتمع التحليل النفسي. وكان أبرز هؤلاء الزملاء جونز (كاتب سيرة فرويد بعد وفاته) وبريل وفيرنزي وكارل أبراهام وأيضاً يونج وادلر واللذين كانا من المقربين له ولكنهما في نهاية المطاف انفصلا واستقلا بمدارس ونظريات خاصة.

في عام ١٩٠٩ م قام ستانلي هول (Hall) العالم النفسي المعروف ومدير جامعة كلارك في ولاية ماساتشوستس بدعوة فرويد لإلقاء سلسلة من المحاضرات والتي كانت بمثابة الزيارة الأولى للولايات المتحدة والأخيرة. تلك المحاضرات شملت أهم العناصر الرئيسية في نظرية فرويد عن الشخصية كما شهدت نقل حركة التحليل النفسي من حدود فينا إلى المجال والاعتراف العالمي. طبعاً أعمال فرويد لم تقف عند هذا الحد بل واصل تطوير وتنقيح نظريته في التحليل النفسي حتى وفاته. مع نهاية حياته كانت مفاهيم التحليل النفسي مطبقة ومؤثرة في الثقافات الإنسانية. لقد كانت أعمال فرويد تملأ أربعة وعشرين مجلداً قبل وفاته في عام ١٩٣٩ م عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين عاماً.

أصول التحليل النفسي:

إن المفاهيم التي نادى بها فرويد وطرحها يجب أن تقدر تاريخياً إذا كان يراد لها أن تكون مفهومة ومعروفة فما قام به فرويد ليس نظاماً كاملاً، فمختصر (التحليل النفسي) الذي بدأ في عمله في عام ١٩٣٨ م (أي قبيل وفاته بعام واحد) كان يهدف إلى جمع جميع مذاهب التحليل النفسي ووضعها في شكل أكثر إيجازاً وترابطاً، لكن هذا العمل لم يقدر له أن يرى النور، بل يمكن لنا القول أن معظم عمله كانت له صيغة أوسمة عدم الانتهاء، حيث نلاحظ أن هناك آراء وأفكاراً فرويدية تظهر وتختفي لتعود للظهور ثانية وفي محيط جديد. لقد كان فكره يتحرك في أطوار وصور عدة فهو باستمرار يلغي ويركب عدداً كبيراً من المفاهيم السابقة. الأعمال الوحيدة التي حاول فرويد بنظاميه المحافظة عليها حتى وفاته هو كتابه (تأويل الأحلام) وثلاثة مقالات عن الجنس. إننا لكي نصنف نظريات فرويد فإنه من المهم أن نعترف بأت التحليل النفسي لا يمثل نظرية ساكنة أو منتهية بل هي

عملية مستمرة من الاكتشافات والبحث في طبيعة النفس الإنسانية.

اكتشاف القوى اللاشعورية:

إن المجال المنطقي لبداية نقاش أصول التحليل النفسي هو التطرق لذلك التعاون الذي نشأ بين فرويد والعالم جوزيف بروير (Breuer)، هكذا بدأ فرويد نقاشه لقصة التحليل النفسي عندما قدمها إلى الشعب الأمريكي في محاضراته بجامعة كلارك. فلقد كان فرويد متأثراً جداً بتلك الإجراءات التي طورها بروير ومراراً هو ينسب إلى بروير اكتشاف طريقة التحليل النفسي. إذن بدايات التحليل النفسي يمكن أن تكون مسجلة بتاريخ إحدى الحالات التي تولى بروير علاجها وعرفت في كتاباتهم باسم آنا O (Anna O).

(آنا O) كانت فتاة في الحادية والعشرين من العمر، ذكية جداً، وخلال مدة مرضها الذي بدأ في عام ١٨٨٠ م طورت اضطرابات جسمانية ونفسية ومن بين أعراضها ذلك الشلل الذي أصاب أطرافها اليمنى مع صعوبة في الرؤية وغثيان وعدم القدرة على تناول أي مشروبات أو سوائل بالإضافة إلى عدم القدرة على الكلام أو حتى فهم ما يقول الآخرين. بل وصلت تلك الأعراض إلى كونها دائماً عرضة لحالات من الغياب والذهول الذي ينسب إلى حالة متغيرة من الشعور حيث يكون هناك تغير ملحوظ في الشخصية وفيما بعد فقدان للذاكرة أو نسيان لتلك الأحداث التي ظهرت خلال تلك الفترة. كانت مثل هذه الحالة معروفة لدى المجتمع الطبي آنذاك بأنها حالات هستيرية تعزى إلى مرض يحمل أعراضاً جسمانية كالشلل، لكن بدون أساس عضوي أو فسيولوجي لهذه المشكلة. اليوم هذه الاضطرابات صارت تعرف باسم ردود الفعل التحولية حيث يتم تحويل تلك الصعوبات النفسية في أشكال جسمانية. سبب الهستريا في هذه المريضة كان لِغزاً بالنسبة للأطباء المعالجين ولأنهم لم يستطيعوا فهم أو معالجة هذه المشكلة بفاعلية، عدد من الأطباء مالوا إلى التشكيك ومحاولة معاقبة هؤلاء المرضى بسبب مواقفهم هذه، بل إن البعض ذهب إلى أبعد من ذلك حين اتهم أولئك المرضى باختلاق وادعاء المرض. طبعاً اللوم أو التوبيخ لا ينطبق على بروير والذي عامل وعالج مريضته (آنا O) بعطف وحنان، حيث لاحظ أنها خلال حالات الغيبوبة التي

تنتابها تتمتم ببعض الكلمات وعندما تمكن من تجميع تلك الكلمات وضعها تحت نوع من التنويم المغناطيسي، ليعيد عليها الكلمات ويسألها أن تقول أو تتلفظ بأي ارتباطات لها بهذه الكلمات.

(آنا O) تعاونت مع بروير وأحسن وصف لتلك العبارات أو الكلمات التي رددتها هو أنها أحلام يقظة وخيالات حالمة جامحة، بالإضافة إلى قصص عن نفسها بدأت كما لو أنها تركز على حدث معين في حياتها هو مرض ووفاة والدها. فقبل وفاة والد (آنا) والذي كان يعاني من مرض عضال، كانت تقضي معظم وقتها بجانبه وتسهر على رعايته والعناية به حتى حرمها مرضها من عمل ذلك. بعد ربطها لعدد من هذه القصص، أعراض مرض (آنا O) حللت واختفت في نهاية الأمر مما جعلها وبافتخار تطلق على شفائها (الشفاء الكلامي). هذه المريضة في فترة من فترات مرضها أو معاناتها لم يكن في مقدورها شرب أو تناول السوائل حتى في شدة الضيف وزيادة العطش وفي محاولة منها لإسعاف نفسها كانت تأكل الفواكه لكنها أيضاً لم تطفيء عطشها. في أحد الأيام العلاجية وبينما هي تحت التنويم المغناطيسي بدأت تتحدث عن مربيتها بالإنجليزية ومقدار الكره الذي تكنه لها. لقد تحدثت عن حكاية دخولها في أحد الأيام إلى غرفة هذه المربية حيث رأت كلبها الصغير يشرب ماء من أحد الأكواب علماً بأنها كانت تكره هذا الكلب كرهاً عظيماً. تحت هذه الظروف كتمت أو احتفظت بمشاعرها لكن بعد أن استطاعت التعبير عنها في حضرة معالجها (بروير) طلبت كأساً من الماء ولم تجد صعوبة في شربه آنذاك. أما مشاكل أو صعوبات الرؤ ية لديها فتعود إلى تذكرها لموقف جلوسها بجوار والدها المريض مهمومة مشغولة البال بمعاناته وكانت تذرف الدمع الذي تحاول إخفاؤه عن والدها، الذي فاجأها بسؤاله عن الوقت، ولأنها لا تريد والدها أن يعرف ببكائها فقد قامت بصعوبة بالنظر إلى ساعتها تبحث عن مواقع عقارب الساعة والتي غطتها دموعها مما جعل الرؤ ية ضبابية لديها لذا فاستعادتها وتذكرها لذلك الحدث أعاد لها وضوح الرؤ ية. فيما بعد هي استطاعت استعادة ذكرى أخرى تبدأ من فترة جلوسها مع والدها حيث رأت ثعباناً أسوداً (مألوف في المنطقة التي كانت تعيش فيها آنا) يظهر في سقف الغرفة وبدا كما لو أنه كان متجهاً نحو والدها، عندها حاولت

دفع ذلك الثعبان أو صده ولكن بدا كما لو أنها لا تستطيع تحريك ذراعها فحاولت طلب الاستغاثة ولكنها أيضاً لم تستطيع النطق. استعادة هذه الأحداث وتذكر تلك الانفعالات المصاحبة لها خفف من شللها كما استعادت معرفتها بلغتها الأصلية.

بروير بعد اطلاعه على هذه المواقف والظروف التي مرت بها (آنا O) استنتج أن أعراض المرض كانت بطريقة أو بأخرى محددة بأحداث قاسية ومؤلمة حدثت في الماضي وتذكرها هذه الأحداث كان له تأثير تنفيسي أو تعبيري إفراغي عن المرض. التنفيس أو الإفراغ يعني إطلاق الحرية للانفعالات فعندما تذكرت هذه المريضة تلك الأحداث كان ذلك مصحوباً بقوة وشدة انفعالية، وهذا بطبيعة الحال حررها من الأعراض التي كان الانفعال مربوطاً بها. في منتصف عام ١٨٨٢ م، بدا أن (آنا) وبطريقة دراماتيكية قد شفيت وبقي د. بروير قلقاً حول كيفية إنهاء العلاج وهذه العلاقة الثنائية الطويلة، لأنه صار واضحاً أن هذه المريضة الشابة قد تعلقت به وأحبته وبصورة عجيبة. لقد كانت تصريحاتها المعلنة والمتكررة عن حبها للدكتور بروير وتعلقها الشديد بتلك الخدمات التي كان يقدمها لها، سبباً في خلق الإحراجات لهذا الطبيب الذي عرف بالتحفظ والرزانة والنزاهة وقد بلغ هذا الإحراج حداً كبيراً حيث خلقت له مشاكل داخلية عائلية مع زوجته. إن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فعندما أعلن د. بروير عن نواياه في إنهاء الجلسات العلاجية بحكم شفائها (آنا) خرجت عليه بحكاية الحمل الوهمي كعرض آخر. د. بروير صدم بهذا التحول المفاجيء في سلوك مريضته وأحداث علاقته بها وبدون مقدمات أعلن تخليه عن العلاج وأخذ زوجته إلى مدينة فيينا لقضاء شهر عسل ثان هروباً من هذا الموقف الغريب. بعد عودته من هناك، قرر د. بروير عدم استخدام طريقة التنفيس الانفعالي في علاج الحالات المستقبلية ولحسن الحظ، (آنا) أخيراً تمكنت من التكيف وشفيت تماماً وأصبحت واحدة من الأخصائيات الاجتماعيات المعروفات بكفاحهن من أجل تحسين ظروف ومكانة النساء والأطفال. هذه الحالة بأكملها كان يمكن لها أن تمر بدون ملاحظة في سجلات التاريخ الطبي لولا أن د. بروير تحدث عنها إلى بعض من زملائه بما فيهم الطبيب الجديد سيجموند فرويد والذي أبدى اهتماماً ورغبة صريحة في تفهم ملابسات هذه القصة الغريبة. فيما

بعد، فرويد بدأ يستعيد أحداث قصة (آنا O) وبدأ يستخدم (الطريقة الكلامية) مع مرضاه وقد حقق نجاحاً ملحوظاً بهذا الأسلوب ليخرج باستنتاج في نهاية الأمر وهو أنه في وقت وقوع الحدث المؤلم الأصلي، فالمريض يعمل على الاحتفاظ بانفعاله القوي الذي لا يستطيع التعبير عنه بطريقة عادية من خلال التفكير أو الكلمة أو التصرف مما يعني أننا حرمناه من الهروب بطريقة عادية فيبحث عن مخرج آخر للتعبير عن نفسه وذلك من خلال عرض عصابي. إذن فالمريضة قد نسيت هذه الأحداث الماضية. حتى جاء وقت تذكر تلك الأحداث واستعادتها تحت تأثير التنويم المغناطيسي، تفاصيل تلك الأحداث والانفعالات المصاحبة لها لم تكن جزءاً من وعي المريض، إذن فالمريض كان غير مدرك أو واعٍ لهذه الذكريات اللاشعورية وأنها كانت ذات تأثير على سلوكه الراهن بعد فترة قصيرة، فرويد قرر عدم استخدام التنويم المغناطيسي، وقد كان ذلك في جزء منه ضرورة عملية بحكم أن بعضاً من مرضاه لا يمكن تنويمهم، كما أنه أكد لمرضاه أنهم في نهاية الأمر يستطيعون تذكر الأحداث المؤلمة في حالة وعي طبيعية. تخلي فرويد فيما بعد عن طريقة التنويم جاء كخطوة هامة تمثلت في اكتشافه للمقاومات التي يلجأ بعض مرضاه لها. لقد كانت محاولات فرويد مع مرضاه في التذكر عملية طويلة ومملة مما جعله يستنتج، بأنه على الرغم من أن المريض شعورياً أراد تذكر تلك الأحداث لكن بعض القوى الداخلية حرمت المريض من إدراكها وأبقت على تلك الذكريات لا شعورية. وقد أطلق فرويد على هذه القوى مصطلح المقاومة وهي التي تنسب إلى تلك العقبات المختلفة التي تتداخل مع العملية التحليلية وتلك التي يجب التغلب عليها إذا كان لا بد لهذه العملية أن تنجح، فلقد افترض فرويد أن نفس القوى التي سببت أصلاً نسيان الأحداث هي نفسها الآن التي ترفض خروجهم إلى الشعور هذه القوى المبكرة أطلق عليها (الكبت) وهو تلك العملية التي تمنع وتحجب تلك الأفكار أو المشاعر الغير مرغوب فيها من الشعور. إذن فهناك مفهوم ثنائي يبرز هنا هو: (١)الكبت أو القوة التي تجعل الأفكار لا شعورية. (٢) المقاومة وهي تلك التي تحفظهم لا شعورياً. معرفة أو إدراك وجود الكبت والمقاومة يقود إلى فهم ديناميكي للعمليات اللاشعورية أو تلك القوى التي لا يعي وجودها الشخص. فعندما تصبح فكرة ما لا شعورية فالمسألة ليست ببساطة وضع هذه الفكرة في درج مثلاً بحيث يمكن استرجاعها

بسهولة، كما هو الحال مع الذكريات العادية والتي لسنا دائماً نشعر بها. مثل هذه الذكريات. هي التي ضمنها فرويد في مفهومه (ما قبل الشعور) وهو تلك الذكريات والتي مؤقتاً انزلقت من الشعور لكنها لا زالت في المتناول بالنسبة للشعور ويمكن استرجاعها بدون صعوب تذكر. أنت يمكن ألا تكون قادراً على استعادة ما عملت أثناء حفلة تخرجك في الحال، لكن بمحاولة بسيطة يمكن أن تتذكر ذلك. الذكريات اللاشعورية يمكن أن تكون من نوع مختلف فأنت يمكن مثلاً أن تتذكر العقاب الذي حل بك عندما كنت طفلاً من والدك أو مدرسك، لكن مهما كانت محاولاتك فلن تستطيع تذكر لماذا عوقبت. مثل هذه الذكرى تكون قد كتبت وصارت لا شعورية ولا يمكن تذكرها أو استعادتها وإن حصل ذلك أصلاً فهو لن يتم إلا بعد صعوبات جمة، عندما يحاول شخص ما استعادة مثل هذه الذكرى، يكتشف أن الأمر قد انتهى وأن هناك قوة ـ سمة أخرى للشخص ـ تمنع الواحد من استعادة تلك الذكرى. هذه القوة المتمثلة في المقاومة، يجب التغلب عليها من أجل استعادة الذكرى المطلوبة. ولكن ما هي تلك الأفكار والمشاعر التي أصبحت لا شعورية؟ لقد اكتشف فرويد أن هذه كانت بمثابة رغبات كبتت أثناء تعرض الشخص لحدث مؤلم نتيجة لتعارض الرغبة التي برزت مع حجج ومزاعم المريض الشخصية. فالرغبة تتحرك في اتجاه مضاد للمفهوم الذاتي، أو الأنا المثالية للشخص لأنه من الصعب على الشخص قبول حقيقة أنه غير ما كان يتوقع عن نفسه ومثل هذه التعارضات تسبب آلاماً مبرحة، مما يؤدي بالرغبة التي لا يمكن تحملها للكبت. إحدى مرضيات فرويد مثلاً تذكر أن أختها الكبرى تزوجت من رجل كانت المريضة تعشقه. وبعد وقت قصير توفيت الأخت الكبرى وفي وقوف الفتاة (المريضة) بجوار سرير أختها في لحظة زوال سريع ظهرت فكرة تعبر عن رغبة، لم يسمح لها بالدخول في الشعور فلقد فكرت بأنه الآن حر وهو يستطيع أن يتزوجها. بعد فترة قصيرة الفتاة تعرضت للمرض وأظهرت أعراضاً هستيرية شديدة، ولكن عندما استعادت ذلك المنظر، ولت أعراض مرضها وزالت! في نظرية فرويد الأحداث والوقائع في حياتنا تستدعي مشاعر قوية. هذه الانفعالات ساعدتنا في تقييم عالمنا ومحيطنا البيئي فيما يتعلق بكوننا سعيدين أو ممتعضين، محبين أو عدوانيين، طيبين أو رديئين. . . . الخ.

قد يكـون هناك حالات خاصة يكون التعبير الآني لانفعال الواحد فيها غير ملائم، أو مؤلم أو حتى مأساوي في عالم متطور ومتحضر، نحن نستطيع التعبير عن انفعالاتنا بدون تمحيص ومع ذلك نجد الانفعالات يجب أن تخرج ويتم التعبير عنها في نهاية الأمر لأنه لا يمكن إبقاؤها إلى الأبد. ومثالياً، التعبير عن هذه الانفعالات ليس هداماً فالواحد يعترف ويقبل بالانفعال وبعد ذلك يوجهه إلى قنوات ليعبر عنه بصورة بناءة أو على الأقل غير ضارة. فإن لم يكن التعبير عن الانفعال مباشراً فسوف يبحث عن تعبير غير مباشر.

إن الانفعالات المكبوتة والتي لا يعترف بها تذهب إلى الأعماق وتبدأ في الظهور بـطرق أخرى، كمـا هو الحـال في الأعراض العصـابية. نحن نكبت الانفعالات من أجل تجنب الآلام لأن الرغبة التي يمثلها الانفعال تتعارض مع مفهوم الذات ولكن مقداراً معيناً من الكبت لا مفر منه وضروري من أجل بقاء أي مجتمع متحضراً لكن الكبت ليس دوماً ناجحاً أو هداماً.

مثال آخر ذكره فرويد خلال إحدى محاضراته بجامة كلارك الأمريكية يصور المشكلات التي يمكن للأفكار المكبوتة أن تخلقها فقد افترض أنه خلال المحاضرة قرر شاب في آخر الصف مقاطعة المحاضر بوقاحة وذلك بالضحك والحديث... الخ. أفراد آخرون من الحضور، أزعجهم سلوكه وبقوة طردوا الشاب من الصالة من أجل أن تستمر المحاضرة ولنتوقع أن هذا الشاب بلغت به الوقاحة إلى حد المحاولة في العودة إلى القاعة وقام بعض الطلاب بسد المدخل أو الباب ليضمنوا عدم انفتاحه ودخول ذلك الشاب. ولكن هذا الزميل التعيس رفض التعـامل بهـذا الأسلوب، فصار يضرب الباب بقوة من الخارج وبدأ يركل ويصرخ ويخلق فوضى وإزعاجاً أعظم من ما عمل داخل الفصل إذن فحل جديد في هذه الحالة أصبح مطلوباً، وقد يكون هنا من الضروري عمل تسوية مرضيـة تتمثل في مـوافقة الحاضرين على دخوله إذا وافق على التصرف بصورة أحسن.

إذن نحن نطرد الـرغبـات المؤلمة ولا نسمـح لها بالـدخـول إلى الشعـور، لكن الرغبات المكبوتة ترفض الإفصاح عن نفسها بصورة مقبولة ومألوفة ومن ثم يترتب عليها الكثير من الفوضى كأن تظهر في صورة أعراض عصابية.... الخ.

لذلك فهناك حاجة إلى استعادة الرغبات إلى الشعور حتى يمكن لنا أن نتعامل معها بطريقة واقعية. فرويد اعتقد أن هناك عدة طرق يمكن لنا أن نتعامل بواسطتها مع تلك الرغبات عندما تسترجع إلى الشعور. أولاً، من الممكن أن نعرف أننا مخطئين في كبتنا للرغبة في المقام الأول، فالرغبة التي بدت تستحق التوبيخ والشجب في وقت الكبت يمكن أن ينظر لها على أنها لا تمثل أكثر من رغبة عادية إنسانية. من أجل ذلك نحن نستطيع أن نقبل الرغبة سواء كان ذلك جزئياً أو كلياً.

ثانياً: ـ نستطيع أن نوجه الرغبة إلى هدف أسمى من خلال التسامي والذي ينسب إلى ترجمة الرغبة من التعبير الغير مقبول إلى شكل مقبول اجتماعياً.

ثالثاً: ـ نستطيع أن نعترف بأن رفض الرغبة له ما يدفعه لكن أيضاً ندرك ونعرف بأن هناك تمييز بين الأفكار والتصرفات، من أجل ذلك، نحن نستطيع التحكم في أنفسنا ولا نتصرف بناءً على الرغبة بتفكير واقعي واعي!

الطريقة التحليلية النفسية

لقد قدمنا المناقشة المبدئية لأصول التحليل النفسي بشكل مبسط ولكن الواقع العملي يثبت أنها أكثر تعقيداً من تلك الأمثلة البسيطة التي أظهرتها حالات مرضى (فرويد) و (بروير) وهناك عدة قوى تبرز خلال مرحلة العلاج أهمها: ـ

١ ـ محاولة المريض تذكر الأحداث المنسية بطريقة شعورية.

٢ ـ عملية المقاومة التي تصر على حفظ الذكريات لا شعورياً.

٣ ـ الانفعالات المكبوتة التي تبحث دائماً عن مجالات التعبير.

فمثلاً لو أن رغبة من الرغبات لم تستطع الخروج وكان في نيتها الهروب فهي بلا شك سوف تبحث عن مخرج ولو في شكل تنكري وبارتداء قناع يتيح لها فرصة التسلل إلى العالم الخارجي لتجد لها مجالاً للتعبير في السلوك الشخصي. من أجل ذلك، لو أن الصدمة أو الألم لا يمكن استعادته في الحال فمن الممكن أن يعبر عن نفسه بأسلوب خفي ومقنع من خلال تلك الذكريات والأفكارالتي استعيدت. من

أجل البحث في خلفية تلك الأفكار المكبوتة والكشف عنها، فرويد طور طريقتين رئيسيتين هما: ١ ـ التداعي الحر ٢ ـ تأويل الأحلام وعثرات اللسان.

التداعي الحر:

هو ذلك الأسلوب الذي نسمح فيه للمريض بأن يقول كل ما يرد على خاطره أو باله بغض النظر عن قيمة أو أهمية أو تفاهة هذا الشيء (فكرة أو كلمة أو اسماً). ولقد كان هذا الأسلوب، مبنياً على المفهوم المنطقي بأنه لا يوجد فكرة تطرأ على المريض لا قيمة لها أو يمكن اعتبارها اعتباطية. ومن ثم فإن هذه الأفكار سوف تقودنا إلى البحث في المشكلة الأصل، فمثلاً مريضة (بروير) لم تتذكر في الحال المنظر الخاص بوفاة والدها، لكن ذراعها كانت مشلولة، ورؤيتها كانت ضبابية ولم يكن في مقدورها استخدام لغتها الأصلية إذن فما تحدثت عنه هذه المريضة فيه إشارة إلى الحدث الخفي.

إرشادات التداعي الحر تعتبر بسيطة ومضللة في نفس الوقت لأنه في الواقع من الصعب متابعتها. ماذا يحدث عندما نحاول التلفظ بأي شيء على البال؟ نحن يمكن أن نجد أنفسنا غارقين في بحر من الأفكار، ونجد أنه من المستحيل وضعها جميعها في كلمات. في أوقات أخرى، نحن نستطيع أن نكون في فراغ ونكتشف أنه لا يوجد شيء يرد على عقولنا أو أذهاننا. أيضاً بالنسبة للأفكار التي تأتي يمكن أن تكون مؤلمة جداً عند مناقشتها.

هذه الأفكار التطفلية أو الفضولية هي بمثابة المعدن النفيس حيث نجد أن التحليل في نهاية الأمر يحول هذه الأفكار من حالتها الخام إلى معدن نفيس. خلال عملية التداعي الحر، المقاومة تحلل وتفهم وتخفض من أجل تسهيل مهمة الرغبة في الخروج والتعبير عن نفسها بطريقة أكثر مباشرة ووضوحاً!

تدريب: ـ التداعي الحر:

للتدريب على أسلوب التداعي الحر، أحضر جهاز تسجيل واختر الوقت

والمكان المناسب لتبقى بمفردك وفي هدوء تام. اجلس في وضع استرخائي كامل وحاول أن تتحدث وتسجل أية أفكار تأتي على خاطرك لمدة نصف ساعة أو أكثر. بصورة عامة، نحن نحاول أن نتبع اتجاهاً معيناً في الحديث فنتحدث بمنطقية ونطور ملاحظات نضعها في تسلسل منطقي.

يتطلب التداعي الحر الحديث عن أي شيء يرد على البال بدون تحفظ أو نظامية لذا لا تحاول السيطرة على تفكيرك أو تحليل وحجب تلك الأفكار فالإعتبارات الأخلاقية والمنطقية والجمالية يجب أن تدعها جانباً وعليك التركيز ببساطة على تسجيل ما يرد في خاطرك.

طبعاً من المتوقع أن تواجهك عدة عقبات! فقد تفاجأ أو تخجل، أو قد تخاف من تلك الأفكار التي خرجت، فالأعراف الاجتماعية قد علمتنا الصمت أمام عدد من الأمور الكبيرة فإنه لمن الصعب على الفرد الاعتراف بتلك النزعات العدوانية العنيفة، خصوصاً ضد من نحب ونقدر. بعضاً منا مثلاً، يجد صعوبة حتى في التعبير عن بعض الأفكار اللطيفة، ومع كل ذلك، فالتفكير التافه أو الرأي السخيف يبدو في الغالب هو الأصعب عندما نحاول التعبير.

وسوف تكون ناجحاً عندما توفق في الحديث أو الكلام وتسجل كل أفكارك وآرائك بغض النظر عن أهيمتها أو قيمتها أو تنظيمها أو تسلسلها المنطقي. وعندما تنتهي من التسجيل ضع شريطك جانباً وعد إلى أعمالك وشؤون حياتك العامة. وبعد مضي وقت معقول، مثلاً اليوم التالي، استمع إلى شريط تسجيلك، سوف تستمع إلى شخص يذكرك بنفسك وبطرق متعددة، ولكن في اعتبارات أخرى، هو لن يكون معروفاً لديك. إنك سوف تكتشف أنك تملك أفكاراً ودوافعاً لم يسبق لك الاعتراف بها أو إدراكها من قبل. هذه الأفكار والدوافع قد تبدو لك ثانوية لكن بلا شك أنها ستكون مفاجأة لك. هذه التجربة أو التدريب وهي وإن لم تكن تحليلاً ذاتياً دقيقاً، ستكشف لك عن مقدار الصعوبات التي تواجه الفرد في معرفة ذاته وحاجته إلى الشجاعة الأخلاقية لإتمام ذلك وتحقيقه.

تفسير الأحلام وعثرات اللسان:

هناك اهتمام خاص يوجه للأحلام وزلات اللسان في عملية التداعي الحر، فزلات اللســـان تنسب إلى أعـــال غير متقنـة وزلـة اللســـان هي زلـة قلم أو هفـوة في الذاكرة. في هذه الحالات نحن نهدف إلى القول والكتابة شعورياً ونعمل شيئاً واحداً ولكن شيئاً ما يزل في غفلة أو بدون وعي أو اهتمام، كلمة أو اسم على طرف اللسان يمكن نجد أننا ننساها للحظات وهي في نظر الكثير غير مهمة لكن فرويد يعتقد أن لها معنى هام.

نظرية فرويد تفترض أنه لا يوجد في حياتنا شيء بدون قانون أو شيء تافه، بل على الأصح، هناك دافع لكل شيء. هنا نحن نعمل على خلق تمييز مهم بين السبب والدافع. السبب يتضمن حركة المادة أما الدافع فيعزى إلى قوة شخصية ويتضمن انفعالاً أو رغبة تعمل حسب إرادة الشخص وتدفعه إلى العمل.

وبالنسبة لفرويد كل الأحداث كانت محددة، بمعنى أنه كان لها أكثر من معنى أو تفسير. مثال ذلك، كرة في الهواء ترتفع إلى مستوى معين ثم تسقط والتفسير السببي لهذا الحدث يتضمن الحديث عن قوانين الجاذبية. تفسير مثل هذا في ضوء تأثير الدافع سوف يؤكد أن الكرة كانت مرمية بواسطة شخص ما هذه الكرة بالذات لم يكن لها أن تسقط في هذا الوقت لو أن شخصاً لم يرمها اختيارياً. كلا التفسيرين صحيح ويخدمان ويكملان بعضهما البعض، إذن فليس مناسباً أن تحاول أثناء ارتكاب هفوات اللسان أن تقول إن ذلك يحدث بسبب الإرهاق والتعب على الرغم من أنه صحيح أن التعب يمكن أن يخلق ظروفاً فسيولوجية يمكن أن تظهر تحتها مثل هذه الزلات والهفوات. الزلة أو عثرة اللسان قد تعبر عن حاجز شخصي أيضـــاً، فهـل يكفي أن نسحب الأحـلام على أسـاس أنها نتيجـة عسر هضم لعشـاء الليلة الدسم أو بسبب وجود موجات بـيتا (Beta). الحلم يعبر عن غرض شخصي يستحق الاهتمام أي أن نظرية فرويد تعنى على وجه الخصوص بتفسير مصطلحات الدافع.. ويرى فرويد أن الحلم هو الطريق الملكي للاشعور. أحلام الأطفال الصغار في الغالب سهلة جداً ويمكن فهمها ببساطة فهي في معظمها أحلام تتعلق بتحقيق تلك الرغبات التي لم يشبعوها في اليوم السابق. فالطفل الذي لم يحصل

على كمية كافية من الحلوى قد يحلم بتناول عدد كبير منها في الليل أثناء نومه. الأقوال الشعبية تعزز هذا المفهوم - مفهوم تحقيق الرغبة في الحلم - كقولنا بأن الجائع يحلم بسوق العيش أو بماذا تحلم الدجاجة؟ حبة الدخن! وتعبر أحلام البالغين - أيضاً - عن رغبات غير مشبعة أو غير محققة، ولكن نتيجة لتعدد رغبات البالغ أصبحت غير مقبولة لدى المفهوم الذاتي ومن ثم نجد الحلم يدخل تحت قناع ما.

فرويد ميز بين الحلم الظاهر والحلم الكامن. فالظاهر هو ذلك الحلم الذي تتذكره كما هو في صباح اليوم التالي. مثل هذا الحلم يبدو دائماً غير متماسك أو بدون معنى، حتى إنه يبدو كما لو كان خيال شخص مجنون. مع كل هذا فهو يشكل بعض القصص التي يمكن أن تروى.

أما الحلم الكامن أو المستتر فينسب إلى المعنى الحقيقي أو الدافع الواقعي والذي يشكل أرضية لبناء أو خلق الحلم الظاهر ويهدف التحليل إلى اكتشاف المعنى المستتر والذي يعبر عنه في الحلم الظاهر. الرغبة في الحلم، على كل حال، تقع تحت طائلة التشويه وقناعها يجب أن يزال قبل أن يظهر معناها الحقيقي وتزودنا الأحلام بثروة معينة من المعلومات لأن الشخص في الأحلام يكون أكثر استرخاء من حالة اليقظة ومقاومته تضعف ومن ثم تجد الرغبات والآمال المحرمة في الحالات الشعورية العادية فرصتها في الخروج. إذن، فالحلم الظاهر يمكن وصفه كتحقيق مقنع لرغبات مكبوتة.

ومن المحتمل، كما يرى فرويد أن نعرف أو ندرك العملية التي تقنع رغبات الحلم اللاشعوري وتحويلها إلى حلم ظاهر. هذه العلمية يطلق عليها (عمل الحلم) والتي تتكون من عدة عناصر ويتمثل أحدها في استخدامها للرموز والمقصود بالرمز هنا المؤشر الذي يمثل شيئاً آخر. بعض الرموز المستخدمة في الأحلام تعتبر فريدة بالنسبة للشخص الحالم ويمكن فهمها فقط من خلال الارتباطات والتاريخ الخاص بالفرد. رموز أخرى عادية ويشترك فيها عدد من الأفراد في أحلامهم. في بعض الأمثلة، الرموز لها معاني عالمية مكتسبة مثل هذه الرموز العالمية تجد في

الغالب تعبيراً في الخرافات والأساطير والحكايات[ظهور أحلام وكوابيس القلق لا تتعارض مع مفهوم فرويد أن الحلم هو تحقيق رغبة. معنى الحلم لا يدخل في محيطة الـظاهـر، من هنـا فالحلم الظاهر على السطح والذي يبدو مثيراً للقلق يمكن أن يساعد في تحقيق رغبةلا شعورية على مستوى آخر. التعبير عن رغبة محرمة، كما رأينا يُسبب قلقاً أو ألماً للذات الشعورية لذا فحلم القلق يمكن أن يشير إلى أن التنكر غير ناجح ويسمح للرغبة المحرمة أن تعبر عن نفسها بصورة مكشوفة جداً.

ديناميكيات وتطور الشخصية:

بناءً على مرئيات فرويد تعد طبيعة الرغبات والآمال المكبوتة شهوانية جنسية. كما يعد اعتماد فرويد على النشاط الجنسي (الغريزة الجنسية) كمحدد للسلوك، إحدى سمات عمل فرويد الذي وجده عدد كبير من الناس بمثابة مشكلة، فتأكيدات فرويد على الغريزة الجنسية من الصعب الأخذ بها لأن ذلك يتطلب فهماً لما يعنيه فرويد بمصطلح النشاط الجنسي وكيف استخدمه في أعماله، كما أن تطبيق ما اكتشفه فرويد أو قال به، بكل صراحة، يقزز عدداً كبيراً من الناس. فإصرار فرويد على إرجاع كل شيء لطبيعتنا الجنسية يخبرنا بشيء ما عن أنفسنا، عدد منا يفضل ألا يعترف به، إذا جاز لنا التعبير .

أهمية النشاط الجنسي:

كان فرويد في بداية عمله ينظر للنشاط الجنسي كعملية جسمانية يمكن فهمها بالكامل عندما نعمل على تخفيض التوتر. هدف السلوك الإنساني بكل بساطة العمل على تخفيض التوتر الذي خلقه تجمع طاقة أكثر من اللازم وإعادة التوازن للجسم والشخص. ومع مرور الوقت، بدأ فرويد يركزعلى الخاصية أو السمة النفسية للنشاط الجنسي والعمليات العقلية، فاستخدم مصطلح (اللبيدو) الذي ينسبه إلى الطاقة النفسية والانفعالية المشتقة من الحافز البيلوجي للنشاط الجنسي يشهد بهذا التحول في تفكير فرويد. كما أن رغبة فرويد في تأكيد السمة النفسيـة للعمليات العقلية يعـد أيضـاً شاهـداً على تطور مفهـومـه عن الحافز والذي ينسب إلى

تمثيل عقلي أو نفسي لمصدر جسماني داخلي من الإثارة. ولما كان الحافز شكلاً من الطاقة أو القوة الدافعة التي لا يمكن تخفيضها في عنصر جسماني أو عقلي لأنها تشتمل على عناصر من الإثنين. لذا تخلى فرويد في مفهومه عن الحافز عند محاولته المبكرة لتخفيض العمليات النفسية إلى عمليات جسمانية أو فسيولوجية وبدأ يصلح الصدع الديكارتي بالاعتراف بأن النظرة الشاملة للشخصية يجب أن تنظر للعقل والبدن كوحدة واحدة.

ويتميز الحافز بأربعة أشكال: ١ ـ المصدر. ٢ ـ القوة الدافعة أو الزخم. ٣ ـ القصد. ٤ ـ الشيء أو الموضوع. ولمزيد من الإيضاح فالمصدر يعزى لتلك المثيرات أو الحاجات الجسمانية. أما الزخم فينسب إلى مقدار الطاقة أو الكثافة التي تشكل تلك الحاجة. وبالنسبة للقصد فهو يعني ذلك الغرض أو الهدف الذي يسعى لتخفيض الإثارة. أخيراً الشيء أو الموضوع، فينسب لذلك الشخص أو الشيء الموجود في البيئة والذي يمكن من خلاله إرضاء القصد.

ولو أن فرويد حدد أو ميز الحوافز بالمصدر والزخم فقط، فيكون معنى ذلك استمراره في الاعتقاد بأن الحافز الجنسي عملية جسمانية لكنه اختار أن يميز الحوافز بالقصد والشيء وهو الذي أجبره على النظر للنشاط الجنسي بصورة مختلفة ويؤكد سمتها النفسية والاختيارية. أهمية الحياة الجنسية للواحد منا كعملية جسمانية تبدأ في الاختفاءحسب استجابة الواحد لها، لهذا السبب فرويد استخدم مصطلح النشاط الجنسي النفسي (Psychosexuality) ليشير إلى العناصر الكلية التي تدخل ضمن الحافز الجنسي!.

فرويد ينظر للكائنات البشرية على أنها مخلوقات تبحث بإفراط عن المتعة والانبساط فنحن نبحث عن أو نسعى من أجل تجنب التوتر المؤلم والحصول على اللذة ومن أجل تجنب هذا التوتر فالطاقة النفسية يمكن إزاحتها أو بمعنى آخر لو أن الشيء الأصلي الهادف لإرضاء الحافز غير متوفر فشيء آخر يمكن أن يستبدل ويقصد بهذا الاستبدال أو الإزاحة (Displacement). إذن فالحافز الجنسي يمكن إرضاؤه بعدة طرق مختلفة فإزاحة الطاقة سمة هامة جداً لتطور ونمو الشخصية، بما

أنها تساعد في تفسير السلوكيات الإنسانية المتعددة والمتنوعة. فرويد اقترح أن هناك مجموعتين رئيسيتين من الحوافز هي: -

١ - حوافز الحياة: وهي تلك القوى التي تحفظ العمليات الحياتية وتضمن تكاثر الأنواع. العامل الرئيسي لهذه القوى هو الحافز الجنسي والذي يطلق على قوة الطاقة فيه (اللبيدو).

٢ - حوافز الموت: وتشكل مصدر العدوانية وتعكس الحل النهائي لكل توترات وضغوط الحياة بالموت. لكن في حين أكد فرويد على أهمية حافز الوفاة، مناقشاته في تطور الشخصية تركزت حول الحافز الجنسي فقط.

ما هو الغرض من النشاط الجنسي؟ تقليدياً الإجابة تكون التكاثر، فتوالد وتناسل الأنواع يعتقد بأنه الغرض الرئيسي للنشاط الجنسي. ولقد أعطى توماس أكويناس (Aquinas) تعبيراً كلاسيكياً لأهمية النشاط الجنسي عندما قال بأنه بناءً على القانون الطبيعي، فالغرض الرئيسي للنشاط الجنسي كان التوالد والتناسل. أما الأهداف أو الأغراض المتعلقة بالنشاط الجنسي فتبقى أموراً ثانوية أو غير هامة. فإذا كان الغرض الرئيسي من النشاط الجنسي هو التكاثر، فاعتقادات معينة أخرى تتعلق بالنشاط الجنسي سوف تلي ذلك منطقياً. أما النشاطات الجسمانية مثلاً والتي لا ترتبط بالأعضاء التناسلية والتي لن تكون ذات شأن في عملية التكاثر فلن ينظر لها بعين الاحترام بل سينظر لها كشيء منحرف. إنه حقاً لشيء صعب أن نسلم بأن الأطفال الصغار وقبل بلوغهم سن المراهقة لهم حياة جنسية ولكن عدم نضجهم هو ما يعوق التكاثر.

إن الثقافة الفيكتورية في فيينا خلال القرن الثاني عشر والتي استمد فرويد منها ومن موروثاتها الثقافية نظرياته وآراءه تعكس مثل هذا التوجه وهذه المواقف. لقد كان الجنس مرفوضاً بروح ومزاج الشعب الفيكتوري وكان ينظر له بصورة عامة كشيء وحشي أو عمل غير مهذب ومحترم ولكنه كان مجازاً لغرض واحد ألا وهو الإنجاب والتكاثر فقط.

ويرى فرويد أن الغرض الرئيسي للسلوك الجنسي هو اللذة، ولنكون أكثر دقة، فالنشاطات الجنسية تهدف إلى جلب اللذة - للجسم وإذا كان الغرض الرئيسي

للجنس هو اللذة، فمعنى ذلك هو فتح الباب على مصراعيه لاستضافة استنتاجات جديدة فالأنشطة التي لا تركز على الأعضاء الجنسية تم ضمها كشعب رئيسية في النشاط الجنسي إلى الحد الذي يمدنا باللذة. الطفل الصغير والذي لا يستطيع التمييز ينشد اللذة ويبحث عنها في الجسم ويمكن أن ينظر له على أن لديه حياة جنسية غنية. أنشطة مثل مص الأصابع كان ينظر لها سابقاً على أنها مختلفة عن النشاط الجنسي، يمكن أن تدخل تحت نطاق الأنشطة الجنسية بناءً على هذه المرئيات.

أي أن فرويد قلب المفهوم التقليدي رأساً على عقب وهذا التغيير أو الانقلاب سمح له بأن يحسب حساب تلك الظواهر التي كان من المتعذر تفسيرها كالانحرافات الجنسية والنشاط الجنسي الطفولي، فمثل هذه الأنشطة كان يمكن لنا فهمها بوضوح أكثر لو أن اللذة كانت هي الغرض الرئيسي للجنس، وكان التكاثر هو الغرض الثانوي.

مراحل نمو الشخصية: -

حدد فرويد خمس مراحل نفسية جنسية لنمو الشخصية الإنسانية هي: -

١ - المرحلة الشبقية:

هذه المرحلة الأولى تمتد من الميلاد حتى نهاية العام الأول. وخلال هذه المرحلة يعتبر الفم هو مصدر اللذة الرئيسي والصراع المحتمل يكون موقعه أيضاً الفم. فعن طريق الفم، يحصل الرضع على قوتهم ويتصلون بأمهاتهم من أجل الرضاعة الطبيعية ويكتشفون معلومات عن العالم. كل شيء يصادف أو يواجه الرضيع يضعه في فمه وهذا يشير إلى أن لهذه المنطقة أهمية خاصة لديه. النشاطان الرئيسيان لهذه المرحلة هما: أكل الطعام والعض وهي تشكل سمات ونماذج للشخصية فيما بعد. لأن المرحلة تظهر في وقت يكون فيه الرضيع معتمداً كلياً على الآخرين من أجل العيش والقوت، كما تبدأ مشاعر الاتكالية في الظهور. النشاطات الفمية أيضاً مصدر للصراع المحتمل لأن القيود والعراقيل يمكن أن توضع عليهم، فالأم يمكن أن تسعى إلى مناشدة الطفل عدم مص أبهامه أو عض ثديها. إذن فتركيز

اللذة والصراع الأعظم محله بالنسبة للرضع هو الفم.

٢ ـ المرحلة الشرجية:

وهي المرحلة الثانية من مراحل النمو الجنسي النفسي والتي تظهر في السنة الثانية من العمر وفيها يكون مصدر اللذة الرئيسي والصراع المتوقع هو الشرج. ومن ضمن الأنشطة في هذه المرحلة تدريب الأطفال على استخدام الحمام والقيام بعمليات الإخراج بصورة صحيحة ومثل هذه التجارب تمثل خبرة الطفل الأولى مع تنظيم الحوافز الغريزية. هنا مصادمة في الإرادة يمكن أن يطورها الطفل أثناء تدريبه على استخدام الحمام بنفسه، فقد يحصل للأطفال ألم أو لذة من جراء الاحتباس أو الإخراج. هاتان الطريقتان للتعبير الشرجي: الاحتباس والإخراج، هما أيضاً نماذج أصلية لسمات الشخصية المتوقعة مستقبلاً ومن الممكن أن ينسى الوالدان أثناء تدريب وتعويد أطفالهم. بأن السيطرة على العضلات ونشاط الإخراج هو نشاط لا يقوم به إلا الطفل فقط. الأشكال المكررة من الرقابة والسيطرة الذاتية والاتقان تظهر أصولها في هذه المرحلة الشرجية!

٣ ـ المرحلة القضيبية:

هذه المرحلة تظهر بين سن الثالثة والسادسة من العمر. خصائص هذه المرحلة مشاعر من الصراع واللذة مرتبطة بالأعضاء التناسلية. إن رغبة الطفل في التلاعب بأعضائه التناسلية لا تتعلق بوظيفتها التناسلية والتكاثرية، فالأطفال في هذه السن يعتبرون فضوليين جداً حتى أن فضولهم هذا يسبق قدرتهم على فهم المسائل الجنسية ذهنياً أو فكرياً، كما أنهم ينسجون الخيال اللاشعوري عن العمل الجنسي نفسه وعملية الميلاد والتي في غالبها تخيلات وأفكار غير دقيقة ومضللة. الجماع ينظرون له كعمل عدواني يقوم به الأب تجاه والدتهم. هذه الأنشطة وضعت اللبنات الأساسية لظهور أو تطوير عقدة أوديب والتي اشتقت من القصة التراجيدية الإغريقية عن سوفركلس حيث أن الملك أوديب بدون قصد قتل والده الذي قابله في طريق عودته وتزوج والدته. النقطة الجوهرية هنا هي أن أوديب لم يكن مدركاً أو واعياً لما أقدم عليه، فهو لم يدرك أو يعرف بأن ذلك الرجل الذي قتله في الطريق كان والده

ولاعرف بأن تلك الملكة التي تزوجها كانت أمه. بعد اكتشافه الحقيقة، عاقب نفسه بأن فقأ عينه.

من خلال هذه الأسطورة الإغريقية، فرويد رأى أو تصور وضعاً رمزياً للصراع النفسي اللاشعوري الذي يحمله كل واحد منا. باختصار، الأسطورة ترمز إلى الرغبة اللاشعورية لكل طفل بتملك الوالد المقابل لجنسه. لو أننا قبلنا بعقدة أوديب حرفياً، فمعنى ذلك أن عدداً من الناس وبشكل فجائي سيكونون رافضين لمفهوم فرويد ولاعتبروه شيئاً سخيفاً ومناف للعقل. شيء لا يصدق، ففرويد يقترح أن الأطفال لديهم رغبات جنسية سفاحية للقربى، باتجاه الأب المقابل لجنسه ودوافع إجرامية ضد الوالد من الجنس الآخر. هل الأطفال في الواقع يرغبون في القيام بعملية الجماع أو القتل؟ معظم الأطفال في سن ما قبل المدرسة ليس لديهم مفهوم واضح ومترابط عن ماهية الجماع أصلاً ومع ذلك، حتى لو أن لديهم الإرادة فهم بلا شك سوف يفتقدون للوسائل التي تجعلهم يقومون بذلك العمل. أخيراً، بالنسبة لأطفال المرحلة التمهيدية، البقاء وحقيقة الموت مفاهيم غير مفهومة وواضحة.. كوصف حرفي، مفهوم فرويد لعقدة أوديب يعتبر بكل وضوح وصراحة مفهوماً سخيفاً. في هذه المرحلة من النمو، الولد صار محباً جداً لوالدته ذلك الشخص الذي يوليه اهتماماً ملحوظاً، فهو يحبها جداً ويريد أن يحبها قدر استطاعته وهو يحس بأن الأم والأب يملكان علاقة خاصة يطمع في محاكاتها لكنه يصاب بالإحباط عندما لا يستطيع أن يتصور ماهية هذه العلاقة وعندها لا يتمكن من القيام بها في نمط مشابه.

مشاعر الطفل كثيفة وكثيرة، قوية ومتضاربة بالإضافة إلى كل ذلك فمن الصعب على الطفل التكيف معها مباشرة وعلى المستوى الشعوري. علاوة على ذلك. هذه المشاعر تخلق شعوراً بالذنب لأن أحاسيس الطفل تجاه والده ليست عدوانية تماماً بل وجدانية عاطفية أيضاً. الطفل يجد أنه من الصعب عليه أن يتكيف مع مشاعر متضادة من الحب والكراهية موجهة ضد نفس الشخص. كما أن القلق يصل إلى قمته عندما يفكر الطفل في أن يقوم والده بالانتقام منه جسمانياً ويعمل على أجراء عملية خصاء له.

هذه العقدة تحل بأن يتخلى الابن عن محاولاته المخفقة لتملك الأم ويبدأ في التوحد مع والده في نفس الجنس. في التوحد، الطفل يتبنى السجلات الأخلاقية ووصايا والديه. هذا التقمص لمعايير الوالد الجيدة تعود إلى تطوير الطفل لعناصر جديدة هي الأنا الأعلى أ و الضمير الاجتماعي والذي يساعده في التعامل مع دوافعه المحرمة. بالتوحد مع والده، يستطيع الولد من خلال خياله، أن يحتفظ بأمه كرمز للحب لأنه قد اندمج في تلك الصفات الخاصة بوالده والتي تحبها وتقدرها والدته. في حين أنه في واقع الأمر لا يستطيع تملك أمه، هو ينتظر حتى يكبر وبعد ذلك يبحث عن فتاة تشبه تلك الفتاة التي تزوجت والده العزيز.

الفتاة الصغيرةتمر بعقدة مشابهة لعقة أوديب أطلق عليها (عقدة الكترا) والحب الرئيسي للفتاة موجه أيضاً للأم، لكن بعد اكتشافهن للأعضاء التناسلية لدى الجنس الآخر، يتخلون عن الأم ويتجهون إلى الأب. خيبة الأمل والخجل التي يشعرون بها لعدم توفر قضيب لديهن والتي تعني رمزاً تفوقياً يجعلهن يكرهن أو يحسدن الرجل، ويشعرون بالنقص والامتعاض والكره الموجه للأم والتي ينظر لها كشخص مسؤ ول عن عملية الخصاء. الفتاة تتوحد مع والدتها على مضض وتدمج قيمها معها. فرويد يرى أن عقدة الكترا لدى الفتيات ثانوية وأخف من تلك التي لدى الاولاد.

٤ ـ مرحلة الكمون:

بعد المرحلة القضيبية، فرويد يعتقد أن اللبيدو يختفي، ليصل إلى مرحلة أو فترة من الكمون ويتزامن هذا الهمود الجنسي مع السنوات المبكرة في الدراسة. القوى النفسية تنمو وتعوق الحافز الجنسي وتضيق اتجاهه. اللبيدو يتسامى ويسير في قناة لا تمثل الأنشطة الجنسية. فرويد استعار مصطلح (التسامي) من حقل الكيمياء، حيث يعني أو يتضمن تجاوز الشخص لحالة جامدة إلى حالة أعلى وأخف. إذن الدوافع الغير مقبولة اجتماعياً في شكلها المباشر يتم توجيهها ورفعها إلى مستويات ثقافية أعلى من النشاط مقبولة اجتماعياً، مثل الرياضة والميول الفكرية والعلاقات الأخوية. فرويد كان نسبياً صامتاً عن فترة الكمون فهو لا يعتبرها مرحلة نفسية جنسية حقيقية لأن لا شيء جديد يمكن أن يظهر في صورة دراماتيكية.

اليوم عدد من النقاد يتساءلون حول فترة الكمون، ويرون أننا يجب أن نلاحظ أن الأطفال يتعلمون إخفاء نشاطهم الجنسي عن الكبار والذين يرفضون هذا الشيء.

٥ - المرحلة التناسلية:

مع بداية سن البلوغ، تغيرات وتحولات تحدث في فترة التحول من الحياة الجنسية الطفولية إلى شكلها الراشد. المرحلة الأخيرة في تصنيف فرويد اصطلح على تسميتها التناسلية، وتظهر في سن المراهقة عندما تنضج الأعضاء التناسلية. هناك إحياء للرغبات العدوانية والجنسية، والحافز الجنسي والذي كان سابقاً نرجسياً. حيث يعاد توجيهه للبحث عن الأشباع عن طريق التفاعل الحقيقي مع الآخرين فالمراهقون الصغار يفضلون مصاحبة رفاق من نفس الجنس وفي نفس الوقت اهتمامات الشاب تتحول إلى البحث عن فتاة والفتاة تبحث عن شاب وكلها من أجل تحقيق الحوافز الجنسية.

ويسعى الأفراد الناضجون لإشباع حوافزهم الجنسية في الأساس عن طريق نشاطات تناسلية، تكاثرية توالدية مع الجنس الآخر. الشخص الناضج أو العادي هوالذي نحدده أو نعرفه بأنه ذلك الفرد الذي أدرك وعرف النشاط الجنسي التناسلي المتعارف عليه في ثقافته. الناس الناضجون يشبعون حاجاتهم بطرق مقبولة اجتماعياً فهم يكيفون أنفسهم ويبحثون عن التمسك بالقوانين والمحرمات الاجتماعية والمعايير الأخلاقية في ثقافة مجتمعهم. علامات ومؤشرات النضج هي تلك التي نجدها في التعبير أو القول الألماني (أنا أحب وأنا أعمل) فالشخص الناضج هو ذلك الذي يكون قادراً على الحب بطريقة جنسية مقبولة وأيضاً يعمل وينتج في مجتمعه أو بيئته المحلية.

تأثيرات المراحل الجنسية النفسية:

التأثيرات المتبقية للمراحل الجنسية النفسية يمكن مشاهدتها في سمات أو أنماط شخصية متنوعة. ويرى فرويد أن الأشياء التي تحدث في الماضي تستطيع التأثير على الحاضر. فلو أن اللبيدو، الحافز الجنسي،حرم من الإشباع خلال مرحلة أو أكثر فمعنى ذلك تثبيته على مرحلة معينة. التثبيت ينسب إلى تقييد النمو، الذي

يخلق حاجات مفرطة كخاصية للمرحلة المبكرة. بما أننا نملك لبيدو مثبت في بعض الأحوال خلال مراحل النمو النفسي الجنسي، هذا اللبيدو يعبر عن نفسه في حياتنا البالغة بناءً على أنماط أو سمات شخصية تعكس المستوى المبكر للنمو. إذن، فالشخص المثبت على المرحلة الشبقية يمكن بنسبة كبيرة أن يصبح اتكالياً ويسهل التأثير عليه من قبل الآخرين، وفي نفس الوقت، الشخصيات الشبقية تبدو متفائلة وواثقة إلى حد السذاجة أحياناً، أما الشخصيات الشرجية فتميل إلى أن تصبح نظامية واقتصادية وعنيدة وحساسة. معظمنا طبعاً لا يعكسون نوعاً بحتاً، لكن هذه السمات الشخصية لها أصلها في مراحل جنسية نفسية متعددة.

وإذا كان نمو الشخصية متأخراً أو معوقاً فيمكن أن يقودنا إلى مشاكل خاصة فيمابعد. لقد رأينا كيف أن اللبيدو بسبب الإحباط أو الإفراط في الإشباع يمكن أن تصبح مثبتة في مرحلة مبكرة. الطفل الذي يصرعلى استمراره في مص أبهامه خلال سنوات الدراسة الأولى يظهر أو يبدي مؤشراً على عدم القدرة على إرضاء حاجاته الشبقية في أسلوب ملائم لعمره. في أمثلة أخرى اللبيدو تحت وقع الضغوط والإجهاد، يمكن أن تنكص إلى مستوى مبكر من النمو. النكوص يعزي إلى ارتداد مؤقت لأشكال مبكرة من السلوكيات. فالطفل الذي كان مدرباً على استخدام الحمام يمكن في فترة من الإجهاد أن يبدأ في ترطيب سريره. أمثلة متطرفة للتثبيت والنكوص ينظر لها وتبدو في الانحرافات الجنسية والسلوك العصابي.

ينظر فرويد للعصاب كنتيجة لنمو جنسي غير كامل أو صحيح. في بعض حالات العصاب الفرد يواصل نموه الجسماني، متجاوزاً مرحلة تلو الأخرى لكن مع ترسبات كثيرة فالانفعالات والتوجيهات السلبية تحرم الفرد من العمل والتعامل بدقة وكفاءة مع الضغوط والقلق. مثل هؤلاء الناس يكونون رهينة لماضيهم التعيس ويستجيبون انفعالياً بطرق غير ناضجة.

إن عرض فرويد لمرحلة النمو النفسي الجنسي الإنساني يعد عرضاً أخرقا وتعوزه الدقة، لأن التحويل أو الانتقال التدريجي من مرحلة لأخرى لم يقصد به أن يكون متميزاً أو واضحاً كما يظهر في العرض، فالمراحل ليست منفصلة عن بعضها، بل أنها مندمجة وتنصهر في بعضها البعض. إن مناقشات فرويد للمراحل

النفسية الجنسية الشخصية قدمت أو تم عرضها في إطار الحتمية البيولوجية والتي كانت مسيطرة خلال القرن التاسع عشر وقد انتقدت نقداً لاذعاً لفشلها في تقدير أو إعطاء أهمية لتأثيـر العوامل الاجتماعية والثقافية. في نظرية فرويد الحياة الإنسانية قد صنفت تحت نموذج جنسي والطريقة التي يستثمر بها الناس طاقاتهم (اللبيدو) تحدد مستقبلهم ومصيرهم. العصاب يمثل تثبيتاً حصل في إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي. إن الشخص العادي أو الناضج هو ذلك الشخص الذي يتصرف وفق الأعراف ويحصل على مستوى تناسلياً من النشاط الجنسي. الحضارة والثقافة تطورت عندما صار ممكناً عمل تسامي للنشاطات الجنسية. فمنذ عهد الفيلسوف الأغريقي أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. الميلاد) والناس يعرفون بأنهم حيوانات منطقية عقلانية لأنه كان يظن بأن العقل يفصل أو يميز الإنسان عن الكائنات الحيـة الأخرى. فرويد لم يهضم العقل حقه لذا فهو يبحث عن تهذيب له من خلال التحليل، ومع ذلك فقد أشار إلى أننا مخلوقات انفعالية أو كائنات تشكلها الرغبات والإرادة!

في نظرية فرويد، عقلنا والذي خلق تسامياً للنشاط الجنسي لم يعد المتحكم الرئيسي، بل أنه صار خادماً يخدم اللبيدو (الطاقة الجنسية) والتي أوجدته وكونته. فرويد يبدأ فلسفته بقوله «أنا أحب أذن أنا موجود».

بناء الشخصية:

فرويد لم يقدم نموذجاً نهائياً ومتكاملاً، فتفكيره سار في مراحل، يجدد وينقح ويلغي ويركب ويعيد تنظيم ما قام به السابقون فالمتتبع لكتابات ومحاضرات فرويد يعتقد أو يلحظ أنه يفكر بصوت مرتفع ويتمثل ذلك فيما نراه من ظهور لأفكار واختفاء أخرى ثم معاودة الظهور من جديد وهكذا دواليك.

يرى الاسدير ماك انتاير (Mac Intyre) (١٨٥٨ م) أن عمل فرويد يتميـز بالوقاحة الإبداعية فهو لم يقدم لنا على الإطلاق بناءً منتهياً لكنها مجرد مقترحات مثيرة من الأعمال بواسطة طرق من التفكير والكلام. مع بلوغ تفكير فرويد مرحلة النضج، مفاهيم معينة عن بناء أو تركيب الشخصية وأسلوب العلاج التحليلي تتطلب درجة عالية من التطوير والترابط.

إن تركيب الشخصية الثلاثي الأبعاد والذي يشتمل على ثلاثة أبعاد أو أنظمة نفسية هي: ① الهو. ② الأنا. ③ الأنا الأعلى لم تظهر إلا متأخرة وبالتحديد في عام ١٩٢٣ م.

وعند مناقشة هذه العناصر الثلاثة يجب أن نضع في الذهن أن الهو، والأنا والأنا الأعلى ليست تكوينات منفصلة بواسطة حدود معينة، لكن على الأصح هي مجموعة من العمليات والوظائف والديناميكيات المختلفة داخل الشخص.

① الهو (Id) هو أساس تكويننا، وقد استعار فرويد هذا المصطلح اللاتيني والذي يعني أدبياً هو أو هي للمجهول، من عنوان كتاب باسم كتاب الهو ألفه جورج جرودك ١٩٢٣ م حيث يرى أننا نعيش بواسطة قوى غير معروفة وغير مسيطر عليها. والهو هو أقدم وظيفة للشخصية وأساس الوظيفتين التاليتين. نحن لا نعرف إلا القليل عن الهو، لأنه لا يقدم نفسه لنا أو لشعورنا في شكل عار، لذلك نحن نستطيع وصفه فقط بالتماثل والمقارنة مع الأنا. ويصف فرويد الهو ويشبهه بالرجل المملوء بالإثارات المتقدة فهو فوضوي في انفعالاته ومستودع لتلك الموروثات الجنسية والغرائز والدوافع التي تحفزنا وتدفعنا. إذن فهو يمثل رغباتنا، وحاجاتنا ودوافعنا الأساسية وهو بهذا مخزن للطاقة الجنسية التي تزودنا بالقوة المطلوبة لكل الوظائف النفسية اللاحقة (الأنا والأنا الأعلى). ويعمل الهو بناءً على مبدأ اللذة والذي يبحث عن تخفيف سريع للتوتر دون مراعاة للعوامل الاجتماعية أو البيولوجية أو غيرها. ويمكن أشباع رغبات الهو عن طريق الفعل أو التصرف اللاإرادي، وهذه الانعكاسات استجابات أوتوماتيكية فطرية عفوية، غير متعلمة تعمل بدون وعي أو تفكير. عدد من أفعالنا المنعكسة وقائية فهم يساعدوننا ويحموننا من الأخطار الموجودة في بيئتنا. الأفعال المنعكسة الأخرى توافقية وتكيفية وتخولنا التأقلم مع ظروف بيئتنا.

الأطفال الرضع حديثي الولادة لديهم أفعال منعكسة تساعدهم على العيش والبقاء، فهم يديرون رؤوسهم باتجاه المثير ومصدره مما يساعدهم مثلاً في تحديد الرضاعة. المص أيضاً فعل انعكاسي أوتوماتيكي يخول الرضيع أخذ قوتهم ومصدر رزقهم. تحقيق الرغبة من النشاطات التي يقوم بها الهو تظهر في الرضع وفي الأحلام

وهلوسات المرضى الذهانيين. إن تخيل الحليب أو الثدي تسلي إلى حد ما الرضيع لكنها لا ترضي حاجته.

② الأنا، تظهر من أجل تحقيق رغبات وطلبات الهو بطريقة عقلانية مقبولة لدى العالم الخارجي. الأنا ينبع من الهو ويعمل طبقاً للعالم الخارجي، فهو يستمد طاقاته من الهو ويحاول خدمة الهو بتحقيق رغباته وطلباته بأسلوب مقبول اجتماعياً. أذن فالأنا هو العنصر التنفيذي في الشخصية يكبح الهو ويحتفظ بالإتصالات مع العالم الخارجي من أجل تحقيق الرغبات الشخصية المتكاملة. وفي حين نجد الهو يخضع لمبدأ اللذة، نرى الأنا تتبع مبدأ الواقع. الأنا. مثلاً، يؤجل تفريغ التوتر حتى يكون الوقت مناسباً ويستخدم ميزة التفكير الواقعي وتوظيف المهارات الإدراكية والمعرفية التي تمنح الفرد فرصة للتمييز بين الحقيقة والتخيل. حقيقة فلا يوجد عداء طبيعي بين الأنا والهو، فالأنا خادم مطيع للهو يحاول تحقيق رغباته بأسلوب واقعي ومنطقي.

③ الأنا الأعلى: والذي يمثل مخزناً للقيم المغروسة والمثل والمعايير الأخلاقية الاجتماعية. كما يمكن النظر إليها على أنها نتيجة للتفاعلات مع الوالدين خلال فترة الطفولة. فمن خلال الثواب والعقاب الذي يفرض علينا تغرس تعاليم الوالدين والمجتمع في أذهاننا وعقولنا ونتيجة لذلك نحن نعاني من تأنيب الضمير أو الشعور بالذنب عندما نتصرف ضد المعايير الأخلاقية المقبولة. الأنا الأعلى يتكون من نظامين فرعيين هما الضمير والأنا المثالية فالضمير ينسب إلى القدرة على التقييم الذاتي والانتقاد والتأنيب. أيضاً فالضمير يوبخ ويلوم الأنا عندما تنتهك المعايير الأخلاقية وتخلق مشاعر من الذنب والإحساس بالخطيئة. الأنا المثالية ما هي إلا تصور ذاتي مثالي يتكون من سلوكيات مقبولة ومستحسنة. إذن فهي مصدر الفخر ومفهوم من نظن أنفسنا أو ما نعتقد أننا يجب أن نكون. الأنا الأعلى يبحث عن الكمال، فهو ينشر الحلول المثالية والأخلاقية لا المنطقية. وفقاً لدوافعهم وحوافزهم. لفترة من الوقت، التعاليم المغروسة مطلوبة لإيقاف ذلك السلوك المشين، لكن الأنا الأعلى يمكن أن يكون عنيداً وأخرقاً أيضاً في إصراره على تحقيق الكمال، فطلباته الأخلاقية والمثالية يمكن القول أنها تشبه في بعض الأحيان

تلك التي يطالب بها الهو في شدتها وحدتها وجهلها وعدم منطقيتها. الأنا الأعلى يمكن أن يعيق حاجات الهو، بدلاً من السماح بإشباع الضروري والمناسب فيها.

في الشخصية الناضجة والمتوافقة نجد أن الأنا هو المنفذ الرئيسي فهو يتحكم ويسيطر على الهو والأنا الأعلى ويعمل كوسيط بين العالم الخارجي وطلباتهم. في حالة سيطرة الأنا الأعلى أو الهو فإن عدم الانسجام، والاهتزاز يتبع ذلك ويظهر. فالهو يبحث عن تفريغ وإشباع فوري بينما الأنا الأعلى يضع تحفظات صارمة على إطلاق أو إشباع تلك الرغبات.

الصورة النهائية لدى فرويد عن الشخصية أنها ذات منقسمة على نفسها، فالأدوار الدقيقة للأنا والهو والأنا الأعلى ليست دائماً واضحة فهي في تمازج على مختلف المستويات. صورة فرويد عن الشخص ليست تفاؤلية بل هي محاولة لتأكيد حقيقة أننا ككائنات بشرية ليس في مستطاعنا دائماً التكيف مع وضعنا.

أنه حقاً من الخطأ أن نجمد الهو والأنا والأنا الأعلى في أنظمة، فالشخصية مكونة من قوى ديناميكية يمكن أن تنقسم على نفسها في عـدة مستويات. إذن ففرويد في صياغته الناضجة يؤمن بالأساس البيولوجي للذات وتطورها.

علاقات الأنا والهووالأنا الأعلى بالشعور:

لا يوجد ترابط سهل بين هذه الكلمات وخصائص الشعور وما قبل الشعور واللاشعور، فنحن قد رأينا أن الشعور ينسب إلى تلك العمليات التي نحن ندركها ونشعر بها، أما ما قبل الشعور فيعزى إلى تلك المادة النفسية التي تستطيع ببساطة أن تصبـح شعورية عندما تظهر الحاجة إليها. أما اللاشعور فيعزي إلى تلك المادة التي كبتت أو التي لم يسمح لها على الإطلاق بأن تصبح شعورية. في وقت من الأوقات، فرويد حاول أو عمد إلى استخدام معادلة سهلة بين لأنا والشعور والهو واللاشعور.

لو أن أحدنا أراد أن يرسم الصورة الفرويدية للنفس، ربما يكون التخيل المناسب هو ما وصفه فرويد وسماه الجبل الجليدي، حيث أظهر تسعة أعشار هذا الجبل تقبع تحت الماء في حين أن سطح الماء يمثل الحدود بين الشعور واللاشعور.

هذا الخط يتقاطع مع كل الأنظمة الثلاثة الأنا والهو والأنا الأعلى، فهذه الأنظمة يحسن فهمها على أنها وظائف ديناميكية للشخصية، بينما الشعور واللاشعور صفات لوصف الخصائص التي لدى تلك الوظائف.

النفس ببساطة، غير مقسمة ضد نفسها بواسطة الهو أو الأنا أو الأنا الأعلى لكنها منقسمة ضد نفسها والعالم في عدة مستويات فالصراع هو السمة الظاهرة لفهم فرويد النهائي للنفس وهو صراع لا يمكن اجتنابه. فرويد كتب مرة أن العالم ناقص وقاصر وفقير جداً عندما يتعلق الأمر بتحقيق حاجاتنا. مع ارتفاع طلبات الهو، التوتر يتعاظم ويصبح الأنا محاطاً بمثيرات متعددة لا يستطيع التحكم فيها، مما يجعله يغرق في بحر من القلق المتزايد.

القلق والأنا:

يعد القلق من السمات التي لا يمكن اجتنابها في الطبيعة الإنسانية، وتنشأ هذه السمة منذ ميلاد الإنسان حيث ينظر إلى صدمة الميلاد كنموذج لكل حالات القلق المتأخر فالرضيع يتعرض لكثير من المثيرات غير السارة التي تظهره بالعاجز عن التكيف بصورة مقبولة مع الكبار ومن ثم يظهر عليه الاستياء والقلق الذي يعد مشكلة رئيسية يجب على العملية التوافقية والتنموية التعامل معها وذلك قبل أن يشكل عدم القدرة على التكيف بجانب هذه الحالة من القلق نوعاً من أشكال العصاب.

ويميز فرويد بين القلق الواقعي والقلق الأخلاقي حيث يعزى القلق الواقعي إلى وجود خطر حقيقي في العالم الخارجي. في حين أن القلق العصابي ينسب إلى خوف الفرد من عدم القدرة على السيطرة على دوافعه الداخلية. فيما يتمثل القلق الأخلاقي في الخوف من عقوبات الضمير. إذن، فكلهم لهم أساس في القلق الواقعي، فالطفل الذي يخاف أن تدهسه شاحنة كبيرة يعاني من قلق واقعي، كما أن خوفاً لاحقاً من عبور الشوارع الواسعة لدى رجل بالغ يشك في قدرة على عبور هذا الشارع العريض بأمان هو قلق عصابي. كما أن الذي يحجم عن اختلاس أو أخذ قطعة من الحلوى أو البسكويت لأنه يخاف من الضرب، يعاني من قلق واقعي، لكن أغلب الراشدين أو البالغين يحجمون عن السرقة بسبب القلق الأخلاقي أو الخوف

من عقوبة تأنيب الضمير الشخصي.

ميكانيزمات الدفاع:

من أجل أن يتكيف الشخص أو يتغلب على القلق، يقوم الأنا بتطوير ميكانيزمات الدفاع والتي هي عبارة عن إجراءات تحجز القلق وتقي إدراكنا الشعوري منها. هذه الميكانيزمات تشترك في خاصتين هما:

١ - يظهرون على مستوى لا شعوري، بحيث لا ندرك ما نحن عاملين.

٢ - هم أيضاً ينكرون أو يشوهون القلق من أجل جعله أقل إرهاباً وتخويفاً، وحقيقة نحن جميعاً لا نستطيع العيش بدونهم. فمثلاً المثيرات التي تواجهنا في الصغر هي من الكثافة والشدة بحيث لا يمكن مواجهتها في واقعها المجرد.

إننا بدون استخدام بعض الوسائل والطرق التي تحمي مشاعرنا المتعاظمة سنجد أنفسنا وقد أصبحنا فريسة سهلة للقلق، لذا فإن ميكانيزمات الدفاع تصبح ضرورية لمساعدة الأنا المتطور دائماً في تنفيذ وظائفه ومهامه ولكن ومع كل ذلك فيجب ألا يغيب عن البال أن هذه الميكانيزمات قد تكون هدامة وضارة خصوصاً عندما نفرط أو نبالغ في استخدامها.

أبرز ميكانيزمات الدفاع:

① الكبت: ويتمثل في صد رغبة أو منع حاجة من الخروج أو التعبير عن نفسها بصورة ظاهرة للعيان ومن ثم لا يمكن معايشة هذه الرغبة أو المعاناة فيها بصورة شعورية أو حتى التعبير عنها بصورة مباشرة وفي تصرف محدد أو شكل سلوكي ملحوظ، ولكن في الإمكان التعبير عن هذه الحاجة بصورة ضمنية أو غير مقصودة وهذا يجنبنا أو يحمينا من الشعور بالكثير من الصراعات والضغوط الانفعالية التي حدثت لنا في الماضي.

أي أن المساعدة التي يزودنا بها الكبت «كما يرى فرويد في نظريته» ليست بدون ثمن باهظ أو تكلفة، فهذه الحاجات التي قمنا بكبتها تتحول إلى انفعالات تبحث باستمرار عن مخارج بديلة إلا أن الطاقات النفسية للطبيعة الإنسانية تشكل

مقاومة تحول دون ظهورها في الشعور ومع الاستمرارية في المقاومة لا يمكن إزالة هذه المكبوتات من اللاشعور.

② الإسقاط: الإسقاط يعني الأمور التي يمكن نسبتها بصورة لا شعورية إلى دافع أو حافز أو اتجاه أو سلوك شخص ما أو عنصر في البيئة. فالشخص الذي يكن العداء بصورة لا شعورية لشخص ما في الإمكان أن يسقط هذه العدوانية على هذا الشخص الآخر. ويعد الإسقاط حيلة دفاعية تخفض من حدة القلق، وذلك عن طريق نسبته أو إرجاع مصدره إلى العالم الخارجي بدلاً من نسبته إلى النفس مما يجعله أمراً سهلاً.

③ تشكيل ردة الفعل: يعبر عن دافع أو حافز بما يقابله، فالعدوانية مثلاً تستبدل بالصداقة وتظهر المبالغة واضحة في ذلك مما يجعل هذه المشاعر مثار استفسار وتساؤ ل.

④ التثبيت: ينسب إلى تثبيت طاقة سيكولوجية في مرحلة متقدمة من النمو النفسي الجنسي وتمنع الفرد من التحرك أو التقدم إلى المرحلة الأخرى القادمة. فالطفل الاتكالي في المدرسة يمكن أن يثبت من أجل حماية نفسه من أن يكون مستقلاً.

⑤ النكوص: الشخص يتحرك إلى الوراء إلى مرحلة أقل قلقاً ومسؤ وليات. والنكوص في الغالب، يظهر بعد معاناة أو تجربة شديدة. فالطفل الذي يبدأ التبول الليلي مرة ثانية لأنه متخوف من الذهاب إلى المدرسة يمكن أن يكون مظهراً أو قاصداً تقديم مؤشرات من النكوص.

⑥ التبرير: هذا الميكانيزم يستلزم التعامل مع الانفعال أو الدافع عقلياً وتحليلياً من أجل تجنب الإحساس أو الشعور به، وكما يظهر من المصطلح فالتبرير تعليل زائف، حيث تبقى المشكلة في جانبها الانفعالي بدون حل. وتمثل خرافة (ايزوب) عن الثعلب الذي حاول الوصول إلى العنب وعندما فشل في ذلك استنتج أنه من المحتمل أن يكون العنب حامضاً، أصدق مثال لهذا الميكانيزم.

⑦ التقمص: نعمد في كثير من الأحيان إلى تخفيض قلقنا بالاقتداء

بسلوكيات شخص آخر، ويتقمص خصائص ذلك القدوة فنبدو أكثر نجاحاً في إشباع حاجاتنا ، حتى أن البعض منا يؤمن بتملك هذه الصفات. كذلك يمكن أن نتحد أو نلتصق في هويتنا بأحد الأشخاص المؤثرين ومثل هذا يمكن أن يساعدنا في تجنب العقاب. وكما رأينا سلفاً فإن التوحد أو الالتصاق بأحد الوالدين من الجنس المماثل من شأنه أن يلعب دوراً مهماً في عملية نمو الأنا الأعلى والشخصية ككل.

⑧ **الإزاحة**: إذا لم يتوفر ذلك الشيء الذي يرضي أو يشبع دافع الأنا، فيمكن أن نحول دافعنا إلى شيء آخر. مثل هذا التعديل أو التحويل يسمى الإزاحة. مثال ذلك الطفل الذي يقوم والده بتوبيخه يمكن أن يضرب أحد إخوانه أو أقاربه الصغار أو يرفس الكلب برجله، لكن الشيء المؤكد أن الشيء البديل نادراً ما يكون مرضياً مثل الشيء الأصلي. إذن فالإزاحة لا تجلب لنا إرضاء كاملاً لكنها تقود إلى بناء توتر مشحون.

⑨ **التسامي**: توجيه مسار دافع غير مقبول اجتماعياً إلى مخرج أكثر قبولاً لدى الناس. إذن فهو شكل معين من الإزاحة ذلك الذي يزيح الدافع لا الشيء. فرويد يرى أن ميول ليونارد دافينشي إلى الرسم ورسمه للسيدة العذراء يمكن أن يكون تسامياً يعبر عن ود ورغبة في والدته التي فقدها أو انفصل عنها في عمر مبكر. والتسامي مثله مثل الإزاحة لا ينتج عنه إرضاء كامل.

إذن فميكانيزمات الدفاع، في ذاتها لا تحمل ضرراً لنا، ولا يوجد شخص متحرر من هذه الدفاعات، فنحن نحتاج إليها من أجل البقاء، فهي تحمينا من القلق الزائد وغالباً ما تمثل حلولاً إبداعية لمشاكلنا وصعوباتنا الحياتية اليومية.

بلا شك أن اختلاف الثقافات والظروف الاجتماعية تكون أنماطاً مختلفة من الدفاعات ولكن مع كل ذلك، يجب أن نعرف أن سيطرة هذه الميكانيزمات وتعمقها قد يعيق النمو الشخصي والاجتماعي لبعض الناس، وفي مثل هذه الحالات من المهم أن نحاول تحديد هذه الميكانيزمات حتى يمكن لنا العمل على حلها أو تجنبها أو تخفيضها !

تنظيم وظائف الأنا:

يرى فرويد أن الأنا يوجد أينما يكون الهو، كما استطاع التوصل إلى أنه أينما يكون الأنا الأعلى، يكون الأنا. فالأنا لو تذكرنا، تسعى لتحقيق حاجات الشخص بطريقة واقعية، في مقابل محاولات الهو الطائشة وحلول الأنا الأعلى المثالية. عندمانقوم بتقوية الأنا، الفرد يخفض طاقة الهو والأنا الأعلى ويجعل منهما وظيفتين يمكن التعامل معهما والسيطرة عليهما.

إن إدراك الفرد لرغباته وحاجاته يعطيه فرصة أكبر لإرضائهم بواقعية ومن خلال مخارج مقبولة في ثقافته. كل المجتمعات تزودنا بوسائل وطرق متعددة نستطيع عن طريقها التعبير عن دوافعنا العدوانية والجنسية. ولكن من المؤكد بأننا وبدون فهمنا وإدراكنا لدوافعنا لا نستطيع الكشف أو اكتشاف الخيارات المتوفرة لنا، ففهمنا لأسباب قيامنا بسلوك ما يسمح لنا بالتصرف من واقع ما يمليه علينا الضمير الذي يتلقى التعليمات من الأنا، بدلاً من الطاعة العمياء والطلبات وأوامر الأنا الأعلى المثالية الأخلاقية.

ميكانيزمات الدفاع

الكبت

الخصائص: إعاقة رغبة أو منع حاجة من الظهور أو التعبير الشعوري.

مثال: عدم إدراك الشخص للعداء الدفين الذي يضمره لأحد أقاربه.

الإسقاط

الخصائص: نسبة دافع أو اتجاه أو سلوك بطريقة لا شعورية إلى شخص آخر.

مثال: توجيه اللوم إلى شخص بسبب عمل قمت به شخصياً.

تشكيل رد الفعل

الخصائص: التعبير عن دافع بما يقابله أو بضده.

مثال: معاملة شخص ما تكرهه فعلاً بطريقة ودية ظاهرة ومكشوفة.

التثبيت

الخصائص: إرضاء دافع بطريقة غير ناضجة أو ملائمة لعمر الشخص.

مثال: مص الأصبع في سن متأخرة.

النكوص

الخصائص: العودة لشكل مبكر من النمو عند التعبير عن الدافع.

مثال: استئناف التبول الليلي بعد توقف لمدة طويلة.

التبرير

الخصائص: التعامل مع الانفعال عقلياً لتجنب التدخل الانفعالي.

مثال: المجادلة بأن (كل واحد يعمل ذلك لذا لا يجب أن أشعر بالذنب).

التقمص

الخصائص: تقليد أو محاكاة الشخص الآخر.

مثال: تقليد الواحد لأمه أو أبيه.

الإزاحة

الخصائص: إرضاء دافع بشيء بديل.

مثال: كبش الفداء.

التسامي

الخصائص: إعادة مسار أو توجيه دافع لمخرج أكثر قبولاً وملائمة للظروف الاجتماعية.

مثال: إرضاء فضول جنسي بعمل بحوث في مجال السلوك الجنسي.

التحليل النفسي:

رأينا أن العصاب بالنسبة لفرويد يظهر أساساً من النمو اللبيدي المكبل أو المحروم. الفرد يقع مريضاً عندما لا يتمكن من إشباع حاجاته الشهوانية بطريقة

حقيقية. لذا فالشخص يلجأ للمرض كإشباع بديل (مزيف) وتكوين عالم مرضى من الأحلام أو التخيلات. العصابيون لا يوجد لديهم مضمون أو محتوى نفسي يختلف عن الناس الآخرين الأسوياء. صراعات الهو والأنا والأنا الأعلى تصف السوي والعصابي بطريقة متشابهة كل فرد منا يجب أن يمر بالمراحل النفسجنسية ولكنه العصابي الذي يسقط مريضاً من نفس الصراعات والعقد التي يعاني منها الناس العاديون.

لا يوجد حدود أو فواصل محددة بين المرض والصحة، والسؤال الرئيسي ليس (هل أنا سوي أم عصابي؟) ولكن (إلى أي درجة يضعف عصابي؟

لقد تحدثنا بإيجاز عن تلك الأساليب التي استخدمها فرويد في العلاج مثل التداعي الحر وتفسير الأحلام والتي ثبتت جدواها كطرق علاجية في التحليل النفسي لكن قصة التحليل لم تكتمل حتى وصل فرويد إلى استخدام ظاهرة التحويل (الطرح).

في بداية عمله، أدرك فرويد أهمية العلاقة بين المريض وطبيبه في تحديد نتيجة العلاج ومع كل ذلك، فلقد كان هناك نوعاً من الإحراج لفرويد عندما اكتشف أن إحدى مريضاته قد أحبته ولعلنا نتذكر قصة (أنا O) مع د. بروير الذي تخلى عن أسلوب التنفيس بسبب ولع مريضته به شخصياً.

فرويد اكتشف فيما بعد أن المشاعر التي يعبر عنها مريضه أو مريضته تجاهه كطبيب لم تكن موجهة له شخصياً ولكنها على الأصح كانت عبارة عن إعادة لمشاعر مبكرة من العطف والحب التي يحملها العميل للأشخاص المؤثرين والمهمين في حياته. إذن فرويد كان مجبراً على التعرف على قيمة التحويل، تلك العملية التي يقوم المريض فيها بتحويل مواقفه الانفعالية التي شعر بها كطفل نحو الأشخاص المهمين على المعالج أو المحلل. بتهذيب وتكريس تكنيك الطرح أو التحويل، فرويد ومرضاه صارت لديهم قدرة ملفتة للنظر في عملية التعلم والعلاج. فرويد ميز بين التحويل (الطرح) الإيجابي - الودي، العاطفي والمشاعر الطيبة تجاه الطبيب - وبين التحويل السلبي المتميز بالتعبير عن تلك المشاعر العدائية والغاضبة. إذن فالتحويل كان مجالاً أو فرصة للمرضى يستعيدون فيها تلك المواقف التي لم

يتمكنوا فيها من خلق علاقات شخصية تبادلية فعالة.

إنه من الصعب أن نعرف ما إذا كان فرويد نفسه اعترف بالكامل بتطبيق التحويل كأسلوب علاجي، لكن رعاية هذا الأسلوب وتفسيره أصبحا مهمين جداً للأسلوب التحليلي النفسي الذي تبناه. فرويد يمنح المريض فرصة ثانية لمعايشة تلك الصراعات الانفعالية التي قادت إلى الكبت وتزويد المحلل بفهم عميق للطرق المتميزة في الإدراك وردود الفعل التي يقوم بها المريض. النقطة الرئيسية هنا هي إن المريض يعاني من صراعاته تحت مجموعة مختلفة من الظروف. المحلل لا يستجيب للمريض بالرفض أو عدم الموافقة كما فعل الأفراد الأولين (في تجربته الواقعية الأولى أو المبكرة)، بل على الأصح، المحلل يستجيب بتبصر وفهم يسمح للمريض باكتساب تبصير وفهم لخبراته ومشاعره والسماح بالتغيير.

في التحليل النفسي، المريض يستلقي على سرير أو كرسي جلوس طويل ويجلس خلفه المحلل بعيداً عن ناظري المعالج أو المحلل ويوجه المريض إلى القول بأي شيء يخطر على باله بغض النظر عن علاقته أو عدم ملاءمته.

خلال التداعي الحر المريض يمكن أن يزل لسانه بكلمة أو اسم معين أو ينسب شيء ما إلى حلم، وهذين يمكن تفسيرهما أو الاستفادة منهما لمساعدة المريض في اكتساب فهم أعمق لمشاكله.

في المرحلة التمهيدية للتحليل، المريض يحصل على مساعدة ملحوظة تتمثل في كونه لم يعد مستمعاً فقط. أما في المرحلة الثانية، فالمحلل وبأدب يساعد المريض في الكشف عن الجوانب الانفعالية وذلك بالإشارة وتأويل المقاومة في محاولة لإضعاف دفاعات المريض وجلب صراعاته المكبوتة على المكشوف. محاولات المحلل تترك المريض غاضباً، قلقاً وكئيباً، والمحلل الآن ينظر له كشخص غير متعاون يلجأ إلى أسلوب المقاومة والرفض. في النهاية، التحويل السلبي يبدأ بالالتزام حول بعض النقاط المحددة ثم يقوم المريض بإعادة بناء وتجربة أحداث هامة لمرحلة الطفولة. ويتبنى المحلل دوراً أوموقفاً محايداً بتفسيره للتحويل وتشجيعه المرضى على مراجعته واختبار تلك الظروف على ضوء النضج المتزايد. وهذا الموقف من جانب المحلل يتيح للمريض أن يعمل من خلال هذه

الأوضاع ليصل إلى استنتاج مرض ومشجع. أخيراً، المحلل يساعد المريض في تحويل تلك الاستبصارات الجديدة المكتسبة إلى حقائق عملية في السلوك والعمل والتفكير.

في شكله التقليدي، التحليل النفسي يعد إجراءً مملاً ومكلفاً، فالمريض يلتقي بالمعالج لمدة خمسين دقيقة لكل جلسة وبمعدل خمس جلسات أسبوعياً لعدة سنين. هذا يتطلب التزاماً ملحوظاً سواء في الوقت، أو الجهد، أو التكلفة الاقتصادية. المحللون المعاصرون عملوا على مراجعة هذا الموضوع أو هذه العملية العلاجية مدركين أهمية قضايا التغلب على المقاومة، التحويل المضاد، والعمل على حل تلك القضايا على المستوى الانفعالي. التحليل له هدف واضح وطموح كبير يتمثل في العمل على فهم كامل وإعادة بناء شامل وتغيير رئيسي في تركيب الشخصية.

نظرية فرويد: فلسفة وعلماً وأدباً:

إن فرويد الذي تعلم في القرن التاسع عشر حيث تسود الطرق الدقيقة للعلوم، كون سمعة خاصة كباحث طبي قبل أن يطور نظرية التحليل النفسي. فرويد أكد على أن المعرفة تبني على الملاحظة التطبيقية فهو يدعي أن مفاهيمه كانت أفكاراً مبدئية يتم دحضها أو تلغي إذا كانت الملاحظة اللاحقة تفشل في تأكيدها.

لقد قام فرويد بمراجعة وتنقيح نظريته عدة مرات بسبب ظهور معلومات جديدة لا تتوافق مع فرضياتها. ولكن على الرغم من أن بحوث فرويد لم تكن مبنية على تجربة مخبرية محكمة، إلا أن معظمها كان مهتماً بالمعلومات التطبيقية.

إن معظم بحوث فرويد ودراساته اعتمدت على الأسلوب الأكلينيكي (العيادي) فقد عمل ملاحظات متأنية لمرضاه في المكان العلاجي وحصل على معلومات قيمة عن طريق تلك الأساليب المستخدمة كتحليل الأحلام والتداعي الطليق. كما قام بعمل تفسيرات ونظر لسلوكيات مرضاه اللاحقة بعد العلاج وكذلك تصرفاته وسلوكه الشخصي وهذه المعلومات التي جمعها من التحليل الذاتي يمكن أن يقال عنها أنها تطبيقية لأنها مبنية على الملاحظة.

على الرغم من هذه الإدعاءات التي يقدمها فرويد كدليل على استخدامه للطرق العلمية في بحوثه ونظرياته إلا أنه من المؤكد أن هناك عدداً من مفاهيمه الرئيسية كانت أقرب للفلسفة منها للعلم.

فرويد يرى أنه من المستحيل أن نفكر في أي نشاط لا يعكس الدوافع اللاشعورية والشعورية. مذهب العمليات اللاشعورية ترك بدون مفهوم تطبيقي عملي فوري ومع ذلك جعله فرويد مناسباً للسلوكيات الإنسانية أجمعها. من هنا لا يمكن لأحدنا أن يحلم حلماً أو تحدث منه زلة لسان تتعارض مع فهم فرويد للاشعور. المفهوم الجنسي مفهوم فلسفي إلى الحد الذي جعل فرويد يؤكد أن كل سلوك إنساني يجب أن ينظر له على ضوء هذا المفهوم.

إذاً كما نرى ففرويد توصل إلى استنتاجات من واقع ملاحظته الذاتية لنفسه أو ملاحظته لمرضاه في وضع عيادي وصور أوضاع تلك النتائج في افتراضات فلسفية. إننا لكي نقيم عمل فرويد فمن الأحسن استخدام المعايير المناسبة للأوضاع الفلسفية ونبدأ بالتساؤل هل هي متماسكة، قريبة وذات علاقة، شاملة وملزمة.

مع أن فرويد يغير وينقح نظريته إلا أنها في النهاية قدمت لنا نمطاً واضحاً ومنطقياً ومتماسكاً ولتأكيد ذلك، فنظرية فرويد ليست كلاً مكتملاً أو منتهياً، حيث لم تقتصر التعديلات على فرويد، ولكنهانقحت وجددت بواسطة أولئك المفكرين والكتاب التابعين للمدرسة الفرويدية وفرويد كان دائماً غير متعاطف مع محاولات تعديل نظريته، لكنه لم يكن متحجراً أو مغلق الذهن بالنسبة لتلك التغيرات التي تعكس أهمية وحيوية التحليل النفسي كحركة جديدة لها شكل خاص من التفكير والبحث. لقد أصر فرويد على معارضته لأي مساس ببعض المفاهيم المتعلقة بالتحليل النفسي، فهو يعتبر الكبت واللاشعور مفاهيم أو أعمدة رئيسية في نظريته ولا يجب مناقشتها بقصد التعديل أو التغيير. من المؤكد أن بعض المصطلحات التي استخدمها فرويد تحتاج إلى تحديث لتصبح مصطلحات عصرية، إذن فنظرية فرويد لا تكون أو تشكل تركيباً نهائياً، فهي مفتوحة وقابلة للتطوير والنمو.

لقد غير فرويد مفهومنا كبشر من أنفسنا، فمنذ عهد أرسطو كان جوهر الإنسانية مركزاً على طاقاتنا المنطقية وقدراتنا على التفكير والفلسفة، وقد أكده

ديكارت حينما قال (أنا أفكر، إذن أنا موجود). بعد فرويد مفهومنا الذاتي تغير فلم نعد ننظر لأنفسنا كحيوانات منطقية، بل أصبحنا باحثين عن اللذة، مخلوقات جنسية توجهها انفعالاتها ورأينا فرويد يعيد صياغة عبارة ديكارت لتصبح (أنا أحب، إذن أنا موجود)! بالنسبة لبعض الناس، التحليل النفسي، ليست رسالة أو مذهباً مرغوباً فيه لأنها على ما يبدو تجبرنا على النظر بعناية في بعض جوانب شخصيتنا والتي نود تجاهلها مثلاً.

مع كل ذلك، فمن المستحيل أن ننكر أهمية وتأثير فرويد، بل يمكن مقارنتها بتلك الإنجازات التي قدمها كوبر نيكس واينشتاين فتأثير فرويد تجاوز علم النفس إلى غيره من العلوم الاجتماعية والأدب والفنون والفلسفة والدين. لقد أصبح اسم فرويد مألوفاً لدى الجميع وعلى كل المستويات، فالأفكار وزلات اللسان والقلم أصبح يطلق عليها (زلات فرويد) وعدد من الناس لا يعملون شيئاً بدون الاستغراب أو التساؤل عن ما هو السبب اللاشعوري لذلك.

فرويد كان يهدف إلى تطوير نظرية شاملة للإنسانية، فهو يصر دائماً على أن دراستنا للعصاب ستزودنا في نهاية الأمر بالمفتاح الرئيسي لدراسة وفهم العمليات النفسية بصورة عامة. في بحثه عن الحقيقة، فرويد كان يهتم بكل صغيرة وكبيرة وكان يسبر غور الأشياء ويولي كل الأشياء اهتماماً وعناية خاصة. بالنسبة لفرويد فالنظر إلى ظاهر الأشياء فقط يعتبر عملاً سطحياً ومظهرياً، فبدون الغوص في أعماق اللاشعور لا نستطيع اكتشاف الحقيقة عن ذاتنا والآخرين. بعض النقاد يرون أن فرويد قد كون أو أسس مدرسة فلسفية تضاهي مدارس اليونان الإغريق والرومان القديمة. لقد طور فرويد في التحليل النفسي حركة لها طقوس وأنظمة وأنماط متميزة.

لقد لقيت نظرية فرويد نقداً لاذعاً وسخرية وهجوماً عنيفاً لا يشابهها فيه إلا ما واجهته نظرية دارون. وليس من حقي أو طبعي كمؤلف أن أضع أحكاماً على هذه النظريات، فللقارىء رأيه وأفكاره وله أحكامه وموازينه التي يستخدمها للتقييم. تصورات فرويد للشخصية مرصعة بالقلق، محكومة بقوى لا شعورية، واقعة تحت تأثير صراعات داخلية وخارجية، أصبح تطوراً أو مفهوماً لا مفر منه لدى بعض الناس.

ملخص الفصل الأول:

① يمكن النظر إلى حالة (آنا O) كبداية للتحليل النفسي، فهي كانت تظهر أعراضاً للاضطرابات التحولية حيث كان ذراعها الأيمن وكذلك ساقها مشلولين، كما أنها كانت تعاني من صعوبة الرؤية ومن عدم قدرتها على تناول بعض السوائل أو حتى الحديث وفهم لغتها الأم. د. جوزيف بروير استخدم معها أسلوب التداعي الحر، وبدأت تتحدث معه عن قصص مرض ووفاة والدها وغيرها من القصص والتي بعد أن روتها لاحظ الدكتور بروير تحسنها وزوال تلك الأعراض المرضية.

وفرويد بدأ يستخدم (الطريقة الكلامية) مع مرضاه واستنتج أن المريض وقت الصدمة الأصلية يخفي أو يحتفظ بانفعاله القوي آنذاك. مفهوم فرويد للعمليات اللاشعورية شيء ديناميكي، حيث أن هناك قوى معينةتكبت أفكاراً غير مرغوبة وتقاوم بقوة تحولهم إلى الشعور.

② الانفعال، الذي نحرمه من التعبير عن نفسه بصورة عادية، يمكن أن يتم التعبير عنه من خلال الأعراض العصابية. الرغبات تكبت لأنها تسير ضد المفهوم الذاتي للشخص. أن الفكرة القائلة بضرورة التعبير عن الانفعالات المصاحبة للأحداث لا بد من التعبير عنها بصورة مطلقة أو في نهاية الأمر تشكل أساساً قوياً للمفهوم الفرويدي الذي يقول أنهم ـ أي الانفعالات ـ إذا لم يجدوا مجالاً للتعبير المباشر، فهم سوف يجدون طريقة غير مباشرة مثل الأعراض العصابية ومثالياً، التعبير عن الانفعالات ليس شيئاً هداماً

③ طور فرويد تكنيك (التداعي الحر) من أجل مساعدة مرضاه على استعادة الأفكار المكبوتة، فالمريض يسأل أن يتلفظ بما يرد على ذهنه من أفكار بغض النظر عن مدى أهميتها أو علاقتها أو حتى عدم ملاءمتها. فيما بعد المحلل النفسي يربط بينها وبين الأعراض المرضية. هذا التكنيك يقوم على منطقية أنه لا يوجد فكرة غير مهمة وأنه في النهاية الترابطات سوف تقود إلى المشكلة الرئيسية.

④ يرى فرويد أن زلات اللسان والأحلام تمثل الطريق الملكي للاشعور. هذه الأحلام الظاهرة أو المستترة تحلل مع زلات اللسان بقصد ربطها بمعاناة

صراعات المريض التي تجلب له الآلام والاضطرابات.

⑤ يعتقد فرويد أن طبيعة رغباتنا وأمانينا المكبوتة طبيعية جنسية. ولكن لا بد من القول أنه حاول تعديل بعض مفاهيمه التقليدية عن المفهوم الجنسي كمفهوم يقتصر على البحث عن اللذة فقط، فمع تطور أعماله، أكد على أهمية السمات النفسية للعمليات العقلية والجنس حيث ظهر ذلك واضحاً في استخدامه لمصطلحات اللبيدو أو الحافز.

⑥ لخص فرويد خمس مراحل جنسية نفسية يمر بها الطفل في نموه الشخصي. ففي المرحلة الشبقية، يعتبر الفم هو مصدر الألم. وفي المرحلة الشرجية التي تليها الطاقة اللبيدية تركز على فتحة الشرج في حين أنه في المرحلة القضيبية تصبح الأعضاء التناسلية مهمة ويبدأ الأطفال يعانون من عقدة أو ديب والتي بحلها نصل إلى تطوير للأنا الأعلى والهوية الجنسية. المرحلة الرابعة هي مرحلة الكمون حيث تعتبر فترة استراحة، تعقبها المرحلة التناسلية وهي تظهر في سن المراهقة حيث تنمو الأعضاء الجنسية ويبدأ الفرد تسنم الدور الجنسي كل حسب ثقافته ومجتمعه.

⑦ يمكن ملاحظة تأثير مراحل النمو النفسي الجنسي في مختلف سمات واضطرابات الشخصية البالغة، فإذا أحبطت اللبيدو أو أفرط فيها في سن مبكرة، فاحتمال حدوث التثبيت وارد وكبير، حيث نلاحظ أن بعض الأنماط السلوكية للبالغين تعكس خصائص تلك المراحل المختلفة.

⑧ تمثل الأنا، الهو، الأنا الأعلى وظائف مختلفة للشخصية. فالهو يعتبر الأكبر والأقدم بينهم ويتضمن موروثاتنا البيولوجية والأفعال المنعكسة والغرائز والحوافز والتي تدفعنا وتحفزنا، الهويعمل بناءً على مبدأ اللذة ويستخدم عمليات رئيسية. الأنا يتطور من أجل أن يحقق الرغبات التي يظهرها الهو ولكن بطريقة عقلانية. الأنا تتبع مبدأ الواقعية وتعمل بناءً على العمليات الثانوية. الأنا الأعلى يتكون من الضمير والذات المثالية، كما أنه يبحث عن الكمال.

⑨ في الشخصية الناضجة والمتوافقة، الأنا هو المنفذ الذي يتحكم ويسيطر

على الهو والأنا الأعلى ويعمل كوسيط بين طلباتهم والعالم الخارجي، ولكن في حالة الشخصية المضطربة أو الغير متوافقة، الهـو أو الأنا الأعلى تكـون لهما السيطرة.

(١٠) لا يوجد ترابط سهل بين الهو والأنا والأنا الأعلى من جهة والشعور واللاشعور من جهة أخرى. مصطلحات الشعور واللاشعور أحسن وصف لهما هو اعتبارهما خصائص يمكن توفرها عند الهو والأنا والأنا الأعلى أو عدم توفرها لديهم.

(١١) يعد القلق سمة لا مفر منها في الطبيعة الإنسانية والمشكلة الأساسية التي يجب أن تتعامل معها العملية التطويرية. فرويـد ميز بين القلق الحقيقي (الواقعي)، والقلق العصابي والقلق الأخلاقي.

(١٢) من أجل حمايتنا ضد القلق، الأنا يطور ميكانيزمات الدفاع والتي تظهر على المستوى اللاشعوري فتنكر أو تشوه الحقيقة بقصد جعلها أقل تخويفاً أو تهديداً. بعض من الميكانيزمات المعروفة هي الكبت، الإسقاط، تشكيـل رد الفعل، التثبيت، النكوص، التبرير، التقمص، الإزاحة، التسامي. فرويد يرى أننا بتقوية الأنا نستطيع أن نصبح أكثر وعياً لدوافعنا ونتعامل معها بفاعلية أكثر.

(١٣) فهم فرويد الناضج للتحليل النفسي يؤكد عى أهمية الطرح حيث يحول المريض على المحلل الاتجاهات والمواقف الانفعالية التي شعر بها الطفل تجاه الأشخاص المؤثرين. المريض يعيد مع المحلل الطرق الطفولية والغير فعالة في علاقاته مع الناس الآخرين. التحليل يسمح للمريض بالمعاناة ثانية وإقامة العلاقات للوصول إلى حل أكثر إرضاء!

(١٤) على الرغم من أن فرويد يرى دوماً أن نظريته تعمل كعلم إلا أنه سمح لعدد من المفاهيم لتعمل أو لتوظف فلسفياً مع عدم السماح بأي استثناءات. إذن، في التحليل النهائي، نظرية فرويد تحتاج إلى تقييم فيما يتعلق بالفلسفة، بناءً على التزامها وعلاقتها وشموليتها.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Freud's Published works fill twenty - four in The Complete psychological Works of Segmund freud: Standard Edition, published by Hogarth Press of London, beginning in 1953. The lay reader will find the following most useful ad a further introduction to the development of Freud's thought and theory. The five lectures on Psychoanalysis (1910). Which were delivered at Clark University in Worcester, Massachusetts, Represent a cocise introduction by Freud to his own work. They are included in Vol. 11 (1957) of the complete works. More extnesive presentations by Freud on his general theory are provided in Introductory Lectures on Psychoanalysis (1933), Vol 22 1964. Freud's classic writings on dreams. slips, and sexuality are The Interpretation of Dreams (1900), Vols. 4 - 5, 1953; The psychopathology of Everyday life (1901), Vol. 6, 1960, and Three Essays, On secuality (1905), Vol.67, 1953.

Freud's final theory of a threefold dynamic of personality was presented in the Ego and the Id (1925), Vol. 19, 1961. His re - evaluation of the problem of anxiety and the defense mechanisms is included in Inhibitions, Symptoms and Anxiety (1926). Vol. 20. 1959. The various introductory lectures provide useful information on the development of psychoanalysis as a therapeutic technique. The reader may also enjoy two later essays on the subject: «Analysis Terminable and Interminable» and «Constructions in Analysis» (both written in 1937) , included in Vol. 23, 1964, in which freud tries to assess realistically the benefits and limitations of psychoanalysis. Portions of the Standard Edition are also availabel in paperback editions published by Norton.

Secondary sources that provide a comprehensive picture of Freudian theory are C. Brenner, An Elementary textbook on psychoanalysis (Doubleday, 1955) and C. S. Hall, A primer of freudian psychology (World, 1954).

The serious student of freud will also be interested in the three - volume biography, The life and workof sigmund freud (Basic Books, 1953 - 1957), written by a close friend and follower, Ernest Jones, Briefer, mor popular introductions to Freud's life and work are Irving Stone. Passions of the Mind (Doubleday. 1971) and P. Roazen, Freud and His Followers (Knopf. 1975). Bruno Bettelheim in his Freud and Man's Soul (Knopf. 1982) helps to clarify the essential humanism of Freud's work.

الفصل الثاني

كارل يونج: علم النفس التحليلي

Carl Jung: Analytical Psychology

أهداف هذا الفصل:

١ ـ شرح كيف استخدم يونج مصطلح النفس(Psyche).

٢ ـ مقارنة بين مفاهيم (فرويد) و (يونج) فيما يتعلق بالأنا.

٣ ـ وصف اللاشعور الشخصي ومركباته.

٤ ـ تفسير كيف أن مفهوم يونج عن اللاشعور الجمعي توسع بناءً على مفاهيم فرويد

٥ ـ مناقشة: الأنماط القديمة: البرسونا ـ الظل ـ الأنيما ـ الأنيماص ـ النفس.

٦ ـ تحديد الاتجاهين الرئيسيين والوظائف الأربع التي قال بها يونج.

٧ ـ شرح كيف أن مفهوم يونج المرتبط بالبيدو يختلف عن المفهوم الفرويدي.

٨ ـ مناقشة مضامين مفهوم يونج لتحقيق الذات.

٩ ـ وصف بعض السمات الرئيسية للعلاج النفسي الذي طوره يونج.

١٠ ـ تقييم نظرية يونج فيما يتعلق بوظيفتها كفلسفة، علم، وأدب وفن.

حياة يونج الخاصة:

ولد كارل جوستاف يونج عام ١٨٧٥ م في سويسرا حيث عاش طوال حياته هناك، وكان هو الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة لوالده والذي كان أحد مفكري الكنيسة الإصلاحية. يونج يصف والده بأنه شخص لطيف ومريض وملتزم بالتقاليد والأعراف رغم أنه ضعيف الشخصية. كان يونج يحترم والده على الرغم من أنه كان يجد صعوبة في الاتصال والتفاهم والمناقشة معه خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالدين حيث اهتم يونج خلال فترة حياته بهذا الموضوع كثيراً. أما والدته

فيقول يونج عنها أنها كانت قوية الشخصية، ويعتقد بأنها كانت طيبة رغم معاناتها من بعض الاضطرابات الانفعالية حتى أنه وصفها فيما بعد بأنها ذات شخصيتين، شخصية رقيقة ولطيفة والثانية قاسية عنيفة، وهذا المفهوم لدى يونج عن والدته انعكس وظهر فيما بعد في علم النفس التحليلي! يونج يصف نفسه أيضاً بأنه شخص انعزالي وانطوائي، فقد مات أخويه في مرحلة الرضاعة وأخته لم تولد إلا بعد أن بلغ سن التاسعة حيث كان أثناء صغرة يلعب لوحده، يخترع ألعاباً، ويقوم بعمل بعض النقوش الخشبية لتسلية نفسه. هذه الفترات الطويلة من العزلة وجدت طريقها في التحليل الذاتي الذي قام به يونج فيما بعد.

يونج كطفل كان المرض مألوفاً لديه فوالدته تم تنويمها لعدة شهور وتركته تحت رعاية عمته العجوز وخادمة الأسرة، كما تعرض هو شخصياً أثناء طفولته لنوبات من الإغماء والدوار جعله يتغيب عن المدرسة لمدة ستة شهور. ولقد استمتع يونج بما ترتب على ذلك المرض من غياب عن المدرسة حيث أتيحت له فرصة الكشف عن جوانب شيقة بالنسبة له لم تكن لتتوفر له في المنهج التعليمي التقليدي، وكان يونج في الأصل يريد أن يصبح متخصصاً في علم الآثار لكن نتيجة لظروفه المادية لم يستطع الإلتحاق بجامعة باسل فاختار دراسة الطب وكان يخطط للتخصص في علم الأعصاب حيث قرأ عن الطب النفسي ووجد ميلاً نحوه، خصوصاً وأن هذا المجال سيزوده بمعلومات تتعلق بالأحلام والألغاز والأحداث الغامضة التي كان يحاول دوماً فهمها وتفسيرها، وعندما تخرج كانت وظيفته الأولى هي مساعد في مستشفى الصحة النفسية في زيورخ حيث عمل مع بلولر (Eugen Bleuler) الطبيب النفسي المعروف، فيما بعد أصبح محاضراً في جامعة زيورخ كما افتتح عيادة خاصة وطور مقياس ترابط الكلمات (تداعي الجمل) من أجل دراسة ردود الفعل الانفعالية وتم أول لقاء اليونج بأستاذه فرويد عام ١٩٠٧ هـ وقد أعجب كل منهما بالآخر حيث كونا علاقات شخصية ومهنية قوية لدرجة أن فرويد لفترة طويلة كان ينظر ليونج على أنه وريثه ويحتل مكانة خاصة ويكن له حباً كحب الأب لابنه، وعندما أسس مجتمع التحليل النفسي العالمي كان يونج رئيسه الأول وبمباركة ودعم من فرويد، كما سافر الإثنان لإلقاء محاضرات في جامعة كلارك!

في عام ١٩١٣ إنفصـل يونج عن فرويد والذي إعتبره خسارة عظيمة له كما نظر يونج إليه على أنه تشتيت له شخصياً حيث دخل في مرحلة من الضياع أو عدم التركيز فلم يعد بمقدوره الكتابة أو القراءة مما جعله يعمل على تحليل ذاته فيما بعد. ويرجع انفصال يونج عن فرويد إلى عدة أسباب منها تركيز فرويد الزائد على النشاط الجنسي في حين ينظر له يونج على أنه شيء رمزي. فالجنس والواقع الذي يمثله له خاصية غامضة ولا يمكن تحليلها أو وصفها بالكامل. وفيما بعد نجح يونج في تطوير مدرسته الخاصة والتي عرفت فيما بعد باسم (علم النفس التحليلي) كما تركزت معظم كتاباته حول الأمور الغيبية والديانات الشرقية وكيفية تحويل الأشياء الرديئة إلى أشياء ذات قيمة نفيسة وعلى الرغم من أن هذه الاهتمامات والشئون لا تنطبق عليها معايير البحث العلمي إلا أن يونج يرى بأنها مهمة للأخصائي ولا غنى عنها لفهم القوى الغامضة في اللاشعور.

ويرى بعض النقاد بأن يونج مهد أو زرع التفرقة العنصرية بنظرياته وكتاباته كما قيل عنه إنه مريض ذهاني ويكره السامية ويؤيد النازية ولكن هناك من يرى أنه على الرغم من أن يونج كان شخصاً ذا مشاكل، فهو كان مؤرخاً حساساً ذو أفكار بناءة مما جعل البعض يعتبر تلك الظروف الشخصية مؤشرات للعبقرية لا الجنون وقد توفي يونج عن عمر يناهز ٨٥ سنة.

طبيعة وتركيب الشخصية:

في حين يؤكد فرويد على أن بناء الشخصية يتركب من ثلاث قوى في صراع دائم وهي ① الأنا ② الهو ③ الأنا الأعلى، نجد أن يونج ينظر إلى بناء الشخصية كشبكة معقدة من الأنظمة المتفاعلة والتي تسعى إلى تحقيق انسجام نهائي فيما بينها، هذه الأنظمة الرئيسية هي: ① الأنا ② اللاشعور بمركباته ③ اللاشعور الجمعي ونماذجه البدائية.

ولقد تحدث يونج عن موقفين أو اتجاهين رئيسيين وأربع وظائف تشكل مجتمعة عدة سمات منفصلة ـ لكنها مترابطة ـ من النفس أو الشخصية الكاملة ومنها: ـ

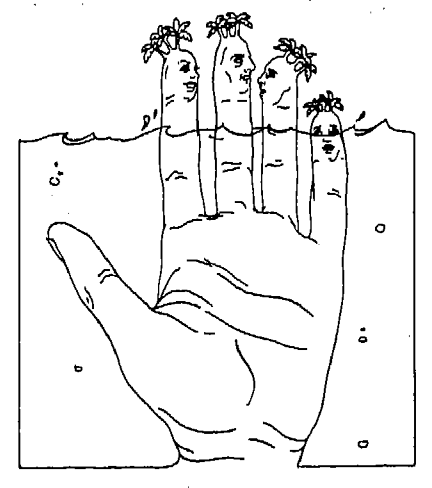
① النفس (Psyche) أو الشخصية الكاملة ويقصد بها كل العمليات والأفكار

والمشاعر والرغبات والأحاسيس النفسية كما استخدم يونج مصطلحات النفس (Psyche) و (Psychic) بدلاً من مصطلحي الفكر (mind) والعقل (mental) من أجل تجنب تطبيقات الشعور في المصطلحين الأخيرين وأكد على أن النفس تتضمن العمليات الشعورية واللاشعورية.

ويختلف يونج وفرويد عن بعضهما في أسلوبهما في فهم اللاشعور، ففرويد ينظر للاشعور في الأصل على أنه المواد المكبوتة في حين أن يونج يؤكد أن مفهوم اللاشعور مصدر للشعور وقالب يضم احتمالات الحياة الجديدة.

② الأنا: يختلف فهم يونج للأنا عن فرويد، حيث يرى أن الأنا هي الإدراك الشعوري للذات إذن فهو يقترح أن الأنا مسئولة عن مشاعر هويتنا واستمراريتنا فمن خلال وعينا الشعوري بمشاعرنا نبني حساً ذاتياً، أن الأنا بالنسبة ليونج ليست المركز الحقيقي للشخصية وذلك لأن معظمنا يعرفون ويحددون أنفسهم حسب الوعي والشعور الذي يحملونه عن أنفسهم لكن المركز الحقيقي للشخصية موجود في مكان آخر كما سنرى بعد قليل. ويمثل يونج السمة الشعورية للنفس بالجزيرة التي تظهر من البحر ولكننا لا نلاحظ إلا ذلك الجزء الذي يطفو فوق الماء، حتى وإن كان هناك أرضية أو جزء أكبر وأعظم في داخل البحر والتي يمكن مقارنتها باللاشعور. (انظر الشكل أدناه).

مفهوم اللاشعور عند يونج



③ اللاشعور الشخصي : أطلق يونج اسم اللاشعور الشخصي على تلك المنطقة المجاورة للأنا وهي تلك الأرض التي لا تغطيها مياه البحر كما في الشكل السابق ويمكن لنا استعادتها في أي وقت.

ويتضمن اللاشعور الشخصي تلك الخبرات التي مر بها الفرد في حياته والتي قام بكتمانها أو تناسيها أو كبتها وهذا جانب من اللاشعور الذي تحدث عنه فرويد وركز عليه! هذه الخبرات قريبة وفي متناول الشعور حتى وإن كانت عملية إدراكها عملية شاقة كما أنها تتجمع على شكل عناقيد اللاشعور الشخصي يطلق عليها يونج اسم مركبات (Complexes) لذا نراه يعرف المركب بأنه عبارة عن مجموعة من الاعتقادات والمشاعر والذكريات المنظمة عن مفهوم معين، هذا المركب لديه القدرة على طرح وتكوين أفكار جديدة وتفسيرها بناءً على ذلك. والمركبات لها تطبيقات هامة تظهر في علاقاتنا التبادلية الشخصية خصوصاً التأثير في كيفية رد فعلنا تجاه الآخرين. إذن فالمركب يمكن أن ينظم حول شخص أو شيء معين فعلى سبيل المثال أحد مركبات يونج يهتم بالأمومة وينسب هذا المركب إلى عنقود من الأفكار والمشاعر والذكريات التي تظهر من خبرتنا الخاصة خلال فترة الأمومة، هذا المفهوم للأمومة بعيد بالطبع عن التعريف اليومي. هذه المركبات تجعل من الصعب علينا أن نفصل أنفسنا عن أوضاع معينة.

ويرى يونج أن المركب ما هو إلا «نمو عفوي، يظهر في جزء النفس الذي لا يتطابق مع الشعور». المركب يمكن أن يتصرف كما لو أنه شخص مستقل، يتصرف باستقلالية عن نوايانا وذواتنا الشعورية، المركب يمكن أن يكون شعورياً، أو شعورياً في بعض أجزائه، أو لا شعورياً بالكامل كما أن عناصر معينة من هذا المركب يمكن أن تمتد إلى اللاشعور الجمعي، بعض المركبات تبدو مسيطرة على الشخصية كلية، فمثلاً وصف هتلرمراراً وتكراراً بأنه كان يسعى للحصول على السلطة لوجود قوى معينة تدفعه لتحقيق ذلك.

④ اللاشعور الجمعي : في حين أن اللاشعور الشخصي يعتبر شيئاً فريداً بالنسبة لكل فرد منا، يرى يونج أن اللاشعور الجمعي شيء مشترك لأنه يحتوي على طاقات كامنة نشترك فيها جميعاً بحكم تكويننا الإنساني، ويصور بعض النقاد أن يونج

أضاف بعداً وعمقاً لعلم النفس في حديثه عن مفهوم اللاشعور الجمعي، فمفهوم فرويد للقوى اللاشعورية كان في الغالب محدداً بالقوى الشخصية، تلك الخبرات المكبوتة المنسية! بينما قام عدد من المرتدين عن الحركة أو المدرسة الفرويدية بالتقليل من قيمة أو أهمية القوى اللاشعورية، يونج كان على العكس منهم حيث وضع تركيزاً وأهمية أكبر عليهم وأكد الخصائص والسمات التي نشترك فيها مع الآخرين. البشر يشتركون مع غيرهم في الأشياء العامة فالناس تعيش في جماعات ويطورون نوعاً من الحياة العائلية أو المجتمع حيث تحدد أدوار لمختلف الأشخاص، وهي أدوار تختلف من مجتمع لآخر لكنها توجد في كل المجتمعات الإنسانية، فكل الكائنات البشرية تشترك في انفعالات معينة مثل المرح، الغضب، الضيق حتى وإن اختلفت طرق التعبير عن هذه الانفعالات إلا أن الانفعالات تكون مشتركة كما أن الكائنات البشرية تطور شكلاً من اللغة والرمزية حتى وإن اختلفت الكلمات المحددة، لكن المفاهيم والرموز مشتركة، إذن، أنماط ورموز معينة تظهر مرة أخرى من مجتمع لآخر ويمكن أن ينظر إليهم كما لو كانوا يحملون معنى مشتركاً ومألوفاً. وينظر يونج للاشعور الجمعي على أنه مفهوم تطبيقي يمكن البرهنة على وجوده عن طريق الأحلام والأساطير والمعلومات الثقافية. إن أعمال اللاشعور يمكن رؤيتها في الخبرات التي مررنا بها كالوقوع في الحب والشعور الغامر عند رؤية قطعة فنية أو الاستماع إلى قطعة موسيقية وهذه تعبر عن نفسها في الرموز المشتركة ذات المعنى العالمي وأحد هذه الرموز العالمية هي (الماندالا) (mandala) والتي تمثل حسب رأي يونج شكلاً متمركزاً ومنظماً كالدائرة أو إطار السيارة أو القطب ويقول يونج أنه رآه ظاهراً مرة وأخرى في أحلام مرضاه وفي الأعمال الفنية لمختلف الثقافات. فالماندالا تمثل النفس الإنسانية التي تناضل من أجل تحقيق الكمال والتمام. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الجمعي يتكون من استعدادات أو احتمالات من السلوك أو كيفية التصرف بطرق معينة وما ذلك إلا لأننا بشرا.

الأنماط أوالنماذج البدائية: Archetypes:

في داخل اللاشعور الجمعي تقبع النماذج البدائية التي تعبر عن أشكال تفكير

عالمية أو استعداد لإدراك العالم وفهمه بطرق معينة، فكلمة استعداد شيء مهم بالنسبة ليونج عدما يتحدث عن اللاشعور الجمعي ونماذجه البدائية. حقيقة إنه لا يمكن فهم النماذج البدائية كلياً أو وضعها بصورة واضحة فهي تبدو لنا في أشكال رمزية وشخصية ويمكن أن تتعمق أو تتخلل الشعور عن طريق الأساطير والآداب والأحلام والطقوس إلا أن هذه النماذج تمثل الطاقة الكامنة والكلية للنفس، لذلك فمن المفيد لنا أن نبقى على اتصال بهم. بعمل ذلك نحن نذهب إلى أبعد من مجرد تطوير طاقاتنا الفردية لنندمج في العملية الكونية الأبدية.

القناع : Persona:

البرسونا تنسب إلى الدور الاجتماعي الذي يحدده المجتمع للفرد وفهم الفرد لهذا الدور، هذه الكلمة (برسونا) جاءت من الكلمة اللاتينية (Persona) والتي تنسب إلى الأقنعة التي يرتديها الممثلون في المسرحيات والروايات الإغريقية القديمة. إذن برسونا الفرد منا هي القناع الذي يرتديه من أجل تحقيق متطلبات مجتمعه! إن كل واحد منا خصص له مجتمعه دوراً معيناً، فأنا خصص لي دور الزوجة، الأم، والمعلمة، فالبرسونا تمثل الوسيط بين ذات الفرد الحقيقية وبين مجتمعه. إن تجاهل تطوير البرسونا معناه المخاطرة بأن نصبح أفراداً غير اجتماعيين، من جانب آخر إن توحد الشخص تماماً مع البرسونا الخاصة به يمكن أن يأتي على حساب ذات الفرد الحقيقية.

الظل : Shadow:

الظل يشمل تلك السلوكيات والاعتقادات والمشاعر اللااجتماعية والتي نحتويها أو نحملها، والظل هنا هو ذلك الجانب المقابل للبرسونا، فهو يعني تلك الرغبات والانفعالات التي تتنافر مع معاييرنا الاجتماعية وشخصيتنا المثالية والتي يمكن و صفها على أنها شيطان (devil) في دواخلنا واختيار يونج لكلمة الظل متعمد ومصمم ليؤكد ضرورته ولا يمكن أن تكون هناك شمس لا تترك ظلاً، فالظل لا يمكن تجنبه والواحد منا لا يكتمل بدونه. ويوافق يونج فرويد أن مثل هذه القاعدة والدوافع الغير اجتماعية يمكن أن تتسامى وتوجه لغايات وأهداف جيدة. إن تجاهل

الظل أو إنكاره يعني دخولنا في النفاق والخداع ويرى يونج الحاجة إلى بذل محاولتنا للتعرف على دوافعنا الحيوانية وما يماثلها وهذا معناه إضافة بعد ومصداقية للشخصية بالإضافة إلى ما يتبع ذلك من متعة ونكهة خاصة للحياة.

الأنيما والأنيماص: Anima and animus:

كل جنس منا مبني على خصائص جنسية ظاهرة ومع كل ذلك يوجد رجل نقي أو شخص تتوفر فيه عناصر وسمات الرجولة فقط وكذلك الحال بالنسبة للنساء فلا بد من ظهور بعض سمات الجنس الآخر في هذا الجنس ولكنها تظهر بدرجات ضعيفة وهذه السمات أو الخصائص قد تكون بيولوجية أو سلوكية وانفعالية أو سيكولوجية.

إن نموذج الأنيما (Anima) يمثل الجانب الأنثوي في الرجل في حين يمثل نموذج (الأنيماص) (Animus) الجانب العضلي في المرأة، وكلا النموذجين يعكسان الخبرات الإنسانية الفردية والجمعية خلال سنوات الحياة وهما يساعداننا في عملية فهم الجنس الآخر والاتصال ببعضنا البعض، فبالنسبة ليونج هناك تمايز واضح بين علم نفس الرجال وعلم نفس النساء.

ويعتقد يونج أنه من المهم أن يقوم الواحد بالتعبير عن تلك الخصائص المحتملة للجنس الآخر من أجل أن نتجنب شخصية الجانب الواحد أو عدم التوازن لو أن أحدنا أظهر السمات الخاصة بجنسه فقط، فمعنى ذلك أن السمات الأخرى لا زالت غير شعورية أو غير متطورة أو بدائية. إن أولئك الأشخاص الذين يواجهون صعوبة في فهم الجنس الآخر من المحتمل ألا يكونوا على وفاق مع مفهومي الأنيما والأنيماص.

وعلى الرغم من أن يونج يعد صديقاً للنساء لأنه أكد على الحاجة إلى تحسس نماذج الجنس الآخر إلا أن كتاباته تلقت نقداً لتضمنها لأنماط ساذجة من النساء بالإضافة إلى التعليقات العنصرية على المجموعات الأخرى مثل العبيد والناس البدائيين. يؤكد يونج على أن روح النساء تختلف عن روح الرجال مصراً على أن السلوكيات تلك يمكن أن تتجاوز حدود التعبير الصحيح عن دور الجنس

المحدد ونموذج الجنس المقابل. ومن ثم فقد حذر من الاندفاع في السلوك والقيام بتصرفات ترتبط بالجنس الآخر. كما يعتقد يونج أن شعور النساء كان متميزاً بالقدرة على الدخول في علاقات، في حين أن شعور الرجال كان متميزاً بالقدرة على الدخول أو الالتزام بالقدرة على الدخول أوالالتزام باعتقاد تحليلي ومنطقي! وتختلف البرسونا أو القناع الاجتماعي بالنسبة للنساء عنها عند الرجال بسبب الأدوار المختلفة التي حددها المجتمع والثقافة لهم. ولأن النمو السيكولوجي يتضمن التكامل بين البرسونا والأنيما والأنيماص في كل واحد منا فإنه من الواضح أن تتقدم أو تتطور هذه الأشياء بطريقة مختلفة بالنسبة للرجال والنساء فالمرأة يمكن أن تكون ردة فعلها للأنيماص الخاصة بها بطرق مختلفة، فالنساء تقليدياً كبتوا خصائصهم العضلية وجاهدوا من أجل تحقيق دورهم الأنثوي، واعتقد يونج أن هذا يمكن أن يقود إلى اختلال في الشخصية والمحاولات اللاشعورية من جانب الأنيماص الذي تطفل على حياة المرأة لذا فهو يشير إلى أن كلاهما (الأنيما والأنيماص) يمكن أن يتصرفا كما لو كانا أحكاماً وقوانين ولهما تأثيرات هدامة.

الطريقة الأخرى التي بها يمكن أن تكون لنا ردة فعل تجاه الأنيماص هي التوحد معها لكن هذه العادة تجعل من الصعب على المرأة أن تحقق دورها المحدد! على كل حال نحن يجب أن نعرف أو لا نعتقد أن الأنيماص في المرأة تعمل ضد الأنوثة فيها، بل في الواقع أن إحدى مهام تحقيق الذات هو جلب هذين العنصرين معاً (الأنيماص والأنوثة) ليشكلا انسجاماً مع بعضهما البعض الآخر، إذن في تطور مثالي الأنيماص سوف يؤدي بالمرأة إلى تحويل أنوثتها في شكل محدد من الشعور يتغلب على الازدواجية التقليدية ونفس الشيء يمكن أن يكون في الرجل أو يقال عنه!

إن الحاجة واضحة في مجتمع اليوم إلى هذه التحولات لأن الشعور المنطقي والعدواني للذكر لم يعد طريقة للمعرفة أو التنوير، بل على الأصح فهي قد أصبحت خطراً فلقد رأينا الرجال يتصرفون في استجاباتهم للانفعالات اللاشعورية التي يجدون صعوبة في الاعتراف به لأنهم ينظرون إلى تلك الانفعالات كأشياء أنثوية وتعليقات يونج على الأنيما والأنيماص في المفهوم الشعبي تشير إلى الخنوثة

(Androgyny) والتي تنسب إلى وجود خصائص ذكرية وأنثوية في الفرد والقدرة على إدراك ذلك.

الذات : Self:

النموذج الرئيسي في فهم يونج هو الذات فهي تمثل الكفاح من أجل توحيد كل الأجزاء الموجودة في شخصية الفرد كما أنها المبدأ المنظم للروح والذي يعتمد على نفسه ويخلق انسجاماً لكل النماذج وتعبيراتهم في مركبات وحالة شعورية، فبناء على نوعية المناسبة، وحاجاتنا الشخصية تسمح ذواتنا بأن نكون اجتماعيين مقبولين في العمل (برسونا) وقحين وفظيعين في حفلاتنا الخاصة (الظل) وانفعاليين أو عاطفيين في المسرح (الظل)... الخ. والذات، هي النقطة الوسط الحقيقية في الشخصية ، فمركز شخصية الفرد منا ليس موجوداً في شعور الأنا المنطقي لذلك جعل شعور الأنا مركزياً . فالذات الحقيقية تستند على الحاجز بين الشعور واللاشعور المعقول وغير المعقول أما تطوير الذات فهو هدف حياتي ، لكن نموذج الذات لا يمكن أن يبدأ في الظهور حتى تكون أنظمة الشخصية الأخرى قد تطورت؛ إذن فهي في العادة لا تصبح شاهداً حتى يصل الواحد إلى منتصف العمر.

ولقد تحدث يونج عن إدراك ومعرفة الذات لهدف مستقبلي يستحق الكفاح والتعب لكن نادراً ما يتحقق! يونج وصف نماذج بدائية عديدة من اللاشعور الجمعي كالولادة والموت، القوة، السحر، إعادة البعث، الطفل، البطل، الله، الأرض، الأم، الشيطان، والرجل الحكيم. لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الواحد لا يستطيع إنكار أو تحطيم هذه النماذج البدائية فلو حاول أحدنا أن يعمل أو يقول شيئاً غير مقبول اجتماعياً، فإن النموذج البدائي سوف يعود للظهور في مكان غير متوقع لأن النماذج البدائية لا يمكن أن تهدم أو تحطم. إذن، فمن المفيد لنا أن نبقى على اتصال مع النماذج البدائية ما داموا يمثلون الشخصية المستترة والتي لا يمكن تجنبها.

الاتجاهات : Attitudes:

هنا يتحدث يونج عن اتجاهين رئيسيين أو نمطين نفسيين هما:

① النمط الانطوائي وهو الاتجاه الذي تظهر فيه النفس متجهة نحو الداخل (ذاتي) بينما.

② النمط الانبساطي يشمل ذلك الاتجاه الذي تكون فيه النفس متجهة نحو الخارج (موضوعي).

هذه الكلمات (الانبساطي والانطوائي) أصبحت مألوفة في لغة اليوم حيث أن معظمنا يتحدث عن نفسه كانطوائي أو انبساطي! مثلاً، يونج يعتبر انطوائياً وفرويد يعتبر انبساطياً ومع أن هذه العنونة (Labeling) تعزى ببساطة إلى الاتجاه المسيطر أو الأكثر تطوراً أو نمواً لدى الشخص. والانبساطي في شعوره ووعيه هو انطوائي في لا شعوره والعكس بالعكس.

أهمية هذين الاتجاهين والوظائف الأربع التي سنتحدث عنها لاحقاً يكمن في تأثيرهم على كيفية ارتباطنا بالآخرين والعالم من حولنا.

الوظائف: Functions:

الوظائف هي طرق إدراك البيئة والخبرات المحددة فوظيفة الإحساس (sensation) تعزى إلى الإدراك الحسي للعالم ويعطي التفكير (thinking) معنًى وفهماً للعالم في حين أن وظيفة الشعور (Feeling) يتضمن تقييماً وحكماً على العالم! أخيراً الحدس (Intuition) ويمثل إدراكاً بواسطة اللاشعور يعرفنا بالأجواء المحيطة بخبراتنا والاحتمالات المستقبلية، إذن يونج حدد أربع وظائف نفسية هي:

① الحسي.

② التفكير.

③ الشعور.

④ الحدس.

هذه الوظائف الأربع مجموعة في زوجين متقابلين حيث التفكير والشعور مقابل الحدس والحس وينظر يونج للتفكير والشعور كوظائف منطقية لأنهم يتطلبون التصرف وفق بعض الأحكام كما أن الحس والحدس يتضمنان خبرات آنية. ويرى يونج أن أحد هذه الوظائف يبدو مسيطراً على كل فرد وما يقابله يعتبر ناقصاً أو قاصراً، بينما يلعب الآخران دوراً مساعداً.

وفي مجال تطويره لمفهوم اللاشعور الجمعي، يؤمن يونج بأنه يقوم بمساهمة فريدة وجديدة لتعميق المعرفة ومفاهيم علم النفس، فلقد أشار إلى أن مفهوم فرويد للقوى اللاشعورية كان محدوداً بالمفهوم الشخصي للاشعور، تلك الخبرات التي كانت مكبوتة أو منسية!، فرويد طبعاً لا يعير اهتماماً لرأي يونج حول هذه الملاحظات لأنه يعتبر دوماً اللاشعور شيئاً جمعياً في الأصل حيث يستشهد بمفهوم أوديب والمراحل النفسية الجنسية للنمو كنماذج بدائية تمثل الرموز والنماذج الجمعية التي يدعي يونج أنه قد حددها! أيضاً فرويد يرى أن الرموز في الأحلام يمكن أن تكون فريدة أو متميزة بالنسبة للفرد لكنها أيضاً مشتركة بالنسبة للجميع، إذن فمفهوم القوى اللاشعورية الجمعي مطبق وموجود في نظرية فرويد ولكنه قد يكون غير واضح الترابط ولكننا نحن نستطيع القول بأن مفهوم يونج يعتبر مهماً ومثيراً للجدل في نظرية الشخصية.

الطاقة النفسية : Psychic Energy:

بالنسبة لفرويد فاللبيدو (الحافز الجنسي) يمثل القوة الدافعة للشخصية، بينما استخدم يونج مفهوم اللبيدو لينسبه إلى الطاقة النفسية، لكن استخدامه يجب ألا يخلط مع تعريف فرويد، فيونج استخدم المصطلح بأسلوب أكثر تعميماً وذلك بوصفه له كطاقة حياتية غير متميزة! اللبيدو، إذن، شهوة يمكن أن تنسب إلى الغريزة الجنسية وإلى كل جوع أيضاً وتعكس اللبيدو نفسها كرغبة وشيء يتطلع إلى تحقيق هدف معين.

وتعمل الطاقة النفسية بناء على مبادىء التوازن والتكافؤ، فهي تبحث عن التوازن وتحرك الشخص باتجاه عملية تحقيق الذات.

على الرغم من أن يونج لا يرفض الأسس الغريزية للشخصية فهو ينتقد تركيز

فرويد على المفهوم أو الغريزة الجنسية، مقترحاً أنها في النهاية هدامة أو بسيطة، فهي تنزل وتنظر لكل الأنشطة على أنها أنشطة جنسية! وجهة نظر يونج أن الجنس نفسه يجب أن ينظر له كرمز، له خاصية غامضة لا يمكن وصفها.

التحقيق الذاتي : Self -Actualization :

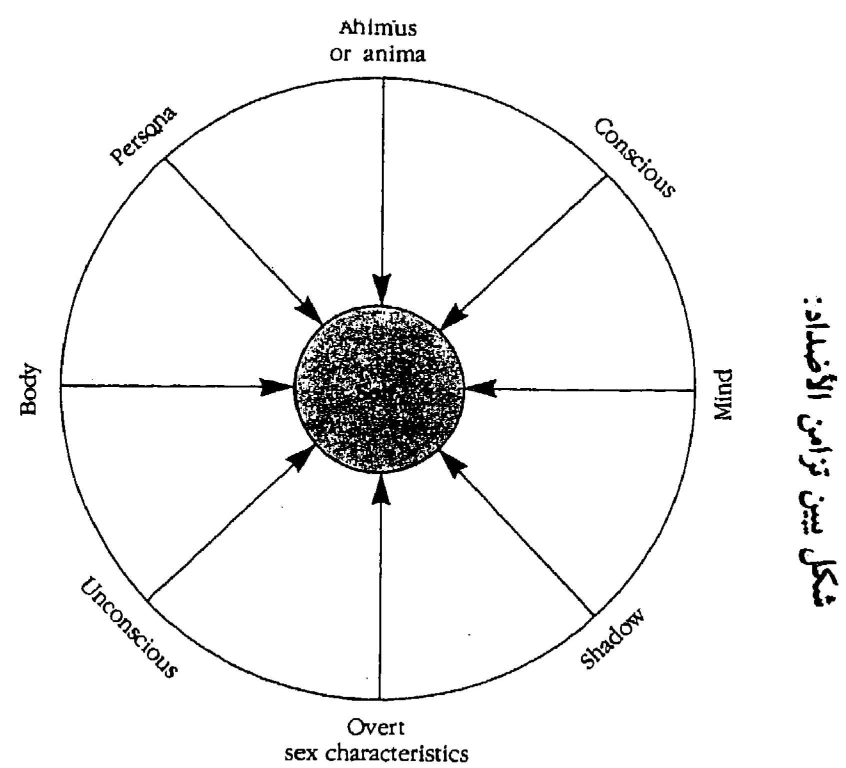
لم يحدد يونج مراحل معينة تمر بها الشخصية في نموها ولا ينظر للسنوات الأولى المبكرة من سني الطفولة كعوامل مهمة كما فعل فرويد فالولادة النفسية (Psychic Birth) للفرد لا تظهر حقيقة إلا في المراهقة، عندما تبدأ النفس في إظهار محتوى وشكل محدد، ونمو الشخصية يستمر من خلال سنوات الحياة وسنوات العمر المتوسطة (٣٥ - ٤٠) ترمز لبداية التغيرات الرئيسية.

وعلى الرغم من أن مفهوم تحقيق الذات قد وصفه يونج بإسهاب إلا أنه لا يمكن القول بأنه جديد في تفكيره، حيث أن هذا المفهوم معروف من الفيلسوف أرسطو الذي يقول (كل شيء له غرض أو هدف، تُكَوِن جوهره ويشير إلى طاقته الكامنة). إذن فكل واحد منا لديه القدرة على النمو في ذات أو نفس يمكن لها تحقيق وإشباع وتعزيز طاقاتنا الإنسانية إلى الحد الأقصى. هذه النظرية غرضية، فهي تشرح الحاضر من خلال المستقبل مع الرجوع إلى الهدف الذي يقود ويوجه مصيرنا في حين أن نظرة فرويد كانت سببية، تفهم الشخصية فيما يتعلق بالشروط السابقة للماضي، بينما يونج يرى أن السببية والغائية ضروريان لفهم الشخصية فهماً كاملاً. في حين أن النمو يسير قدماً، فالنكوص يمكن أن يظهر تحت ظروف وحالات من الإحباط مثل هذا النكوص لا ينظر له يونج نظرة سلبية، بل على الأصح يمكن أن يكون في النهاية ميسراً لحركة التطور والنمو والسير إلى الأمام. إنه بالكشف عن اللاشعور الشخصي والجمعي، الأنا يمكن أن تتعلم من الخبرة السابقة وتحل المشكلة التي قادت إلى النكوص، في حين يرى فرويد أن العصاب يمثل عودة المكبوت، لكن يونج يرى أنها إصرار ذلك الجزء المتخلف من الشخصية على أن يكون مسموعاً ومدركاً، أي يحاول أن يلفت إليه الأنظار والانتباه.

ويمثل تحقيق الذات الفردية والتفوق (Individuation and transcendance)

وتعني الفردية أنظمة النفس التي تحقق درجتها الأعلى من التميز والتعبير والنمو، في حين يعزى التفوق إلى تكامل الأنظمة المتباينة للذات تجاه هدف التكامل أو الكلية (Wholeness) وتقمص الهوية الإنسانية. وتعد مفاهيم يونج عن الفردية والتفوق أو السمو صعبة بالنسة للشخص العادي. في العالم الغربي يُعتقد في علم النفس أن الشخصية تمثل تميزاً أو فردية للفرد (Individuel's uniqueness) فنحن بوضوح، نرى أن الشخصية هي التي تجعل الفرد مختلفاً عن الناس الآخرين، إذن فالناس الذين لا يبدون لنا متميزين أو فريدين هم في الغالب أفراد تنقصهم الشخصية (They Lack personality)! يونج يرى أن الفردية يتبعها تجربة التفوق، وفي عملية التفوق أو السمو هذه تظهر ذات أعمق وجوهر حقيقي يوحد الشخص مع كل عناصر الإنسانية والكون ككل! إذن، فالجزء الأول من الحياة يهتم بالفردية، تهذيب الشعور والسلوك الخاص بكل جنس. أما الجزء الثاني من الحياة، فيمثل مهمة مختلفة، ألا وهي التفوق أوالسمو، الذي يسمح لنا بأن نكون على اتصال وثيق بالإنسانية! نحن نعبر عن لا شعورنا الجمعي وتوحدنا أو فرديتنا مع العالم الإنساني ككل متكامل، إذن، عندما يتحقق الذات فإن عملية تفجير، لم يسبق لها أن اكتملت ترتفع إلى مستوى وتعزيز أعظم يتم فيه إدراك لنفسها وعالمها الإنساني. إننا لو نظرنا للنفس كعجلة أو دائرة تشتمل على بعض النماذج والأنماط البدائية التي حددها يونج، فنحن يمكن أن نقول أن النفس الحقيقية تظهر عندما يتزامن ويتوافق ظهور الأضداد من هذه النماذج (برسونا مقابل الظل، اللاشعور مقابل الشعور... الخ) «أنظر الشكل في الصفحة التالية».

الشخص الحقيقي لا يتكون من الشعور واللاشعور، العقل أو الجسم، البرسونا أو الظل، الخصائص الجنسية الظاهرة المكشوفة مقابل الأنيماص أو الأنيما، ولكنه يتكون من هذه النماذج جميعها، كما أن العصاب ينشأ من نمو شخصية أحادية. إن توافق وتزامن الأضداد هو الهدف النهائي لنمو الشخصية من وجهة نظر يونج، ويختلف يونج عن فرويد في تطبيقات مفهوم الصراع بين ديناميكيات الشخصية، ففي حين يرى فرويد أنه لا مفر منه، يونج يعتقد أن الشخص دائماً يسعى إلى الانسجام لا التعارض والصراع!



شكل يبين تزامن الأضداد:

العلاج النفسي عند يونج:

وينظر يونج للعصاب كمحاولة من الشخص لإصلاح تلك السمات المتناقضة في شخصيته. إنه لمن الصعب أن نصف طريقة يونج في العلاج النفسي وما ذلك إلا لأنه لم يلخص أو يحدد الإجراءات الخاصة بالعلاج كما فعل فرويد مثلاً ويؤكد يونج أو يتمسك بمفهوم (أنه لا يوجد أسلوب واحد يناسب كل واحد) فالفرد الذي لديه صعوبة في تقبل السمات العدوانية والجنسية لحياته يمكن أن يتطلب علاجه أسلوباً فريداً في التفسير، لكن بالنسبة لأناسٍ آخرين، أو في مراحل نمو مختلفة، يمكن أن يكون هذا الأسلوب الفرويدي غير مجدٍ وشامل، ففي التحليل النفسي الفرويدي الكلاسيكي، المحلل ينفصل ويظهر قليلاً من مشاعره وردود فعله الشخصية من أجل أن يسهل عملية التحويل، في حين أن المحلل الذي يؤمن بأفكار يونج يدخل في علاقة شخصية مع المريض ومستعد لأن يرمي بكل ثقله في مجال العمل الذي يؤديه! العلاج ما هو إلا إجراء جدلي أو حوار

بين الطبيب والمريض الشعور واللاشعور !! مع أن المقعد الطويل يمكن استخدامه لتسهيل إجراءات العلاج مثل التخيل الحيوي، ونرى أن المحلل في مدرسة يونج في معظم الأحيان يجلس وجهاً لوجه مع المريض، أيضاً المحللين من أتباع يونج يرون مرضاهم لعدة مرات أكثر من المحللين الفرويديين كما أن مرات الزيارة لدى يونج تعتمد على المرحلة التي وصل إليها المريض من تحسن، وخلال المراحل الأولى من العلاج، هناك حاجة إلى الاعتراف حيث ينظر يونج إلى أن الاعتراف يصحبه في العادة تفريغ انفعالي كهدف لطريقة التنفيس أو التفريغ التي استخدمها بروير وفرويد، لكنه لا يعتبر التنفيس أو التفريغ في حد ذاته طريقة علاجية لا تتعدى كونها نوبات غضب أو ثوران انفعالي آخر. أما بالنسبةلفرويد والاستبصار والتفهم العقلي الشعوري، فيجعل من التنفيس أسلوباً فعالاً بينما يؤكد يونج أن تواجد المعالج الذي يدعم المريض معنوياً وأخلاقياً بالإضافة إلى المساعدة والدعم العقلي أوالفكري يجعل من الاعتراف شيئاً علاجياً شافياً. الإسقاط والتحويل يلعبان دوراً هاماً في تحليلات يونج!وعلى الرغم من أن يونج أضاف إلى مفهوم التحويل الفرويدي الاعتراف بأنه ليس فقط الأشخاص المؤثرين في ماضي المريض مسقطين على المحلل بل أيضاً تلك النماذج البدائية يسقطها المريض على معالجة المحلل، إلا أنه ينظر إلى العناصر الجنسية التي تظهر في عملية التحويل، كمحاولات رمزية من قبل المريض للوصول إلى تكامل أسمى للشخصية.

على النقيض من فرويد، يونج لا يعتقد أن التحويل شرط ضروري يجب حدوثه قبل أن يصل الشخص إلى مرحلة الشفاء والعلاج، وتختلف مواقف واتجاهات يونج عن فرويد فيما يختص بالأحلام، ففي حين نرى أن فرويد يتعامل معها كوسيلة تعبير عن رغبات لا شعورية يونج ينظر للأحلام على أنها ذات وظيفة تنبؤية، بالإضافة إلى وظيفتها المتمثلة في استعادة الأحداث الماضية، يونج يعني بالوظيفة التنبؤية أن الحلم يمثل محاولة من الشخص لإعداد نفسه للأحداث المستقبلية، إذن فالأحلام ذات وظيفة تعويضية، حيث تعتبر محاولات لتكميل الجانب الشعوري للمريض وتتحدث للاشعور، من هنا فالأحلام تتحدث عن

المستقبل، وتكشف عن تلك الجوانب من شخصيتنا التي نهدف إلى تجاهلها ونركز أكثر في تحركنا نحو التكامل. في تأويل الأحلام، يونج استخدم طريقة التضخيم (Method of Amplification) بدلاً من طريقة التداعي الطليق. ففي التداعي الحر كل عنصر من عناصر الحلم يشكل موضوع البداية لسلسلة من التداعي يمكن أن تقودنا بعيداً عن العنصر الأصلي. في التضخيم، الواحد يركز مراراً وتكراراً على العنصر ويعطيه تداعياً مضاعفاً والحلم مأخوذ كما هو بالضبط بدون محاولة حقيقية للتفريق بين المحتويات الظاهرة والمستترة، المعالج ينضم إلى المريض في محاولاتهما لتفسير الحلم، مضيفين تداعيات شخصية ومكررين نسبتها إلى الأساطير والخطابات القديمة من أجل فهم أوسع لمعنى الحلم. في حين أن فرويد يهدف دوماً إلى التعامل مع الأحلام منفردة نجد يونج استخدم مجموعة أو سلسلة من الأحلام التي يمكن أن يحملها ويظهرها المريض للمعالج. تحليل هذه السلسلة من الأحلام يكشف الحياة الداخلية للمريض والتي ينظر لها كدليل لمعانٍ حياتيةٍ حقيقية.

وبالإضافة إلى ما سبق نلاحظ أن يونج كمعالج قيم استخدام التخيل الحيوي (Active Imagination) كطريقة تهدف إلى تسهيل الفهم الذاتي واستخدام الإنتاج الفني بواسطة المريض. هو شجع مرضاه على الرسم، الدهان أو تطوير أية أشكال فنية أخرى كطريقة أو وسيلة لسماع أو التعبير عن ما يجول في أعماقهم الداخلية. كل هذا، يجعل يونج يؤكد الإذعان للحياة الداخلية كتحقيق أخلاقي مناسب لإنسانية الفرد.

نظرية يونج: الفلسفة، العلم، الأدب:

لقد أخذ عدد من اكتشافات يونج مكانه في البيئة الاكلينيكية بناءً على ملاحظات تطبيقية لمرضاه حصل عليها خلال مراحل العلاج والبحث ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن يونج حصل على معلومات من مصادر خارج غرفة العلاج، ملاحظات لثقافات أخرى ودراسات مقارنة الأديان وأساطير ورموز وغيرها منحت يونج ثروة من المعلومات. يونج يعتبر هذه المصادر ثانوية الأهمية لكنها شرعية وضرورية للمختص النفسي الباحث عن كشف لألغاز النفس البشرية.

يونج يعتقد أن الدراسات المقارنة، والتي غالباً ما تستخدم في التاريخ

والأنثروبولوجيا تعتبر أسلوباً مفيداً في العلم أيضاً ولا يؤمن يونج بأن الاختصاصيين النفسيين لا بد وأن يكونوا مرتبطين بالأسلوب العلمي التجريبي فهو يؤمن، أن الاستنتاجات يجب أن تبنى على معلومات عملية أو تطبيقية. مثلاً، النماذج البدائية لها تأثيرات واضحة علينا، فهي إذن، حقائق نفسية ومفاهيم سيكولوجية مفيدة. يونج انتقد الجو العلمي المعاصر لأنه حدد مفاهيمه بتلك المفاهيم المتعلقة بالسببية وأدخل مفهوم الغائية. يونج يشير إلى أن مفاهيم السبب والهدف ليست نفسها موجودة في الطبيعة بل أفكار تخيلية فرضت بواسطة العلماء، لهذا يحث يونج العلماء على العمل في إطار أوسع وتصميم فكري.

ويلاحظ أن مفاهيم يونج على وجه الخصوص من الصعب دراستها في المختبر، كما هو الحال مع فرويد فمن المستحيل تقريباً تحديد عدد من المصطلحات عملياً أو تطوير اختبار يمكن له أن ينفي هذه المصطلحات فميول ورغبة يونج نحو الغموض جعل عدداً من النقاد ينظر له على أنه شخص متصوف أو باطني، لذلك نرى أن علم النفس العلمي إلى وقت قريب قد تجاهل علم النفس التحليلي الذي أوجده يونج، ومع ذلك فإن يونج ترك تأثيرات على نمو علم النفس وغيره من المجالات منها مفهوم تحقيق الذات والذي هو في الغالب غرضي عاد ظهوره في نظريات كارل روجرز، جوردون البرت وأبراهام مازلو.

لقد أشار يونج إلى أن رغبته في اكتشاف حقائق كانت أكبر من رغبته في تطوير الفلسفة، ولأن مفاهيم يونج بنيت على معلومات تطبيقية بالمفهوم الواسع لمصطلح العلم، إلا أن نظريته تقف قاصرة عن تحقيق المعايير الصارمة للانسجام والقوة التنبؤية والبساطة في المفاهيم! في الأساس ينظر لأفكار ومعتقدات يونج كبحوث ومفاهيم فلسفية أو دينية فلقد أثار يونج أسئلة فلسفية واقترح إجابات فلسفية، مثال ذلك من يؤكد بأن الأسئلة عن الطبيعة الإنسانية يجب أن تكون الإجابة عليها عملية وتطبيقية فهو يؤكد وضعاً فلسفياً بالفعل لأن ذلك غير وارد. بالنسبة ليونج الفهم الذاتي ينبع من فلسفة مناسبة وصحيحة للحياة، كما أنه لا يجب أن يكون مستغرباً كيف وجد الأخصائيون الغائيون أن عمله يعتبر مفيداً وجيداً في حين تجاهله بعض علماء النفس التجريبيين. كأدب، يعتبر علاج يونج أسلوباً

مرغوباً وشائعاً فهناك بعض مراكز التدريب التي تطبقه، كما أن هناك عدداً من الكتب والمنشـورات التي تحـدثت عن أفكـار يـونـج والجدل حـولهـا خصـوصـاً في العقدالماضي.

تركيز يونج على الخصائص الفطرية، إزدواجية الطبيعة الإنسانية، الرمزية، التخنث (Androgyny) وأهمية الخبرات الداخلية وهي العوامل التي تجاهلها الاختصاصيون النفسيون لبعض الوقت ـ هي الآن ينظر لها كمفاهيم ونماذج مهمة، إن لم يكن لا غنى عنها لفهم الشخصية. ميل يونج إلى دراسة عملية النمو مع الاهتمـام بالجـزء الثاني من سيـرة الحياة الإنسـانية تثبت جـدواها وفـائـدتهـا للاختصاصيين في العلوم الاجتماعية والذين يهتمون بحاجات ونمو المسنين من النـاس . اعتقـاذ وفكر يونج والاهتمام الملحوظ بالثقافة والدراسة الشرقية، تخدم أولئك الساخطين على المجتمع الغربي والباحثين عن الفهم الذاتي من خلال الفكر الشرقي مع تأكيده على الخبرة والتجربة والاستنباط . إن التطبيق الفعلي لنظريته قد بدأ للتو الإحساس به وتقديره .

ملخص:

① يونج استخدم مصطلح (النفس) (Psyche) وينسب إليه كل التعليمات النفسية مؤكداً أنه يتضمن العمليات الشعورية واللاشعورية.

② في حين أن فرويد ينظر للأنا كمنفذ للشخصية، يرى يونج أنها الإدراك الشعوري لذات الواحد منا.

③ اللاشعور الشخصي يتضمن خبرات تاريخ الفرد المنسية والمكبوتة، وهي في شكل مركبات أو عقد.

④ مفهوم فرويد للقوى اللاشعورية تقريباً محدد في اللاشعور الشخصي بينما مفهوم اللاشعور الجمعي الذي طوره يونج يتضمن تلك الطرق والأشياء في التكوين الإنساني والتي يشترك فيها كل الناس.

⑤ النماذج البدائية تعتبر أشكالاً فكرية عالمية من اللاشعور الجمعي والاستعدادات لإدراك وفهم العالم بطرق معينة. بعض النماذج المعروفة عالمياً، البرسونا

والظل، الأنيما والأنيماص. الذات، هي النموذج البدائي الرئيسي والنقطة الوسطى الحقيقية في الشخصية فيما يعتبر التخيل الحيوي طريقة للبقاء على اتصال مع النموذج البدائي.

⑥ وصف يونج اتجاهين رئيسيين هما (الانبساط والانطواء) وأربع وظائف هي (الإحساس والتفكير، والوجدان والحدس). في كل فرد منا واحد من الاتجاهين وإحدى الوظائف تكون مسيطرة وضدها يكون ضعيفاً . تأليف أو تركيب الوظائف الأربع هو ما نبحث عنه ونسعى إليه في النمو الشخصي.

⑦ اللبيدو، بالنسبة لفرويد تتكون من الحافز الجنسي، في حين أن يونج يستخدم هذا المصطلح بأسلوب أكثر عمومية كطاقة غير متميزة تحرك الشخص نحو الأمام.

⑧ تحقيق الذات عملية غرضية من النمو تتضمن الفردية والسمو (التفوق). في هذه العملية أنظمة النفس تحقق درجتها الكاملة من التميز وبعد ذلك تتكامل في هوية واحدة مع كل البشرية.

⑨ بحث يونج في علاجه النفسي عن التوفيق بين السمات المتباينة في الشخصية، فالعلاج في نظره إجراء جدلي يتضمن في البداية اعترافاً. يونج يرى أن للأحلام وظيفة تنبؤية بالإضافة إلى الوظيفة التعويضية. وقد استخدم في تفسيره للأحلام طريقة التضخيم.

⑩ على الرغم من أن مفاهيم يونج كانت مبنية على معلومات عملية تطبيقية، فقد أثار أسئلة فلسفية واقترح لها إجابات فلسفية أيضاً، إذن فنظريته يمكن النظر إليها كمنهج فلسفي.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Carl Jung was a voluminous writer . His Collected Works have been published in this country by Princeton University Press, beginning in 1953.

Statements about his theory are scattered throughout these works, but Volumes 7, 8, and 9 present the major features. Because Jung is a difficult writer to follow, the lay person would be best advised to begin his or her study with books that are more directed to the general public. Man and His symbols (Doubleday, 1964) is probably the best introduction to jungian psychology. It was written by jung and several of his desciples. Jung's autobiography, describing the spiritual journey that led to his position, is Memories, Dreams, and Reflections (Random House, 1961). A statement of the major principles of analytic psychology as well as the theory of types and functions is included in psychological Types (Harcourt, Brace, 1933 a). Several of Jung's lectures were also collected in a basic introduction entitled Modern man in Search of a Soul (Harcourt, Brace, 1933 b).

Also recommended are the freud/ Jung Letters (Princeton University Press, 1974). The best secondary sources introducing jung's ideas are F. Fordham, An Introduction to Jung's Psychology (Penguin, 1935), and C. S. Hall and V. J. Nordby, A Primer of Jungian Psychology (Mentor, 1973). A more recent re - evaluation of jung's Work is V. Brome, Jung: man and Myth (Atheneum, 1978).

الفصل الثالث

علم النفس الفردي: الفرد أدلر

Alfred Adler: Individual Psychology

أهداف الفصل: -

١ - تفسير الفرق بين التركيز النفسي الداخلي (Interpsychic) والتركيز النفسي الخارجي (Intrapsychic) للشخصية.

٢ - تحديد المقصود بـ «الاهتمام الاجتماعي» (Social Interest) وشرح لماذا يجب أن تكون هذه الاهتمامات مهذبة.

٣ - شرح مفهوم أدلر للغائية (Finalism) مع الإشارة لبعض من الغائيات التخيلية.

٤ - تحديد الهدف المطلق للنفس.

٥ - تفسير كيف أن مشاعر النقص تشكل شخصية الفرد.

٦ - شرح المقصود بمصطلح أسلوب الحياة (Life Style) ووصف كيف أن (المجموعة الأسرية) و (الجو العائلي) يمكن أن تشكل هذا الأسلوب وتؤثر فيه.

٧ - مناقشة مفهوم (أدلر) للذات الخلاقة وكيف أنها تعيد الشعور لمركز الشخصية.

٨ - إيضاح بعض المعالم الرئيسية للعلاج النفسي الأدلري.

٩ - تقييم نظرية أدلر فيما يتعلق بوظائفها الفلسفية والعلمية والأدبية.

اختار الفرد أدلر مصطلح (علم النفس الفردي) ليعبر عن تصوره للشخصية لأنه كان ميالاً إلى البحث عن التفرد والتميز في الشخصية. علاوة على ذلك، فهو يدرك ويعترف بأن الفرد لا يمكن أن ينظر له أو يعتبر إنساناً إذا كان يعيش في عزلة عن العالم ومن ثم فقد تحول اهتمام أدلر من التأكيد على ظاهرة الانعزالية والانطواء

النفسي إلى التأكيد على تقدير واحترام العلاقات الشخصية الداخلية المتبادلة بين الفرد والآخرين.

وتنادي نظرية أدلر بأن فهم شخص معين يتضمن فهماً شاملاً لكل اتجاهاته وعلاقاته مع العالم. إذن، فالإنسان بالنسبة لأدلر مخلوق اجتماعي بدلاً من كونه مخلوقاً جنسياً، وبناءً على وجهة نظر أدلر، فنحن مدفوعين باهتمامات اجتماعية وأغلب مشاكلنا الحياتية اجتماعية النشأة والأعراض.

السيرة الخاصة:

ألفرد أدلر هو الطفل الثاني بين ستة أطفال لتاجر ناجح، ولقد ولد في عام ١٨٧٠ م وترعرع في إحدى ضواحي فيينا. ويصف أدلر طفولته بأنها كانت شاقة وصعبة، حيث عانى من الكساح في البداية وقد حظي بدلال وتقدير من والديه حتى جاء أخوه الأصغر حيث شعر بعدها بتحول الاهتمام إلى هذا الطفل الصغير.

ولقد مر أدلر بتجارب وخبرات مريرة منها رؤ يته لأخيه الأصغر وهو يموت في الفراش المجاور عندما كان عمره ثلاث سنوات كما أنه خلال طفولته المبكرة هرب أو ترك المنزل مرتين، ومما زاد خوفه من الموت، معاناته الخاصة من مرض ذات الرئة وهو في سن الرابعة ونتيجة لهذه المعاناة كون أدلر ميلاً نحو دراسة الطب من أجل القضاء على هذا المرض القاتل.

عندما التحق أدلر بالمدرسة كان طالباً عادياً، حتى أن أحد مدرسيه في إحدى المرات اقترح على والده أن يأخذ ابنه من هذه المدرسة ويعلمه حرفة صناعة الأحذية. وعلى الرغم من ذلك واصل الطالب دراسته وحقق مركزاً جيداً في المدرسة خصوصاً في مجال الحساب بل إنه طور ونمى شعوراً وميلاً اجتماعياً رغم الإعاقة الجسمية التي يعاني منها حتى أصبح محبوباً من أقرانه الطلاب وكون علاقات اجتماعية قوية مع الآخرين سواء خلال فترة دراسته أو فيما بعد ذلك. حقيقة لا يمكن تجاهلها بأن ضعفه البدني وما أورثه من مشاعر نقص لديه خلال فترة الطفولة انعكس أو ظهرت آثاره على أفكار أدلر ومفاهيمه والتي عبر عنها في مواقف متعددة من دراساته وبحوثه فتحدث عن النقص العضوي، والنضال من أجل

بلوغ القمة والاستعلاء، كما أن حساسيته نحو كونه الابن الثاني انعكس على رغبته في المجموعة الأسرية (Family Constellation) والترتيب العائلي للميلاد (Birth Order) كذلك فمحاولاته في التأقلم والتكيف مع الآخرين بدت واضحة في تفكيره حين اعترف فيما بعد بأن الإنسان ما هو إلا حيوان اجتماعي وبالتالي تطويره لمفهوم الاهتمام الاجتماعي.

التحق أدلر بجامعة فيينا ليدرس الطب، وكان تدريبه الطبي بقصد التخصص في مجال طب العيون ولكنه تخرج طبيباً عاماً فقط فيها بعد جعل من نفسه طبيباً نفسياً وعصبياً مقيماً. وفي عام ١٩٠٢ م دعاه فرويد للانضمام إلى مجموعة المناقشات الأسبوعية التي تعقد حول التحليل النفسي. وهذا التجمع تحول فيما بعد إلى تنظيم رسمي أطلق عليه اسم (مجتمع فيينا للتحليل النفسي) وتم اختيار ألفرد أدلر كأول رئيس لهذا التجمع، كما ترأس فيما بعد (جمعية التحليل النفسي الدولية). وهناك عدة قصص تتعلق بموضوع ارتباط أدلر بفرويد وانفصالهما فيمابعد، فأدلر لم يكن في يوم من الأيام تلميذاً لفرويد ولا حتى ذا اتجاه تحليلي نفسي، وكان انضمامه إلى المناقشات لمزيد من المعرفة وقد اكتشف من البداية نقاطاً وملاحظات على التحليل النفسي كانت فيما بعد سبب الخلاف والانفصال وفي عام ١٩١١ م اشتد الخلاف بينهما وعندها رأى أدلر أن بعضاً من أفكاره أهملت أو شجبت، فاستقال وأيده في الاستقالة نحو ثلث أعضاء مجتمع فيينا التحليلي.

وبعد انفصاله عن فرويد وزمرته، أسس مجموعته وجذب إليه عدداً لا بأس به من الأتباع. أيضاً من ضمن مساهماته التي لا يجب أن تنسى خدمته في الجيش النمساوي خلال الحرب العالمية الأولى. وكذلك مساعداته للحكومة في سبيل إنشاء عيادات إرشادات للأطفال في مدينة فيينا، كما قام بزيارات للولايات المتحدة الأمريكية واستقر بها عام ١٩٣٥ م هروباً من الحكم النازي، وعمل مدرساً لعلم النفس الطبي في كلية (Long Island College) للعلوم الطبية، كما حاضر في أماكن ومواقع كثيرة حتى وافاه أجله في عام ١٩٣٧ م بسبب نوبة قلبية حينما كان في جولة علمية لإلقاء محاضرات في اسكتلنده عن عمر يناهز ٦٧ سنة.

ومنذ أن طرح أدلر أفكاره ومفاهيمه، كانت نظريته في الشخصية نظرية قابلة

للنمو وقابلة للتطور وذلك على الرغم من أنه لم يناقض نفسه وأفكاره المبكرة.

الاهتمام الاجتماعي: (Social Interest):

لقد كان أدلر رائداً في علم النفس الفردي وهو يركز على أهمية المجتمع البشري والذي يرى أنه ليس مهماً لتطوير الشخصية الفردية فقط، بل أيضاً لتوجيه كل سلوك وانفعال في حياتنا. فالكائنات البشرية من وجهة نظر أدلر كغيرها من المخلوقات مدفوعة بغرائز وحاجات فطرية محددة وجميعها تشعر بأهمية الحياة وضرورة المحافظة عليها مما يجعلها تبحث عن الطعام والشراب. كما أنه يوجد دافع آخر يمكن مقاومته وتسعى الكائنات لتحقيقه عن طريق التوالد والتكاثر ويكمن في الجنس (الحافز الجنسي).

وفي الوقت الذي يرى فيه أن معظم سلوك الحيوانات الدنيا يبدو منظماً بواسطة الغرائز، نجد أن الوضع يختلف بالنسبة للسلوك البشري، حيث رفضت الكائنات البشرية غرائزها وسيطرت عليها وجعلتها تخضع لمواقف واتجاهات تتوافق مع البيئة. فلقد أنكرت الكائنات البشرية في الكثير من المناسبات بسبب العلاقات الاجتماعية القائمة. فمثلاً، السجين يمكن أن يموت بدلاً من خيانة وطنه، والطفل يمكن أن يرفض تناول الطعام إذا اعتقد أن مثل هذا التكتيك سيجعله في وضع متميز وأفضل في صراعه مع والديه، كما أن الفتاة يمكن أن تشجب بشدة رغباتها الجنسية إذا اعتقدت أن ذلك في صالح اهتماماتها الاجتماعية.

إن تشكيل التعبير الغرائزي فيما يتعلق باتجاهات ومواقف الواحد تجاه بيئته، يؤكد أن تحت كل الحاجات والغرائز الأخرى خاصية فطرية من الاهتمام الاجتماعي. ويعزى الاهتمام الاجتماعي إلى تلك القوة في الطبيعة الإنسانية والتي تجعله يعمل على تكييف نفسه لظروف وأوضاع بيئية. إن الواحد منا يعبر عن الاهتمام الاجتماعي بالإحساس بأنه يشارك الآخرين في شيء ما وبكونه واحداً منهم. هذا من الناحية الذاتية، أما من الناحية الموضوعية، فيعبر عن نفسه من خلال التعاون والعمل مع الآخرين لتحقيق مستوى أفضل من العيش للمجتمع الإنساني. هذه الخاصية الاجتماعية الفطرية في حين أنها مألوفة لدينا جميعاً، فهي

ليست أوتوماتيكية ولا تجدها بصورة ثابتة بل هي تتطلب رعاية وتهذيباً إذا أردنا للفرد أن يحقق إشباعاً صحيحاً لتلك الطلبات التي يفرضها العمل والمجتمع عليه من أجل الوصول إلى الكمال.

الغائية: (Finalism):

يستطيع الفرد من خلال الإتجاهات والمواقف التي يعايشها في بيئته الاجتماعية خلال سنوات الطفولة المبكرة أن يطور شخصيته وخصائصه الفردية إذا كان الفرد نشطاً في مثل هذه المواقف ويؤكد أدلر على حقيقة أن حركة الكائنات الحية محكومة بأهداف وأغراض، فنحن لا نستطيع التفكير والإحساس والتصرف إلا بوجود وإدراك بعض الأهداف.

إن محاولتك لفهم سلوك الناس من خلال الأسباب الخارجية معناه فشلك في فهم الظواهر النفسية فمثلاً، إذا أنا عرفت هدف الشخص فسأبدأ وبطريقة عامة فهم ما يحدث بالتركيز على الأهداف المطلقة التي تسمح لنا بفهم ومعرفة وحدة الشخصية الإنسانية. وعندما يعرف الفرد هدفه، فمن الممكن أن يرى كيف أن حركاته وسلوكه الشخصي تقع في خط واحد مع الهدف والخطط التي وضعها لتحقيق ذلك الهدف.

وعندما يتصرف شخص ما بطريقة معينة تجدنا طبيعياً نستفسر ونسأل لماذا فعل ذلك؟ في محاولاتنا المبكرة للإجابة على هذا السؤال ركزنا على التفسيرات المادية والميكانيكية، فعلى سبيل المثال أوضح فرويد لنا أنه ليس كافياً أن نبحث عن المسببات الفسيولوجية بل يجب أن نحاول فهم الدوافع السيكولوجية التي تقوم عليها الأحداث السلوكية. وفي حين كان فرويد مضللاً باتباعه وإيمانه بمبدأ السببية في تفسير السلوك أكد أدلر غرضية السلوك الإنساني باعترافه بأن القوة الدافعة لكل تصرف إنساني هي الهدف أو التوجه المستقبلي لذلك التصرف. هذا يعني أن النفس الإنسانية لدى أدلر غائية وتسعى لهدف محدد.

ويتفق أدلر مع يونج في أن الغائية ضرورية لمن يريد أن يفهم فهماً كاملاً الشخصية الإنسانية. بل إن أدلر زاد على ذلك وقال بأن ذلك الهدف الذي يسعى

الفرد من أجله هو العامل المحدد لسلوكه وأطلق عليه مبدأ الغائية.

ويرى أدلر أن عدداً من أهدافنا التي توجهنا في سلوكنا أهداف خيالية، هنا استخدام أدلر للخيال (Fiction) يعتبر لغزاً محيراً، لأن الفكرة ليست في أن الخيال زائف، فهو يشير إلى أننا لا نستطيع أن نعرف ما إذا كانت أهدافنا حقيقية أو زائفة، لأنه لا توجد طريقة علمية تمكننا من اختبار هذه الأهداف. وفي الواقع نحن لا نستطيع أن نفهم بالكامل الأشياء كما هي حقيقة، لذلك ترانا نكون أفكارنا الخاصة بذلك الواقع. الخيالات تمثل تفسيرات الفرد أو الجماعة لأحداث العالم الذي يعيشون فيه! هذه كلها افتراضات فلسفية فنحن نفترض أنه من الأفضل أن نقول الحقيقة والتي مفادها أن كل الناس في الأصل طيبين أو أن العمل الجاد في النهاية سيكون له مردود إيجابي. في قاموس أدلر مثل هذه المفاهيم والإفادات تعتبر غائيات خيالية ويدين أدلر بالفضل للفيلسوف (هانز فيهنقر، Vaihinger) لما قدمه وقال به عن مفاهيم الغائيات الخيالية، حيث يرى أن الناس تكون الأفكار التي توجه سلوكها، والغائيات الخيالية يمكن اختبارها بمقابلتها بالواقعية، وذلك لأنهم ليسوا فرضيات علمية يمكن وضعها تحت تجربة أو بحث علمي دقيق، فهم مجرد تلفيقات أو تركيبات للنفس الإنسانية تبرز من خلال مواجهتها للعالم. تحت تأثير الخيال (Fiction) نتصرف كما لو كانت أهدافنا حقيقية، فلو كان من مصلحة الناس أن يكونوا أمناء، فهم سوف يناضلون من أجل أن يكونوا كذلك، حتى وإن لم يكن هناك من سبيل إلى اختبار هذه الفرضية في نهاية الأمر! إنه لمن المهم أن نلاحظ أن الاختصاصيين النفسيين غالباً ما يفرضون غائيات خيالية في مناقشاتهم للحياة الجيدة، فمثلاً يوجد الكثير من المفاهيم مثل (الشخصية السليمة) و (التحقيق الذاتي) والتي تعمل أو توظف كغائيات خيالية ولا يمكن اختبارها أو تجربتها عملياً أو تطبيقياً.

أيضاً فالخيال قد يكون سليماً أو سقيماً، هنا أدلر يريدالقول بأنه من غير المناسب أن نحكم بأنه زائف أو حقيقي، خاطىء أو صحيح، بل على الأصح، الهدف يجب أن يحكم عليه بناء على جدواه وفائدته. مفهوم أدلر للمنفعة (Usefulness) من الغائيات الخيالية ولا يجب أن يخلط مع مفهوم الفائدة الذي

سبق ذكره عند الحديث عن الفرضيات العلمية في مقدمة هذا الكتاب، فالهدف بالنسبة لأدلر مفيد وذو منفعة إذا كان سيحقق حياة منتجة وعيشاً هنيئاً. إذن أدلر يرى أنه على الرغم من أن الخيالات ليس لها مقابل في الواقع إلا أنهم يختلفون فيما يتعلق بجدواهم وفائدتهم، حيث أن بعض الأهداف تعمل على تنشئة حياة منتجة في حين أن أهدافاً أخرى تعوق عمليتي التأقلم والانسجام ويميل الأصحاء من الناس إلى اختبار فاعلية خيالهم وتعديل أهدافهم إذا هم شعروا بعدم جدواها، أما إذا كانت هذه الخيالات والأهداف تحقق لهم مطالب الواقع فلا يتخلون عنها.

النضال من أجل التفوق أو الاستعلاء (Striving for Superiority):

ويرى أدلر أن النفس لها غرضها الرئيسي المتمثل في التفوق أو الاستعلاء (Superiority) هـذه الغائيـة الخيالية المطلقة التي يناضل من أجلها كل بني البشر هي التي تعطي للشخصية الوحدة والترابط! في البداية كان أدلر ينظر للعدوان كقوة دافعية رئيسية أما فيما بعد فقد استطاع تحديد الحافز الرئيسي بـ (التعلق بالقوة) ولكنه أخيراً عاد ليعرف ويحدد هذا المفهوم بأنه حافز تجاه القوة مقترحاً أن الديناميكية الأساسية للطبيعة الإنسانية موجودة في نضالها وبحثها عن الاستعلاء والتفوق.

ومفهوم أدلر للنضال من أجل التفوق أو الاستعلاء لا يتضمن المعنى اليومي الذي يتداوله الناس للكلمة (الاستعلاء) فهو لا يعني أن كل واحد منا يسعى بالفطرة لتجاوز الآخر في مراتب أو درجات ولا هو يعني أن نسعى من أجل الاحتفاظ بأهمية مبالغ فيها على أقراننا. إن الحافز للتفوق يتضمن الرغبة في أن يكون الفرد منافساً وفعالاً في أي شيء يريد أن يفعله. وهذا المفهوم يشبه فكرة (يونج) عن التحقيق الذاتي فكل واحد منا يسعى من أجل تحقيق ذاته وتعزيز طاقاته الإنسانية. إننا نناضل من أجل الوحدة والتكامل إذن، فنحن نسعى إلى أن نكون متفوقين داخل ذواتنا وليس بالضرورة في تنافسنا مع الآخرين. أدلر مراراً وتكراراً استخدم مصطلح الكمال (Perfection) كمرادف لكلمة (التفوق أو الاستعلاء). وهذا المصطلح قد يكون مضللاً إلا إذا عرفنا أصله في اللغة اللاتينية حيث يعني إتمام العمل على الوجه المطلوب. النضال من أجل الاستعلاء والتفوق يمكن أن يأخذ شكلاً من

الرغبة الجامحة أو المبالغ فيه نحو السلطة والقوة، فنجد أن الفرد يسعى من أجل السيطرة على الأشياء والناس، من هنا فالهدف يمكن أن يدخل نزعة عدوانية في حياتنا، حيث نلعب لعبة (الكلب يأكل الكلب) لكن من المؤكد أن مثل هذه التعبيرات التي نطرحها حول هدف الاستعلاء هي تعبيرات هدامة ولا تعكس طبيعتها البناءة وغايتها النبيلة.

إن النضال من أجل التفوق جزء من الكفاح من أجل البقاء الذي تشترك فيه الكائنات البشرية مع الأنواع الأخرى من المخلوقات والكائنات الحية في عملية النشوء والظهور، فالحياة ليست مدفوعة بالحاجة إلى تخفيض التوتر أو استعادة التوازن والتي تعودنا على سماعها من فرويد بل بدلاً من ذلك، يمكن القول بأن الحياة مشجعة ومدفوعة بالرغبة في التحرك من الأسفل إلى الأعلى، من الناقص إلى الزائد ومن القاصر إلى المتفوق هذه الحركة تتضمن تكيفاً ذاتياً مع البيئة وفهمها فالطرق المستخدمة والتي يختارها الأفراد يحددها تاريخهم وأسلوب حياتهم الفريد.

مشاعر النقص: (Inferiority Feelings):

يرى أدلر أنه لكي تكون إنساناً فلا بد من أن تشعر بالنقص فهذا الإحساس جزء من الحالة أو الطبيعة الإنسانية لأن هذه المشاعر لها جذورها في تلك المواجهات التي تحدث مع البيئة الاجتماعية منذ أيام الرضاعة الأولى. إننا خلال الفترة الكاملة للطفولة نشعر بالنقص في علاقاتنا مع الوالدين وتعاملنا مع العالم فنحن كرضع، لسنا مثل الحيوانات الأخرى، حيث نولد غير ناضجين ومكتملين وغير مؤهلين لإشباع حاجاتنا الأساسية إذن فهناك مرحلة طويلة نصبح خلالها إتكاليين نعتمد على الآخرين من أجل تحقيق البقاء والعيش بأمان.

إذن، فمشاعر النقص من وجهة نظر أدلر تعكس حقيقة الوجود فالأطفال عند مقارنتهم بالبالغين يعتبرون ضعافاً وناقصين، ومثل هذه المشاعر لا يمكن تجاهلها أو التهرب منها فهي التي تزودنا بالقوة الدافعة الرئيسية التي يمكن أن تقودنا إلى النمو. كما أنه من خلال وضعنا الناقص كأطفال نطور أهدافنا الخاصة بالتفوق والبحث عن الاستعلاء. إن محاولاتنا ونجاحنا في النمو والتطور يمكن أن ينظر لها كمحاولات

للتعويض والتغلب على نقصنا وضعفنا الحقيقي أو الخيالي .

إذن، فمشاعر النقص ليست انحرافاً لكنها الأساس لكل أشكال التحصيل الإنساني والتحسن في الحياة! إن مفهوم الطبيعة البشرية الذي تدفعه مشاعر النقص، مفهوم كونه أدلر خلال ممارسته للطب، فلقد لاحظ أدلر أن عدداً من مرضاه حددوا شكواهم في بعض الأعضاء الجسمانية المعروفة، مما جعله يفترض أن عدداً من الحالات، يولد الفرد فيها وهو يعاني أصلاً من ضعف أحد الأعضاء وبذلك فهو لن يستجيب بشكل صحيح للمتطلبات الخارجية حوله. هذا النقص العضوي يمكن أن يترك تأثيرات عميقة على البدن والنفس، كما يمكن أن يحمل نتائج ضارة تقود إلى اضطرابات عصابية، لكن من الممكن أيضاً أن تعوض وبالتالي يتمكن الشخص من تحقيق نجاحات رائعة. المثال التقليدي التاريخي لمفهوم التعويض هو ذلك الذي نجده في القصة اليونانية القديمة حيث عانى (ديموسيثينيز) أثناء طفولته من صعوبات النطق ولكنه تعلم كيف يتغلب على ذلك العجز وأصبح خطيباً عظيماً بإجبار نفسه بالصراخ أمام المحيط بفم مملوء بالحجارة الصغيرة.

لقد قام أدلر فيما بعد بتوسيع مفهوم النقص العضوي ليتضمن أية مشاعر نقص سواء كانت واقعية أو تخيلية فمن خلال كتاباته المبكرة، اصطلح على ربط النقص بالأنوثة، حيث نظر إلى الشخص الضعيف كما لو كان أنثى مستخدماً فهمنا العام عن الجنس القوي والضعيف، لكن أدلر تراجع عن هذا الاعتقاد وأبدى عدم رضاه عن هذه الفكرة وقال بأن النساء يمكن أن يكن مختلفات من الناحية البيولوجية عن الرجال لكنهن لسن ناقصات على هذا الأساس أو بناء على هذا الفهم.

فيما بعد أكد أدلر أن النقص لا علاقة له بالأنوثة، بل على الأصح، هي حالة من الوجود تؤثر في النساء والرجال على حد سواء. في هذا الصدد أصبح أدلر داعية ومؤيداً لحركة التحرير النسائية، حيث يرى أن الفروق البيولوجية لا يمكن أن تفضل الرجل على المرأة، وبمعنى أدق، اعترف بأن النقص المزعوم لدى النساء كان اعتقاداً وفهماً اجتماعياً أكثر منه حقيقة بيولوجية.

لا شك أن وجهات نظر أدلر قد تأثرت وتعززت بعد زواجه من (ريسا ابستاين

(Raissa Epstien أحد أعضاء جمعية المفكرين، والتي تنادي بالمساواة بين النسا والرجال، حيث ساعدته في التغلب على مفاهيمه المبكرة عن السيطرة الرجالية. أدلر يعترف بأهمية الدور الذي يلعبه المجتمع في سرمدية الاعتقاد بسيطرة الرجل وتميزه على المرأة، بل لقد ذهب أدلر إلى أبعد من ذلك، حين أكد أن الفروق السيكولوجية بين الرجال والنساء هي بالكامل نتيجة لاتجاهات ثقافية، وأشار إلى التأثير الكبير لهذه الاتجاهات على حياة الأطفال ونمو الثقة بالنفس لديهم ووصف أدلر كيف أن هذا التحيز يزعزع النمو السيكولوجي للنساء ويقودهن إلى تكوين سخط عام على دورهن الاجتماعي، مما يجعلهن يلجأن إلى أساليب غير سليمة من التعـويض مما يشجـع الـرجـال على عدم احترامهن أحياناً وتفاديهن في أحياناً أخرى كما يـرى أدلر أن المبالغة في موضوع الرجولة لها تأثير سلبي على الرجال والنساء على حد سواء، لذا فهو ينصح بمزيد من التعاون والتجاوب والتفاهم بين الجنسين وقد حظي هذا التوجيه باهتمامات الدارسين حول تحديد الأدوار وتأثير التعليم على الذكور والإناث.

أسلوب الحياة: (Life Style):

كل فرد يسعى للتكيف مع بيئته وتطوير حياته وتحقيق امتياز وتفوق على الآخرين بطريقة فريدة. هذا المبدأ تجسد في مفهوم أدلر (أسلوب الحياه) والذي كان فكرة رئيسية في كتاباته المتأخرة. فكل واحد منا حسب رأي أدلر يشترك في هدف عام من أجل تحقيق التفوق حتى وإن كانت هناك عدة طرق مختلفة لتحقيق هذا الهدف. فالفرد يمكنه تطوير كفاءة وتحقيق التفوق من خلال مهارات فكرية وآخر يمكن أن يبحث عن الكمال الذاتي باستغلاله لما لديه من قوى جسمانية. هذه الأساليب الحياتية تتطور في سني الطفولة المبكرة. يرى أدلر أن أسلوب الحياه يظهر بوضوح بعد بلوغ الطفل سن الخامسة من العمر، وبعد ذلك يبقى ثابتاً تقريباً في نموه وتطوره. هذا الأسلوب يمكن تغييره ولكن من خلال عمل شاق واختبار ذاتي قاس. إن أسلوب الحياة ينشأ نتيجة التمازج بين عاملين هما:

١ ـ الهدف الداخلي مع غاثياته الخيالية الخاصة.

٢ ـ وتلك القوى البيئية التي تساعد، وتعوق وتعدل اتجاهات ومسيرة الفرد!،

كل فرد في أسلوب حياته يعتبر فريداً بسبب التأثيرات المختلفة للذات الداخلية

وتركيباتها، فلقد تخيل أدلر أنه لا يوجد إثنان مهما كان لهما أو سيكون لهما نفس أسلوب الحياة، حتى التوائم المتماثلة تستجيب للمثيرات البيئية بطرق مختلفة.

التسلسل الميلادي: (Birth Order):

من بين العوامل التي تقود إلى أساليب حياتية متنوعة، الوضع الطبيعي للميلاد في الأسرة والخبرات المختلفة أثناء مرحلة الطفولة، فأدلر لا يحدد مراحل للنمو ولكنه يؤكد على أهمية الأجواء العائلية والتجمعات الأسرية. فالجماعة أو التجمع العائلي ينسب إلى وضع الواحد منا داخل العائلة فيما يتعلق بتسلسل ميلاده وترتيبه بين إخوته وأقاربه، ووجود أحد الوالدين أو كليهما وغيرهما من الأشخاص المؤثرين.

أدلر هنا يفترض أن الشخصيات الشابة والمتوسطة والكبيرة في العائلة ميالة إلى أن تكون غير متجانسة وما ذلك إلا بسبب الخبرات المختلفة التي لدى كل طفل كعضو معين من الجماعة الأسرية. الأطفال الأكبر يبدو عليهم ذكاء أكبر، وتوجهاتهم نحو التحصيل أشمل وأكثر طاعة وأعظم انتساباً واتصالاً بالمجموعة العائلية، كما أنهم يحاولون استعادة تلك المكانة المرموقة التي فقدوها بعد قدوم الأطفال الأصغر منهم سناً، لذلك تراهم مراراً يميلون للماضي ويظهرون درجة عالية من الاهتمام بالقوة والتي يمكن أن تعبر عن رغبتهم في ممارسة السلطة أو حماية ومساعدة الآخرين. أدلر اختار فرويد كمثال لهذا النوع من النشء أو الأفراد وأطلق عليه لقب الإبن الأكبر النموذجي (Typical eldest son).

أما الطفل الثاني فيمكن أن يشعر بالحاجة إلى السرعة والضغط على نفسه من أجل اللحاق بالطفل الأكبر في حين أن الأطفال الكبار يحلمون غالباً بالوقوع من الأماكن التي تبوؤها (الخلع من العرش) كما إن الأطفال في الترتيب الثاني يحلمون غالباً بالجري في محاولة للإمساك بأشياء معينة. أيضاً فالأطفال في المركز الثاني في الميلاد يبدون ميالين إلى أن يكونوا متنافسين وطموحين ويحاولون في الغالب تجاوز الأخ الأكبر في التحصيل والدافع ومع كل ذلك فلا يبدو عليهم أنهم ذوو اهتمامات بالقوة والسلطة وما يترتب عليها.

كما ان الأطفال الذين يشكلون نهاية السلسلة وآخر المواليد يكونون أكثر

اعتماداً على الآخرين واجتماعيين وما ذلك إلا لأنهم يمثلون (الرضيع) أو (طفل) الأسرة. في نفس الوقت هم يمكن أيضاً أن يكافحوا من أجل الامتياز والتفوق في محاولة لتجاوز أقاربهم الأكبر منهم سناً. أدلر أشار إلى أن عدداً من القصص والروايات والأساطير (مثل قصة يوسف في الإنجيل) تصف الطفل الأصغر بالتفوق وتجاوز منافسيه الأكبر منه.

فقط الأطفال، هم الذين يميلون إلى أن يكونوا مثل الأطفال الكبار بحيث يستمتعون بكونهم مركز الاهتمام. أيضاً الأطفال في وسط الترتيب الميلادي يظهرون مزيجاً من خصائص الأطفال الكبار والأطفال الصغار كما ان المجموعة أو التجمع الأسري تصبح أكثر تعقيداً عندما الواحد ينظر لكل الاحتمالات الإضافية مثل كون هذا الطفل هو الأخ الوحيد بين مجموعة من الأخوات أو التوائم... الخ. في السنوات الأخيرة كم جيد من البحوث تم عمله في مجال التسلسل الميلادي والمجموعة العائلية. إحدى النتائج الشيقة ترى أن الزيجات الأطول عمراً يمكن أن تظهر بين طرفين (زوجين) يكون تسلسل ميلادهما متمم لبعضهما البعض إذن فالأخ الأكبر لمجموعة من الأخوات من المحتمل أن يكون أسعد مع أخت أصغر بدلاً من طفل واحد فقط، لأن كل واحد منهم تعود على ذلك النمط العائلي وطريقة الاتصال والعلاقات.

تدريب:

إقرأ القائمة أدناه واختر تلك الفقرات التي توافقك مقارنة بإخوانك وأخواتك.
إذا كنت الطفل الوحيد فاختر تلك العبارات التي تنطبق عليك مقارنة بزملائك.

قائمة «أ»

أنت تميل إلى أن تتسنم أدواراً قيادية.
أنت تميل إلى أن تكون قريباً لوالديك.
أنت تميل إلى أن تكون مهنة ويصبح لك عمل متخصص.
أنت تميل إلى أن تكون أكثر طاعة.
أنت تميل إلى أن تكون أقل عدوانية.
أنت تميل إلى أن تكون صاحب حوافز ودافع أكثر من غيرك.
أنت تميل إلى أن تكوّن طالباً جيداً.
أنت تميل إلى أن تحصل على اعتراف أكبر.

أنت تميل إلى أن تستشير الآخرين عند اتخاذك للقرار .
أنت تميل إلى أن تكون أقل مشاغبة .
أنت تميل إلى أن تكون مرتبطاً أكثر بالآخرين .
أنت تميل إلى أن تحصل على توقعات عالية من والديك .
أنت تميل إلى أن تكون لك قيماً مماثلة لقيم والديك .
أنت تميل إلى البحث عن مساعدة من الآخرين .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر قلقاً .
أنت تميل إلى أن يكون لديك هموم أكثل من غيرك .
المجموع: ____________

قائمة «ب»

أنت تميل إلى أن تكون أكثر عدوانية .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر ديمقراطية .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر استقلالية .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر شعبية .
أنت تميل إلى أن تقلل من آراء والدتك .
أنت تميل إلى تفضيل المهن التي تعزلك عن الناس .
أنت تميل إلى المشاجرات والدخول في مشاكل دائماً .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر اختلاطاً مع الآخرين .
أنت تميل إلى القيام بنشاطات خطيرة وفيها مغامرة .
أنت تميل إلى أن تكون أقل كلاماً .
أنت تميل إلى عدم طلب مساعدة من الآخرين .
أنت تميل إلى عدم الدخول في مواجهات .
أنت تميل إلى أن تكون منسياً (Slide by) .
أنت تميل إلى أن تكون تربية والديك معك أقل صرامة .
أنت تميل إلى أن تكون أكثر وحدانية .
أنت تميل إلى أن يكون اهتمام والديك بك قليلاً .
المجموع: ____________

اجمع تلك الفقرات التي اخترتها في كل قائمة، إذا كنت الطفل الوحيد أو الأول، فالبحوث تشير إلى أن أكثر فقرات القائمة (أ) تنطبق عليك. إذا كان ترتيب ميلادك متأخراً (لكنك لست الأصغر) فأكثر فقرات القائمة (ب) ستنطبق عليك. إذا كنت الطفل الأصغر في عائلة كبيرة، فنمط حياتك سيكون مقارباً للمولود الأول إذا كان ترتيبك وسطاً فسوف تظهر مزيجاً من الخصائص على القائمتين. كيف وجدت نتائجك مقارنة بتلك التي أظهرتها البحوث؟؟.

الجو العائلي: (Family Atmosphere):

نوعية العلاقات العاطفية بين أعضاء العائلة تعكس الجو الأسري، والذي يساعد في تحديد ما إذا كان الطفل سوف يستجيب بحيوية أو سلبية، بطريقة بناءه أو هدامة، في بحثه عن التفوق والاستعلاء، الأطفال المهملين أو المحرومين يعتقد أدلر أنهم سوف يكونون مستعدين على وجه الخصوص لتشكيل أسلوب حياة خاطىء، فالطفل الفاسد هو الذي دلل بإفراط وتمت حمايته من تلك الإحباطات التي لا مفر منها في حياته. مثل هذا الطفل في الواقع محروم من حقه في أن يكون مستقلاً ويتعلم متطلبات العيش في داخل تركيبة مجتمعه. الوالدان اللذان يفسدان الطفل يجعلان من الصعب عليه تطوير مشاعر اجتماعية فلا يصبح عضواً نافعاً في مجتمعه. فالطفل من وجهة نظره سينمو كارهاً للنظام ويكون اتجاهاً عدوانياً ضده. إن الطفل المُهْمَل هو ذلك الشخص الغير مرغوب فيه والمرفوض، ومثل هذا الطفل تقريباً تنكر عليه الحقوق في امتلاك مكان في النظام الاجتماعي. كما إن الرفض يثير مقاومة لدى الطفل وشعوراً بالنقص ونزعة نحو الانسحاب من الحياة الاجتماعية. أدلر يشير إلى أن ممارسات تنشئة الطفل دائماً تنطوي على تبديل مستمر بين التساهل والرفض. إن الطفل الفاسد يطلب اهتماماً غير مستحق وتقديراً ليس أهلاً له، مما يجعل الوالدين في نهاية الأمر يغضبان ويعاقبانه وهو شيء ينظر له الطفل على أنه رفض ونكران من والديه، على الرغم من أن عدداً قليلاً من الوالدين هم الذين يرفضون أطفالهم إلا أن أطفالاً عدة يشعرون بالإهانة والانهزامية.

مع ان الرفض الأبوي يمكن التغلب عليه عندما يتعلم الوالدين طرقاً أفضل

للتعامل مع أطفالهم، إلا أن أدلر يؤكد على أن الفرد مسؤول مسؤولية كاملة نحو المعنى المرتبط بتصرفات وسلوك والديه، فعدد كبير منا يعتقد خطأ بأن والديه يحملان مشاعر من الرفض ضده، في حين أن هذين الوالدين يعملان ويبذلان ما في وسعهما لتنشئته بأسلوب صحيح ومنطقي. إذن، في النهاية الشخص وحده هو الذي يستطيع تبوأ المسؤولية واختيار أسلوب الحياة المناسب له والذي يتلائم مع إمكانياته.

الذات الخلاقة : (Creative Self):

المفهوم الذي يفتخر به أدلر ويعتبره أسمى مفاهيم نظريته هو مفهوم الذات الخلاقة أو المبدعة فالذات في سماتها الخلاقة هي التي تفسر وتصنع من التجارب والخبرات معنى للكائن الحي حيث يتم البحث عن خبرات تحقق للشخص أسلوب حياته المتميز، بعبارة أخرى الذات الإبداعية هي التي تبني وتكون، تصون وتحتفظ، تتابع وتراقب، أهداف الفرد: إن مفهوم أدلر للذات الخلاقة الإبداعية أكد اعتقاده بأن الطبيعة الإنسانية هي في الأساس حيوية ومبدعة، خلاقة وهادفة في تشكيل استجاباتها للبيئة.

ويعزز مفهوم الذات الخلاقة تأكيدات أدلر بأن الأفراد يصنعون شخصياتهم من المواد الخام الموجودة في الوراثة والبيئة. أدلر في مفهومه للذات الخلاقة، أعاد الشعور إلى مركز الشخصية، فهو يعتقد أننا واعين لكل شيء نعمله، وذلك من خلال الاختبار أو الامتحان الذاتي، فنحن نستطيع فهم سبب تصرفنا بهذه الطريقة أو تلك، فالقوى التي لا نعيها هي ببساطة غير ملاحظة، ولكنها ليست مدفونة في بحر من الكبت. موقف أدلر هنا يعارض موقف فرويد، لذلك قد لا نستغرب كيف أن الإثنان لم يعملا مع بعضهما طويلاً، فأدلر لم يكن غير واع أو مدرك للقوى اللاشعورية، لكنه قلل من قيمتها بتخفيضه للاشعور إلى مجرد لا وعي مؤقت وبسيط فقط. كما إن أدلر يرفض حتمية فرويد بالتأكيد على أن الفرد لديه مجال واسع يسمح له بسيطرة شعورية واعية على سلوكه وتصرفاته، فالناس كما يرى أدلر يمكن أن يصبحوا وإلى حد كبير مدركين لدوافعهم العميقة والغائيات الخيالية الخاصة بهم مما يتيح لهم أو يجعلهم وبأهداف واعية يصنعون شخصياتهم وأساليب

حياتهم التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم العليا. في النهاية ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن موقف أدلر مضاد لموقف واتجاهات فرويد، حيث أكد هذا الأخير على أن سلوكنا في جزء كبير منه تحدده قوى لا ندركها أو نعيها. فرويد منح أتباعه الأمل بقدرتهم على التحمل والعيش بدون خوف من صراعاتهم اللاشعورية، لكنه لم يمنحهم على الإطلاق التحرر من هذه الصراعات اللاشعورية، بإعادته للشعور إلى مركز الشخصية، أدلر أثار غضب وحنق فرويد، والذي اعتبر أدلر بهذا التفكير يشجع الوهم الذي يجاهد من أجل تحطيمه.

بالنسبة لعدد من الناس، فأدلر بنظرته التفاؤلية يقدم صورة محببة ومعارضة مرغوبة لتلك الصورة القاتمة والتشاؤمية التي نادى بها فرويد في نظرية التحليل النفسي عندما تحدث عن الطبيعة الإنسانية، إنه من المريح حقاً لنا أن نؤمن بأننا نستطيع صنع أو تكوين شخصياتنا. هنا أدلر يؤكد بأننا يمكن أن نكون أساتذة مؤهلين أو صناعاً مهرة عندما يتعلق الأمر بتحديد مصيرنا وقدرنا في هذه الحياة.

العلاج الأدلري: (Adlerian Psychotherapy):

بناء على مرئيات أدلر، فالعصاب يتضمن أهدافاً حياتية غير واقعية أو غائيات خيالية وهمية، فالأهداف ليست واقعية إلا إذا أخذت في الحسبان قدراتنا وحدودنا وبيئتنا الاجتماعية. إن الشخص الذي يشعر بأنه ناقص وبصورة كبيرة جداً - أو مرفوض من قبل ذويه خلال سني طفولته، يمكن أن يضع لنفسه أهدافاً عالية يصعب بالتأكيد تحقيقها. الشخص ذو الذكاء العادي أو المتوسط لا يمكن أن نتوقع أن يؤدي عملاً راقياً ومتميزاً خلال تحصيله الأكاديمي. من جانب آخر، بعض الأفراد يضعون أهدافاً متدنية وغير واقعية، فالشعور بالانهزامية وعدم القدرة على التكيف مع أوضاع معينة، كالزواج، يمكن أن يجعل البعض يحاول جاهداً تجنب أوضاع يمكن أن يطوروا فيها تلك المهارات التي تخولهم القيام بعملهم وأدائهم بصفة فعالة ومؤثرة! العصابيون أيضاً يختارون أسلوب حياة غير صحيح كوسيلة لتحقيق أهدافهم فهم في محاولاتهم للتعويض عن مشاعر الضعف، يميلون إلى التعويض الزائد عن الحد والذي ينسب إلى المحاولات المبالغ فيها لتغطية نقاط الضعف والتي هنا تتضمن نكراناً لا قبولاً بالوضع الحقيقي. الشخص الذي يستأسد على

أقرانه ويصر على محاولة إجبار الآخرين أن يلعبوا وفق الطريقة التي يختارها يمكن أن يكون ممارساً للتعويض الزائد أو المبالغ فيه بسبب صعوبة العمل أو التعامل مع الآخرين بطريقة إيجابية وتعاونية. لقد أصبحت مصطلحات أدلر (مركب النقص) (ومركب التفوق أو الاستعلاء) كلمات مألوفة في لغتنا، وتصف أنماطاً عصابية، فإذا كان الفرد يشعر بعدم توافقه بشكل ملفت للنظر وأنه غير مؤهل، فسنقول إن هذا الشخص يعاني من مركب النقص. في مصطلحات أدلر، هناك ثغرة بين الشخص الواقعي وبين أهدافه العالية جداً في الحياة، لكن إذا كان الشخص يبالغ في الحديث عن أهميته، فنحن نستخدم صفة (مركب الاستعلاء) ومثل هذا الشخص في تعريف أدلر قد بالغ في تعويض مركبات الضعف لديه. كلاهما (مركب النقص ومركب الاستعلاء) لهما أصولهما في استجابات الشخص لمشاعر النقص التخيلية أو الواقعية:

ويرى أدلر أن العصابيين في العادة يعيشون كذبة الحياة (Life Lie) ومن ثم كان أسلوب حياة هؤلاء العصابيون يتناقض مع قدراتهم وطاقاتهم الواقعية، فهم يتصرفون كما لو كانوا ضعفاء أو كما لو كان محكوماً عليهم بالهزيمة، في حين أن الحقيقة أو الواقع، يقول بأن في إمكانهم بناء وجود فعال ومثمر لأنفسهم. هؤلاء الأشخاص يستغلون أو ينتهزون فرصة الضعف الخيالي أو الواقعي ويستخدمونه كعذر أو مبرر، بدلاً من النظر إليه كتحدٍ للتعامل مع هذه الحياة بطريقة بناءة وفعالة. هؤلاء العصابيون يوظفون نزعات وقائية كأدوات تعويض تحميهم من مشاعر النقص بأسلوب غير بناء وتكيفي ولمزيد من التأكيد فنحن جميعاً نستخدم مثل هذه الميكانيزمات الدفاعية لحماية أنفسنا في بعض الأوقات، لكن العصابيين يوظفونها بأسلوب ودرجة مبالغ فيها. ويهدف العلاج الأدلري إلى مساعدة المريض على استعادة حسه الواقعي فاحصاً وكاشفاً تلك الأخطاء الموجودة في أهداف وأساليب حياته وتهذيب الاهتمام الاجتماعي، أدلر لم يضع أنظمة متحجرة أو طرقاً صارمة في العلاج فهو يعتقد أن أسلوب حياة المريض يجب أن يحدد الإجراء والطريقة التي يجب استخدامها في العلاج. إذن فهو بصورة عامة لا يستخدم أسلوباً رسمياً أو شكلياً كأسلوب فرويد فمثلاً هو لا يستخدم الكرسي الطويل وإنما يرى أن المريض لابد

الشجاعة للتصرف كما لو أن الخيالات المحدودة والقديمة وأكاذيب الحياة لم تكن حقيقية. مع أن المعالج لا يتخذ قرارات أو يتسنم مسؤوليات في العلاج، فهو يمكن أن يبني أو يقترح أوضاعاً تساعدهم في تهذيب مهارات المريض. مثل هذه المحاولات التشجيعية من شأنها أن تجعل المريض أكثر شجاعة في تقبل المهام والمسؤوليات الجديدة. هنا، المعالج يلعب دور المعلم أو المربي الذي يعيد تعليم العصابي فن العيش والحياة البناءة. إضافة إلى كل ذلك، أدلر يسعى لتخفيض المشاعر المستمدة من الرفض والامتعاض ويعمل على تهذيب مشاعر الاهتمام الاجتماعي والإرادة الجيدة. بالإضافة إلى ذلك يؤمن أدلر بأن التعويض الحقيقي والذي لا مفر منه بالنسبة لجميع نقاط الضعف الطبيعية في الكائنات البشرية هي تلك المتمثلة في العدالة الاجتماعية للجميع.

ألبرت ألس (Ellis) في العلاج المنطقي الانفعالي والذي يرى أن السلوكيات ما هي إلا عمل ووظيفة للاعتقادات استمد واعتمد على علم النفس الفردي لأدلر كثيراً، فعدد من مفاهيم أدلر قد استخدمت لتطوير طرق أكثر فاعلية في تربية وتنشئة الأطفال. أيضاً نحن كذوات خلاقة ومبدعة نبني القوى الرئيسية التي تشكل وجودنا وأهدافنا وأساليب حياتنا. نحن نستطيع تغيير هذه القوى عندما لا تتكيف مع بيئتنا من خلال استبصارنا بأخطائنا. إذن، فالتعليم والتدريب يشكلان الأهمية العظمى، فمن خلال التعليم، أدلر يؤمن أن مفهومنا المشترك والفطري للاهتمام الاجتماعي والعدالة يمكن أن يعمل على ازدهار الشكل الصحيح والنهائي للتعويض بالنسبة لنقاط الضعف الفردية. كما كان لأدلر دور بارز ومهم في إنشاء عيادات توجيه الأطفال وإصلاحهم. أخيراً، أدلر مال إلى مفاهيم الحركة الاشتراكية حتى أنه خصص عدداً من سنوات عمره الأخيرة لتحديد طرق من التعليم في مجال العدالة الاجتماعية..

نظرية أدلر: فلسفة وعلماً وأدباً:

التزام أدلر بوجهة النظر الفلسفية يظهر واضحاً في مناقشاته للغائيات الوهمية والخيالية. فلقد أكد أدلر أن الكائنات البشرية تسير وفق هدف موجه وكل السلوكيات الإنسانية يمكن فهمها فيما يتعلق بمساهماتها والتزامها بهذا الهدف. الصعوبات في

وأن يجلس في وضع مقابل للمعالج، كما أنه أدلر يفضل الإقلال من مرات الاتصال أو اللقاء بين المريض ومعالجه.

الإجراء الأول للمعالج الأدلري هو إقامة علاقة واتصال مع المريض وكسب ثقته، ويتم كسب هذه الثقة بالتعامل مع المريض كرفيق أو زميل لا تمايز بين المعالج وعميل ولا فروق، وبهذه الصورة يظهر التعاون المطلوب في العلاقة الثنائية. في حين يرى فرويد أن التحويل ضروري لفعالية العلاج، أدلر يرى أن العلاج فعال لوجود خصائص وسمات صحية وجيدة تميز العلاقة الثنائية يمكن تحويلها أو نقلها إلى حياة المريض. مثل هذا التحويل أو حمل هذه الصفات الجيدة ما هو إلا تهذيب للمشاعر الاجتماعية التي يحملها المريض.

أما الإجراء الثاني للعلاج الأدلري فيتمثل في السعي للكشف عن الأخطاء التي تغلف أسلوب حياة المريض وتزويده بالتالي بالاستبصار والتوجيه المطلوب لحالته الراهنة. المريض يتم توجيهه تدريجياً وبطريقة لطيفة إلى الاعتراف وإدراك تلك الأخطاء التي تصاحب الأهداف التي رسمها لنفسه ولأسلوب حياته واتجاهاته العامة. الذكريات المبكرة لسني الطفولة وأحلامها ينظر لها أدلر كمصدر ممتاز للمعلومات المطلوبة لعلاج المريض. هذه المعلومات سوف تخولنا وتساعدنا في عملية تعقب أسلوب حياة الفرد أو خط حياته. فالذكريات المبكرة مراراً تلخص الخصائص الرئيسية لموقفنا تجاه الحياة، لأن أسلوب الحياة تم اختياره بصورة عامة في وقت كان عمر الواحد منا أربع أو خمس سنوات وذكرياتنا المختارة فيما بعد مالت إلى أن تعكس خبرات وتجارب تتفق وتتناسب مع اتجاهاتنا، فمثلاً، أدلر لاحظ أن الذكريات الأولى للأطباء غالباً ما تتضمن تذكر للمرض والصحة. أدلر يرى أن الأحلام بدلاً من عكسها للماضي، ما هي إلا أشياء تسعى لتحقيق أهداف، فهم يظهرون المزاج الذي نريد أن نشعر به ونرى كيف نهدف للتعامل مع مشكلة أو مهمة في المستقبل الآني أو الفوري. أخذ ملاحظات على الخيارات التي نختار اتباعها في حياة الأحلام تعطينا رؤية إضافية أو أكثر لأسلوب حياتنا.

ويسعى العلاج الأدلري إلى تشجيع المريض على مواجهة المشاكل الحاضرة وتطوير وسائل بناءة من التعامل معهم. المعالج يأمل في غرس أو تعزيز مبدأ

العيش تنتج عن فلسفة غير صحيحة وأسلوب حياة غير ملائم ومناسب يصاحب هذه الفلسفة. بمعرفة وتهذيب الحاجة إلى العدالة الاجتماعية يحقق الشخص طاقاته المطلقة. لقد أضاف أدلر معيار المنفعة إلى المعايير التي يستخدمها للحكم على افتراضات فلسفية، فالفلسفة نافعة إذا كانت سوف تولد وجوداً منتجاً وتعمل على تعزيز حياتنا. لعمل ذلك، اتبع أدلر الفلسفة الذرائعية(البراجماتية) التي نادى بها وليم جيمس (James) والذي يصر على أن معنى أي إفادة أو عبارة يوجد في النتائج التي يحملها ذلك المعنى لخبراتنا المستقبلية ونوعية حياتنا وقيمتها! تأكيدات أدلر على أهمية وفائدة أهدافنا كان شائعاً بين الفلاسفة وأصحاب النظريات الشخصية.

لقد أكد أدلر على العوامل الموجودة في المجتمع والتي تعمل على تشكيل الشخصية فهناك قوى داخل النفس أو الذات مثل الحافز للتفوق والذات الإبداعية الخلاقة، تساعد في عملية تشكيل الشخصية. أدلر كان أكثر تفاؤلاً من فرويد فيما يتعلق بالطاقات الإنسانية والإمكانيات الاجتماعية إذن فهو يرى الطبيعة الإنسانية كشيء متغير وذو مرونة معقولة. كما يؤمن أدلر بأن النزعة المتحركة إلى الأمام والموجودة داخل الذات هي الحافز إلى التفوق وتتضمن أن معوقات النمو مفروضة بواسطة المجتمع بدلاً من فرضها من قبل الطبيعة الإنسانية نفسها! في نفس الوقت ومن خلال الذات الخلاقة، الكائنات البشرية تخلق إلى حد كبير شخصياتها! وفي النهاية، أدلر يتوقع احتمالية خلق مجتمع أحسن من خلال تهذيب اهتماماتنا الاجتماعية!

كما أكد أدلر على تطبيق نظرية الشخصية من خلال أدب وفن العلاج النفسي، معتقداً أنه من خلال الفهم الذاتي والتعليم يمكن لنا بناء عالم أفضل. فتأكيد أدلر على أن القوى الاجتماعية هي التي تشكل الشخصية ترك أثرة القوي على بعض القائلين بنظريات التحليل النفسي الاجتماعي اللاحقين مثل هورني وسوليفان وفرام حيث تأثروا بهذه الأفكار! كما أن مفاهيم وأفكار أدلر التفاؤلية تركت آثارها أيضاً على المدرسة الإنسانية في الفكر النفسي. إذن فأفكار أدلر وتطبيقاتها انتشرت حتى وإن كانت في بعض الأحيان لا تنسب إليه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملخص:

① علم النفس الفردي الذي أوجده أدلر يحمل تحولاً من التأكيد على الظواهر التي بداخل النفس أو الروح إلى التأكيد على الظواهر الشخصية التبادلية.

② يؤمن أدلر بأن الكائنات البشرية لديها محرض فطري لتكييف نفسها مع الظروف البيئية، وأطلق على هذا الحافز الاهتمام الاجتماعي، لكنه أكد على أن هذا الاهتمام ليس شيئاً أوتوماتيكياً بل أمر يجب تهذيبه.

③ مبدأ الغائية يعني أن الأفراد ميالين نحو أهداف تقود أو توجه سلوكهم! على كل هذه التفسيرات الفردية للعالم لا يمكن إثباتها ولكن يمكن تسميتها الغائيات التخيلية أو الوهمية. أدلر يرى أنه يجب الحكم عليهم من خلال فائدتهم ومنفعتهم.

④ الهدف الرئيسي للنفس هو النضال من أجل التفوق والذي يمثل الرغبة في أن يكون الشخص مؤهلاً وله أدوار فعالة ومؤثرة. هذا الكفاح يمكن أن يأخذ شكل اللهفة أو التوق المفرط للسلطة والقوة.

⑤ كأطفال، نحن نشعر بالنقص وهذه المشاعر تقودنا إلى البحث عن طريق نستطيع به التعويض عن نقاط الضعف فينا.

⑥ كل فرد يطور طريقة فريدة من الكفاح والجهاد من أجل التفوق تسمى أسلوب الحياة. هذا الأسلوب يتأثر بعوامل عدة مثل المجموعة العائلية أو الأسرية والجو الأسري.

⑦ أدلر ينظر إلى مفهوم الذات الخلاقة على أنه قمة مفاهيم نظريته والذات هذه تفسر الخبرات والتجارب وتبني أسلوب حياته، موقف أدلر يقوم على أن الذات الخلاقة هي أساساً نفس واعية وشعورية وجدد القول بأن الشعور هو مركز الشخصية (عكس ما ينادي به فرويد).

⑧ يهدف علاج أدلر إلى تجديد وعودة حس المريض بالواقع، فاحصاً وكاشفاً عن الأخطاء في أهدافه وأسلوب حياته ومهذباً ومتعهداً تلك الاهتمامات الاجتماعية. كما يؤمن أدلر بأن الذكريات المبكرة والأحلام تعتبر مصادر ممتازة

لجميع المعلومات عن الأشخاص المرضى.

⑨ نظرية أدلر تؤكد على وجهة نظر فلسفية بدلاً من محاولة دراسة الشخصية عملياً أو تطبيقياً. هو أيضاً قدم مساهمات رائعة للعلاج النفسي والتعليم وتربية وتنشئة الأطفال.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Alfred Adler wrote a number of books and articles. Since his writings were aften intended for a lay audience, they are relatively easy to understand. The classic introduction to Adlerian thought is The Practice and Theory of Individual Psychology (Harcourt, Brace, 1927). A shorter summary, «Individual Psychology». appears in C. Murchison (Ed.) Psychologies of 1930 (Clark University Press, 1930). Selections of Adler's writings have also been edited and presented by H. L. and Rowena R. Ansbacher (Basic Books, 1956, 1964).

For biographical data and an assessment of Adler's contemporary influence, the reader is referred to H. Orgler. Alfred Adler: The Man and His Work (New American Library, 1972); H. Musak (Ed). Alfred Adler: His Influence on Psychology Today (Noyes, 1973); M. Sperber, Masks of Loneliness: Alfred Adler in Perspective (Macmillan, 1974); and H. L. Ansbacher, Alfred Adler Revisited (Praeger, 1984).

الفصل الرابع
كيرين هورني: التحليل النفسي الاجتماعي
Karen Horney: Psychosocial Analysis

أهداف الفصل:

١ ـ وصف مفهوم هورني للقلق الأساسي أو تفسير كيف يختلف هذا المفهوم عن مفهوم فرويد.

٢ ـ تفسير كيف أن عشرة اتجاهات عصابية يمكن تلخيصها في ثلاث طرق للاتصال بالآخرين وثلاثة توجهات أساسية نحو الحياة.

٣ ـ التمييز بين الذات الواقعية والذات المثالية.

٤ ـ شرح العلاقة بين الذات الواقعية والمثالية في الأفراد العاديين والعصابيين والمغتربين.

٥ ـ مقارنة وجهات نظر هورني بوجهات نظر فرويد حول المرأة.

٦ ـ وصف عملية التحليل الذاتي.

٧ ـ تقييم نظرية هورني فيما يتعلق بوظيفتها كفلسفة وعلم وأدب.

كيرين هورني لم تحاول تطوير نظرية متكاملة في الشخصية، بل على الأصح هي ركزت على الجوانب العصابية للسلوك من أجل مساعدتنا في فهم لماذا نتصرف بهذه الطريقة. ومع أن هورني تدين بالكثير من أعمالها لأفكار فرويد إلا أنها جاهدت من أجل التغلب على ما وصفته بمحددات فرويد حيث أكدت على أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية والتقليل من دور العوامل البيولوجية.

السيرة الذاتية:

كيرين دانيلسون هورني ولدت في عام ١٨٨٥ م بجوار مدينة هامبورج في ألمانيا لعائلة ذات مستوى اجتماعي متوسط. والدها كان أصلاً من النرويج ووالدتها كانت من الدنمارك. عندما كانت طفلة تعودت كيرين على السفر مع والدها والذي

كان يعمل كقبطان في البحرية. وعلى الرغم من إعجابها بوالدها الصارم ذو الوجه المتجهم صاحب النظرات المحدقة المخيفة فكثيراً ما كان ينتقد ذكاؤها، وميولها وشكلها. كانت كيرين تقضي معظم وقتها مع والدتها التي كانت ديناميكية وجذابة وصاحبة تفكير حر. وقد انعكست بعض من هذه الشمائل على ابنتها كيرين والتي كانت مجدة ومخلصة مع والدتها على الرغم من شعورها في بعض الأحيان بأن والدتها تفضل أخاها الأكبر عليها. كما شجعتها والدتها على دراسة الطب في وقت كان الاتجاه لهذه المهنة مستغرباً. لم تكن العلاقات بين والديها ممتازة بل إنها في النهاية وصلت إلى حد الانفصال، فرحلت كيرين مع والدتها لمواصلة دراستها الجامعية في مدينة فريبرج. هورني في كتاباتها فيما بعد، كانت تؤكد على الدور الذي تلعبه البيئة المتوترة في خلق القلق، فنقص الحب والتشجيع ووجود الوالدين المتخاصمين وعوامل أخرى في هذه البيئة المضطربة تؤدي إلى بروز مشاعر من الرفض، وانعدام القيمة الذاتية، وظهور سمات للنزعة العدوانية. هورني تعترف بأنها عانت من هذه المشاعر في طفولتها وعملت بجد حتى حصلت على شهادة في الطب من جامعة برلين مما جعلها ترتبط بمعهد برلين للتحليل النفسي حيث عملت مع كارل أبراهام (Abraham) وهانز ساتشز (Sachs) واللذين كانا من المخلصين لمدرسة فرويد. في عام ١٩٠٩م تزوجت هورني من المحامي أوسكار هورني وخلفت ثلاث فتيات. ونتيجة لاهتماماتها المتعددة والتزاماتها الدائمة بحركة التحليل النفسي، انفصلت عن زوجها في عام ١٩٣٧م، مما جعلها فيما بعد تهتم بمشاكل وظروف الأمومة وسيكولوجية النساء. قضت هورني معظم حياتها في برلين ولكن في عام ١٩٣٢م غادرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بناء على دعوة وجهت إليها لتتولى منصب المدير المساعد لمعهد شيكاغو للتحليل النفسي، لتستمر هناك سنتين قبل انتقالها إلى مدينة نيويورك للعمل في عيادة خاصة بالإضافة إلى التدريس في معهد نيويورك للتحليل النفسي. كان حضورها للولايات المتحدة في فترة الكساد الاقتصادي حافزاً لها ودافعاً للتفكير في تأثير العوامل البيئية أكثر وأكثر من ذي قبل وتأثير ذلك في ظهور العصاب. إن المرضى هنا وبكل بساطة ليسوا مصابين بمشاكل جنسية ولكنهم يعانون من مشاكل تتعلق بالحصول على الوظائف وكيفية دفع وتسديد الالتزامات المالية التي تثقل كاهلهم. إن الضغوط الاقتصادية

والتعليمية والمهنية والاجتماعية بدت وكأنها - أو هي بالفعل - أكثر الأمور أو الأشياء إحداثاً أو تكويناً للسلوك العصابي. هذه المعتقدات والأفكار جعلتها تدخل في تناقض مع وجهات النظر التحليلية الفرويدية وتعمل على ترك تلك المدرسة وتأسيس (جمعية تقدم التحليل النفسي والمعهد الأمريكي للتحليل النفسي) حيث بقيت كعميد لهذا المعهد حتى وافتها المنية في عام ١٩٥٢ م نتيجة لمرض السرطان.

القلق الأساسي: (Basic Anxiety):

ترى هورني أن القلق هو الوضع الإنساني الأساسي والذي يجب أن نتعامل معه، لكن هورني بعكس فرويد لا تنظر للقلق كجزء من الوضع الإنساني، الذي لا يمكن اجتنابه، بل هي تعتقد أن القلق ولدته القوى الاجتماعية لا العوامل الإنسانية نفسها. فهي ترى أن التحدي الرئيسي لنا ككائنات بشرية هو القدرة على الارتباط بالناس بطرق فعالة ومؤثرة. والقلق الأساسي ينتج عن الشعور بعدم وجود الأمان في هذه العلاقات! بناء على مفهوم هورني عن القلق الأساسي، فإن البيئة ككل متكامل تعتبر مفزعة لأنه ينظر لها كشيء غير واقعي، خطر، غير محترم أو منصف. الأطفال بكل بساطة ليسوا خائفين من حوافزهم أو دوافعهم الداخلية أو من العقاب بسبب هذه الحوافز والدوافع، كما يرى ذلك فرويد في مفاهيمه عن القلق الأخلاقي والعصابي، لأنهم (أي الأطفال) يشعرون في أوقات كثيرة ان البيئة نفسها تعتبر تهديداً لنموهم ورغباتهم الداخلية. جملة من الظروف المتعددة أو الأوضاع السلبية في البيئة يمكن أن تولد فقدان الأمان الذي ينطوي على القلق الأساسي وهذه الأوضاع هي: السيطرة، العزلة، الحماية الزائدة، العدوانية، اللامبالاة، السلوك التسلطي، الإهانة والاستخفاف، الجدل الأبوي، انعدام الاحترام والتوجيه، انعدام التشجيع والعطف! مخاوف الأطفال ليست مخاوفاً غير واقعية بل حقيقية، ففي بيئة عدوانية، قدرة الأطفال على استخدام طاقاتهم وتطوير الاحترام والاعتماد الذاتي هي في الواقع قدرات معطلة، فالأطفال يمكن أن يصبحوا أشخاصاً مسلوبي القدرة والقوة لمواجهة تلك الانتهاكات المسلطة على بيئتهم. كذلك فالاعتماد والاتكالية البيولوجية للأطفال والخلل الذي يطرأ على البيئة الاجتماعية يمكن أن تجعل

الأطفال يبحثون عن المساعدة والدعم في مختلف الظروف والأوقات! مع أن الأطفال يمكن أن يتحملوا شيئاً معيناً من الإحباطات والصدمات، فإنه من الضروري أن يشعروا بأنهم في أمان واطمئنان في أحايين أخرى.

الاتجاهات العصابية : (Neurotic Trends):

تطور الناس اتجاهات دفاعية معينة أو استراتيجيات تسمح بالتكيف مع العالم وتحمل مستوى معيناً من الإشباع! نحن نستخدم هذه الاستراتيجيات لنقلل من مشاعر القلق وكذلك لتساعدنا في الاتصال والتعامل بفاعلية مع الآخرين. عندما تصبح هذه الاستراتيجيات غير مناسبة أو مبالغ فيها، يمكن أن يطلق عليها الاتجاهات العصابية. هذه الاتجاهات ليست غرائزية لكنها تعتمد إلى حد كبير على الوضع الذي يعيش فيه الشخص، فهورني تنتقد فرويد في نظرته للحاجات العصابية، كأشياء غرائزية أو مشتقة من الغرائز، فهي تجعل من العوامل البيئية مركزاً لنمو وتطور الشخصية. لقد وضعت هورني عشرة اتجاهات عصابية مختلفة تقودنا إلى اتخاذ ثلاثة أنواع من السلوك تجاه الآخرين. هذه الطرق والأنواع السلوكية الثلاثة هي :

① التحرك باتجاه الناس أو الآخرين (Moving toward) (اتجاه اجباري).
② التحرك في اتجاه معاكس للناس والآخرين (Moving against) (اتجاه عدواني).
③ التحرك بعيداً عن الناس والآخرين (Moving away) (اتجاه انفصالي).

هذه الأنواع الثلاثة من السلوك تؤدي بنا إلى ثلاثة أساليب من التوجهات الأساسية نحو الحياة وهي :

① حل الطمس الذاتي (Self - effacing solution) أو الاستعانة وطلب محبة الآخرين ورضاهم .
② حل التمدد الذاتي (Self - expansive solution) أو الكفاح من أجل التفوق والإجادة والزعامة .
③ حل التنازل أو الاستقالة (Resignation solution) أو الرغبة في أن يكون متحرراً من سلطة الآخرين .

الأفراد العاديون أو الناضجون يحلون صراعاتهم عن طريق خلق تكامل وتوازن بين هذه الاتجاهات الثلاثة والتي نجدها في كل العلاقات الإنسانية، كما أنه يمكن للأصحاء التعبير عن كل طريقة في الوقت المناسب. أما العصابيون فيعبرون عن طريقة واحدة على حساب السمات الأخرى لشخصيتهم، فنجدهم بطريقة لا شعورية يكبتون النزعات التي تأتي كردة فعل للتوجهات الأخرى. هذا الكبت بالطبع، ليس إجراءاً ناجحاً لأن النزعة المكبوتة تستمر في البحث عن مجال التعبير وتزيد من حدة وشدة قلق العصابيين. إذن فالعصابيون يحولون النضال العادي إلى نضال وكفاح مرضي. انظر الجدول أدناه والذي يلخص الاتجاهات العصابية العشرة والأساليب أو الطرق الثلاثة في العلاقة بالآخرين وكذلك التوجهات الأساسية نحو الحياة.

الاتجاهات العصابية	الأساليب والطرق الرئيسية في الارتباط بالآخرين	التوجهات الأساسية نحو الحياة
ـ الحاجة المبالغ فيها للحب والقبول ـ الحاجة إلى شريك مسيطر أو متسلط ـ الحاجة المبالغ فيها للقوة. ـ الحاجة إلى اضطهاد الآخرين ـ الحاجة المبالغ فيها للاعتراف الاجتماعي والمكانة الاجتماعية. ـ الحاجة المبالغ فيها للإعجاب الذاتي ـ الطموح المبالغ فيه للتحصيل الذاتي ـ الحاجة إلى حصر حياة الفرد داخل حدود ضيقة. ـ الحاجة المفرطة للاكتفاء الذاتي والاستقلالية. ـ الحاجة إلى الكمال والأمان المطلق	التحرك باتجاه الآخرين: قبول عجز الواحد وإذعانه التحرك باتجاه معاكس للآخرين: عصيان ومقاومة الآخرين من أجل حماية نفسه من البيئة التي تهدده التحرك بعيداً عن الآخرين: عزل النفس من أجل عدم الالتزام أو التدخل في الآخرين	ـ حل الطمس أو المحو الذاتي أو مناشدة الآخرين الحب. ـ حل التوسع الذاتي: أو البحث أو الكفاح من أجل التفوق أو الإجادة التامة حل الاستقالة الرغبة في الحرية والاستقلال عن الآخرين الحاجة إلى اضطهاد الآخرين

الذات المثالية : (Idealized Self):

فرقت هورني أيضاً بين مفهومي الذات الواقعية والذات المثالية. فهي ترى إن الذات الواقعية تمثل واقع الشخص بالفعل، بينما الذات المثالية تمثل ما يعتقده الشخص ويفكر أن يكون عليه وتستخدم كنموذج يساعدنا في تطوير طاقاتنا وتحقيق ذواتنا. إن تكوين الذات المثالية سمة عالية لكل فرد منا، فأنا في محاولتي أن أكون مدرساً مؤهلاً أضع نموذجاً ومثالاً لما يجب أن يكون عليه المدرس الفعال. في الشخص العادي، الذات المثالية والذات الواقعية يتزامنان ويتداخلان إلى حد كبير لأن الذات المثالية مبنية على تقييم واقعي لقدرات وطاقات الفرد. لكن الوضع في العصابيين يختلف حيث إن الذات الواقعية والذات المثالية منفصلين!

الشخص العادي هو القادر فقط على إدراك وتطوير هذه السمات من الذات الواقعية والتي تتداخل وتتطابق مع السمات المثالية. إذن، فالعصاب عندما يصبح شديداً فمعنى ذلك أن مقداراً كبيراً من طاقات وقوى الذات الواقعية يمكن أن تظهر وتبدو غير قابلة للتهذيب أو الإصلاح!

في العصاب المفرط، يمكن أن يتخلى الفرد بالكامل عن الذات الواقعية من أجل الذات المثالية حيث أطلقت هورني على هذا الوضع (الاغتراب) وفيه نجد

الشخص بتقمص الذات المثالية في شكل عصابي وبالتالي يفقد مصدر قوته الحقيقي، فمصدر قوتنا يأتي من واقعية وحقيقة تكويننا. مثلاً هل يفترض في الفرد لكي يكون شخصاً طيباً أن يتخلى إلى الأبد عن الشعور بالحسدوالحقد. لأن ذاته المثالية لا تتضمن مشاعر الحسد هو يمكن ألا يكون قادراً على الاعتراف بمشاعر الحقد التي تظهر، إذن، فالجزء من ذاته الواقعية الذي لا يعاني من مشاعر الحسد قد أنكر وتم تجاهله، الفرد هنا يصبح غريباً على جزء من ذاته ولعل أفضل تصوير لوجهة نظر هورني هو أن: الأفراد العاديين بصفة عامة سعداء في حياتهم اليومية أما العصابيين فهم تعساء في حياتهم اليومية فهم لا يعملون كما يجب، بل إن البعض منهم يتخلى عن وظائف ومهام الحياة اليومية ويتجهون إلى العيش في الأوهام!

مفهوم هورني للذات المثالية يمكن النظر له كتنقيح بناء أو تصحيح لمفهوم فرويد عن الأنا المثالية حيث تراها مصدراً للافتخار والاعتزاز وتزودنا بمفهوم من نكون أو من نعتقد أننا يجب أن نكون. إذن فمفهوم هورني ما هو إلا تكريس وتأكيد على المفهوم الفرويدي لكنها ترفض الأساس الغرائزي للمفهوم الفرويدي حول الأنا الأعلى المشتق من غريزة الهدم الذاتية. هورني تؤكد على القوى الاجتماعية التي تؤثر على نمو الذات المثالية كما أنها لا تنظر للذات المثالية كتكوين خاص داخل الأنا، لكن هي تنظر لها كحاجة خاصة للفرد من أجل- الاستمرار مع أشكال الكمال. هي أيضاً أشارت إلى أن الحاجة للاحتفاظ بالذات المثالية الغير واقعية، لا تتضمن ببساطة كبت القوى والمشاعر السيئة في الذات. هي أيضاً تتضمن كبت مشاعر قيمة ومنطقية تم كبتها لأنها يمكن أن تهدد القناع. كبت المشاعر والانفعالات الجنسية والعدوانية والتي يعتقد أنها اجتماعياً غير مرغوبة، هي دوماً تحمل معها كبت للمشاعر الحيوية والرغبات والأحكام الشرعية أو المنطقية البناءة للنمو الفردي.

علم النفس الأنثوي: (Feminine Psychology):

كان اهتمام هورني بعلم النفس الأنثوي ملحوظاً وقد يكون السبب في إثارته ما لاحظته هورني من ملاحظات اكلينيكية معينة تتناقض مع مفاهيم نظرية فرويد عن اللبيدو! فرويد في تفسيره لمفهوم النمو اللبيدي يرى أن الأنشطة والاتجاهات

الجنسية تبدو كعمليات غرائزية ولا يمكن تجنبها فهي إذن لا تتأثر بالثقافة أو المجتمع. هورني ترى أن الرجال والنساء يطورون أحلاماً وخيالات في محاولاتهم للتكيف مع الوضع الأوديبي، كما تذكرنا هورني أن عدداً من الرجال والأولاد يحسدون المرأة على قدرتها على الحمل والعناية بالأطفال وحضانتهم.

كما تحدثت هورني عن ظاهرة حسد الرحم (Womb envy) وحسد القضيب (Penis envy) حيث ترى أنهما مكملان لبعضهما البعض وظهور هذه الاتجاهات لا يعكس بالضرورة نمواً غير مرضي أو انفعالات ضارة بل على الأصح يظهر في شكل جذاب مشترك يحمله الجنسان (الذكر والأنثى) لبعضهما.

وترى هورني ان جوهر الحياة الجنسية موجود في طاقاتها الإبداعية البيولوجية، بل هي تذهب إلى القول بأن الدور الأعظم في الحياة الجنسية يتبع للمرأة لأنها هي وحدها القادرة على الحمل ورعاية الأطفال وتنشئتهم وحضانتهم. استعداد المرأة وقدرتها على القيام بمهام الأمومة يبرهن على تفوقها المطلق وهو تفوق يعترف به الرجل ومن هنا ينشأ الحسد الشديد كلاهما الرجل والمرأة لديهما الدافع للعطاء والإنتاجية والإبداع، فالمرأة تستطيع إرضاء هذه الحاجة طبيعياً من خلال الإنجاب، بينما الرجال يشبعون حاجتهم بطريقة غير مباشرة فقط وذلك من خلال ما يحققونه من إنجازات في محيطهم الاجتماعي. إذن فهورني ترى أن الإنجازات الرائعة للرجال في العمل أو أي مجال إبداعي آخر يمكن النظر لها كتعويضات في عدم قدرتهم على الحمل وحضانة الأطفال. إحساس المرأة بالنقص ليس شيئاً خطيراً ولكنه أمر مكتسب، ففي المجتمع الروماني كان للاتجاه السائد دوره في سيطرة الرجل وإقناع النساء بعجزهن وضعفهن ولكن هذه تبقى أموراً ثقافية وعوامل اجتماعية تعمل على تشكيل النمو ولكنها ليست بالتأكيد عوامل بيولوجية! كما ترى هورني بأن عدم التجاوب الجنسي (Sexual unresponsiveness) لا يمثل الاتجاه العادي للنساء ولكنه يأتي كنتيجة للعوامل الثقافية، فمجتمعنا كما هو معروف مجتمع رجالي لذلك فهو في الغالب غير مسئول أو مذعن للكشف عن فردية المرأة.

على الرغم من أن علم نفس هورني الأنثوي، والذي يعتبر إلى حد كبير

تناقضاً مباشراً مع نظرية فرويد، قد لقي انتقاداً من أولئك الذين لا يوافقون على أن جوهر تكوين المرأة موجود في الأمومة، إلا أنه يمكن القول أن مساهماتها في علم النفس الأنثوي كانت قيمة فلا يمكن لأحد أن يغفل الجهاد المستمر والكفاح المتواصل لهورني بقصد حل بعض المشاكل التي تواجه النساء في الثقافات المعاصرة ونجاحها في مجال العمل والتخصص المهني.

التحليل الذاتي:

التحليل النفسي في بداية تطوره كان بمثابة طريقة طبية لعلاج الاضطرابات العصابية ولكن هورني ترى أنه يمكن استخدامه كعامل مساعد لنمو الشخصية العادية. من خلال عملية التحليل الذاتي، مكاسب هامة يمكن تحقيقها في الفهم الذاتي وفي تحرير الكائنات البشرية من العبودية والصراعات الداخلية التي تعرقل نمو الطاقات الكامنة. وعلى الرغم من أن هورني تعترف بأن التحليل الذاتي صعب ومؤلم، لكنها تؤمن بأنه ممكن. فالعالم الذي يعيش فيه الواحد منا مألوف لدينا لأنه عالمنا، وبذلك نحن نستطيع فهمه أكثر من أي ملاحظ خارجي آخر. على الرغم من أن عدداً منا صار غريباً على جزء من عالمنا ولديه رغبة في ألا يرى تلك الأجزاء، فالحقيقة تبقى أن ـ المعرفة بعالمنا ميسرة لنا، بملاحظة واختبار ملاحظاتنا ونستطيع أن نحقق تقارباً مع تلك السمات التي تجاهلناها في عالمنا، أما بالنسبة لأولئك النقاد الذين يرون أن التحليل الذاتي يحمل بعض الخطورة فترد عليهم هورني مشيرة إلى أن المزايا التي يمكن أن تنشأ أو تستنتج من التحليل الذاتي ترجح أو تعدل بأي مخاطر محتملة. إن احتمال الخطورة في عملية التحليل الذاتي منخفض إلى أدنى حد لأن الفرد الذي يحاول تحليل نفسه سوف يفشل ببساطة في عمل الملاحظات التي يمكن ألا تحتمل وتقود إلى تفكك في الشخصية. وفي الوقت الذي لا يمكن فيه اعتبار التحليل الذاتي بأي حال من الأحوال بديلاً مناسباً للتحليل المهني للعصاب، إلا أنه من المؤكد ان فوائده المحتملة تؤهله للاستخدام. من الظواهر الشائعة في استخدامات التحليل الذاتي لتلك الطالبة التي تفشل في الاختبار الذي تعتقد بأنه كان اختباراً يتسم بالصعوبة يمكن أن تسأل نفسها عما إذا كانت قد استعدت لهذا الاختبار الاستعداد المناسب. كذلك الفرد الذي يستسلم

للآخر في مناقشة كلامية يمكن أن يسأل ما إذا كان قد استسلم لأنه مقتنع بوجهة نظر المناقش الآخر وتفوقها على وجهة نظره أو بسبب خوفه من نقاش أو جدل محتمل. إذن فكل فرد منا يدخل ويجرب التحليل الذاتي عندما يحسب أو يعيد تلك الدوافع وراء السلوك أو التصرف الذي قام به في حياته اليومية.

التحليل الذاتي النظامي يختلف عن التحليل الذاتي العرضي في الدرجة لا في النوع، فالأول يوظف أداة التداعي الحر يتبعها انعكاس على ما يعتقده الفرد وتحليل للمقاومة الهادفة إلى الاحتفاظ بالوضع الراهن. إن استبصار الشخص بذاته يحرر تلك الطاقات التي كانت في السابق مقيدة ومرتبطة باتجاهات عصابية أبدية من أجل عمل تغيرات بناءة.

نظرية هورني: الفلسفة، العلم، الأدب.

تعد هورني من الموهوبين في مجال الملاحظة كما أنها لعدة مرات نقحت وفحصت وألغت بعضاً من ملاحظاتها ونظرياتها على ضوء ما يستجد من شواهد وملاحظات، كما إنها تؤكد على أن أساليب معينة في العلاج تحمل معها تغيرات محتملة ومرغوبة في السلوك، تغيرات يمكن ملاحظتها من خلال عملية العلاج إن لم يكن في التجربة المخبرية الصارمة. لقد شاركت هورني في عملية إجراء أبحاث علمية لإيمانها بأن طريقتها في العلاج والبحث يجب أن تبقى مفتوحة للدحض والتجربة العلمية، ولأن أفكارها أيضاً لا تعرض نفسها ببساطة للاختبارات الموضوعية، فإن نظريتها لم تولد تجارب معملية كثيرة.

حقيقة إن هورني لم تكن ميالة إلى حد كبير في التفكير المجرد، ولكن نظريتها لا تعكس التزامات فلسفية عميقة كما هو الحال في اعتقاداتها في عملية النمو والتحرك الأمامي والنظرة التفاؤلية للطبيعة الإنسانية. إن الافتراضات الفلسفية التي تدعم عملها عميقة وقوية كما كانت مساهماتها في أدب العلاج النفسي على وجه الخصوص قيمة، فأساليبها العلاجية ونظريتها تم تطبيقها وتكييفها بواسطة عدد من العاملين في العيادات النفسية، كما ان عدداً من أساليبها والسمات العلاجية التي استخدمتها تمت مناقشتها في الأدب الفرويدي المعاصر كإضافات جديدة للتحليل النفسي.

لقد انتقدت هورني ببساطة لتكريسها على مفاهيم ضمنية تم التعبير عنها في كتابات فرويد، لكن هذه التكريسات أو التأكيدات تحتوي على مساهمات جديدة أو أصيلة وقيمة. هورني وضحت الأنا المثالية وكذلك مفهومها عن الاتجاهات العصابية وميكانيزمات الدفاع الفرويدية كما زودتنا بمعلومات ومعارف في علم النفس الأنثوي. هذه الإسهامات الجوهرية للتحليل النفسي يجب علينا عدم التقليل من شأنها على الإطلاق!

ملخص:

١- تصف هورني القلق الأساسي على أنه القلق الناتج من مشاعر عدم توفر الأمان في العلاقات الشخصية المتبادلة على العكس من فرويد فهي لا تؤمن بأن القلق جزء لا يمكن اجتنابه في الطبيعة الإنسانية.

٢- القلق الأساسي ينعكس ويظهر في عشرة اتجاهات عصابية تقود إلى ثلاث طرق أو أساليب تحدد كيفية ارتباط الشخص بالآخرين (التحرك باتجاه الآخرين، التحرك ضد الآخرين، والتحرك بعيداً عن الآخرين) كما تقود هذه الاتجاهات إلى ثلاثة توجهات رئيسية نحو الحياة وهي حل الطمس أو الإلغاء الذاتي، حل التفتح الذاتي وحل التنازل.

٣- الذات الواقعية تمثل ما يكون عليه الشخص فعلاً، بينما الذات المثالية ما يفكر أو يعتقد الشخص بأنه يجب أن يكون عليه.

٤- في الفرد العادي تتطابق الذات الواقعية مع الذات المثالية وتتداخل إلى حد كبير لكن في الأفراد العصابيين نجدهما منفصلتين. في الحالات المتطرفة من الاغتراب، الشخص يمكن أن يتخلى بالكامل عن ذاته الواقعية من أجل الذات المثالية.

٥- وجهة نظر هورني في النساء تعتبر إلى حد كبير تناقضاً صريحاً مع آراء فرويد، ففي حين يقترح فرويد أن حسد القضيب موجود لدى المرأة تشير هورني إلى أن ظاهرة حسد الرحم موجودة لدى الرجل أيضاً. كما أن هورني أكدت على تفوق النساء وقدرتهن على الأمومة وحضانة الأطفال، كما تشدد على أن شعور النساء

بالنقص ليس شيئاً فطرياً بقدر ما هو مكتسب.

٦ أكدت هورني ان التحليل الذاتي صعب لكنه غير مستحيل فهو يتضمن محاولة جادة وعملية لفصم الذات معتمدين على أسس عادية وطبيعية.

٧ يعتبر إسهام هورني في أدب العلاج النفسي هو أعظم ما ساهمت به في هذا المجال مجال علم النفس والشخصية.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Karen Horney's writings, clear and easy to read, have attracted a large lay audience. New Ways in Psychoanalysis (Norton, 1939) describes Horney's disagreement with Freudian theory: her belief that its stress on instinctual determinants is one - sided and needs to be rounded out by the consideration of cultural and social elements. The Neurotic Personality of Our Time (Norton, 1937), Our Inner Conflicts (Norton, 1945), and Neurosis and Human Growth (Norton, 1950) outline Horney's theory of neurosis. Identifying ten neurotic needs in the earliest book, Horney's thought develops through the concept of three modes of relating to others and, later, three basic orientations to life, In the last book, Horney introduces the concept of the idealized self. Her writings on the psychology of women have been brought togetter in Feminine Psychology (Norton, 1967). Self - Analysis (Norton, 1942) familiarizes the lay person with the methods and techniques of psychoanalysis. It is an invaluable work for any individual who is interested in pursuing his or her own self - understanding through analysis.

الفصل الخامس

الطب النفسي الشخصي المتبادل: هاري ستاك سوليفان

Harry Stack Sullvian: Interpersonal Psychiatry

أهداف الفصل:

١ ـ تحديد مركز الاهتمام في نظرية سوليفان عن الشخصية!

٢ ـ تفسير كيف يعرف سوليفان الشخصية وبيان لماذا ينظر لها كفرضية.

٣ ـ مقارنة مفهوم سوليفان عن القلق بغيره من النظريات.

٤ ـ وصف وجهة نظر سوليفان حول القوى اللاشعورية.

٥ ـ مقارنة فكرة سوليفان عن العمليات الأمنية بمفاهيم فرويد عن ميكانيزمات الدفاع.

٦ ـ تعريف وأمثلة لمذهب الديناميات (Dynamisms).

٧ ـ تعريف وأمثلة لمفهوم التجسيدات الشخصية (Personifications).

٨ ـ تحديد مراحل نمو الشخصية كما يراها سوليفان.

٩ ـ وصف العمليات المعرفية الثلاث والتي من خلالها نختبر العالم.

١٠ ـ شرح كيف أن مفهوم ملاحظة المشارك (Participant Observation) يحدد طبيعة طريقة سوليفان في العلاج ووصف أربع مراحل من المقابلة الطبية النفسية.

١١ ـ تقييم نظرية سوليفان فيما يتعلق بوظيفتها كفلسفة وعلم وأدب.

يؤكد سوليفان على أهمية طبيعة العلاقة الشخصية التبادلية وذلك بتزويدنا بالنظرة غير العادية في تلك الطرق التي بها نتفاعل مع الآخرين حيث يؤمن سوليفان بأنه لا يمكن دراسة شخصية الفرد في معزل، لأننا لا نعيش منفصلين ومستقلين عن الأشخاص الآخرين، لذلك فقد حدد بعضاً من ديناميكيات العلاقة الشخصية

المتبادلة وتأثيرها على نمو الشخصية، وذلك على الرغم من الصعوبات التي واجهها خلال حياته المرتبطة بعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين. هذه المشاكل وما ولدته من عزلة للرجل جعلته يطور بإبداع نظريته وساهمت في حساسيته المفرطة في فهم الآخرين والعمل معهم.

حياته الخاصة:

ولد هاري ستاك سوليفان في عام ١٨٩٢ م في نورويتش (Norwich) في ولاية نيويورك حيث كان هو الطفل الوحيد الذي بقي على قيد الحياة لمزارع كاثوليكي إيرلندي كان يجاهد لتزويد ابنه الصغير بالحاجات الضرورية والأساسية لكي يعيش. نشأ هاري ستاك خجولاً، أخرقاً في تصرفاته لا يعرف المرونة في تعامله لذا نجده قد واجه صعوبات في التكيف مع أطفال الحي الذي كان يقطنه والذي يشكل البروتستانت المتعصبين غالبية سكانه. وعلى الرغم من أن سوليفان يرى أن الفروق الدينية والعنصرية كانت من الأسباب الرئيسية لتكوين مشاعر العزلة التي سيطرت عليه كطفل إضافة لتلك الصعوبات الشخصية التي خلقتها ظروف المنزل والأسرة جنباً إلى جنب مع الظروف الدينية والعرقية لتتكالب كل هذه الظروف وتؤثر بشكل ملحوظ على نمو شخصية سوليفان. لم يكن سوليفان على علاقة طيبة مع والده حيث كان يصفه في بعض كتاباته بـ (الأب ذو الصمت العجيب). والدته كانت هي الشخص المؤثر والمهم في شخصيته فهي دائمة التشكي كثيرة المطالب، تعتد بخلفيتها الاقتصادية والاجتماعية وتثير موضوع تنازلها عن تلك المكانة الاجتماعية في الطبقة الوسطى وذلك بقبولها الزواج من ستاك ـ والد سوليفان ـ الذي ينحدر من طبقة اجتماعية فقيرة. لقد كان أكثر ما يضايق ابنها هو تغنيها الدائم ورواياتها المكررة عن مستوى عائلتها الاقتصادي، والاجتماعي وأحلامها الخيالية والغير واقعية!

وعندما بلغ سوليفان سن الثامنة والنصف كون علاقة مع مراهق يكبره بخمس سنوات تقريباً ومن الواضح أن هذه العلاقة كان لها خصائص جنسية شاذة ظاهرة وواضحة، وذلك لأنه كتب فيما بعد أن أي علاقة وطيدة بين طفل صغير وشاب مراهق من نفس الجنس لا بد وأن تقود إلى الشذوذ الجنسي، كما اعترف سوليفان وكشخص راشد ويامتعاض بأنه لم يكن له علاقات جنسية عادية مع الجنس

الأخر. وبعد تخرج سوليفان من الثانوية العامة بامتياز نال منحة دراسية تخوله الالتحاق بجامعة كورنيل وبتشجيع من أحد مدرسيه قرر أن يصبح فيزيائياً من أجل أن يرتفع مستوى دخله ويبتعد عن فقره وجوعه. في جامعة كورنيل لم يوفق سوليفان حيث انخفض معدله الأكاديمي وتم فصله في العام الثاني بسبب فشله في تحقيق المعدلات الأكاديمية المطلوبة، خلال السنوات الست اللاحقة جمع سوليفان بعض المال الذي أهله للالتحاق بكلية الطب والجراحة بشيكاغو وهي مدرسة هزيلة حيث أطلق عليها سوليفان فيما بعد مسمى (معصرة الشهادات) (Diploma Mill) موضحاً أنها تمنح درجات علمية بقدر ما يدفع الفرد من أجور دراسية ومالية وليس بناءً على الأداء العلمي الأكاديمي وبالمناسبة فلقد أغلقت تلك المدرسة عام ١٩١٧ م وهي نفس السنة التي تحصل فيها سوليفان على درجته العلمية منها. هذه الخلفية العلمية التي حصل عليها سوليفان تركت آثاراً ضارة على حياته فيما بعد، فهو لم يتعلم الكتابة الجيدة ولم يكن لديه تدريب جيد في البحوث والطرق العلمية المطلوبة لها كما انه لم يحصل على أي تدريب رسمي في الطب النفسي. إذن فقد كانت هناك بعض الفجوات في معرفته الطبية كما أنه كان جاهلاً بالكثير من الموضوعات الثقافية ولكن مع ذلك عمل سوليفان بكل عزيمة وحماس لتثقيف نفسه وكسب معارف جديدة ، كما إن عدم توفيقه في منهج التعليم الرسمي قد حرره من بعض الاتجاهات والنزعات التي كانت تتحكم في التعليم المألوف أو المحدد.

ولقد دخل سوليفان مجال الطب التفسي وعمره ثلاثين سنة وذلك عندما تم تعيينه كأحد موظفي مستشفى سانت إليزابيث للصحة العقلية في واشنطن، حيث استطاع في هذه المنشأة تطوير معارفه في الطب النفسي من خلال عمله مع المرضى وغيرهم من العاملين ومشاركاته في المحاضرات والندوات والحالات السريرية، لدرجة أنه فيما بعد اعتبر مرضاه هم مدرسيه الرئيسيين. وفي عام ١٩٢٣م انتقل سوليفان إلى مستشفى (شيبرد) في بالتيمور حيث استطاع مقابلة الأطباء النفسيين الأمريكيين المرموقين ، وفيما بعد أصبح أحد مدرسي كلية الطب في جامعة ماريلاند.

في عام ١٩٣٠ م انتقل سوليفان إلى نيويورك ليبدأ عمله الخاص كطبيب نفسي، كما حصل على ما يعادل ثلاثمائة ساعة من التحليل النفسي الشخصي. وفي عام ١٩٣٣ م ساهم في إنشاء مؤسسة خيرية باسم (وليام الانسون) والذي كان له تأثير كبير على أعمال سوليفان. حيث كان هذا الشخص طبيب عصبية ونفسية. كما أنشأ مجلة الطب النفسي لنشر أفكاره ووجهات نظره. في أواخر أيامه عمل كمستشار لمنظمة اليونسكو، كما كانت له مساهمات في الحقل السياسي والصراعات الاجتماعية الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان من أول المحللين النفسيين الذين اهتموا بموضوع ومشاكل السود. توفي سوليفان في عام ١٩٤٩ م في مدينة باريس حيث كان يحضر اجتماعات الاتحاد العالمي للصحة النفسية والذي نادى بشجب استخدام الأسلحة النووية.

أسس الشخصية :

يعرف سوليفان الشخصية بأنها الطرق المتميزة والتي يستطيع من خلالها الفرد التعامل مع الآخرين. وهو بذلك يؤمن بأنه من غير المفيد أو المجدي أن نعتقد في الفرد كموضوع للدراسة السيكولوجية حيث أن الفرد يتطور ويعيش فقط في بيئته في علاقات مع الناس الآخرين. إذن فهو يرى ان العلاقات الشخصية المتبادلة تشكل البناء الأساسي للشخصية. إن مفهوم الشخصية بالنسبة لسولفيان يعتبر فرضية، فهو يرى بأنه مفكرة تخيلية تستخدم لتفسير سلوكيات معينة، كما يعتقد سوليفان أنه من الخطأ اعتبار الشخصية تكويناً مفصولاً عن الأوضاع الشخصية التبادلية التي تظهر فيها. إذن فتعريف سوليفان للشخصية يؤكد على العناصر التطبيقية والتي نستطيع مباشرة ملاحظتها فنحن نستطيع أن نرى ونسمع ونشعر أن الشخص قريب من الآخرين بطرق معينة كما هو الحال في الأسلوب المسيطر أو السلبي.

القلق والعمليات الأمنية :

القلق مفهوم رئيسي وهام في نظرية سوليفان كما هو الحال مع فرويد وهورني. سوليفان ينظر للقلق على أنه أي شعور أو انفعال مؤلم يمكن أن يظهر من

الحاجات العضوية أو من فقدان الأمن الاجتماعي. سوليفان مثله مثل هورني يؤكد على أن القلق يسببه عدم توفر الأمان الاجتماعي فينظر له كشيء شخصي تبادلي في الأصل. ولقد أكد سوليفان أيضاً على تميز القلق وبأنه شيء يمكن وصفه وملاحظته بالتعرف على المظهر وردود الفعل الجسمانية أو حتى بقياس التغيرات الفسيولوجية التي تشير إلى وجود القلق مثل ضربات القلب، أو ضغط الدم. والقلق كما يراه سوليفان شيء شخصي تبادلي في الأصل فالمشاعر الأولى للقلق يتم تحويلها من الأم التي تهتم برعاية وتربية طفلها وتظهر اهتمامها وهمها حول مرضه والحوادث التي تقع عليه. هذه المشاعر القلقة يدركها ويشعر بها الطفل. من وجهة نظر معتدلة، القلق يعمل كنظام تحذيري يحفز ويدفع الفرد للبحث عن قياسات فعالة لتخفيض التوتر. بصورة أوسع، القلق يربك الواحد ويتركه عاجزاً عن تقديم حلول فعالة وذلك بتحديد مقدرة الشخص على ملاحظة ما يحدث وبالتالي تجنب إعادة الأخطاء.

في علاقاتنا مع الآخرين، نحن نعي إلى حد كبير ما نفعله أما لماذا نفعل ذلك فنحن إلى حد ما لا نعي هذه الأشياء ومن ثم سوليفان يقدر ويحترم عدم وعي الفرد أو شعوره ببعض سلوكياته أو دوافعه، ويمكن التأكد من وعي الفرد أو فقدانه لذلك من خلال التحدث معه ثم ملاحظة تصرفاته وذلك مع مراعاة أن الأفراد يختلفون فيما بينهم في هذه القدرة وذلك لأن الوعي بالعلاقات الشخصية التبادلية يختلف من شخص لآخر. كما أن بعض سماتنا السلوكية يمكن إدراكها والانتباه لها في حين ان البعض الآخر قد لا ينال نفس القدر من الاهتمام وبناء على ما سبق؛ فإن مفهوم الوعي واللاوعي له فوائده التطبيقية والعلمية وبخاصة في عمليات التعليم وذلك لأن عدم قدرتنا على الوعي بعلاقاتنا التبادلية بغيرنا سوف يسهم في صعوبة تعلم أي شيء مهم بينما على العكس من ذلك يساهم ارتفاع الوعي بالعلاقات التبادلية في تعديل وتطوير أو تغيير الكثير من سلوكياتنا. من أجل أن نخفض القلق ونعزز الأمان، نقوم بتطبيق عمليات أمنية نحن في العادة لا ندركها أو نعيها، العملية الأمنية هي أداة شخصية تبادلية يستخدمها الشخص للتخفيض من القلق إلى الحد الأدنى. هذه العمليات الأمنية يمكن أن يكون لها آثار سلبية أو إيجابية، فهي تعتبر

صحية إذا كانت تزيد من مستوى الأمان والاطمئنان لدينا دون تعريض كفاءتنا في علاقتنا الشخصية التبادلية للخطر، ولكنها غير صحية إذا زودتنا بالأمان والاطمئنان على حساب تطوير مهارات شخصية تبادلية فعالة. العمليات الأمنية غير الصحية تبلد قلقنا بوضوح، بل انها قد تقود إلى انفعالات مؤلمة أخرى وأمراض نفسية جلي. من هذا المنطلق نلاحظ التوازن بين فكرة سوليفان عن العمليات الأمنية ومفهوم فرويد عن ميكانيزمات الدفاع، فكلاهما عمليات لاشعورية ووسائل نخفض بها قلقنا، ولكن الفرق الرئيسي بينهما يظهر في تأكيد سوليفان على ما يلاحظ وما يتم تبادله وتكوينه بطريقة شخصية، أي إن تأكيدات سوليفان ليست على النشاط النفسي الداخلي مثل الكبت ولكن تركيزه على الطريقة التي تجعل الشخص منفصلاً عن سمات معينة في تجربته وخبرته في العالم! سوليفان يشير إلى أن العمليات الأمنية ليست عمليات غير ملحوظة تتكون داخل الفرد ولكنها عمليات يمكن لنا ملاحظتها عندما تظهر في وسط العلاقات الشخصية التبادلية في أوضاع بسيطة، العمليات الأمنية يمكن إدراكها بوضوح لكن في أوضاع معقدة، قد نستطيع تخيلها فقط.

وتتمثل بعض من هذه العمليات الأمنية التي وضعها سوليفان في التسامي، فالطفل مثلاً يظهر غضبه لفظياً بدلاً من ضرب أو رمي الشيء محط غضبه. كما نعرف فهذا أحد ميكانيزمات الدفاع الفرويدية ولكن سوليفان يعتقد أنه يتضمن تأكيداً على تعلم كيف تسلك وتتصرف في الأوضاعه الشخصية التبادلية.

أما بالنسبة للغفلة الاختيارية (Selective inattention) كعملية أمنية فهي الفشل في ملاحظة بعض العوامل في العلاقة الشخصية التبادلية والتي يمكن أن تكون سبباً في القلق، فالزوج قد لا يلاحظ مغازلات أو غزل زوجته لرجل آخر لأن هذه الأنشطة تهدد احترامه وتقديره الذاتي. سوليفان ينظر لعملية الغفلة الاختيارية كعملية أمنية خطيرة وقوية جداً، لدرجة أنها مثلاً قد تحجب عنا رؤية ما يدور في عالمنا وتجعل من الصعب علينا التكيف مع هذه الأحداث بفعالية!

تطور الشخصية:

يؤكد سوليفان على أن الشخصية تظهر كنتيجة لتفاعلات الشخص مع بيئته، فمن خلال عدد لا حصر له من المواقف الاجتماعية نصبح واعين بأنفسنا وبكيفية

ارتباطنا بالناس الآخرين. فنحن يمكن لنا ملاحظة عمليات معينة في العلاقات الشخصية التبادلية وهي التي يمكن استخدامها لوصف تطور شخصياتنا هنا ستحدث عن عمليتين رئيسيتين هما:

١ - الديناميات (Dynamisms).

٢ - التجسيدات الشخصية (Personifications).

١ - الديناميات:

الديناميات هي نمط من تحول الطاقة الذي يميز علاقات الفرد الشخصية التبادلية فالديناميات تنتج من خبرات مع الناس الآخرين، عدد من هذه الديناميات التي وصفها سوليفان تستخدم منطقة جسمانية معينة ترتبط فيها أو عن طريقها بالبيئة. وهذا يذكرنا بتركيز فرويد على أهمية المناطق الجسمانية، مع التأكيد على أن عمل سوليفان يختلف عن فرويد حيث يرفض فكرة نيوتن الميكانيكية عن الكون فيما يتعلق بالأشياء والقوى المادية، ويستبدل كل ذلك بنظرة القرن العشرين الفيزيائية للكون على أنه تدفق وتحول للطاقة.

فبالنسبة لفرويد مثلاً، القوى تأتي من الأنا والأنا الأعلى والهو، وعندما تتصادم هذه القوى فإنها تخلق صراعاً انفعالياً ومع أن مفهوم سوليفان لتحول الطاقة صعب الفهم لأن الطاقة أقل مادية أو تكويناً من مجرد أفكار تصورية نتخيلها مثل الأنا والهو الأنا الأعلى إلا أنه يعتقد أن هذه هي أحسن طريقة للنظر في العلاقات الشخصية التبادلية فالناس من وجهة نظره يغيرون في مستوى طاقاتهم التي تتسم بها علاقاتهم مع بعضهم البعض باستمرار. وصف الدينامية التي تظهر في الطفولة قد يساعد على توضيح مفهوم سوليفان، حيث يرى أن العمليات الجسمانية داخل الرضيع تجعله يشعر بالجوع. فالطفل الرضيع يصرخ وهو بذلك يستدعي ويستنجد بأمه أو من يخدمه ويرعاه.

إذن، فتدفق الطاقة يبدأ باتصال شخص تبادلي بين الأم والطفل بحضانتها للطفل الرضيع وبنشاطاتها تستجيب لأوضاع معينة كالشعور بالرضا والقناعة. هنا ديناميكية أو نمط من الطاقة يبدأ في الظهور كخاصية لعلاقة الفرد الشخصية التبادلية. في مراحل متأخرة من الطفولة والمراهقة، الديناميات تصبح أكثر تعقيداً،

فالشخص الذي يرتبط بالآخرين بأسلوب عدواني يعبر في الواقع عن دينامية من الحقد والضغينة. أيضاً الطفل الخائف من الغرباء يصور ديناميكية الخوف. كذلك الشاب خلال مراهقته ينشد تكوين علاقات جنسية مع امرأة شابة، مثله يعبر عن ديناميكية الشهوة الجنسية. إحدى الديناميكيات المهمة هي ديناميكية النسق أو النظام الذاتي (Self - system) والذي يتطور كنتيجة للقلق، فهو تعويض لكل العمليات الأمنية والتي بواسطتها يدافع الفرد عن قلقه ويؤكد اعتباره الذاتي، فهي في الأساس هي صورة ذاتية للفرد مبنية على أساس من تجاربه الشخصية التبادلية. سوليفان يرى أن مفهوم الذات لا يعدو كونه استجابة للعلاقات الشخصية التبادلية التي يدخل فيها الفرد مع الآخرين.

خارج خبرات الطفل مع الثواب والقلق، ثلاث مراحل تظهر يطلق عليه في النهاية مصطلح خاصيتي (me)! هذه الذات الخصوصية الجيدة (good - me self) تنسب إلى محتوى الوعي عندما يكون الواحد راضياً إلى حد كبير عن نفسه أو ذاته. هذه الذات الخصوصية الطيبة تنشأ من تنظيم الخبرات التي كانت مشجعة ومعززة ومتميزة بعدم وجود القلق. أما الذات الخصوصية السيئة (bad - me self) فهي مبنية على القلق وتعزى إلى محتوى الوعي الذي ينتظم حول خبرات يحاول الواحد تجنبها لأنها تسبب ظهور القلق. الذات الخصوصية السلبية أو النكرة (not - me self) فهي بالتدريج تتضمن تصوراً عن سمات الذات التي تعتبر مفزعة والتي لا تسمح بوعي واعتراف شعوري. هذه الديناميكيات ما هي إلا عمليات وليست أفكار. هي أنماط سلوكية جاءت لتميز علاقات الفرد الشخصية التبادلية، لكنها يمكن أن تظهر في تفكك الذات حينما تكون خبرات منفصلة عن التوحد والتقمص مع الذات!

التجسيدات الشخصية: (Personifications):

التجسيدات الشخصية مجموعة من المشاعر والاتجاهات والاعتقادات التي تظهر من خلال تجارب الفرد الشخصية التبادلية فالطفل مثلاً، يطور تجسيدات للأم الطيبة والأم السيئة من خلال تجارب وخبرات سارة أو خبرات وتجارب قلقة وانفعالية مع أمه. في الروايات والأساطير الشعبية، هذه التجسيدات الشخصية تجد

لـها تعبيراً كما هو الحال في الأم البديلة الشريرة أو الساحرة. التجسيدات الشخصية للفرد نادراً ما تكون دقيقة ومضبوطة، ففي حالات متطرفة يمكن أن تؤدي هذه التجسيدات إلى تشوهات مترادفة ومتتالية. ولكن ومع كل ذلك، فالتجسيدات الشخصية مؤثرة وتصر دوماً على تشكيل اتجاهاتنا وتصرفاتنا تجاه الناس الآخرين. التجسيدات الشخصية التي يشارك فيها الغالبية من الناس في أي ثقافة يطلق عليها المفاهيم العامة الشائعة أو الأنمـاط المألوفة (Stereotypes) ومن المفاهيم العامة الشائعة أحكام أولية نقول بها عن الناس بناء على انتسابهم وعضويتهم ومشاركتهم في تجمعات معينة. عدد من الأنماط السائدة مثل (كل الإيرلنديين سياسيين) أو (كل السود أو العبيد كسالى) مبنية على ملاحظات غير دقيقة وبدلاً من تسهيل علاقاتنا الشخصية التبادلية مع أعضاء هذه المجموعات، نجدهم مراراً وتكراراً يعملون على عرقلتها أو تعقيدها!

مراحل النمو:

حدد سـوليفان مراحل لنموالشخصية يمر بها الفرد قبل سن البلوغ وهذه المراحل هي:

١ ـ الرضاعة.
٢ ـ الطفولة.
٣ ـ مرحلة الصبا.
٤ ـ ما قبل المراهقة.
٥ ـ المراهقة المبكرة.
٦ ـ المراهقة المتأخرة.

هذه المراحل تذكرنا بمراحل فرويد والتي تركز على المناطق الجسمانية ولكن سوليفان يؤمن بأن هذه المراحل يتم تحديدها اجتماعياً لا بيولوجياً وتتميز بأنماط العلاقات الشخصية التبادلية التي تظهر خلال تطورها.

١ ـ الرضاعة (Infancy):

تمتد هذه الفترة من الميلاد حتى ظهور وبروز مرحلة الكلام المفيد. خلال

هذه المرحلة هناك تركيز على أهمية الخبرات اللفظيـة. إدراك الطفـل لحلمة الرضاعة، وأمه وأبيه كأشخاص طيبين أو سيئين، كل إدراكاته التي تتبلور حول وضع الإرضاع سوف تترك تأثيراً على وجهة نظره للأشياء والأشخاص من حوله في بيئته.

٢ - الطفولة : (Childhood):

تمتد من ظهور مرحلة الحديث أو الكلام المفيد إلى مرحلة تطور حاجة الطفل إلى الرفاق والأصحاب. خلال هذه المرحلة، مهام الطفل الرئيسية تتكون من تطوير علاقات صحية مع والديه.

٣ - مرحلة الصبا : (Juvenile era):

هذه المرحلة تبدأ مع الحاجة الماسة والشديدة إلى الرفاق والأصحاب وتنتهي بالحاجة إلى الود والإلفة مع الرفاق من نفس الجنس. مرحلة الصبا تزود الأطفال ببيئة اجتماعية عريضة والتي تعتبر مهمة في تنشئة وتطوير أنماط جديدة وأكثر فاعلية من العلاقات الشخصية التبادلية.

٤ - ما قبل المراهقة : (Preadolescence):

يرى سوليفان ان مرحلة المراهقة والتى تغطي ثلاثاً من مراحل النمو مهمة وعصيبة . فهذه المرحلة تمتاز بالحاجة إلى الود والإلفة مع رفيق من نفس الجنس . هذه العلاقة الحميمة كما يحلو لسوليفان اعتبارها ، مهمة جداً لأنها بداية للعلاقات الإنسانية الحقيقية ، فالواحد يطور علاقة تبادلية ودية مع شخص آخر .

٥ - المراهقة المبكرة : (Early adolescence):

تبدأ هذه المرحلة مع النضج الجنسي الجسماني وتستمر أو تؤدي إلى نمو نمط العلاقة الجنسية العادية الثابتة من أجل إرضاء المشاعر الجنسية التناسلية. في هذه المرحلة يرى سوليفان أن ديناميكيةالشهوة الجنسية تظهر ويبدأ الشخص بالبحث عن تكوين العلاقات الودية مع الجنس الآخر.

٦ ـ المراهقة المتأخرة: (Late adolescence):

تبدأ عندما يكوّن الفرد نمطاً ثابتاً للتعبير عن مشاعره في الشهوة الجنسية من خلال الأنشطة الجنسية التناسلية. هذه المرحلة هي مرحلة من التكامل والثبات يحصل فيها الفرد على التكيفات الاقتصادية والاجتماعية والمهنية التي ينظر لها مجتمعه كميزة أو خاصية للبالغ أو الراشد. إن البلوغ مرحلة تتميز بالثبات الكامل، ولكن مع كل ذلك، فالشخصية يقدرها سوليفان ولا يعتبرها شيئاً ثابتاً أو متحجراً. الأوضـاع الشخصية التبادلية المطلقة أو العارضة والتي يجد الشخص نفسه واقعاً فيها بالصدفة لا زالت مهمة في تشكيل العلاقات الشخصية التبادلية الفردية وفي تحديد الصحة النفسية أو المرض خلال البلوغ. إذن فالعلاقات الشخصية التبادلية بدلاً من البيولوجية هي التي تشكل نمو وتطور الشخصية.

العمليات المعرفية: (Cognitive Processes):

سوليفان يصف ثلاث عمليات أو طرق معرفية نجرب بـواسطتهـا العالم ونختبرها كما نرتبط عن طريقها بالآخرين خلال مرحلة النمو الشخصية. هذه العمليات أو الأساليب المعرفية الثلاثة هي:

١ ـ (Prototaxic).
٢ ـ (Parataxic).
٣ ـ (Syntaxic).

هـذه العمليـات تـظهـر في وضـع تسلسلي خـلال تجـربتنـا المختلفـة للعالم أثناء نمو الشخصية. وهم أيضاً يساعدوننا في فهم كيف ان العيوب النفسية المرضية يمكن أن تعكس عملية مـعرفية غير ناضجة!

١ ـ الطور المبكر (البروتوتاكسك: Prototaxic):

هذه العملية تمثل المستوى المنخفض في الخبرة المعرفية والتي هي خاصية للرضيع. في هذه الخبرة لا يوجد تمييز بين الذات والعالم الخارجي، كما إن الوعي غير متميز أو واسع فالطفل يدرك أحاسيس، ويعتقد اعتقادات ومشاعر معينة، لكنه لا يعتقد فيهم أو يضع استنتاجات حولهم. أسلوب الطور المبكر شرط ضروري للعمليتين المعرفيتين التاليتين. من خلال كم كبير من الأحاسيس الغامضة، نجد

الطفل تدريجياً يميز أو يحدد ثلاثة أشياء مختلفة هي : الأشياء المادية والناس، وهو شخصياً. هذا التمييز يدفع بالطفل إلى المستوى القادم من الخبرة أو التجربة والذي هو الخبرات التسلسلية.

٢ ـ الخبرة التراكمية : (باراتاكسك Parataxic):

هذه العملية تنظر إلى العلاقات السببية بين الأحداث التي تحدث مجتمعة، فهي تتضمن عمل تعميمات عن الخبرة أو التجربة بناء على مبدأ التقارب. الرضيع الذي يصرخ وتحضر والدته لحضانته يعتقد أو يفترض أن صراخه هو الذي أفرز الحليب. والخرافات تعتبر أمثلة للتفكير الباراتاكسك

الشخص الذي مر بتجربة أو خبرة سيئة بعد رؤيته لقط أسود يفترض أن القط الأسود هو سبب حظه التعيس. الأنماط أو الحركات العشوائية التي عززت يمكن أن تعاد أو تتجنب لأنه يعتقد بأنها السبب في خلق ذلك الوضع المرضي أو الوضع الذي أفرزه القلق،التفكير التراكمي المنطقي يعتبر خاصية للشباب الذي يعتبر عقله غير ناضج لفهم القوانين السببية للطبيعة. سوليفان مع ذلك يعتقد أن معظم تفكيرنا لا يتجاوز أو لا يتعدى نطاق هذا المستوى أو الخبرة . التشويه التراكمي يمكن أن يقودنا إلى إصدار ردة فعل لشخص آخر كما لو كان شخص ما . إذن فالرجل يمكن أن يفترض أن رئيسه سوف يكون مستبداً لأن والده كان كذلك إذن فهو عندما يتعامل مع رئيسه كما لو كان والده يصور تشويهاً لهذه الخبرة!

٣ ـ الخبرة المنظمة : (سينتاكسك Syntaxic):

الخبرة المنظمة. تمثل المستوى الأعلى للنشاط المعرفي والتي تستخدم رموزاً وتعتمد على تصديق رضائي أو لا إرادي أو اتفاق بين أشخاص. هذه العملية تعتمد على رموز معانيها يشارك فيها أشخاص آخرون في ثقافة الواحد. استخدام اللغة يعتبر مثالاً حياً لهذه الرموز. اكتساب اللغة يظهر أو يصور فهم سوليفان للعملية التطورية، عندما يتفق على معنى لكلمة ويصدق على ذلك بين أعضاء المجتمع فإن هذه الكلمة تفقد قوتها ومعناها الشخصي ولكن التصديق الجماعي يخول الأفراد أو يعطيهم فرصة الاتصال ببعضهم ويزودهم بأرضية مشتركة لفهم الخبرات.

هذه الخبرة أو العملية تبدأ في التطور في مرحلة الطفولة وتزداد خلال نمو الشخص حيث نجد الفرد في سن البلوغ يمتلك خبرة يمكن القول عنها أنها رمزية ومعتمدة على هذا الأسلوب المعرفي .

العلاج النفسي:

ينظر سوليفان للعلاج النفسي على أنه عملية شخصية تبادلية حيث يقوم الشخص بمساعدة الآخر في حل مشاكل العيش أو الحياة. سوليفان يستخدم مفهوم ملاحظة المشارك (Participant observation) لتحديد طبيعة العلاج والبحث النفسي. ملاحظة المشارك تنسب إلى حقيقة أن الطبيب النفسي ملتزم بملاحظة علاقات شخصية تبادلية أو أكثر والتي يكون فيها مشاركاً فعالاً. في حين أن الطبيب النفسي يلاحظ ما يحدث فهو أيضاً يؤثر في تلك العلاقة بمشاركته فيها. إن الطبيب باتجاهاته، وتعليقاته أو أسئلته يغير أو يبدل سلوك الشخص الآخر. سوليفان يرى انه من المضحك أن تتخيل الطبيب النفسي يستطيع الحصول على معلومات أو سلوكيات لا تتأثر بسلوك المعالج في العلاقة الثنائية.

سوليفان الذي قضى شبابه في أعمال شاقة في مزرعة والده يرى ان العلاج النفسي أصعب عمل عرفه، فهو يتطلب انتباه وتيقظ دائم وأمانة ومرونة من جانب المعالج. أيضاً المعالج يجب أن يكون بمشاعره وأحاسيسه في العملية العلاجية، فهو قد يكون متضجراً أو محبطاً أو خائفاً . إذن المعالج عليه في محاولته أن يكون واعياً لردود فعله، فيفهمهم ويحتفظ بهم إلى الحد الأدنى من أجل أن يكون ملاحظاً متيقظاً. المعالج لا ينظر إلى تكوين علاقة صداقة، احترام وتقدير أو إعجاب من المريض، لكنه يهدف إلى جعل المريض يفهم نفسه أفضل! ثواب ومكافأة المعالج أنه يقوم بوظيفته خير قيام ويتلقى أجراً مناسباً لها. العلاج النفسي يتضمن في الأساس ـ التعامل مع قلق المريض، فقدانه للوعي، والعمليات الأمنية. هذه العمليات تجعل من الصعب على الشخص امتصاص وفهم خبراته والاستفادة منها. إن كشف هذه المناطق شيء مؤلم للشخص لأنه يزيد من القلق لكنه ضروري لتوسيع الوعي وزيادته. جزء من مهمة المعالج النفسي هي الاحتفاظ بالقلق على مستوى أعلى من أجل توسيع العملية العلاجية، فتوفر مقدار معين من

القلق ضروري ليدفع المريض للعمل على حل مشاكله، لكن القلق الزائد يمكن أن يسحق أو يشل العمل العلاجي. المعالج لا يجب أن يتردد في توجيه أسئلة ذات عمق ومواجهة من أجل أن يركز الاهتمام أو الانتباه على المشكلة كما يجب عمل إفادات مخصصة لتخفيض القلق حتى يستطيع المريض أن يتحدث بطلاقة عن مشاكله وظروفه. فمثلاً المعالج قد يسأل (لماذا تعتقد أن ذلك شيئاً فظيعاً؟). جزء كبير من الوقت يقضيه الطرفان في اختبار العلاقة التي تنشأ بين المعالج والمريض. هذه عينة من حياة المريض الشخصية التبادلية التي تعمل من أجل دراسة مباشرة خلال العلاج. سوليفان يرى أن المريض يطور مفهوماً يشبه مفهوم التحويل الفرويدي أطلق عليه اسم التشويه التراكمـي. إن المريض الذي يكون والده قاسياً متسلطاً يمكن أن تكون ردة فعله كما لو كان قاسياً متسلطاً، هذا التشويه ليس فريداً أو غريباً على العلاج ولكنه عندما يحدث في الحياة اليومية فهو يستدعي استجابات معقدة أو غامضة من الآخرين ويتداخل مع العلاقات الشخصية المتبادلة الفعالة. في العلاج، هـذه تمثل دعوة لمزيد من الاكتشاف والدراسة التي يمكن استخدامها لزيادة الوعي الذاتي للمريض ليدرك ما يحدث أو يدور حول علاقاته الشخصية التبادلية.

في النهاية، التشويه التراكمـي يجب أن يحطم من أجل أن يكون في تصـور المريض العمل والتعاون مع المعالج بالإضافة إلى اختبار علاقة المريض بالمعالج والتعامل مع القلق والعمليات الأمنية، العلاج النفسي يتضمن الكشف عن ماضي المريض وعلاقاته الراهنة مع الآخرين. سوليفان أيضاً يهتم بموضوع الأزمات الشخصية التبادلية الحاضرة. هذه الأزمات تزودنا بثروة من المعلومات، خصوصاً إذا أمكن ربطها بأزمات مماثلة في الماضي. أخيراً، سوليفان يناقش العلاقات الشخصية التبادلية المستقبلية بسؤال المريض حول ما يعتقده بالنسبة لعلاقاته مع أشخاص معينين في المستقبل. سوليفان يطلق على هذه العملية أو الاستكشاف المستقبلي مصطلح (أحلام اليقظة البناءة: (constructive reverie) والذي بواسطته تستطيع العملية العلاجية أن تأخذ في الحسبان توقعات المريض وفهمه للمستقبل. في نقاشه لموضوع العلاج، سوليفان يعطي أهمية كبرى للمقابلة والتى هى مصطلحه للعملية الشخصية التبـادلية التي تظهـر بين المـريض والمعـالـج . كما يرى أن كل مقابلة فردية وعملية العلاج النفسي نفسها تتكون من أربعة أجزاء هي:

١ ـ البداية أو الاستهلال حيث يتم تقديم المشكلة!

٢ ـ الاستطلاع حيث يطرح المعالج بعض الأسئلة من أجل تطوير تاريخ للحالة وفرضيات مبدئية عن المريض.

٢ ـ البحث المفصل ويتضمن اختبار المعالج لفرضياته بملاحظة سلوكيات المريض واستجاباته.

٤ ـ الإنهاء ويتضمن نهاية محددة حيث يلخص المعالج ما تم تعليمه ووصف بعض من أنواع التصرفات التي يرى المريض أنها مهمة لمشكلته.

سوليفان كان ناقداً لأسلوب التداعي الحر كأسلوب رئيسي في العملية العلاجية فهو يرى ان التداعي والتأمل الباطني يجب أن يتم فحصهما والتثبت منهما خلال الحوار والنقاش. في مناقشاته للأحلام، سوليفان يظهر أنه لا يؤمن بأن هناك تمييز صادق بين الأحلام الكامنة أو الأحلام الظاهرة. الحلم يجب أن ينظر له على أنه مؤشر لما نحن عليه في حياتنا الشعورية اليومية! بالنسبة لسوليفان النقطة الرئيسية لفهم الأحلام تنطوي على معرفة وإدراك طبيعتهم الشخصية التبادلية.

نظرية سوليفان: فلسفياً، علمياً، وأدبياً:

تركيز سوليفان على خصائص الشخصية التي يمكن ملاحظتها مباشرة داخل العلاقات الشخصية التبادلية، يقودنا إلى اتجاه جديد في نظرية الشخصية، فأصحاب النظريات في الفصول السابقة ركزوا على الأسلوب الفلسفي للشخصية، لكن نظرية سوليفان تنحرف باتجاه تأكيد أعظم على الصدق التطبيقي والعلمي. سوليفان توقف عن محاولة الاعتماد على عمليات عقلية غير مرئية وركز على العمليات الشخصية التبادلية التي يمكن التحقق منها بملاحظة الأفراد داخل محيطهم الاجتماعي. مع هذه التأكيدات على السلوكيات التي يمكن ملاحظتها مباشرة، سوليفان يشير إلى السلوكيين الذين سوف نتحدث عنهم في فصلي (١٥) و (١٦) وتكوين أسلوب علمي يتمشى مع علم النفس الأكاديمي الأمريكي الراهن. هذا لا يعني أبداً القول بأن الافتراضات الفلسفية غير موجودة في نظرية سوليفان بل هي واضحة في وجهات نظره حول القضايا التي تشبه الحرية مقابل الحتمية،

العوامل الموضعية مقابل التكوينية، والتفاؤل مقابل التشاؤم، بالإضافة إلى الاعتقاد بأن شخصية الفرد لايمكن دراستها في عزلة عن العالم. أيضاً لا زلنا نعاود القول بأن قصده الرئيسي لم يكن تقديم وجهة نظر فلسفية للطبيعة الإنسانية ولكن إجراء بحث تطبيقي على الشخصية. أي إن سوليفان كان أكثر وعياً للحاجة إلى تصديق شواهد في نظرية الشخصية أكثر ممن سبق دراستنا لهم من المفكرين، حيث يؤكد على أن نظريته تقوم على ملاحظة معلومات تطبيقية وحاول تجنب مفاهيم تخيلية لم يسبق تجربتها أو تطبيقها. فعلى سبيل المثال في مفهومه عن الديناميكية وتحويل الطاقة، يؤكد سوليفان على أنه قريب ومتصل بفيزياء القرن العشرين والتي منذ عهد أينشتاين وبلانك تنظر للكون في مجال تدفق وتحول الطاقة، في حين أن مفاهيم مفكري القرن التاسع عشر كانت في مجال القوى والأشياء المادية بناء على تصنيف نيوتن الميكانيكي. كذلك مدرسة التحليل النفسي الفرويدية تصف عمليات الشخصية كقوى من النزعات المتباينة الشدة والتي تتصادم وتتداخل مع بعضها البعض ! استخدام سوليفان المتزايد لمفاهيم الطاقة أكثر ثباتاً وتناسقاً مع الأسلوب العلمي المسيطر في القرن العشرين على الطبيعة وكذلك مفرداته هي أكثر ثباتاً مع المعلومات ونظرية الاتصالات والاعلام الراهنة والتي تؤكد على العلاقات الشخصية التبادلية .

وعلى الرغم من أن مفاهيمه كان لها مرجعها التطبيقي الواضح، إلا أنها عرضت أو كتبت بأسلوب غامض أو مبهم، بحيث أصبحت عملية ترجمتهم إلى تعاريف تطبيقية وإجرائية لإجراء اختبارات محدودة عليها أمراً صعباً فإنه لمن الصعب مثلاً، التمييز بين الديناميكية والتجسيدات الشخصية والبحوث التي تم القيام بها على نظرية سوليفان ركزت في الأساس على أساليب المقابلة والعملية العلاجية، لكن سوليفان برهن على وجود مستوى رفيع من الثقافة والمعرفة في فهمه للمفاهيم العلمية خصوصاً وهو الذي لم يتلق تدريباً أو تعليماً رسمياً منظماً في فلسفة العلوم فمفهومه عن ملاحظة المشارك (Participant observation) تظهر أنه يعرف طريقة علمية لا يمكن أن تكون موضوعية بحتة لأنها دائماً متأثرة بالملاحظ.

والخلاصة أن سوليفان كان صاحب نظرية علمية متميزة وذكية في الشخصية

وإسهـــام كما كانت له إسهـــامـــات في مجال الأدب، فلقـــد كان معـــروفـــاً على وجـه الخصوص ببحوثه الشاملة في مجال العملية العلاجية، خصوصاً ما يتعلق بأساليب المقابلة؛ واستمر إنجازه يترك آثاره على العلاج النفسي خصوصاً فيمـا يتعلق بمعالجة المرضى الفصاميين.

ملخص:

① نظرية سوليفان تؤكد الطبيعة الذاتية التبادلية للشخصية.

② عرف سوليفان الشخصية كطرق متميزة بها يتعامل ويرتبط الشخص مع الناس الآخرين وينظر للشخصية كفرضية لأنها مفهوم تصوري يشرح ويتنبأ بسلوكيات معينة.

③ سوليفان مثل هورني يعتقد في القلق كشيء شخصي تبادلي في الأصل. كما يشير إلى أن القلق يمكن ملاحظته ووصفه.

④ يرى سوليفان أن الفرد غير واع أو مدرك لدوافعه وسلوكياته بسبب القلق، الوعي ضروري إذا نحن أردنا تعديل علاقاتنا الشخصية التبادلية.

⑤ تعد العمليات الأمنية أدوات شخصية تبادلية اعتدنا على استخدامها لتخفيض القلق. هذه العمليات تشبه ميكانيزمات الدفاع لدى فرويد لكن سوليفان يؤكد على انها أشياء أو عمليات يمكن ملاحظتها وتظهر خلال العلاقات الشخصية التبادلية.

⑥ إن الديناميكية تعد أنماطاً من تحول الطاقة المميزة للعلاقات الشخصية التبادلية للفرد، ومن أهم هذه الديناميكيات هو النسق أو النظام الذاتي.

⑦ التجسيدات الشخصية مجموعة من المشاعر والاتجاهات والاعتقادات التي تظهر من خلال خبرة الواحد الشخصية التبادلية، مثال ذلك الأم الطبيعية. أما تلك التجسيدات الشخصية التي يشارك بها الآخرون يطلق عليها المفاهيم السائدة أو المألوفة.

⑧ لخص سوليفان ست مراحل لنمو وتطور الشخصية، ثلاث منها تنسب إلى

المراهقة والتي يرى سوليفان أنها فترة عصيبة وحساسة.

(٩) حدد سوليفان ثلاث عمليات معرفية تظهر مصاحبة للنمو الشخصي وهو الطور أو الخبرة المبكرة والخبرة التراكمية والخبرة المنظمة.

(١٠) استخدام سوليفان مفهوم ملاحظة المشارك ليعرف طبيعة البحث والمعالجة الطبية النفسية، وخلال سير العلاج يمكن ظهور التشويه التراكمي كما لخص سوليفان أربع مراحل في عملية المقابلة هي:

- الاستطلاع - البحث - الإستهلال - والإنهاء.

(١١) وضع سوليفان في تأكيداته وتطبيقاته للبحوث العلمية أو الإجرائية اعترافه بالملاحظة المشاركة، كما أكد على الأسلوب العلمي خلاف المفكرين الآخرين التابعين لمدرسة التحليل النفسي ولكن أعظم مساهماته على كل كانت في مجال العلاج النفسي.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Sullivan did not care to write much about his ideas: he published only a few articles for technical journals. He did not express his thoughts for lay people and avoided writing for his colleagues save to inform them of certain concepts and treatment techniques that he had found useful in working with patients. Only one book, Conceptions of Modern Psychiatry, was published during his lifetime. It was privately printed by friends through the William Alanson White Psychiatric Foundation in 1947, against Sullivan's better judgment. After his death, however, Sullivan's followers collaborated in publishing seven volumes of his ideas. These works consist of transcripts of his lectures and seminars. They are difficult reading because of uneven quality and organization. but they provide a written expression of his ideas.

The Psychiatric Interview (Norton, 1954) is probably of most interest to the lay person. It deals with the evaluation of patients and is the clearest of Sullivan's works. The Interpersonal Theory of Psychiatry (Norton. 1953) contains his last full series of lectures and emphasizes his con-

cepts of personality development. The Fusion of Psychiatry and Social Science (Norton. 1964) consists of seventeen articles, Two of which are valuable in portraying the transitional character of his work as a bridge from psychoanalysis to behaviorism: «The Data of Psychiatry» and «The Illusion of Personal Individuality».

الفصل السادس

التحليل الاجتماعي الإنساني: إريك فروم

Erich Fromm: Humanistic Social Analysis

أهداف الفصل :

١ ـ تفسير سبب تسمية أسلوب (فروم) بـ «التحليل الاجتماعي الإنساني» .

٢ ـ التمييز بين الثنائية التاريخية والوجودية مع إعطاء أمثلة لكل واحد منهما.

٣ ـ وصف الحاجات الخمس الرئيسية وتفسير ارتباطها بنمو المجتمع.

٤ ـ مناقشة توجهات الشخصية (Character Orientations) التي حددها (فروم).

٥ ـ وصف ثلاثة أنماط رئيسية من العلاقات التي توجد بين الأشخاص.

٦ ـ التمييز بين مفهومي فروم عن «الحب الذاتي» و «النرجسية».

٧ ـ وصف مفهوم فروم لدور المجتمع في بناء الشخصية وكيف يؤثر على نمو الشخصية .

٨ ـ تقييم نظرية فروم فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

فتح مفكرو القرن التاسع عشر أمثال فرويد وكونت وسبَنسر وماركس الباب على مصراعيه للدراسة التحليلية التي درست السلوك الإنساني والمؤسسات الاجتماعية. كما ظهرت عدة محاولات استهدفت بناء أنظمة ومذاهب علمية جديدة في مجال علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا لفهم طبيعة المؤسسات الاجتماعية والسلوك البشري على حد سواء وقد تأثر إيريك فروم بذلك كما كان معجباً وإلى حد كبير بكتابات فرويد وماركس وحاول تنظيم أفكارهم. إذن فلعل أفضل وصف لأسلوب إيريك فروم هو التحليل الاجتماعي الإنساني.

حياته الخاصة:

ولد إيريك فروم في مدينة فرانكفورت الألمانية عام ١٩٠٠ م وكان الطفل الوحيد في العائلة اليهودية الأرثوذكسية. وعندما بلغ سن الثالثة عشر بدأ في دراسة

التعاليم الدينية حيث أظهر ميلاً ملحوظاً لدراسة الأدب الديني مع إعجاب على وجه الخصوص بالمفكر الديني الألماني ميستر أكخارت (Eckhart) ولم يعرف عن فروم ممارسته المنتظمة للدين مع أنه كان يعتبر نفسه صوفياً ملحداً. وكما حدث مع فرويد فخبرات فروم الدينية المبكرة تركت بصمات واضحة ومميزة على شخصيته وعمله.

ومع ان فروم لم يكتب بالتفصيل عن ظروف طفولته المبكرة إلا أن القارىء الفاحص يلمح من خلال تعليقاته القليلة وصفاً لحياته العائلية المبكرة المتوترة، فهو مثلاً يعترف بأن والديه كانا عصابيان، حيث يفيد بأن والدته كانت دوماً ميالة للاكتئاب، كما كان والده رجل أعمال مزاجي الميول تسيطر عليه مظاهر القلق بصورة ملحوظة. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى والتي عاصرها فروم وهو في الرابعة عشر من عمره أظهر - وهو في ذلك السن - انطباعاً وشعوراً معادياً لهذا العنف الوحشي وطور توجهات إنسانية تشجب مثل هذه الصراعات الدموية البشرية.

وفي عام ١٩١٩ م حدد فروم اتجاهه السياسي كواحد من الاشتراكيين وإن لم يكن أحد السياسيين النشطين الذين لهم حضور مستمر ومباشر في مجال العمل السياسي حيث اتجه إلى الدراسة الأكاديمية في علم الاجتماع والنفس ليتخرج في عام ١٩٢٢ م من جامعة هيدلبيرج حاملاً درجة الدكتواره.

ومع ان أيريك فروم لم يسبق له مقابلة فرويد أو العمل معه، لكنه لعب دوراً مهماً في تأسيس وقيام تلك الحركات النامية في مجال التحليل النفسي وعلم النفس الاجتماعي. فلقد كان فروم طالباً متدرباً في ميدان التحليل في معهد ميونخ ومعهد برلين حيث اعتبر محللاً عادياً فهو لم يكن قد تلقى تدريباً طبياً رسمياً، حيث كان ينظر لمن يريد ممارسة التحليل النفسي مثلاً في أمريكا ضرورة إلمامه ببعض المعارف والتدريب الطبي، فالتحليل النفسي طريقة طبية تستخدم في علاج الاضطرابات العصابية لذلك على من يمتهن هذا الأسلوب العلاجي تكوين خلفية طبية جيدة قبل ممارسة التحليل النفسي.

ولا يوافق فرويد على وجهة النظر السابقة حيث يرى أنه يجب النظر إلى

التحليل النفسي على أنه أكثر من مجرد طريقة طبية لعلاج العصاب، بل يقترح أن تكون النظرة له كقوة ثقافية مؤثرة تقدم لنا معرفة في مجالات الاجتماع والفلسفة والأدب والتراث. وقد كان فهم فروم كبيراً وواسعاً في مجال الدراسات والعلوم الاجتماعية والفلسفية مما جعله يلم بجوانب كثيرة في نظرية التحليل النفسي وتطبيقاتها. ومن ثم فقد قادته هذه الميول والتوجهات في نهاية الأمر إلى مقاطعة مدرسة التحليل النفسي الأرثوذكسي وقام بتوجيه النقد لفرويد لعدم رغبته في الاعتراف بأهمية القوى الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل الشخصية.

وفي عام ١٩٣٣ م وخلال فترة الكساد الاقتصادي، رحل فروم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليقوم بالتدريس في عدد من المعاهد والجامعات كان من أبرزها جامعة (ييل) العريقة ولم يقتصر على ذلك بل مارس بالإضافة إلى التدريس أعمالاً عيادية خاصة، كما ساهم في تأسيس معهد وليام الانسون للطب النفسي. وفي عام ١٩٤٩ م تم تعيينه مدرساً في جامعة المكسيك الوطنية حتى تقاعد في عام ١٩٦٥ م ليواصل بعد ذلك ممارسة بعض الاستشارات والبحوث العلمية. انتقل فروم في عام ١٩٧٦ م إلى سويسرا حيث بقي هناك حتى وافته المنية في عام ١٩٨٠ م عن عمر يقارب الثمانين سنة نتيجة لنوبة قلبية.

الحاجات والأوضاع الإنسانية الأساسية:

يعد مفهوم العزلة أو الوحدة (Loneliness) مفهوماً رئيسياً في جميع كتابات فروم فهو يرى أنه لكي نكون بشراً فلابد أن نعيش في عزلة ووحدانية فالوحدانية تمثل من وجهة نظره وضعاً إنسانياً رئيسياً، فهي الميزة أو الخاصية التي تميز الإنسان عن الحيوانات. فمع تحقيق الجنس البشري لمزيد من الحرية وذلك بتجاوزه أو تساميه على الطبيعة والحيوانات الأخرى، أصبحت الناس تدريجياً تتميز بكونها بعيدة عن الآخرين ومعزولة عنهم. إن وضع الوحدانية يجد تعبيره المطلق في قضية الوفاة، فنحن لسنا كالحيوانات لا نعلم متى نموت، هذه المعرفة تقودنا إلى تكوين مشاعر من اليأس ويرى معظمنا أن الموت شيء مبهم ولا إنصاف فيه وهذا هو التعبير النهائي أو المطلق لعزلتنا. واستجابة للوضع الإنساني الأساسي المتمثل في

الوحدانية أو العزلة، يمكن للكائنات البشرية أن تحل مشاكلها بالعمل مع بعض بروح من الحب والود لخلق مجتمع يستطيع في النهاية تحقيق حاجاتهم أو أن يعملوا على استخدام الحرية التي اكتسبوها بحكم كونهم بشراً لتقديمها للآخرين أو استخدام قواهم للسيطرة على الآخرين واسترقاقهم في شكل من العبودية. ولكن مع كل ذلك فإن ميكانيزم الهروب قد يلطف مشاعر العزلة لكنه لن يحقق حاجات الإنسانية أو يقود إلى نمو الشخصية النهائي.

الثنائيات التاريخية والوجودية: (Existential and Historical Dichotomies):

طرح فروم عدداً من الثنائيات والتي تنشأ ببساطة من واقع كوننا موجودين وما العزلة إلا واحدة من هذه الثنائيات! أن الثنائية، من وجهة نظر فورم، مشكلة لايوجد لها حل لأن جميع البدائل التي تقدمها ليست مرضية فنحن نرغب في البقاء والحياة لكننا نواجه الموت، ونحن نفضل أن ندخل في تحد مع الطبيعة لكننا نتسامى عليها ونتجاوزها. باختصار، نحن نرغب في نوع معين من العالم لأننا نعتبر العالم الذي ولدنا فيه غير مرضٍ! مثل هذه الثنائيات يطلق عليها (الثنائيات الوجودية) لأنهم يظهرون من حقيقة وجودنا وعندما نجد عالماً معيناً غير مناسب أو مرضٍ، نحاول خلق بيئة أكثر إرضاء وبذلك فنحن نخلق مزيداً من (الثنائيات التاريخية) والتي هي عبارة عن مشاكل تظهر أو تنبع من تاريخنا بسبب الثقافات والمجتمعات المختلفة التي شكلناها! ويعد التوزيع الجائر للثروة بين الأشخاص ثنائية تاريخية كما هو الحال في تاريخنا الطويل مع الحروب، كما إنه من المهم ألا نخلط بين الإثنين في التعريف أو المحتوى. فالثنائيات التاريخية يخلقها الناس لذلك فهي ليست شيئاً لا مفر منها، كما هو الحال مع الثنائيات الوجودية، لأنها إنتاج التاريخ ولذلك فهي قابلة للتغير. كلاهما الثنائية الوجودية والتاريخية يكونان طاقاتنا ومحدداتنا، فهم الأساس لطموحاتنا وآمالنا ولكن في نفس الوقت هما يولدان إحباطاتنا أيضاً.

الحاجات الإنسانية الرئيسية: (Basic Human Needs):

الثنائيات الوجودية التي تميز الوضع الإنساني تتيح المجال لظهور خمس حاجات أساسية.

① الارتباط: (Relatedness): وهو الحاجة إلى الارتباط والاقتراب من الناس الآخرين وإظهار الحب والود لهم ومعهم.

② السمو والتعالي: (Transcendence) وتمثل الحاجة إلى الارتفاع فوق مستوى الحيوانات والوصول إلى درجة المخلوقات الحيوية والنشطة المنتجة.

③ الأصولية: أو الحاجة إلى الارتباط بالجذور أو الأصول (Rootedness) وتمثل الحاجة إلى الانتماء والتبعية.

④ الإحساس بالهوية: (Sense of identity): وتمثل الحاجة لأن نصبح واعين لأنفسنا كأفراد متميزين ومنفصلين.

⑤ إطار من التوجه والتفاني: (Frame of orientation and devotion): وتمثل الحاجة إلى إطار مرجعي ثابت ومستقر نستطيع به تنظيم إدراكنا وتكوين حس معين عن بيئتنا.

هذه الحاجات تنبع من وجودنا ويجب تحقيقها من أجل أن نتطور بالكامل. إذن فنحن نخلق مجتمعاً من أجل تحقيق هذه الحاجات الأساسية ولكن طبيعة أو نوع المجتمع الذي يصنعه البشر يحدد ويكون الطريقة التي بواسطتها يمكن تحقيق تلك الحاجات الأساسية. بمعنى آخر، الشخصيات الإنسانية تتطور بالتناسق والتوافق مع الفرص التي يمنحها ويسمح بها مجتمعها. فمثلاً، في المجتمع الرأسمالي كسب المال يعتبر وسيلة لتكوين معنى أو قيمة للهوية، فالشخص الذي يفشل في اكتساب المال في المجتمع الرأسمالي يمكن أن يواجه موقفاً عسيراً ليكون معنى أو قيمة للهوية إلا إذا كان هو أو هي قادرين على التقمص أو التوحد مع بعض المؤسسات العملاقة أو إيجاد وسائل أخرى تحقق له التمايز والبروز.

إذا لم نستطع تحقيق حاجاتنا بطريقة بناءة فقد نعمل على تحقيقها بأسلوب هدام. فالخضوع أو السيطرة مثلاً، يمكن أن تصبح بديلاً للعلاقة الودية، والانسجام التام يمكن أن يزودنا بمعنى زائف من التقمص. إذن، فشخصية الواحد في النهاية تمثل حلاً وسطاً بين الحاجات الداخلية للفرد والطرق التي يسمح المجتمع للواحد منا بتحقيقها أو إشباعها.

توجهات الشخصية : (Character Orientations):

حدد فروم خمسة أنواع للشخصية تعتبر مألوفة في المجتمع الغربي حيث يعتقد بأن السمات التي تظهر في كل نوع تحمل خصائص سلبية وإيجابية، ولكنه بصورة عامة يرى أن الأنواع الأربعة الأولى غير فعّالة، ولكن الشخص الواحد يمكن أن يظهر مزيجاً من الأنواع الخمسة. الأنواع الثلاثة الأولى متشابهة لأنواع الشخصية الشبقية والشرجية والقضيبية لدى فرويد، حتى إنه يمكن تكوين تواز بين تصنيف فرويد وفروم في هذا الخصوص.

الاختلاف الرئيسي بين نظرية (فروم) و (فرويد) فيما يتعلق باتجاهات الشخصية وأنواعها يظهر جلياً في أن (فرويد) ينظر إلى تثبيت اللبيدو في مناطق جسمانية معينة كأسس لأنواع شخصية مستقبلية في حين أن (فروم) يضع القاعدة الأساسية للشخصية في الطرق المختلفة التي يتعامل فيها الشخص مع الثنائيات الأساسية. ومن ثم فإن شخصية الفرد تتحدد إلى حد كبير بواسطة الثقافة وأهدافها ومن هذا المنطلق يمكن التحدث عن الشخصية الاجتماعية على أنها خصائص دائمة يشترك فيها أناس من ثقافة معينة.

① التوجه المتقبل : (Receptive orientation):

الناس المستقبلون أو المتقبلون يشعرون أن مصدر الأشياء الجيدة يقع خارج ذواتهم، لذلك فهم يؤمنون أن الطريقة الوحيدة لتحقيق شيء ما يريدونه يكون عن طريق تقبلهم لذلك الشيء من مصدر خارجي، لذا يمكن القول بأن ردود فعلهم تأتي سلبية وينتظرون الحب من الآخرين.

② التوجه الاستغلالي: (Exploitative Orientation):

هؤلاء يشعرون أن مصدر الأشياء الجيدة في الخارج كسابقيهم، لكنهم لا يتوقعون أن يحصلوا على شيء جيد أو طيب من الآخرين، لذلك فهم يأخذون الأشياء التي يريدونها بالقوة أو بالمكر أو الحيل، وهؤلاء يضطهدون الآخرين من أجل تحقيق غاياتهم الخاصة.

③ التوجه المطوق أو السياجي: (Hoarding Orientation)

في حين أن النوعين السابقين يتوقعان الحصول على الأشياء من الخارج نلحظ أن الشخصيات المطوقة مقتنعة بأنه لا يوجد شيء مهم وجديد لدى الآخرين، لذلك فهم يبحثون ويسعون من أجل تطويق وحماية ما يملكون. هؤلاء يحيطون أنفسهم بالجدران ولا يملكون إلا نزراً يسيراً من العلاقة مع الآخرين.

④ التوجه التسويقي أو التجاري: (Marketing Orientation):

يعدالسوق التجاري أو التسويقي المعاصر هو النموذج أو المثال الذي ينطبق عليه التوجه الشخصي الرابع، حيث يشكل مفهوم العرض والطلب القيمة الأساسية في التعامل والتبادل التجاري. الشخصيات التسويقية يجربون أنفسهم كبضائع معروضة في السوق، فهم يرون شخصياتهم كصفقة أو سلعة يجب بيعها ويطورون بهذه الطريقة تلك السمات الشخصية التي يؤمنون بأنها ستساعدهم في أي لحظة عند البيع. إذن فهم يتشكلون ويتكونون وفق رغبات الآخرين أو السوق، فشخصيتهم الأساسية فارغة وجوفاء، ويمكن وصفهم بأنهم انتهازيون أو حرباءات يغيرون ألوانهم وقيمهم حالما يرون أو يدركون أن القوى الشرائية في السوق تتغير.

⑤ التوجه المعطاء (الإنتاجي): (Productive Orientation):

وصف فروم للتوجه الإنتاجي يتعدى ذلك الوصف الذي وصفه فرويد للشخصية التناسلية، والذي هو ببساطة الاعتقاد بأن الفرد الناضج شخص قادر على العطاء الجيد جنسياً واجتماعياً ويحاول فروم الوصول إلى وصف مثالي للنمو والتطور الإنساني وموقف أخلاقي يميز الشخصية الناضجة والعادية. إن شعار فرويد(أحب فأعمل) يمثل رمزاً لمعنى الإنتاجية، ولكن التوجه الإنتاجي ينسب أصلاً إلى اتجاه أساسي وطريقة من الارتباط بالآخرين والتي تربط الشخص المنتج بالعالم، هؤلاء الأفراد يقيمون أنفسهم والآخرين تقييماً حقيقياً، فيجدون أنفسهم كمحور للطاقات قادرين على إدراك طاقاتهم بصورة بناءة، وباستخدامهم لهذه الطاقات بشكل منتج، فهم يرتبطون بالعالم بواسطة الإدراك الدقيق والطاقات الإبداعية التي يملكونها، بالإضافة إلى ذلك توجد خاصية أخرى

للتوجه الإنتاجي هذه الخاصية تتمثل في استخدام الأخلاقيات والمعايير الإنسانية لا التسلطية، حيث تمثل المعايير الإنسانية قيمة حقيقية، في حين ان الأخلاق التسلطية مصدرها في ضمير جذوره معصورة خارج الفرد. ومن الملاحظ أن مفهوم فروم للضمير التسلطي تأثر إلى حد كبير بمفهوم الأنا الأعلى، لذا فهذا الضمير لا تحدده قيمة الشخص أو الفرد الخاصة ولكنهم الناس الآخرين حيث يشير فروم إلى أن مصدر السلطة لا يقتصر على الوالدين أو على الأشخاص الآخرين المؤثرين في طفولة الشخص ولكن يمكن أن يكون ذلك عن طريق المؤسسات العامة مثل التقاليد الثقافية والفلسفية والعلمية أو حتى الآراء الشعبية المعاصرة. ببساطة فإن كون الأخلاق تسلطية وخارجية لا يعني أنه شيء اعتباطي أو مناقض للطبيعة الإنسانية. فروم يعترف بأن عدداً من الوصايا والقواعد ذات الأساس الديني يمكن أن تعكس أو تظهر نماذج إنسانية على كل حال، فإن الضمير التسلطي وأخلاقياته ليس مبنياً على الطبيعة الإنسانية وحاجاتها الحقيقية وفي المقابل فالأخلاق الإنسانية مبنية على متطلبات واقعية وحقيقية للطبيعة الإنسانية، فمصدرها في ذات الفرد واستجابتها لوظيفته الكاملة ككائن بشري بدلاً من السلطة الخارجية. فروم لا يؤمن بأن الضمير التسلطي شرط ضروري للضمير الإنساني، كما هو الحال مع فرويد! حديثاً، فروم اقترح نوعين آخرين من التوجهات الشخصية هما التوجه نحو الأموات أو الجثث (necrophilous) حيث يتعلق بكل ما هو ميت ويبحث عن كل شيء حي ليحطمه. أما التوجه التالي فهو المحب للحياة (Biophilous) وهو مرادف إلى حد كبير للتوجه الإنتاجي، وهو يعني حب الحياة أو البحث عن كل ما من شأنه تنمية ورعاية الأشياء الحية! فروم يعترف بأنه اقتبس هذين النمطين من غريزتي الحياة والموت لدى فرويد، لكنه يشير إلى أنه بالنسبة لفرويد فهاتين الغريزتين مصدرهما بيولوجي في حين أن فروم يرى أن الحياة فقط هي الحافز والدافع البيولوجي الطبيعي والرغبة في تحطيم الأشياء تظهر فقط عندما تكون قوى الحياة محبطة.

إذن فالتوجه نحو الموت يعتبر موازياً بل بديلاً للتوجه نحو الحياة. مثال كلاسيكي للشخصية المتوجهة للأموات أدولف هتلر والذي كان مولعاً بالموت

والتحطيم والهدم. في وصف فروم (١٩٧٣ م) لهتلر قال بأنه كان نرجسياً وشخصية إنسحابية لأنه لم يستطع تغيير الواقع، فكذبه وأنكره ودخل في خيال وفانتسي . برود هتلر وعدم مبالاته واكتراثه الذاتي قاده إلى الفشل في بداية حياته وبالتالي إهانات نتج عنها رغبة في التحطيم والهدم. هذه الرغبة لم يكن في الإمكان الاعتراف بها ولكن بدلاً من ذلك أنكرت وأصبحت منطقية عندما استخدمت كمناورات دفاعية وتمت كتصرفات معقولة نيابة عن الأُمه الألمانية الجديدة. الشيء المميز أو الفريد ليس شخصية هتلر ولكنه الوضع الاجتماعي والسياسي والتاريخي الذي سمح لهتلر بأن يصل إلى وضع أو مركز عظيم من السلطة. أي إن فروم يؤمن أن أشكال العدوان الضارة يمكن تخفيضها بوضوح عندما تكون الظروف أو الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية المطلوبة لتحقيق الحاجات والطاقات الإنسانية نامية ومتطورة في مجتمع معين.

أدب الحب: The Art of Love :

يرى فروم ان العلاقة الودية أو علاقة الحب الخاصة التي يعبر عنها الطفل، ويمر بها في تعامله مع والديه تظهر في تلك التوجهات الشخصية المتعددة. هنا فروم وصف ثلاثة أنواع رئيسية من العلاقات.

① العلاقات التكافلية (Symbiotic relationships) وتتضمن ارتباط شخصين بطريقة تجعل أحدهما يفقد استقلاليته حيث يبتلعه الشخص الآخر ويعتبر التلذذ بالتعذيب أو الاضطهاد (masochistic) هو شكل هذه العلاقة المتكافلة والشخص الذي يلتهم الشخص الآخر يميل للشكل السادي (Sadistic).

② العلاقة الانسحابية الهدامة (withdrawal - destructive) وتتميز بالتباعد لا بالتقارب، فالعلاقة واحدة من البرود وعدم الاهتمام والانسحاب أو تعبيرات عن العدوان والعنف.

③ العلاقة الإنتاجية مع الآخرين والذات: هذه العلاقة تتميز بتبادل الاحترام وبتوفير الاستقلالية لكل شخص أو طرف من الأطراف.

وينظر فروم للشخصية التقبلية على أنها تمثل استجابة تلذذية بالتعذيب

للعلاقة التكافلية. والنمط الاضطهادي (الاستغلالي) يظهر من النمط السادي الذي طوره الطفل الذي تكون ردود فعله هدامة للانسحاب الأبوي. التوجه التسويقي يتمثل في النمط السلوكي للطفل الذي يكون رد فعله للهدم الأبوي عن طريق الانسحاب. التوجه الإنتاجي له جذوره في علاقة الحب، الناس االمنتجون والمحبون للحياة يفهمون العالم من خلال الحب الذي يتيح لهم تحطيم الأسوار التي تفصل بين الناس. فروم يؤكد أن الحب المنتج يمثل الأدب أو الفن فنحن نستطيع التعبير عن الحب نظرياً وعملياً فقط إذا جعلنا من الحب مسألة اهتمام مطلق أو نهائي. الحب المنتج هو الإجابة الحقيقية للعزلة أو الوحدة الإنسانية في حين أن العلاقات التكافلية نماذج أو أشكال غير ناضجة وزائفة من الحب.

فروم يميز بين أنواع مختلفة من الحب الأخوي والحب الأبوي وحب الله وحب الذات فهو ينظر للحب الذاتي (Self - Love) على أنه مطلب ضروري لحب الآخرين. اليوم عدد كبير من الناس يستخدم الحب الذاتي كبديل للمهمة الأصعب وهي حب الآخرين. ويؤكد فروم بل ويصر على أن القدرة على الحب تتطلب التغلب على النرجسية. نحن يجب أن نكافح من أجل النظر إلى الناس الآخرين والأشياء بطريقة موضوعية ونعترف بتلك الأوقات والتي كنا فيها مقيدين بمشاعر ذاتية فنحن نحتاج إلى الاعتراف بأن الفرق بين تصورنا لشخص آخر، وواقعية الشخص كما تظهر بعيدة عن تدخل حاجاتنا وانفعالاتنا في الحكم عليه! مفهوم فروم للحب الذاتي يؤذن بظهور تأكيد روجرز على الانسجام ومناقشات مازلو للاحترام والتقدير الذاتي.

تحليل المجتمع:

يؤكد فروم على أهمية الدور الذي يلعبه المجتمع في تشكيل وبناء وتحديد الشخصية، وهو بهذا التأكيد يسعى إلى تنظيم وترتيب أفكار فرويد وماركس في تحليله لأوضاع اجتماعية وثقافية مختلفة وتأثيرهم على الطبيعة الإنسانية. فالكائنات البشرية من وجهة نظره تعتبر حيوانات اجتماعية ولا يمكن لها العيش بدون تطوير نوع من التنظيم الاجتماعي. نحن نستطيع تكوين المجتمع من أجل تحقيق حاجاتنا ولكن نوع المجتمع الذي نحن نصنعه يبني ويحدد الطريقة التي يمكن بها إشباع أو

تحقيق حاجاتنا. فمن أجل أن يعمل المجتمع بدقة فمن الواجب على الناس داخل المجتمع القيام بتشكيله ليرضي أو يشبع متطلباته. ففي المجتمع الرأسمالي مثلاً، الأفراد يجب أن ينتجوا ويستهلكوا البضائع، وإذا لم يكن الوضع كذلك، فإن المجتمع لا يمكن أن يبقى ويدوم. على الرغم من ذلك، لو ان مجتمعاً معيناً يضع متطلبات على أعضائه تتناقض مع طبيعتهم فمعنى ذلك أن هذا المجتمع يحبط طاقاتهم الإنسانية.

مع كل ذلك، وفي الواقع فإن فروم يؤمن بأن المجتمع الذي يحقق حاجات أعضائه الأساسية بطريقة بناءة لم يوجد بعد، حيث يصف فروم بدقة كيف فشل مجتمع الرأسمالية والشيوعية في محاولاتهما لتحقيق وإشباع الحاجات الإنسانية الأساسية بطريقة منتجة وعلى الرغم مما قيل عن الحب ونماذجه في المجتمع الغربي أو الرأسمالي، فمعظم علاقاته يحكمها مبدأ الإنصاف والاستقامة (Fairness) حيث يعطي الآخرين بمقدار ما يقدمون أو يعطون لنا.

لقد شارك مجموعة من مفكري علم النفس والاجتماع والتاريخ الأنثروبولوجيا وغيرهم من الخبراء مع فروم في القيام بإعداد دراسة اجتماعية لقرية مكسيكية حيث أنه مع ظهور التكنولوجيا والتغيرات الحضارية هؤلاء القرويين ابتعدوا عن أساليب حياتهم وتقاليدهم وقيمهم المعروفة، فدخل التلفزيون والسينما ليحل محل الاحتفالات والفرق الموسيقية الشعبية، كما حلت الملابس والأثاث المنزلي المصنع محل تلك القطع التي كانت تصنع بواسطة الإنسان أو اليد لا الآلة أو المصنع. مجموعة من المكسيكيين المدرسين طبقوا استمارات الاستبيان، كما إن اختبار رورشاخ والذي يشيرإلى الاتجاهات والمشاعر المكبوتة والدوافع الخفية تم إستخدامه أيضاً . من خلال هذه الدراسة والمعلومات يمكن القول أنه يمكن تقسيم هذه القرية إلى ثلاث طبقات اجتماعية تمثل ثلاثة أنواع من الشخصيات الاجتماعية :

١ ـ الملاك: المطوقين المنتجين.

٢ ـ العمال الفقراء: الغير منتجين والمتقبلين.

٣ ـ رجال الأعمال المنتجين : الاستغلاليين أو الاضطهاديين.

نتائج الدراسة حول تاريخ القرية والتركيب الاجتماعي والاقتصادي وأنظمة

الاعتقادات والاتجاهات والتخيلات تبدو كمؤشر يؤكد ما تذهب إليه نظرية فروم من أن الشخصية تتأثر بالتغيير والتركيب الاجتماعي.

وعلى الرغم من أن فروم لا يرى أن الشخصية يشكلها بالكامل، المجتمع، إلا أنه يعتقد أن معوقات النمو يفرضها المجتمع لا الطبيعة الإنسانية نفسها. وبما أن الكائنات الإنسانية تخلق المجتمعات التي تعيش فيها ففروم يتصورها قادرة على وضع المجتمع الذي يحقق الحاجات الإنسانية ويشبع الطاقات الكامنة. فروم كان متفائلاً حول إمكانية المجتمع بأفراده على خلق نوع من الارتباطات مع الآخرين بحب وإبداع وإنتاجية. كل فرد سيختبر نفسه كمصدر للطاقة أو السلطة ويرتبط بواقعية ومنطقية بالعالم. قبول مناقشات فروم حول الحب، ومحاولة تطبيقها في مجتمعنا (المجتمع الأمريكي) سوف تتطلب بلا شك تغيرات جذرية في علاقاتنا الاجتماعية. فروم يشير إلى طريقتين أو أسلوبين من الوجود يتناقشان في الروح الإنسانية. أسلوب الملكية (Having mode) ويمثل مصدر الرغبة في السلطة ويقود إلى العزلة والخوف! وأسلوب الكينونة (Being mode) ويعتمد إلى حد كبير على حقيقة الوجود ويعتبر مصدراً للنشاط والحب والعطاء ويقود إلى التضامن والمتعة! قبل ثلاثة قرون ونصف، فروم يذكرنا بأننا طورنا علماً جديداً. استطاع اجتذاب وإثارة غالبية العقول الذكية وقاد إلى خلق مجتمع تكنولوجي عال كنا نحلم به من قبل، لكن ما نحتاج إليه الآن هو علم اجتماعي جديد، فهدفنا في هذا الوقت ليس السيطرة على الطبيعة بل السيطرة على التكنيك وعلى تلك القوى الاجتماعية الغير منطقية والمؤسسات الغير واقعية التي تهدد بقاء المجتمع الغربي إن لم يكن الجنس البشري بأكمله. فروم في كتاباته الأخيرة وصل إلى قناعة بفشلنا في تحقيق بعض أهدافنا ولكنه بقي متفائلاً، ومؤمناً بأنه ما دام أن الحياة موجودة فهناك أمل.

نظرية فروم: فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

يصف فروم الطريقة التحليلية النفسية في البحث على أنها علمية بحق، حيث تمثل ملاحظتها للحقائق جوهر تكوينها، فالمحلل يلاحظ عدداً من الحقائق حول مريضه، فيعمل على وضع استنتاجات واستدلالات من واقع هذه الملاحظات ويضع فرضيات ينظر لها على ضوء الحقائق الإضافية التي تظهر ويصل في النهاية إلى

استنتاج حول الصدق المحتمل لهذه الفرضيات. النماذج النظرية للمحلل النفسي لا تسلم نفسها للدحض العلمي بطرق ووسائل تجريبية، ولكنها مبنية على عدد من السمات التي يقضيها في ملاحظة عملية متأنية في داخل الوضع الأكلينيكي أو الموقف العيادي. إذن، على الرغم من أن الطريقة التي تستخدم للصدق والثبات تختلف عن الطرق المستخدمة في العلوم الطبيعية، فروم يؤمن بأنها طريقة ثابتة ويمكن الاعتماد عليها.

ويرفض فروم مذهب العلمية (Scientism) أو الاعتماد الاستثنائي على التصور الضيق للعلوم فقد كان ناقداً للأسلوب العلمي الضيق لأن هذا الأسلوب يهدف إلى جعل الفروق الشخصية صغيره ولا يسمح لها بالظهور، فلقد أدرك فروم بوضوح أكثر من الآخرين أن عملية النشاط العلمي تبدأ، بنظرة ظاهرة تدلنا عليها فلسفة العالم. نظرية فروم تعتبر تنبؤية وتندمج فيها عدة نقاط جيدة وذات قيمة حتى وإن بدت في البداية متناقضة فهو يرسم تصورات ويستنتج أفكاراً من الدين والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد تسمح بتنوير نظريته وتطويرها.

لقد رأينا كيف ان نظرية فرويد كانت محصلة لمعتقدات وفكر القرن التاسع عشر، جذورها في إطار الحتمية البيولوجية التي عفى عليها الدهر ومع أن مفاهيم فرويد ساعدت في تحطيم بعض الاعتقادات والمفاهيم السائدة في القرن التاسع عشر عن الطبيعة الإنسانية إلا ان هذه المعتقدات الآن تتطلب إعادة نظر لكي تواكب التطورات التي تحدث في القرن العشرين. لقد استغل فروم ظهور علوم الاجتماع النفسي والاقتصاد والأنثروبولوجيا بالإضافة إلى النتائج الجديدة في المجالات الأخرى لتنقيح نظرية فرويد وتطوير وجهة نظره الخاصة. على الرغم من أن طرق فروم في البحث طرق تطبيقية مبنية على الملاحظة إلا أنه ليس في المستطاع وضعها كأساليب علمية دقيقة وصارمة. في التحليل النهائي، فروم مثله مثل غيره من أتباع فرويد الآخرين يعتبر مفكراً فلسفياً في تأكيداته، حيث يرى ان النظرية لديها قدرة على إلقاء الضوء على الوضع الإنساني، هذه هي نظرية تماسك الحقيقة والتي تعتبر خاصية من خصائص الفيلسوف.

لقد كتب فروم القليل عن أسلوبه في العلاج، ولكن يمكن القول بأنه على الرغم من انحرافه عن الأسلوب التحليلي النفسي الأرثوذكسي إلى حد ما، إلا أنه يوظف أشكالاً من التداعي الحر، ويعطي أهمية لتفسير الأحلام، وتقديراً ملحوظاً لتحليل التحويلات التي تظهر خلال العلاج. لقد أشار فروم إلى أنه كان معالجاً أكثر نشاطاً من فرويد وطبق مصطلح (activating: التنشيط) ليصف تدخلات المعالج لتسهيل النجاح المطلوب، ويؤكد على أن المعالج يجب أن يشعر بما يتحدث عنه المريض ويدرك العلاقة الإنسانية الأليفة التي يشترك فيها الإثنان. هذا العنصر المطلوب للتعاطف يسمح للمريض أن يدرك أن مشاعره الداخلية يشاركه فيها الآخرون.

هناك عدة أفكار أخلاقية واضحة في كتابات فروم، فقد حاول تطوير معيار أخلاقي يمثل أفضل الإجابات للمشاكل التي تواجهنا جميعاً فهو يعتبر السلوكيات الأكثر مناسبة لتوحيد وانسجام وتقوية الفرد هي السلوكيات الأخلاقية. نظرية فروم توسع مفهومنا في تطبيق نظرية الشخصية لتتضمن المحاولات التي تهدف إلى تعريف وتركيب المجتمع وتثقيفه.

وعلى الرغم من أن بعض كتابات فروم قد تبدو إلى حد ما قديمة لأنها تدور حول ظروف وأوضاع في منتصف القرن العشرين إلا أن أفكاره الرئيسية تبقى قريبة الصلة بعصرنا الراهن! فلقد استخدم العديد من مفاهيم فروم في الحركة الإنسانية في علم النفس، كما إن نظريته ينظر لها على أنها نظرية مترابطة ومتماسكة ومتطورة في عمقها، ويعتبر الالتزام بوجهة نظر فروم التزاماً بطريقة الحياة التي تناصرها نظريته.

ملخص:

① أسلوب فروم اصطلح على تسميته التحليل الاجتماعي الإنساني لأنه يُحاول تنظيم وتركيب أفكار فرويد وماركس.

② ميز فروم بين الثنائية الوجودية والتي تظهر من الوجود ذاته وبين الثنائية التاريخية التي يخلقها المجتمع.

③ طرح فروم خمس حاجات أساسية هي: الارتباط ـ التسامي ـ الأصولية والجذور ـ معنى الهوية ـ وإطار التوجه والإخلاص. وأوضح بأننا نصنع

المجتمع من أجل تحقيق هذه الحاجات.

④ حدد فروم أنواع الشخصية في المجتمع الغربي في أربعة توجهات هي: التقبلي - المطوق أو السياجي - الاستغلالي - أو الاضطهادي. التوجه الإنتاجي يشير إلى الفرد الناضج الذي يميل إلى حب الناس والحياة كما يستخدم أخلاقيات ومعايير إنسانية بدلاً من التسلطية.

⑤ يصف فروم ثلاثة أنواع من العلاقات هي التكافلية، والإنسحابية، وعلاقة الحب.

⑥ يؤمن فروم بأن الحب الذاتي يمثل مطلباً مبدئياً لحب الآخرين، لذلك فهو يتطلب التغلب على النرجسية والانغماس الذاتي.

⑦ الكائنات البشرية تخلق المجتمع من أجل تحقيق حاجاتها لكن المجتمع الذي يصيغونه يحدد تحقيق تلك الحاجات ويؤمن فروم بأنه لا يوجد مجتمع في الوقت الراهن قادر على تحقيق كل الحاجات الإنسانية الأساسية بطريقة بناءة.

⑧ التغيرات المتطرفة مطلوبة حيث يشير فروم إلى نتائج تلك الدراسة المنظمة من مختلف العلوم الإنسانية لإحدى القرى المكسيكية.

⑨ فروم يصف طريقة التحليل النفسي في البحث بأنها علمية وعملية مع اعترافه بأن الأسلوب العلمي متعلم أو معروف عن طريق الفلسفة. أخيراً أسلوب فروم يمثل التزاماً عميقاً للأساس الفلسفي لمعنى الحياة.

قراءات مختارة

Suggestios for Further Reading

Erich Fromm's writings have had a vast appeal! He is one of the theorists most likely to be read by the lay person, for whom he wrote expressly. Fromm's first, and in the eyes of many most important, book is Escape from Freedom (Holt, Rinehart, 1947). In it he explores the problem of human freedom and our tendency to submit to tyranny or authority. Man for Himself (Holt, Rinehart and Winston. 1947) discusses the problem of authoritarian versus humanistic ethics and outlines his five chararter orientations. The Sane Society (Holt, Rinehart and Winston, 1955) describes the five basic human needs and considers the effects of

capitalism and other social forms on character development. Fromm's most popular work is The Art of Loving (Harper Row, 1956), which outlines his theory of love. The distinction between the necrophilous and biophilous orientation and Fromm's case study of Adolf Hitler are included in The Anatomy of Human Destructiveness (Holt, Rinehart Winston, 1973). Fromm's last work, To Have or to Be (Harper & Row, 1976), offers us a choice of two primary modes. one of which offers the potential for growth.

الجزء الثاني
الاتجاهات المعاصرة في التحليل النفسي
الفصل السابع
نظريات التحليل النفسي المعاصرة

أهداف الفصل السابع:

١ ـ مناقشة مساهمات (آنا فرويد) في مجال التحليل النفسي.

٢ ـ شرح كيف (هينز هارتمان) وسع وظائف الأنا.

٣ ـ وصف مساهمات (روبرت وايت) لنظرية الحافز وفهم الأنا.

٤ ـ مناقشة مفهوم (مرغريت مهلر) لعملية الانفصال ـ الفردية.

٥ ـ شرح كيف أن (هينز كوهت) يتعامل مع الاضطرابات النرجسية.

٦ ـ وصف القسمات الرئيسية لنظرية (إريك برن)، تحليل التعامل.

٧ ـ مناقشة محاولات اختبار مفاهيم فرويد تجريبياً.

٨ ـ تقييم نظرية التحليل النفسي المعاصرة فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

كما رأينا فقد تركت نظرية فرويد العديد من الجدل والنقاش حول مبادئها وفرضياتها لدرجة وصلت ببعض من أتباعه إلى ترك مدرسته وتطوير نظرياتهم المنفصلة ومثال ذلك أدلر، يونج، هورني، وسوليفان وفروم حيث تجاهلوا أو قللوا من قيمة وأهمية مفاهيم فرويدية عدة! هناك آخرون من أتباعه عملوا داخل الإطار أو الاتجاه التقليدي الكلاسيكي فأحدثوا وصبغوا وعدلوا بعض الأفكار الفرويدية؛ إذن فالمحللون المعاصرون قد أصلحوا ونقحوا التحليل النفسي حتى يجعلوها تعكس العالم المتمدن والفهم الذاتي المعاصر.

① آنا فرويد: Anna Freud:

تعد آنا فرويد أصغر بنات سيجموند فرويد والشخصية الوحيدة في الأسرة

التي اتبعت منهج الأب ومهنته حيث توسعت آنا في دراسة التحليل النفسي وركزت على دراسة الطفل والكشف عن الأنا. ففي محاولاتها لتوضيح نظرية التحليل النفسي قدمت لنا أفكاراً جديدة وإبداعية. آنا فرويد في ملاحظاتها للأطفال، تجاوزت الأطفال العاديين والمضطربين الذين ينمون في بيوت عادية وتضمنت الأطفال الذين سبق لهم مواجهة ظروف غير عادية كالحروب والإعاقة وفقدان الوالدين.

كما يلاحظ أن بعضاً من ملاحظات آنا فرويد حول بعض الأفكار السابقة المتعلقة بالأطفال تغيرت من واقع البحوث والدراسات التي قدمتها، فمثلاً لقد افترض سابقاً أن الأطفال لديهم خوف غريزي من الحروب والدماء.. الخ ولها تأثير كبير على الأطفال الصغار، ولكن آنا فرويد في دراستها مع دوروثي بيرلنغهام على الأطفال الذين عايشوا حرب الأطفال الإنجليز بالقنابل خلال الحرب العالمية الثانية أظهرت أن العالم الطفولي يعتمد بشكل كبير على الأم وهذه النتائج وغيرها جعلتها مؤيداً قوياً تنادي بضرورة حماية الحقوق الطبيعية والرغبات الخاصة بالطفل! وترى آنا فرويد أن مرحلتي الرضاعة والطفولة مهمتين كمقدمة لعملية نضج جيدة، لذلك نراها تؤكد في علاجها على أهمية اتجاهات الدعم والحماية والتعليم، حيث ترى أن التحليل النفسي للأطفال لا يجب أن يتم بأسلوب مطابق لما يحدث في تحليل الكبار فالتكنيكات التقليدية كالتداعي الحر، وتفسير الأحلام وتحليل التحويل يجب أن تغير إلى اساليب تتناسب ومستوى نضج الأطفال!، أيضاً تؤكد على أهمية قيام علاقة بين الطفل والمحلل وضرورة أن يكون ذلك المحلل قدوة ومحل ثقة واحترام عميله. كما لاحظت أن الأعراض العصابية عند الأطفال لا تحمل بالضرورة نفس المعنى الذي نراه لدى البالغين.

لقد صممت آنا فرويد نظاماً لتصنيف أعراض الطفولة يعكس القضايا التطورية والإجراء الضروري والنظامي للتقييم وقد أطلقت عليه اسم الصورة التشخيصية (Diagnostic profile) والذي استخدم مع الرضع والأطفال والمراهقين والبالغين، وفي هذا المقياس جوانب مختلفة من نظرية التحليل النفسي استخدمت لتنظيم وتكامل المعلومات المكتسبة خلال تقييم الشخصية وكيفية نموها ومدى ملاءمته،

كما استخدمت آنا فرويد في مناقشاتها مصطلح (الخط التطويري : Developmental Line) مشيرة إلى سلسلة من تفاعلات الأنا والهو حيث يقلل الأطفال من اتكاليتهم على الضوابط الخارجية وتزداد قوة الأنا مما يعني زيادة تبحرهم في العالم الذي يعيشون فيه وإجادتهم للكثير من المهارت، ومن ثم توجد ستة خطوط للتطور تؤكد قدرة الأنا على التكيف مع الأوضاع البيئية والشخصية والداخلية وهي :

① الاتكالية مقابل الاعتماد الذاتي الانفعالي.

② المص مقابل الأكل.

③ التبول والاتساخ مقابل السيطرة على الأمعاء والمثانة.

④ اللامبالاة مقابل المسئولية.

⑤ اللعب مقابل العمل.

⑥ الأنانية مقابل الشللية!

ولقد تعلمت آنا من عملها مع الأطفال بأن هناك حدوداً واقعية للتحليل، فبعض العوامل التكوينية والبيئية يمكن ألا تكون قابلة لتغيير حقيقي من خلال التحليل، لذا فتأثيراتهم يمكن أن تنخفض أيضاً ففي حين كان فرويد يركز على كشف الحوافز اللاشعورية للهو، نجد ابنته توصلت إلى أنه لكي تظهر هذه الحوافز في التحليل، فالأنا يجب أن تكون واعية للدفاعات التي تستخدمها لحماية الأشياء المحسوسة من الخروج أو الظهور ثانية إلى الشعور!، إن تحليل الدفاعات يتيح للواحد فهم تاريخ حياة الطفل ونموه الغرائزي! آنا ركزت على دفاعات الأنا التي استخدمها والدها واقترحت دفاعات إضافية من قبلها، كما أوضحت عملية التقمص مع محبي العنف، حيث يبدأ الضحية أو المغلوب على أمره في التقدير والإعجاب بمن يتحكم فيه أو يقبض عليه وهذه الظاهرة تمت ملاحظتها مع الرهائن وسجناءالحروب. كما أن الطالب في المدرسة يتقمص شخصية مدرسه ذو الوجه الغاضب وهذا دليل على التقمص والتوحد مع الغضب أو العدوانية. وترى أخيراً أن التطرف والكثافة أو الغزارة في نشاطات وأعمال المراهقين ليست شيئاً مَرَضِياً ولكنها أموراً طبيعية ووظيفية.

② هاينز هارتمان : Heinz Hartmann:

يرى هارتمان أن الأنا قوة مستقلة وذاتية مهمة، قوتها لا تنبع بالضرورة من الهو (كما يعتقد فرويد) لكن الأنا والهو جذورهما متأصلة في الاستعدادات الموروثة التي تلي مراحل مستقلة من النمو والتطور. إذن فعمل ووظائف الأنا ليست محدودة بتجنب الألم وإشباع الغرائز، فهارتمان يصف عملية الأنا كمثل الإدراك والانتباه والذاكرة والاعتقاد المنطقي والسلوك ويظهر ميلاً ملحوظاً في تأثيرها على السلوك العادي. أيضاً يقترح هارتمان أن أجواء معينة من نشاط الأنا يمكن أن تكون حرة من الصراعات وهذا معناه أن الأنا ليست في صراع أبدي أو سرمدي مع الهو والعالم الخارجي والأنا الأعلى، فمن خلال التجارب والخبرة والتكيف عدد من الوظائف الأنا يمكن أن تصبح متميزة بصورة ملحوظة عن تلك المناورات الدفاعية والغرائز الأصلية.

كما يرى أن الذاكرة والتعلم والوظائف الأخرى للأنا شروط مبدئية لتفاعلات الأنا مع الهو بدلاً من الخروج منها، هذه الوظائف تظهر مستقلة مع قدرة الأنا على تحييد الطاقة الجنسية والعدوانية حتى تعمل بطرق لا تقتصر على تخفيض الحافز فقط، فميكانيزم الدفاع ـ (النكوص) مثلاً، يمكن توظيفها لخدمة الأنا، حيث نرى طالب الكلية قادر على التركيز والدراسة بطريقة أفضل بعد قضائه لعطلة نهاية أسبوع مليئة بالأنشطة الرياضية والترويحية. أن وظائف الأنا يمكن أن تكون ذاتية ومستقلة عن الهو وتتم ممارستها (أي الوظائف) لذاتها لا من أجل الهو! هارتمان في تأكيده على الوظائف المعرفية للأنا يتوافق مع الاهتمام الراهن بدور المعرفة أو العقل (Cognition) في عملية تشكيل الشخصية ونموها فهو ينظر للتكيف أو التأقلم على أنه علاقة متبادلة بين الكائن والبيئة فالكائن يغير البيئة من أجل أن يجعلها متوافقة ثم بعد ذلك يغير نفسه من أجل أن يتكيف مع هذه التغيرات الجديدة ومن ثم فإن التأقلم أو التكيف عملية لا تنتهي بل هي مستمرة تظهر مستويات أكثر تعقيداً من الإجادة، والصياغة والتركيب والتنظيم! إن الأنا تتكامل وتتوافق ليس فقط في صراعها مع الأنا الأعلى والهو والعالم الخارجي بل حتى مع تلك الصراعات داخل ذاتها أو نفسها.

③ روبرت وايت: Robert White:

يرى وايت أن الأنا يمكن أن تجد إشباعاً جوهرياً أو رضى حقيقياً في أنشطتها الخاصة فهو يرى أن هناك حافزاً متأصلاً موجود في الكائن الحي يكشف ويعدل الأشياء ويستشهد وايت بدراسات تقوم فيها الحيوانات بتصرفات توحي بأنها تريد أن تزيد، لا أن تنقص، من مقدار الإثارة والذي يظهر خلال هذه السلوكيات. فمثلاً، القردة سوف تتعلم استجابات جديدة من أجل أن تتاح لها فرصة للكشف عن ما في المختبر، ومثل هذه السلوكيات لا بد وأنها تظهر لتحقيق حاجة بيولوجية، بل على الأصح، فالكائنات المعقدة كالإنسان تدفعها حوافز تعكس أهدافاً وأغراضاً ذات مستوى عال. وايت يرى أن نظرية الدافع يجب أن تعترف بالحافز المؤثر الذي يقود الكائن إلى البحث عن تطوير كفاءته للتعامل مع البيئة. ويختلف وايت عن فرويد في بعض المنطلقات المرتبطة بمراحل النمو النفسية الجنسية التي قال بها فرويد، فالمرحلة تذهب إلى أبعد من وضع الأكل أو الرضاعة في الفم لتتضمن استعداد الرضيع الكلي للتأقلم مع بيئته. المرحلة الشرجية تتضمن الصراع من أجل الاستقلالية في حين أن المرحلة القضيبية تظهر أن الطفل يتعامل مع العالم بفاعلية أكثر من خلال اللغة والتخيل أو التنقل. يرى وايت أن حل الصراع الأوديبي يتطلب سلوكيات تكيفية تذهب إلى أبعد من التقمص أو التوحد مع الوالد من نفس الجنس لتتضمن حلاً وسطاً مرضياً للرغبات الغرائزية وللمتطلبات الأبوية، خلال مرحلة الكمون، الطفل يطور مهارات اجتماعية ويدخل في مهام عملية حقيقية أما المرحلة التناسلية والمراهقة فتنطوي على اندماج المهارات وتطوير معنى للهوية. كما يرى وايت أن الأنا مستقلة في طاقتها عن الهو حيث لاحظ أن الأنا مراراً تؤجل إشباع رغبات الهو من أجل أن تؤمن حلاً أكثر إرضاء وقبولاً. إن الأنا من أجل أن تفعل ذلك لا بد وأن تكون قادرة على التنبؤ بالنتائج المستقبلية. ختاماً نستطيع القول بأن وايت يؤمن بأن الأنا متحررة كلية من اعتمادها على الهو.

④ مارجريت ميهلر: Margaret Mahler:

اكتشفت مارجريت ميهلر عمليات الانفصال والفردية (Separation and individuation process) والتي بواسطتها نخرج الطفل من

الانصهار الودي أو الاندماج العاطفي مع الأم ليتسنم أو ينتحل خصائص فردية! إن مشاعر الأم تثبت أن الولادة البيولوجية للرضيع والولادة السيكولوجية للفرد ليست هي نفس الشيء فبدراسة ومقارنة أطفال عاديين بآخرين مضطربين للغاية توصلت ميهلر إلى تحديد سلسلة من المراحل تمر بها الأنا من أجل أن تتكون الشخصية ويتحقق التطور الفردي! عملية تكوين الشخصية والانفصال تبدأ في الشهر الرابع وتؤدي إلى تشكل المفهوم الذاتي الثابت قرب نهاية السنة الثالثة، إذن فمن وجهة نظر ميهلر، جذور الهوية وقوة الأنا وحل الصراع تسبق عقدة أوديب. قبل عملية التشخيص (التطور الشخصي أو الفردي) والانفصال هناك مرحلتين هما:

① التكامل العادي.

② الانغماس أو الانشغال الذاتي العادي، حيث تتطور أنا الرضيع من حالة النرجسية الرئيسية المطلقة إلى الاعتراف وإدراك العالم الخارجي وفي هذا الوقت لا يوجد انفصال حقيقي عن الأم لكنها تطورات يمكن أن تظهر لتعزز أو تعوق عملية التشخص الفردي، هذه العملية (عملية التكون الشخصي الفردي ـ الانفصالية) تتكون من أربع مراحل هي:

① التفريق (Differentiation): حيث تتطور صورة الجسم منفصلة عن الأم (٥ ـ ٩ شهور).

② الممارسة (Practicing): إجادة القدرات الحركية وتطور الاستقلال أو الاعتماد الجسماني (عشرة ـ ١٤ شهراً).

③ إقامة العلاقات الودية (Rapprochement): وتتضمن إدراكاً متزايداً للانفصال عن الأم مع حساسية مصاحبة لغيابها تعبر عن صراع بين الحافز للانفصال والخوف من الضياع واعتراف بأن الأمهات لديهن سمات جيدة ورديئة (١٤ ـ ٢٤ شهراً).

④ الاندماج (Consolidation): وتتضمن توحيد للأشياء الطيبة والرديئة في الأم مع تصور أنها (الأم) وحدة منفصلة في العالم الخارجي وبدايات لفردية الطفل الخاصة وتشخيص منفصل كما نراه في المفهوم الذاتي (سنتان إلى ثلاث سنوات)!

ميهلر تعبر عن إيمانها بأن الرضع الأصحاء والعاديين يظهرون حافزاً تجاه التطور والنمو تبرهنه عملية الانفصال والتشخص الفردي .

⑤ هاينز كوهت : Heinz Kohut:

طور كوهت بعداً جديداً في التحليل النفسي سماه (نظرية الذات) مستفيداً أو متوسعاً في تطبيق ودراسة ملاحظات ميهلر حول بدايات التشخص الفردي وأهمية علاقة الطفل بالأم . ركز كوهت على النرجسية (narcissism) والذي عرف من خلال الأسطورة اليونانية القديمة التي تقول بأن شخصاً وبطريقة لا إرادية وقع في حب نفسه عندما رأى انعكاساً لها أو لشكله في بركة الماء، حيث تحدث إلى تلك الصورة وأحبها وحاول معانقتها لكنها تلاشت عندما حاول الإمساك بها. إن الشخصية النرجسية تتميز بإعطاء أهمية مبالغ فيها للذات وسلوكيات مبالغ فيها أيضاً تخفي معنى هشاً للقيمة الذاتية. فرويد يعتقد أن الاضطرابات الحدية والنرجسية لا يمكن معالجتها بالتحليل النفسي لأنها وجدت قبل أن يتكلم المريض ولذلك لن تكون مذعنة أو خاضعة للتحليل اللفظي.

إن التغيرات في العلاقات العائلية والمجتمع قادت إلى ازدياد في هذه الأنواع من الاضطرابات بين الناس! كوهت يؤمن بأن اضطرابات الذات تنشأ من فشل في التعاطف الأبوي (Parental empathy) فالأطفال يريدون استجابة صحيحة لحاجاتهم الطفولية، ومعظم الوالدين قادرين على الاستجابة بدقة لحاجات أطفالهم الداخلية وهذه الاستجابات تساعد في بناء واستمرارية مبكرة للذات، وبدون مثل هذه الاستجابات من المحتمل ترك الأطفال في اضطرابات نرجسية تجعلهم يبحثون عن الآخرين من أجل إثبات الذات.

بالنسبة لموضوع العلاج، فمثل هؤلاء المرضى يطورون تحولات أو طرحاً مثالياً أو ما يسمى (المرآة) (mirroring) تلقى على المحلل وتعكس علاقاتهم الأبوية المضطربة والمبكرة ومهمة المحلل هو محاولة الدخول في عالم المريض الانفعالي من خلال التعاطف والتجاوب الصحيح في كلماته وفهمه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

⑥ إيريك بيرن ERIC Berne :

طور إيريك بيرن نظرية تحليل التعامل (Transactional Analysis) والتي يطلق عليها أحياناً مسمى (التحليل النفسي للناس البسطاء Lay People Psychoanalysis). هذه النظرية كانت مرتبطة بالتحليل النفسي لمدة خمسة عشر عاماً حتى قام بيرن بإدخال مصطلحات ومفردات جديدة بسطت تصور وتخيل العلاقات الإنسانية، هذه النظرية تشبه التحليل النفسي في تأكيدها على أهمية الأحداث الطفولية والقوى اللاشعورية في تشكيل الشخصية لكنها تركز أكثر على التفاعلات بين الناس وتقدم عناصر معرفية أكثر من ذي قبل!

يرى بيرن أننا في علاقاتنا مع الذات والآخرين نقوم بتبادل أدوار: ١ الطفل أو ٢ ـ الأب أو الأم أو ٣ ـ البالغ. حالات الأنا التي قال بها بيرن توازي عناصر تركيب الشخصية عند فرويد فالطفل = الهو والأب أو الوالد = الأنا الأعلى والبالغ= الأنا. إن من السهل علينا فهم كيف أننا مراراً نلعب دور الطفل أو الوالد بدلاً من دور البالغ في علاقتنا الشخصية التبادلية بدلاً من فهم تلك المفاهيم الفرويدية.

حالات الأنا الثلاث:

① حالة الطفل (Child): تتكون من تسجيل لتلك المشاعر والخبرات التي حصلنا عليها عندما كنا أطفالاً سواء كانت طيبة أو سيئة ضارة أو نافعة وفي هذه الحال نحن نميل إلى الاستجابة العفوية فندافع عن أنفسنا ونعكس الشيء الطبيعي فنتكيف ونتمرد على سمات الطفولة ومع نمونا تندمج في شخصيتنا الإيماءات والنظرات والتذكير واللوم والوصايا الأخلاقية التي يقول بها الغير والمؤثرين والتي نتلقاها منهم في البيت أو المدرسة أو الحي السكني.

② حالة الوالد (Parent): في هذه الحالة نحن نميل إلى معاقبة أو فرض أحكام قيمية على الناس الآخرين فنحن كبالغين نبحث عن تقييم وعمل خيارات واقعية بين البدائل التي تواجهنا.

③ حالة البالغ (Adult): وفيها نبحث عن المعلومات ونوازن بين البدائل

والخيارات ونقيم الأمور ولا نخضع لتهديدات أو غضب أو ردود فعل الآخرين الحانقة.

النقطة هنا ليست إزالة حالتي الطفل أو الوالد واللتين لهما سمات إيجابية ولكن الموضوع هو فحص معلوماتهم على ضوء المعلومات التي تتجمع بواسطة البالغ.

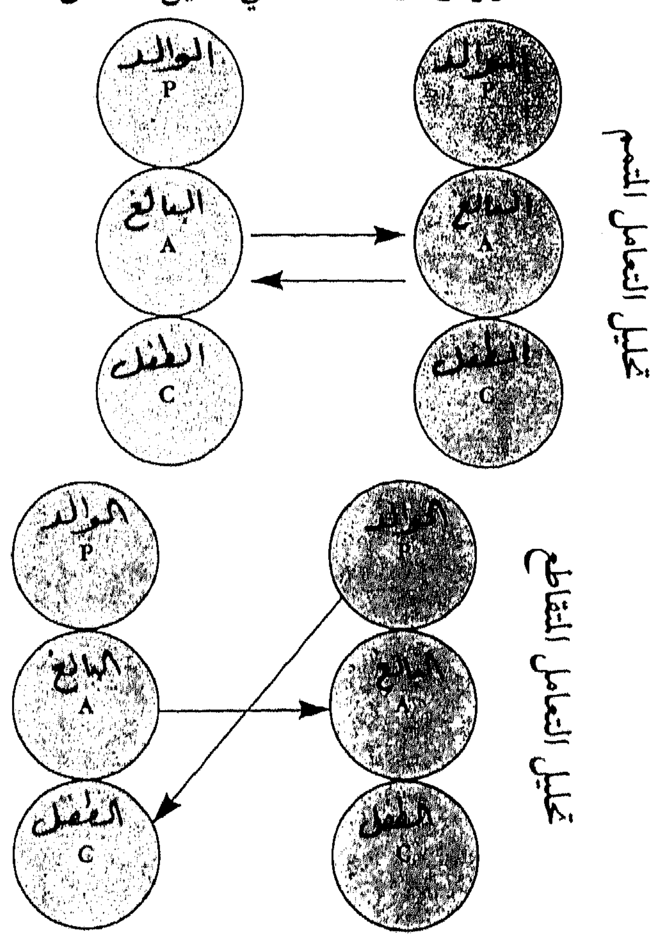
في عدد من المواقف يتصرف الفرد عامة من خلال واحدة أو أكثر من هذه الحالات الثلاث فعندما يلعب الفرد الآخر دوراً موازناً أو مكملاً فإن العلاقة المتبادلة تظهر، لكن إذا لم يجاري هذا الشخص الفرد الآخر هنا تظهر علاقة متقاطعة تعبر عن عدم الرضى المشترك! بيرن يقدم مثالاً تقليدياً لهذه العلاقات هو حال الزوج والزوجة عندما يقوم الزوج بلعب دور أو حالة (البالغ) سائلاً زوجته (أين ساعتي؟) فتكون الاستجابة (البالغة) هي (أنا لم أرها) أو (هي موجودة على الرف المقابل). لكن إذا ـ الزوجة استجابت لسؤال زوجها بطريقة دفاعية متقمصة دور (الطفل) فستكون إجابتها (كيف يفترض فيني معرفة أين تكون؟) أو بإطلاق حكم معين يعبر عن قيامها بدور أو حالة (الوالد) (أنت يجب عليك أن تهتم بأشياءك الخاصة وتوليها عناية فائقة) وهنا تظهر علاقة تقاطعية توقف الاتصال أو تسبب المشاكل.

بيرن تحدث أيضاً عن أدوات أو خطط أو مباريات يلعبها الناس تمثل التحويلات التي تتم بينهم وبين الآخرين، هنا بيرن يقترح وجود أربعة أوضاع أو مواقف خلال الحياة فالطفل يبدأ بوضع يتمثل في القول (أنا لست بخير، لكن أنت بخير) لأن الطفل يحمل مشاعر النقص ولكنه مع توفر الدفعات المعنوية والثقة الذاتية يتسنم الوضع أو موقف (أنا بخير أنت بخير) أما الوضعين الآخرين فهما (أنا بخير ، أنت لست بخير) و (أنا لست بخير وأنت كذلك لست بخير) ! إن مصطلح الدفعات المعنوية **(Strokes)** تعني أنشطة تحقق حاجات معنوية ونفسية وفسيولوجية للفرد وهي مهمة للبقاء والعيش وتحقيق الذات فنحن في الأساس نعتمد

الوالد البالغ الطفل الوالد البالغ الطفل تحليل التعامل المكمل أو المتمم

الوالد البالغ الطفل الوالد البالغ الط الطفل تحليل التعامل المتقاطع

حالات الأنا الثلاث في تحليل التعامل



على الآخرين لتحقيق هذه الدفعة المعنوية، وفيما بعد نتعلم أن نعطيهم لأنفسنا من (والدنا) الذي ترعرع وكبر وفي الغالب نحن نأخذ أو نعطي وخزات باردة أو دفعات سلبية تؤدي إلى وضع أقل مثالية!

هذه النظرية تبحث في مساعدة الفرد على فهم كيف ينظر لنفسه وللآخرين ويحلل أنواع التعاملات الشخصية المتبادلة أو الألعاب التي يلعبها في تعامله مع

الآخرين وهي تناسب العلاج الجماعي فهي تساعد الناس على تطوير نظرة أكثر موضوعية عن أنفسهم وعن الآخرين.

لقد وَلَّدَتْ نظرية فرويد في السنوات الأخيرة كماً عظيماً من البحوث والتجارب كلها تحاول تجربة واختبار مدى صدق فرضياته ومفاهيمه فمثلاً سيلفرمان (١٩٧٦ م) صمم تجربة لاختبار صحة ما يقول به المحللون النفسيون من أن الاكتئاب ينشأ من مشاعر عدوانية تم تحويلها إلى الداخل ضد الذات! أيضاً هول و (فان دي كاستل) قاما بتجربة أو اختبار مفاهيم قلق الخصاء وحسد القضيب. هذه الدراسات والأبحاث في العصر الحديث ومع تطور ميكانيكيات وتقنيات البحوث والعلوم كشفت جوانب تحمل تناقضاً وتكذيباً لبعض مفاهيم فرويد فليست المرأة ذكراً مخصياً على سبيل المثال، ومع ذلك بعض المفاهيم أثبتت دقتها وصحتها تحت هذه البحوث الدقيقة مثل عقدة أو ميكانيزم الكبت حيث ثبت أن هناك نزعة لدى الفرد تتمثل في تناسي تلك الأحداث المرتبطة بمواقف غير سارة أو مرضية.

نظرية التحليل النفسي المعاصر: فلسفة وعلماً وأدباً:

هؤلاء المحللون النفسيون عملوا على تنقيح مفاهيم نظرية التحليل النفسي بحيث لم تعد محددة بفكر القرن التاسع عشر ولكنها تعكس جوانب من العالم المعاصر أو تدعم الفهم الذاتي المعاصر. ومع أن فرويد يرى أن عمله وما قام به وما قدمه من مفاهيم تشكل أو تمثل علماً، إلا أن عدداً من إفاداته وظفت بطريقة وأسلوب فلسفي، حتى أن كثيراً من المفكرين يرى أن مدرسة التحليل النفسي لا تعدو كونها وجهات نظر فلسفية لا أقل ولا أكثر! إن عدداً من أصحاب نظرية التحليل النفسي المعاصرون يشاركون فرويد بعضاً من مفاهيمه الفلسفية الرئيسة مؤكدين على الأساس البيولوجي للوجود الإنساني وأهمية الجنس وقوة تأثير القوى اللاشعورية ولكنهم مع ذلك يعترفون بأن أفكار فرويد تحتاج إلى مزيد من التنقيح لكي تحقق متطلبات وقتنا الحاضر وتبقى ذات قيمة معرفية لها أهميتها.

إن فهم مدرسة التحليل النفسي للطبيعة الإنسانية في المقام الأول يعتبر فهماً فلسفياً وقد أثار العديد من المناقشات والاختلافات الفكرية وسيستمر يثير مزيداً من

هذه الأفكار والآراء لزمن طويل.

ملخص:

① توسعت آنا فرويد في دراسة الأطفال وكرست المزيد من الجهد للكشف عن الأنا فعملت على تطوير مقياس تشخيصي ووضعت ستة خطوط تطورية، كما ركزت على دراسة دفاعات الأنا.

② يؤمن هاينز هارتمان بأن الأنا قوة ذاتية مستقلة وقد كشفت عن وظائفها المتكاملة والمركبة.

③ روبرت وايت يرى أن الحافز يفي بالغرض وينظر للأنا كشيء مستقل عن الهو ولا يدفعه إلا أهداف ذات مستوى عال.

④ كشفت مارجريت ميهلر عن عمليات الانفصال والتشخص الفردي والتي بواسطتها يظهر الطفل من الانصهار التكافلي مع أمه ليطور خصائص فردية! ميهلر اقترحت سلسلة من المراحل تمر بها الأنا لكي تصل إلى عملية تكون الفرد!

⑤ أبرز هاينز كوهت النرجسية واضطرابات الشخصية النرجسية والتي تظهر عندما يفشل الشخص في تطوير معنى مستقل للذات كما طور أيضاً أساليب تحليل نفسية صممت للعمل خلال التحويلات (الطرح) والمقاومات نابعة من مراحل ما قبل الأوديبية في النمو والتطور.

⑥ قدم إيريك بيرن لنا نظرية جديدة في تحليل التعامل تتضمن مفردات جديدة تبسط لنا فهم العلاقات الإنسانية، فسلوكنا يمكن تحليله في صورة أدوار نلعبها وهي: دور أو حالة (الطفل) - دور أو حالة (الوالد) الأب والأم - دور أو حالة (البالغ) أو الراشد.

⑦ وجدت عدة محاولات لاختبار نظرية فرويد تجريبياً قام بها «سيلفرمان» و «هول» و «فان دي كاستلو» من بين عدد كبير من الدارسين اللاحقين وجاءت النتائج في مجملها خليطاً من التأييد والرفض لكنها تصور الحاجة إلى إعادة تقييم الافتراضات الفلسفية على ضوء المعلومات العلمية المعاصرة.

⑧ يعترف أصحاب نظرية التحليل المعاصرون بضرورة دراسة وبحث مصداقية المفاهيم الفلسفية بطرق علمية دقيقة ولكن مع كل ذلك فنظرية التحليل النفسي المعاصر تبقى في الغالب نظرية فلسفية تؤكد على التطبيق العملي.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Anna Freud's singnificant books and papers have been collected into a seven volume set, The Writings of Anna Freud (International Universi - ties Press, (1965 - 1974). Her classic Work, The Ego and the Mecanisms of Defense is found in Vol. 2. Also significant is Normality and pathology in Childhood: Assessment of Development in Vol. 6. Heinz Hartmann's classic work is Ego Psychology and the problem of Adaption (International Universities Press, 1958). His Later papers are found in Essays in Ego psychology (International Universities Press, 1964). The most coprehensive statement of Robert White's position is found in Ego and Reality in psychoanalytic theory, Psychological Issues, Monograph 11 (International Universities Press, 1963). The best introduction to Margaret Mahler's work is The psychological Birth of the Human Infant (Basic Books, 1977). Heinz Kohut's position is stated in the Restoration of the self (International Universities press, 1977). Many of these works are difficult reading, but they are well worth study by the serious student.

On the other hand, most books about transactional analysis were written expressly for the lay public. Eric Berne's Games People Play (Grove, 1964) and Thomas Harris's I'm OK - You're OK (Harper & Row, 1969) are useful introductions to transactional analysis.

The classic review of empirical studies seeking to validate Freudian cocepts is R. R. Sears, «Survey of Objective Studies of Psychonnalytic Concepts» (Social Science Research Council Bulletin. 1943). For updates on more recent efforts, see H. J. Eysenck and G. D. Wilson, The Experimental Study of Freudian Theories (Barnes and Noble, 1974); P. Kline, fact and fantasy in freudian theory (Methuen, 1972); and S. fisher

and R. P. Greenberg, The scientific Credibility of Freud's theory and Therapy (Basic Books, 1977).

The studies outlined in the text are described in L. H. Silverman, «psychonalytic Theory: The Reports of my Death are Greatly Exaggerated» (American psychologist, 1976, 31, 621 - 637) and C. Hall and R. Van de Castle, «An Empirical Investigation of theCastration Complex in Dreams» (Journal of Personality, 1965, 33, 20 - 29).

الفصل الثامن
إيريك أريكسون (Erik H. Erikson)
التحليل النفسي ودورة الحياة

أهداف الفصل:

١ ـ تحديد أربعة أساليب ندرس فيها التحليل النفسي الفرويدي بتعمق.

٢ ـ شرح كيف أن نظرية أريكسون تعمق أو تزيد عملية فهمنا للأنا.

٣ ـ مناقشة الخصائص العامة للمراحل النفسية الاجتماعية في النمو التي نادى بها أريكسون.

٤ ـ مناقشة كل مرحلة من مراحل أريكسون فيما يتعلق بالازدواجية الانفعالية التي تتضمنها وما يقابلها من مراحل فرويد النفسية الجنسية في النمو.

٥ ـ مناقشة كيف أن أريكسون كشف عن الدور الذي تلعبه الثقافة والتاريخ في تشكيل الشخصية.

٦ ـ مناقشة النتائج التي توصل لها أريكسون في مجال الاختلافات الجنسية.

٧ ـ مناقشة طرق البحث التي استخدمها أريكسون في دراساته.

٨ ـ تقييم نظرية أريكسون فيما يتعلق بوظائفها كفلسفة وعلم وأدب.

يعتبر أريك أريكسون في الوقت الراهن أعظم وأشهر المحللين النفسيين بلا شك فهو قد أدخل مفاهيم (أزمة الهوية) (Identity Crisis) (ودورة الحياة) (Life Cycle) (والفضاء الداخلي) (Inner Space) والتي أصبحت مألوفة لدى العاملين في مجال التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية؛ نظريته تتضمن وتدمج عناصر معرفية بالإضافة إلى مفاهيم تحليلية نفسية تقليدية مما يجعلها تبدو قريبة إلى حد كبير للاهتمامات المعاصرة في بحوث الشخصية.

أريكسون طور التحليل النفسي الفرويدي بأربع طرق هي:

① زيادة وتوسيع فهمنا للأنا حيث أظهرها عل أنها تمثل حلاً إبداعياً للمشاكل التي تظهر من خلال البيئة الثقافية والتاريخية والبيولوجية لكل فرد.

(٢) أريكسون فند مراحل فرويد في النمو جاعلاً البعد الاجتماعي أكثر وضوحاً وبروزاً.

(٣) أريكسون وسع وعمق فهمنا للتطور والنمو لينطوي على دورة الحياة كاملة من الطفولة حتى الكهولة.

(٤) أيضاً كشف عن تأثير الثقافة والمجتمع والتاريخ على الشخصية النامية وتصوير هذا في دراسات تاريخية نفسية للعظماء والمشاهير.

حياته الخاصة:

ولد أريكسون في ١٥/يونيو/١٩٠٢م بقرب فرانكفورت في ألمانيا وقد انفصل والديه قبل ولادته فسافرت والدته وهو رضيعاً إلى مدينة (كارلسروهي) بألمانيا لتكون قريبة من بعض الأصدقاء وهناك تزوجت من طبيب أطفال عالج أريك من مرض أصابه عندما كان عمره ثلاث سنوات، هذا الطبيب والذي يدعى (همبرجر) تبنى أريك ومنحه اسمه الأخير، في تصرف أطلق عليه أريكسون فيما بعد (الكذبة الرقيقة) فوالديه أخفوا ولعدة سنوات عنه موضوع التبني هذا. إذن فالرجل الذي عرف عنه تطوير مفهوم (أزمة الهوية) عانى نفسه من أزمة هوية حقيقية ولم تكن مشكلة هويته السيكولوجية هي الأزمة الوحيدة بل إن الأمر وصل إلى حد عدم تأكده من هويته البيولوجية والشك فيها! الحل الواضح والنهائي لهذه المشكلة كان في عام ١٩٣٩م وذلك عندما أصبح إريك مواطناً أمريكياً وصار اسمه (إريك همبرجر أريكسون).

وجد أريكسون نفسه كطفل مرفوضاً من قبل زملائه وأقرانه الألمان وذلك لأنه كان يهودياً كما رفضه زملائه اليهود لأنه كان طويل القامة، أشقر الشعر شكله يشبه الجنس الآري! ضاق أريكسون بهذه الضغوط والإهانات ذرعاً حتى وصل به الأمر في وقت من الأوقات إلى اعتناق الديانة المسيحية والسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أريكسون لم يكن طالباً جيداً في الدراسة فعلى الرغم من امتيازه في التاريخ والأدب، فهو كان يفضل تعليماً أكثر عمومية من المنهج التقليدي(الأدب اللاتيني والإغريقي والألماني) في تلك الثانوية التي التحق بها واسمها ثانوية (الجيم نيزيوم). الجو المتوتر والمحيط الرسمي للفصول الدراسية جعلاه يترك

الدراسة وبدلاً من الذهاب إلى الجامعة بعد التخرج هام على وجهه في أوربا قارئاً، ومتجولاً في الأرياف يكتب أفكاره في دفتر ملاحظاته وتصرف بطريقة الهاربين من المدارس، كما درس في مدرستين للآداب والفنون ولمدة قصيرة ووصف نفسه خلالها كمغترب لا يتبع لهذا المكان بصلة أو تربطه به رابطة. في حقيقة الأمر، أريكسون كان مشغولاً بأزمة هويته الخاصة وفي عام ١٩٢٧ م تلقى دعوة من أحد مدرسيه في الثانوية ويدعى (بلوص) الذي طلب منه العمل كرسام في مدرسة صغيرة في فيينا، يرسم صوراً وأشكالاً للأطفال، ثم تطور ليصل بعد فترة إلى منصب نائب مدير المدرسة؛ فيما بعد (آنا فرويد) استدعته للتعاون معها بعد اتجاهها وميلها إلى دراسة الأطفال وشؤونهم وهنا كانت بداية دخول أريكسون في دائرة مدرسة التحليل النفسي حيث لقي ترحيباً من أتباع هذه المدرسة وأصبح قريباً من العائلة الفرويدية ومتحمساً لمبادىء هذه المدرسة، وليصبح بعد فترة أحد المشاهير في هذه المدرسة وطبع ثلاثة مقالات في التربية والتحليل النفسي موضحاً كيف أن الأطفال يمكن أن يكونوا أكثر وعياً بأنفسهم من خلال الأدب والفن والكتابة وفهم خصائص وسمات رجال ومشاهير التاريخ.

رحل أريكسون عن فيينا في عام ١٩٣٣ م عندما قامت قوات هتلر بتهديد أوربا، حيث حل في مدينة بوسطن مع زوجته ليصبح بذلك المحلل النفسي الأول للأطفـــال في تلك المدينة. هناك قام بعمل بعض البحوث بالتعاون مع هنري موري في جامعة هارفارد حيث حصل على وظيفة في كلية الطب، كما عمل مستشاراً لعدد من المؤسسات كما أنه في وقت من الأوقات التحق ببرنامج الدراسات العليا بجامعة هارفارد تخصص علم النفس ولكن لكونه لا يؤمن بأسلوب التعليم الرسمي فقد فشل في أول مرحلة وترك الدراسة إلى غير رجعة! في مجتمع هارفارد العلمي الراقي، تأثر أريكسون بالأنثروبولوجست (مارجريت ميد) و (روث بيندكت) بالإضافة إلى تأثره بالجشطلتي (كيرث ليفين)! في عام ١٩٣٦ م قبل أريكسون وظيفة في جامعة (ييل) في معهد العلاقات الإنسانية ليقوم بالتدريس في المدرسة الطبية.

مع ان أريكسون استمر في معالجة الأطفال المضطربين إلا أنه أظهر ميلاً إلى

الدراسات التي تبحث في موضوعات نمو تطور الرضع العاديين. وفي عام ١٩٣٨ م قام بدراسة طرق تنشئة الأطفال حيث درس بعض الأطفال الهنود في ولاية (داكوتا الجنوبية) فلاحظ كيف أن أحداث الطفولة يشكلها المجتمع بعاداته وقيمه وهي تلك الفكرة التي أكد عليها أريكسون مراراً وتكراراً في كتاباته المتأخرة. في عام ١٩٣٩ م انتقل إلى سان فرانسيسكو حيث واصل اهتمامه بمجالي الأنثروبولوجيا والتاريخ في جامعة كاليفورنيا (بيركلي) كما واصل عمله في التحليل النفسي للأطفال في معهد رعاية الأطفال هناك.

في تلك الولاية أجرى أريكسون بعض الدراسات على بعض القبائل الهندية حيث شكلت مع غيرها من الدراسات الاجتماعية أهم محتويات كتابه (الطفولة والمجتمع) والذي نشر في عام ١٩٥٠م! وفي عام ١٩٦٠ م منحته جامعة هارفارد وظيفة أستاذ حيث اعتبر مفكراً على الرغم من عدم حصوله على درجة جامعية أو مؤهل علمي عالي ودرس مادة (دورة الحياة الإنسانية) للطلاب الجامعيين أما على مستوى الدراسات العليا فكان يدير مناقشات في السير الذاتية لبعض المشاهير مثل (هتلر)، (مارتن لوثر)، (المهاتما غاندي) وفي عام ١٩٧٠ م تقاعد وعاد إلى مدينة سان فرانسيسكو مواصلاً بحوثه ودراساته.

التوسع في فهم الأنا:

فرويد كما سبق وذكرنا ينظر للأنا على أنها المنفذ والحكم بين طلبات الهو ورغبات الأنا الأعلى لتتفق مع الواقع! كما تنظر لها آنا فرويد وهارتمان على أنها موجودة لإيقاف الحوافز أو تكييفها مع البيئة! تحت تأثير هذه الأفكار والاعتقادات، أريكسون أظهر شغفاً وميلاً لدراسة كيف يمكن لنا أن نقوي وننمي الأنا في الأطفال الصغار، في نظرية أريكسون الأنا هي الجزء الموجود في العقل الذي يعطي تماسكاً للخبرات الشعورية، والأنا تعمل أكثر من مجرد الدفاع عن نفسها، فهي أيضاً تتعلم مهارات وأساليب تكيفية! أريكسون يتفق مع فرويد بأن عدداً من سمات الأنا يعمل بصورة لا شعورية لكنه مع ذلك يؤمن بأن الأنا لها غرض موجود يقود إلى تصرف ثابت وسلوك مستقر! الأنا من وجهة نظر أريكسون لها دور إيجابي في الاحتفاظ بأداء فعال بدلاً من الدور السلبي المتمثل في تجنب القلق فقط، وفي

التحليل النهائي نجد تعريف أريكسون للأنا قوي وحيوي وإيجابي حيث يرى أنها استعداد وقدرة منظمة للفرد تقود إلى تلك القوى التي يمكن لها أن تصلح وتسوي الغموض والثغرات! أريكسون يقيس قوة الأنا بقدرة الفرد على توحيد المواقف المتطرفة بدلاً من قياس مدى الكبت أو مجال الأفكار! إن معظم أعمال أريكسون تمثل وصفاً للقوى الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر في ضعف وقوة الأنا في حين يرى فرويد ان الآنا تدخل في تنافس وخصام مع البيئة والتي تمثل عالماً خارجياً ومن هنا يمكن القول بأن أريكسون يؤمن بأن الفروق الموجودة في المتغيرات الثقافية مهمة وتقود إلى فروق في السلوك الراشد. إننا نجد تجمعات بشرية لها طرق متعددة في تنشئة أطفالها ليصبحوا أعضاء منتجين في مجتمعهم ومن هنا فالبداية المبكرة جداً في تلبية حاجات الطفل والطريقة التي يتم بها تغذيته ومعاملته كرضيع لها تأثير كبير في تطوير ونمو الآنا لديه في حين يرى فرويد أن المجتمع يمثل أداة كبت وتقييد، يؤكد أريكسون تأثيره البناء على النمو مع مواصلة أريكسون للبحث والكشف عن تلك العمليات الاجتماعية التكيفية التي تحمي وتساعد في نمو الأنا في سن الطفولة وتعطي فيما بعد قوة وتوجيهاً لنمو وتطور الهوية في مرحلة المراهقة. إن نمو الأنا يعتمد في البداية على التنشئة الأسرية وفيما بعد يأتي دور النماذج الاجتماعية الأخرى التي تلعب دوراً مهماً في هذه التنشئة، لأنه من المهم أن تسمح التنظيمات الاجتماعية الموجودة لقدرات الطفل وطاقاته بالتطور والنمو.

نمو الأنا يصل القمة خلال فترة المراهقة عندما يكون الفرد مستعد لبناء هويته، وهوية الأنا (Ego Identity) تشير إلى مكاسب شاملة ومعينة يجب على الفرد أن يشتقها من خبراته خلال مرحلتي المراهقة والطفولة من أجل أن يكون مستعداً للبلوغ وسن الرشد. نمو الأنا لخصه أريكسون بوضوح في تلك المراحل النفسية والاجتماعية التي تمر بها دورة الحياة، حيث يرى أنه في كل مرحلة تُطور الأنا قُوى معينة أو مزايا أساسية تخولها وتمنحها القدرة على التحرك إلى الأمام.

المراحل النفسية الاجتماعية للنمو:

فرويد في مناقشة مراحل النمو النفسية الجنسية ركز على شخصيتهم البيولوجية ولذا مال إلى تجاهل البعد الاجتماعي أما بالنسبة لأريكسون فهناك بلا

شك تطور اجتماعي نفسي حيث يحاول الطفل فهم وكيفية الارتباط بالآخرين. إن كل مرحلة من مراحل أريكسون الاجتماعية النفسية تتركز حول صراع أو تناقض انفعالي يواجهه الأطفال في فترات حرجة ومعينة خلال نموهم.

كما يرى أريكسون أن هناك متطلبات بيئية جديدة تغرس عناصر ومكونات انفعالية سلبية وإيجابية خلال مراحل نمو الشخصية وتطورها. إن العناصر الانفعالية السلبية ،والإيجابية كلاهما مندمجين إلى حد ما في الشخص الموجود لكن إذا تم حل الصراع بصورة مرضية، نجد العنصر الإيجابي ينعكس على الشخص بدرجة عالية، أما إذا استمر الصراع بدون حل بالطريقة المناسبة، فسنجد العنصر السلبي هو المسيطر على الشخصية.

إن مراحل أريكسون الأربع الأولى تقابل مراحل فرويد النفسية الجنسية (من الشبقية ـ الكمون) بعد ذلك نجد أريكسون يقسم المرحلة التناسلية إلى أربعة أقسام تمثل النمو والتطور خلال النضج! من المؤكد أن مراحل أريكسون لا تظهر داخل إطار تاريخي دقيق فكل طفل له مواعيده الخاصة مع النمو إذا جاز لنا التعبير. حقيقة أخرى وهي إن مراحل أريكسون تتطور بأسلوب تراكمي وليس بطريقة طولية أو مستقيمة، لذا فهو يطلب منا أن ننظر لهذه المراحل على أنها مخطط أرضي في كل مرحلة من مراحل الحياة قوة معينة تضاف لتشكل تركيباً متكاملاً ومتنامياً في كل مرحلة تالية من أجل أن تلعب دورها في دورة كاملة . مراحل النمو النفسي الاجتماعي عند أريكسون تمثل سلسلة متدرجة من المواجهات الحاسمة مع البيئة، فهذه المراحل تمثل تفاعلات بين النمو البيولوجي والاستعدادات النفسية والتأثيرات الاجتماعية! كل مرحلة من المراحل الثمان تنطوي على أزمة هوية (Identity Crisis) خاصة بها ولابد من الإشارة هنا إلى أن الأزمة لا يقصد بها الكارثة ولكنها تعني نقطة التحول أو المرحلة الحاسمة التي لا يستطيع فيها الفرد تجنب منعطف رئيسي نحو هذا الطريق أو ذاك. أيضاً فإن كل مرحلة تمنح فرصاً جديدة لقوى معينة في الأنا أو مزايا رئيسية من سماتها للتطور والنمو. كما أن لكل مرحلة طقوساً معينة تمثل أشكالاً من السلوكيات اليومية والطرق الاجتماعية التي تساعدنا لنصبح أعضاء فعالين ومنتجين في مجتمعنا.

① المرحلة الأولى: الثقة مقابل الريبة: Trust Versus Mistrast:

الازدواجية الانفعالية للثقة مقابل عدم الثقة تمثل الاعتبار الرئيسي للمرحلة الأولى والتي تقابل المرحلة الشبقية لدى فرويد، فالسلوك الأساسي في هذه المرحلة هو أخذ كل شيء والاحتفاظ به عن طريق الفم! مركب من الخبرات المركزة على الفم يتطور من خلال علاقته بالأم أو من يقوم بتقديم الخدمة له، فالاتجاه النفسي الاجتماعي الجوهري الذي يجب تعلمه في هذه المرحلة هو ما إذا كان الواحد يستطيع الثقة في العالم أم لا. الطفل أو الرضيع عند ولادته يحرم من الاهتمام الذي يجده في الرحم ولذا يبقى لفترة طويلة معتمداً بالكامل على الآخرين في الرعاية والحماية وهناك احتياطات معينة لا يمكن تجنبها لها تأثيرها ومعناها الاجتماعي يمر بها الطفل ولكن من المؤكد أن الإحباط والإفراط الزائد من شأنه ترك آثار وخيمة وسلبية على الطفل. إذن فالثقة تتضمن ترابطاً مدركاً بين حاجات الفرد وعالمه الذي يعيش فيه. إن حصول الرضيع على عناية غير مناسبة أو غير مقبولة سيجعله ينظر إلى عالمه كعالم لا مبالي أو عدواني وبالتالي سيطور مستوى عالياً من الشك والريبة أو عدم الثقة بمن حوله، هنا لابد من الإشارة إلى أنه لابد للطفل من تطوير نوع من عدم الثقة فنحن عندما ندخل أو نمر بموقف فنحن نحتاج أو لابد أن نكون قادرين على الحكم على مقدار الثقة ودرجتها وإلى أي حد نكون مستعدين للخطر أو الاطمئنان. إن التوازن المناسب بين الثقة والريبة يؤدي إلى قوة أو ميزة للأنا ألا وهي (الأمل) والذي بدونه لا تستطيع الكائنات الإنسانية أن تعيش! إن الأمل يمثل قناعة ثابتة بأن رغباتنا يمكن إرضاؤها على الرغم من الفشل أو خيبة الأمل. إننا عندما نبني الأمل فذلك يعني الاحتفاظ بهذا الأمل في وجه الأوضاع المتغيرة أو حتى تفسيرها بالكامل! إذن فالأمل هو أساس الإيمان ونرى انعكاساً له في الالتزامات الدينية الناضجة! طقوس هذه المرحلة هي طقوس مقدسة حيث يعرف الرضيع الأم أو مصدر الخدمة أو الرعاية ودورها في وجوده ويتم التعبير عن ذلك بالإخلاص والتفاني لهذه الأم أو من قام على تقديم الخدمة له علماً بأن هذا الإخلاص يأخذ أشكالاً مختلفة في الثقافات المتعددة ولكن يمكن تمييزها أو إدراكها بسهولة حتى وإن اختلفت الأشكال والنظم الاجتماعية.

② الاستقلالية مقابل الخجل والشك: Autonomy Versus Shame and Doubt

تظهر هذه المرحلة خلال السنة الثالثة من العمر وتقابل المرحلة الشرجية عند فرويد. الازدواجية الانفعالية الرئيسية لهذه المرحلة هي السيطرة على الجسم أو الأنشطة الجسمانية مقابل النزعة للخجل والشك! إن الكفاح والنضال من أجل الاستقلال لا يقتصر على جلسات على المرحاض ولكنه يتجاوز ذلك إلى عدد من المجالات الحياتية خصوصاً والأنا تبدأ في بناء وتكوين الاستقلال الاجتماعي النفسي! إن سلبية طفل السنتين والذي يفضل دوماً استخدام الكلمة (لا) شاهد على كفاح ونضال الطفل ومحاولته الاستقلالية والاعتماد على نفسه لا الآخرين.

الثقافات المتعددة لها طرق مختلفة في تهذيب أو تحطيم إرادة الطفل سواء كان ذلك بتعزيز الاستكشافات المبدئية للطفل أو بالتشكيك في قدراته على القيام بالمراقبة الذاتية مما يولد لدى الطفل شعوراً بالخجل أو عدم الثقة في النفس.

تمثل (الإرادة (Will) فضيلة الأنا أو ميزتها وهي ثمرة إيجابية وطبيعية للاستقلال، فالإرادة تصميم أو عزم غير مجزأ لممارسة حرية الاختيار والتقييد الذاتي وتشكل الأساس لقبولنا فيما بعد بالقانون! طقوس هذه المرحلة تعتبر تشريعية أو قانونية، فنحن البالغين أو الكبار نستمر في ممارسة هذه الطقوس التشريعية في إجراءاتنا القانونية، وفي المحاكم والتي بواسطتها نقرر الذنب أو البراءة ونضع الأنظمة للعيش الجماعي المشاع والمشترك.

③ المبادرة مقابل الذنب: Initiative Vs. Guilt:

الثنائية الانفعالية التي يراها أريكسون للمرحلة الحركية التناسلية أو القضيبية (من ثلاث ـ خمس سنوات) هي المبادرة مقابل الذنب، ففي هذه المرحلة يصبح الأطفال ـ حيويين ونشطين في بيئتهم يقومون بأداء مهام ومهارات جديدة أما شكلهم أو صيغتهم الاجتماعية المسيطرة فهي الأسلوب أو الطريقة التطفلية أو الإقحامية لذا فهم باكتسابهم لاستقلالية وحكم ذاتي معقول في المرحلة السابقة يكون في مقدورهم توجيه تصرفاتهم وأنشطتهم تجاه أهداف وإنجازات معينة ، أيضاً ففضولهم وتطفلهم يمتد ليس فقط إلى الشئون الجنسية ولكن إلى عدد من الاهتمامات الحياتية .

إذا كانت كلمة (لا) هي الخاصية المميزة للمرحلة السابقة فإن كلمة (لماذا)؟

هي السمة المميزة لهذه المرحلة الفضولية! تحدد الاستجابات الأبوية لأنشطة الأطفال ومبادراتهم، المحصلة الناجحة أو الفاشلة لهذه المرحلة فإذا عززت المبادرة فسلوك الطفل سيتم توجيهه نحو تحقيق الهدف أما العقاب أو التثبيط المتواصل لمبادرات الطفل العامة فيمكن أن تؤدي إلى شعور بالذنب والاستسلام والاعتقاد بأنه من الخطأ أن تكون فضولياً وبالتالي يفشل في أن يكون حيوياً في عالمه الذي يعيش فيه. إن استخدام الأطفال للغة في هذه المرحلة يصبح مقبولاً وجيداً كما أنهم يبدؤون في تخيل أنفسهم وقد نموا وارتبطوا أو تقمصوا شخصيات أولئك الأشخاص الذين يعملون معهم ويعجبون بهم كالمدرسين أو يفهمونهم كالأبوين! الخيالات المبكرة تكبت أو يغير توجيهها ولعب أطفال ما قبل المدرسة تصبح أكثر منطقية وتحمل غرضاً وهدفاً فالأطفال في هذه المرحلة يبدؤون في تكوين بعض المشاريع حيث أنهم صاروا أكثر انفتاحاً للتعلم من أي وقت مضى أو حتى قادم.

إن الأطفال في هذه المرحلة قادرين على العمل والتعاون مع الآخرين والاستفادة من مدرسيهم والآخرين المؤثرين في مجتمعهم! أريكسون يطلق على عقدة أوديب مسمى مختلفاً حيث يسميها (العقدة الجيلية المبكرة)! إن خيال الطفل ومهاراته الحركية القوية تولد خيالات أو فانتاسيا (Fantasy) صغيرة ومدهشة تحرك فيهم مشاعر وأحاسيس بالذنب تقود إلى تطور ونمو الضمير.

إذن فالمرحلة الأوديبية ينتج عنها حس أخلاقي يكون أو يبني حدوداً جائزة ومقبولة ويبدأ في ربط أحلام الطفولة واقعياً وحقيقياً بالأهداف الممكنة والمختلفة لتقنية وثقافة مجتمعه.

إن قوة الأنا في هذه المرحلة أو فضيلتها هي (الغرض) وهي نظرة إلى المستقبل تعطي توجيهاً وتركيزاً لمحاولاتنا المشتركة! الغرضية تتيح للواحد تطوير حس ومعنى من الواقعية يتم تحديده بواسطة ما يمكن تخصيصه أو الوصول إليه غير عابيء أو خائف من ذنب أو عقوبة! تعتبر أنشطة اللعب والتي تأخذ الطابع المسرحي ولعب الأدوار أنشطة دراماتيكية إلى حد ما، فالأطفال يقومون بتقمص شخصيات طموحه لأفراد وأناس من العظماء والمشاهير ومن لهم هيبة ومكانة كما أن الأطفال بالتعاون مع زملائهم وبتوفر بعض الأشياء قادرين على تكوين رواية مسرحية أو

مؤامرة بوليسية تتضمن صراعات وتربط أحداث ببعضها البعض وتنتهي بنوع من الحلول، في تجربتهم هذه للتصور الذاتي وتخيل أو تصور الآخرين يبدأ الأطفال في تطوير مفاهيم عن أنفسهم تتجلى في قيامهم بأدوار شريرة ومثالية على حد سواء.

④ المثابرة مقابل النقص: Industry Vs. Inferiority:

هذه المرحلة تقابل مرحلة الكمون لدى فرويد حيث يوافق أريكسون على أنه في مرحلة الكمون هناك خصائص تخيلية وعاطفية معينة من السنوات المبكرة تخفت وتنطفىء، لذا فالطفل يصبح متحرراً فيركز على التعلم، أريكسون مع ذلك يشير إلى أن التعلم يتضمن أكثر من الفضول الجنسي المضطهد أو الذي تتم إزاحته، فهو أي التعلم يتكون من طاقته الخاصة التي تشكل سمة للكفاح والنضال الذي يظهر خلال دورة الحياة ويمر بأزمة خاصة خلال سنوات المدرسة! التركيز يتحول بقوة من الهو إلى الأنا حيث يقوم الطفل بتطبيق الحوافز لتحقيق أهداف مقبولة ومحددة، ومع كل هذا فالأنا تبقى قوية فقط من خلال التفاعل مع المؤسسات الثقافية، وفي هذا الوقت يتدخل المجتمع، بأسلوب رسمي ليطور طاقات واستعدادات الطفل،خلال سني المدرسة (٦ ـ ١١ سنة)! الازدواجية الانفعالية هي المثابرة مقابل النقص، حيث تعني المثابرة أن يكون الأطفال مشغولين بأشياء معينة يتعلمون عمل هذه الأشياء ويعملونها بدقة ونجاح مع بعض الإرشادات النظامية كل حسب ثقافته وذلك بقصد إكسابهم مهارات يحتاجها مجتمعهم! إذن فالمثابرة تتضمن أو تنطوي على تلك الإنجازات التعليمية والمهارات الأخرى المطلوبة ليصبح الشخص في علاقاته الشخصية كفؤاً ومؤهلاً للعطاء في عالمه الاجتماعي! في هذه المرحلة نضع متطلبات جديدة على عاتق الأطفال فهم لن ينالوا ذلك الحب الذي منحناهم إياه كأطفال صغار بل يتوقع منهم إجادة تقنيات وأساليب ثقافاتهم من أجل أن يحصلوا على التقدير واحترام مدرسيهم ورفاقهم.

إن قدرة الأطفال على إجادة مهام من هذا النوع أو القوى تعتمد إلى حد كبير على ما مروا به و ما جربوه في المراحل السابقة، فإذا خرج الأطفال من تلك المراحل وتجاوزوها بنجاح يتمثل في تلك المعاني الجوهرية للثقة والاستقلالية

والمبادرة فهم بلا شك سيكونون جاهزين للعمل والمثابرة والجد والذي تفرضه ظروف ومتطلبات المدرسة، لكن إذا كان نموهم قد ترك ترسبات ثقيلة من الريبة وعدم الثقة والشك والخجل، فهم قد يواجهون صعوبة في العمل أو الأداء بصورة مقبولة وعلى مستوى جيد.

من وجهة نظر التحليل النفسي فالطفل الذي لم يحل بطريقة مناسبة عقدة أوديـب يمكن ألا يكون مستعداً لتحقيق المتطلبات الأخرى التي يفرضها مجتمعه لكن إذا سمح للطاقات الكامنة بالنمو بطريقة صحيحة في المراحل المبكرة، فالطفل بلا شك سيكون في وضع أقل خطورة! إن الحذر أو التخوف في هذه المرحلة يتمثل في تطوير الطفل لمشاعر من النقص وعدم الدقة، حيث يبدأ الأطفال في عمل مقارنات بين أنفسهم والآخـرين وينظرون لأنفسهم نظرة إعجاب أو عتاب، تقدير أو احتقار! أيضاً فـالأطفال في هـذا العمر لـديهم استعداد لتعلم العمـل ويحتاجون إلى تطوير حسي أو معنى من الكفاءة والذي يمثل قوة الأنا أو ميزتها المرتبطة بهذه المرحلة! أريكسون يعني بالكفاءة قدرة الطفل على استخدام ذكاءه ومهاراته لإكمال تلك الوظائف والمهام التي تحظى بأهمية وتقدير معروف في مجتمعه، كما حدد أريكسون عنصر الأداء المنهجي ليضيفه إلى طقوس السنين أو المراحل المبكرة حيث أنه قد وصف هذه الطقوس كجانب نظامي أو شكلي يزود الطفل بالنظام والاتضباط وغيرهما من الأساليب الرئيسية التي تسمح للفرد بإكمال سلسلة من المهام والوظائف ووضعها جميعاً في نتيجة أو محصلة منتهية أو مكملة بأداء ماهر. التشويهات هنا هي النظامية الأكثر من اللازم وإدعاء الكمال والطقوس أو الاحتفالات الجوفاء والتي قد تؤدي إلى طقوس من النظامية أو الاستعباد الذاتي للمهمة أو الوظيفة المطلوب القيام بها.

⑤ هوية الأنا مقابل عدم وضوح الدور: Ego identity Vs. Role Confusion:

بالنسبة لفرويد فالعلامة المميزة للمرحلة التناسلية هي أن تحب وأن تعمل ومـع أن أريكسـون يوافـق على أهمـية هذه الأمـور (الحـب والـعـمـل) ، لكـنـه يقسم المرحلة الفرويدية الأخيرة إلى أربع مراحل فرعية، بعمل ذلك، أريكسون زاد من فهمنا لسنوات المراهقة والرشد. الازدواجية الرئيسية خلال المراهقة هي (هوية

الأنا مقابل عدم وضوح الدور أو تشويشه) فعملية تشكيل هوية الأنا تتطلب أن يقارن الواحد كيف ينظر لنفسه مع توقعات الآخرين المهمين والمؤثرين في كيفية تكوينه أو كيانه، إذن فإن هوية الأنا هي الوعي بحقيقة أن هناك ذاتية واستمرارية لطرق تركيب وتنظيم الأنا واستمرارية لمعنى وقيمة الواحد بالنسبة للآخرين. هوية الأنا ينتج عنها معنى للفردية المتماسكة تتيح للواحد أن يحل صراعاته عن طريق التوافق والتكيف! المراهقون يجب أن يجيبوا على التساؤل (من أكون؟) برضى وقناعة. أما إذا فشلوا في ذلك فهم سوف يعانون من تشوش الدور أو عدم وضوحه.

أريكسون يرى ان المراهقة على وجه الخصوص تعتبر مرحلة حرجة، فمع النمو الجسماني والتغير السريع تظهر تحديات نفسية تواجه المراهق! أريكسون في الغالب، يتحدث عن المراهقة وكمرحلة توقف أو تجميد (Moratorium) بين الطفولة والرشد، ولكن مع ذلك وفي أحسن الظروف فالمراهقة تعتبر مرحلة مضطربة وعنيفة فالمراهق عليه مواجهة مواقف ومعارك سبق له كسبها، وفي مرحلة المراهقة تختبر قدرات واستعدادات الأنا المتراكمة لتكميل أو تجميع المواهب والاتجاهات والمهارات ليحدد هويته ويتوحد مع المفكرين ومع انطباعات الآخرين عن ذات الواحد منهم وليبدأوا في عمل خيارات مهنية. إن الخطورة في هذه المرحلة تكمن في غموض الدور، والعجز عن النظر للذات كعضو منتج في مجتمع الواحد!، إن تشويش الدور مراراً أو تكراراً يظهر في الصعوبة التي تواجه المراهق لإيجاد هوية مهنية ولكن يمكن أيضاً أن يكون بعيداً عن عجز عام في إيجاد مكان أو دور مجدٍ أو مفيد في ثقافة الفرد! إن نمو وتطور الهوية الإيجابية يعتمد على دعم المجموعات المهمة أو المؤثرة فالمراهق الذي لا يستطيع أن يجد له دوراً راشداً ومكاناً رائداً قد يكون عرضة لمخاطر أزمة الهوية والذي يمثل فشلاً في بناء هوية ثابتة أو مستقلة، بعض الشباب يمكن أن يهربوا من المجتمع لفترة قصيرة كما فعل أريكسون، آخرين يمكن أن يتبنوا هوية سلبية وهي معاكسة للقيم المسيطرة أو السائدة في تنشئتهم ومجتمعهم. الهوية السلبية تظهر عندما لا يجد الشاب دعماً ولا يتوفر له المناخ المناسب لتطوير طاقاته الداخلية. الهوية السلبية قد تترك وراءها نتائج غير جيدة مثل الاضطراب الاجتماعي، الجريمة، أو تغيرات من التحيز أو

التفرقة العنصرية! ، على كل فإن أريكسون يريدنا أن نعترف أن مثل هذه التطورات تعتبر شواهد مهمة لنزعة المراهقة نحو الالتزام الإيديولوجي. المراهق الذي يجد نفسه مندفعاً وراء تيار الاتجاه الإيديولوجي أو الاقتصادي أو التكنولوجي الجديد، يعتبر محظوظاً بالفعل فمن المهم أن يقدم المجتمع لأبنائه الشباب نماذج مثالية يمكن أن يشتركوا معها في العمل والعطاء بحماس وهمة: إن الغياب المريب للآمال والتطلعات المستقبلية في أي مجتمع بسبب الظروف الاقتصادية أو الاتجاهات السكانية المتزايدة أو البطالة المرتفعة أو أي مشاكل أخرى تقيد أو تثبط الطموحات المهنية للشباب وهذا يعني أن أولئك المراهقين سوف يجدون وقتاً عصيباً لبناء هوية (أنا) بإيجابية ووضوح؛ الميزة أو القوة الأنا التي تنمو في هذا الوقت هي الأمانة أو الولاء (Fidelity) فالمراهق مستعد لتعلم الإخلاص والولاء لوجهات النظر الإيديولوجية. الثقة تتكون من القدرة على الاحتفاظ بالولاء على الرغم من التناقضات التي لا مفر منها لنظم القيم! بدون ولاء أو إخلاص الشاب قد يطور أناً ضعيفة ويمر بمعاناة تتمثل في غموض القيم أو البحث عن مجموعة منحرفة ليكون موالياً لها.

على الرغم من أن المراهقين غالباً ما يدخلون في اضطرابات عفوية فالطقوس التي تميز هذه المرحلة هي (الإيديولوجية) وهي تشير إلى استعداد لتبني دور بناء في النظام السياسي والتكنولوجي لثقافة الفرد والالتزام ذاتياً بالقيم.

مرة أخرى، الطقوس في المراحل المبكرة تكون مندمجة في كلٍ جديد متماسك! الشخص الشاب يكون قادراً على الالتزام أو الدخول بحيوية في تلك المظاهرات والاحتفالات ذات الطبيعة الدينية والعسكرية والقومية التي تعكس الالتزامات الإيديولوجية لمجتمعه.

(٦) الإلفة والمودة مقابل العزلة: Intimacy Vs. Isolation

الرشد المبكر أو الشباب (١٨ - ٢٤ سنة) يتميز بالازدواجية الانفعالية المتمثلة في (المودة مقابل العزلة) فالمودة تنسب إلى القدرة على تطوير علاقة مجدية ولصيقة مع شخص آخرا أريكسون هنا يطبق مبدأ (إن تحب وتعمل) كنموذج توجيهي، أما العزلة فتعني انغماساً ذاتياً وعجز عن تطوير علاقات التزامية

وعميقة! وظيفة أو مهمة هذه الفترة العمرية مرتبط بالتناسلية مع عطاء عملي عام، إذن التــوزان مطلوب هنا فالتناسلية تعريف غير دقيق للصحة، فالتزام الفرد بالعمل يجب ألا يصرفه عن الاستعداد للحب! يعتبر (الحب) ميزة أو قوة للأنا، هذا بالطبع لا يعني إنكار دخول الحب في المراحل السابقة لكن في سن الرشد المبكر، الفرد يكون قادراً على تحويل الحب الذي يحصل عليه كطفل ويبدأ في العناية بالآخرين.

أريكسون يعترف بأن هذه وظائف مختلفة للجنسين مع تغير خاص للإنجاب (Procreation) مع أن استعدادات الأنا الناضجة تستطيع أن تتسامى على هذه الوظائف الجنسية لذلك يتعاون الرجل والمرأة مع بعضهما البعض! الرشد المبكر يضيف عنصر (العضوية أو الانتساب) إلى قائمة الطقوس للمساهمة والمشاركة مع الآخرين في العمل والصداقة والحب. تشويه هذه المرحلة هو (مذهب النخبة) الذي هو التركيز على مجموعة استثنائية لا تعترف بالآخرين ولا تعيرهم اهتماماً.

⑦ الركود مقابل الإنتاجية : Stagnation Vs. Generativity:

السنوات المتوسطة (٢٥ ـ ٥٠ سنة) تتميز بصراع العطاء والركـود، حيث يتضمن الإنتاج والعطاء أكثر من مجرد الأبوة، فهي تعني القدرة على أن تكون منتجاً ومبدعاً فى عدد من مجالات الحياة خصوصاً تلك التي تظهر اهتماماً برعاية الأجيال التـالية للفـرد البالغ أو الراشد ليشارك بحيوية في تلك العناصر التي تتطلبهاثقافته والتي سوف تساعد في تعزيز وتقوية هذه الثقافة، أما الفشل في عمل ذلك وهو المساهمة الحيوية أو عدم المشاركة فيؤدي إلى ظهور مشاعر من الركود والملل أو الجمود والافتقار إلى العلاقات الشخصية التبادلية.

إن الفرد الذي لا يوجد عنده أطفال يمكن أن يحقق إنتاجه بالعمل مع أطفال الناس الآخرين أو المساعدة في خلق عالم أحسن لهم: أريكسون يرى أنه بسبب تأكيد فرويد على الكبح المبكر للبيدو أو الحافز الجنسي فهو بذلك يقلل من أهمية الرغبات الإنجابية للكائنات الإنسانية حيث أن أريكسون يعتبر الحافز الإنجابي التكاثري (Procreative) حافزاً غريزياً وينظر للتكاثر كمرحلة جنسية نفسية يؤدي

إحباطها إلى أعراض من الانغماس أو الانشغال الذاتي. قوة الأنا التي تظهر خلال السنوات المتوسطة هي (العناية) وتتضمن عمل شيء ما ، فهي تنطوي على الانتباه أو ترقب ذلك الشيء الذي يحتاج إلى حماية ورعاية وتجنب تصرفات هدامة، الراشدون يحتاجون إلى تعليم وتنشئة شباب مجتمعهم من أجل الاحتفاظ بهوياتهم الخاصة وحقيقة عالمهم! العناية تعني أيضاً التغلب على المشاعر المتضادة والتي لا نهاية لها في علاقة الأب بوالده، مرة أخرى عندما تكون الأنا الناضجة قادرة على تجاوز أو التفوق على هذه الانفعالات فالراشد يستطيع تحقيق التزامه للشباب .

العنصر الراشد في الطقوس هو (الجيلية) والذي يتضمن ممارسات مثل الأبوة والتدريس، والإنتاجية والخلق والإبداعية والتجديد والأنشطة التي تجعل البالغ والراشد يقود ويوجه الشباب، المبالغة في الطقوسية هي (التسلطية) وهي تسنم زائف للسلطة حيث ينشد الفرد السيطرة لا العناية ورعاية شئون الآخرين.

تكامل الأنا مقابل اليأس: Ego Integrity Vs. Despair:

النضج يمثل المرحلة النهائية من الحياة (خمسين ـ الوفاة) التي تتميز بتكامل الأنا مقابل اليأس! تكامل الأنا يتضمن رضى الفرد عن حياته وممارساتها فالموت ليس مخيفاً بل مقبول كجانب من بين عدد من الجوانب في وجود الفرد. أما اليأس فيعزى إلى أسف الفرد وندمه على الفرص الضائعة في وقت أصبح البدء ثانية أو التعويض أمر متأخراً. تكامل الأنا يمثل ثمرة المراحل السابقة، أريكسون يشير إلى أن نهاية حياة الواحد تثير اهتمامات مطلقة فالفردية تجد اختبارها النهائي أو المطلق حالما يطلب من كل شخص مواجهة الموت منفرداً ومع ذلك هناك ما يحركه إلى الجيل القادم ليواجهه بقوة. ميزة هذه المرحلة هي (الحكمة). عندما نصبح كباراً نمر بخطر العودة إلى طفولة ثانية. مثالياً، نحن نعود إلى مرحلة تشبه الطفولة تنعمها أو تلطفها الحكمة، فالحكمة تتيح للفرد أن يجلب أو يعيد حياته إلى وضع مناسب. إنها القدرة على الوقوف أو العودة إلى الوراء وعكس صور من حياة الواحد في مقابل الموت الوشيك.

الشكل أدناه يلخص المراحل النفسية الاجتماعية التي قال بها أريكسون،

ويشير إلى علاقتهم بمراحل فرويد النفسية الجنسية ويعدد قوى الأنا وفضائلها والطقوس والشعائر.

«دورة الحياة»

المرحلة الجنسية النفسية	المرحلة النفسية الاجتماعية	قوة الأنا	الطقوس	المبالغة
١ ـ المرحلةالشبقية	الثقة مقابل عدم الثقة	الأمل	مقدس	التأليه والعبودية
٢ ـ المرحلةالشرجية	الاستقلالية مقابل الخجل والشك	الإرادة	تشريعي	القانونية والتقيد بالأنظمة
٣ ـ المرحلة القضيبية	المبادرة مقابل الذنب	الغرض	دراماتيكي	الشكلية أو الرسمية
٥ ـ المرحلة التناسلية (المراهقة)	هوية الأنا مقابل غموض الدور	الأمانة	الإيديولوجية	الكمالية أو الكلية
٦ ـ الرشد المبكر (youny adulthood)	المودة مقابل العزلة	الحب	العضوية أوالانتساب	النخبة
٧ ـ الرشد (Adulthood)	التكاثر والتناسل مقابل الركود	العناية	الجيلية (التكاثرية)	التسلطية
٨ ـ النضج	تكامل الأنا مقابل اليأس	الحكمة	متكامل، متمم	الحكمة والتعقل

المساهمات التاريخية والثقافية في دراسة الشخصية:

في فترات فراغه من عمله الخاص أو غيره من الالتزامات الرسمية يذهب أريكسون إلى (باين رج) في ولاية داكوتا الجنوبية لملاحظة الأطفال الهنود هناك على أمل الخروج بنتائج قيمة في دراسة التاريخ الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية الصغيرة. ولقد اختار أريكسون شخصاً من الهنود موضوع الدراسة ليكون صديقاً ومترجماً في بعض الأحيان واستطاع أريكسون تكوين صداقات وعلاقات مع غالبيتهم فيما بعد. بعد ذلك بسنين سافر أريكسون إلى شمال كاليفورنيا لملاحظة ومتابعة أنماط سلوك ومعيشة قبيلة أخرى هي (اليورك) وقد استخدم أريكسون أساليب فريدة في دراسته لتأثير المجتمع والثقافة والتاريخ على نمو الشخصية.

عندما وصل السكان البيض من أوربا وغيرها نزح الهنود بعد معارك دامية وصارت حياتهم القديمة وطرق معيشتهم طي النسيان. قبيلة (السيوكس) الهندية انسحبت من الثقافة الجديدة وأصبحت فاترة المشاعر غير مبالية بهؤلاء وبدت كما لو أنها تقاوم أي محاولات لمساعدتهم. جزئياً السلوك الراهن لهذه القبيلة بلا شك كان يعود في الغالب إلى تاريخهم المؤلم لكن أريكسون وجد أسباباً إضافية في ممارسات (السيوكس) لتربية الأطفال فالهنود يشجعون أولادهم على أن يكونوا أحراراً ويؤجلون فرض القيود عليهم. الأم السيوكسية تأخذ أمور ومهام الأمومة بسهولة وبطريقة فيها تحرر حتى في إرضاع أولادها الرضاعة الطبيعية. الأطفال في السنتين الأول يسمح لهم بحرية ممارسة أمور كثيرة وبلا قيود. الكرم يشجع فيما لا يقدر الفقر، ويتم تجنب المنافسة حيث يتم تدريب الأولاد ليكونوا واثقين من أنفسهم متبجحين، وقناصاً روحانيين للحريم والألعاب. البنات يتم تعليمهن ليصبحوا أمهات وزوجات للقناصين. هذه الممارسات والطرق المستخدمة في تنشئة الأطفال قد تكون مناسبة لأساليب الحياة الأولى وقناصي حيوانات البافالو، ولكنها استمرت على الرغم من تغير الظروف التاريخية السريعة، فالبالغين أو الراشدين من الهنود يتكيفون مع هذه المعضلات بالعودة والنظر في الماضي الجميل والرائع.

قبيلة اليورك، من جهة أخرى، يظهرون أساليب مألوفة من البخل والشك والغضب وتأكيد على الاكتساب والاحتفاظ بالملكيات. اليورك تعلموا العيش بسهولة أكثر مع السكان البيض لأن قيمهم كانت شبيهة بهؤلاء السكان الجدد في عدد من الطرق، وعملهم الراهن (صيد الأسماك والزراعة.. الخ) كان مفيداً ومألوفاً لهم!

أريكسون في وصفه لسلوك هاتين القبيلتين تعمد تجنب الحديث عن سمات الشخصية الرئيسية حتى وإن كان واعياً ومدركاً بأن المحللين النفسيين التقليديين سوف ينظرون لقبيلة السيوكس كشخصية شبقية ولليوروك كشخصية تمثل المرحلة الشرجية. أريكسون يفضل التركيز على المظاهر حيث تحاول هاتين القبيلتين تنظيم

أو تركيب مفاهيمهم ومثالياتهم في تصميم متماسك من العيش أو الحياة. أريكسون يشير إلى أن كل مجتمع يستخدم الطفولة في عدة طرق:

١ ـ لتعطي أو لتكون معنى خبرات الطفل المبكرة عن جسمه وعن الناس الآخرين.

٢ ـ توجيه طاقات الطفل للسير في طرق اجتماعية بناءة.

٣ ـ ولتزودنا بإطار عام ذا قيمة للقلق الذي يثيره العيش أو الحياة الاجتماعية.

التواريخ النفسية: Psychohistories:

أريكسون يكشف عن مساهمة التاريخ والثقافة في عملية تطور الشخصية باختباره لحياة الرجال العظام. التاريخ السيكولوجي هو دراسة الفرد والحياة الجماعية مع الطرق المختلطة للتاريخ والتحليل النفسي. في البداية، فرويد اختبر حياة عدد من المشاهير ولكن أريكسون صحح وعدل الطريقة ومنحها اسماً جديداً هو التاريخ النفسي، أريكسون هنا حاول فهم ظاهرة العظمة حيث حاول الكشف عن كيفية أن تكون قوة الأنا لأفراد معينين قادرة على تحويل الصراعات التي تعوق الآخرين، لصالحهم ليصبحوا قادة ويتركون انطباعات على المرحلة التي عاشوا فيها. إذن، فبدراسة مارتن لوثر، أريكسون لم يركز على الجوانب المرضية في سلوك مارتن لوثر كما فعل عدد من الأطباء النفسيين ولكنه ركز على كيفية تغلب مارتن لوثر على بعض محدداته وقيوده ليصبح قائداً مؤثراً لحركة الإصلاح البروتستانتية. أريكسون ينظر إلى النوبة (Seizure) والتي عانى منها في تجمعه وتنظيماته في الدير، وكيف أنها كما يعتقد أريكسون تمثل نقطة تحول في نضال لوثر من أجل الهوية. أريكسون يرى أن لوثر عندما دخل إلى هذا الدير تسنم أو كان يحمل هوية سلبية، حيث كان والداه يريدان له أن يصبح محامياً علاوة على كل ذلك، فلقد دخل في رهبنة حمقاء عندما حاول أن يصبح القسيس أو الرهبان الكامل، لوثر كان شكاكاً وموسوساً في تطبيقاته اليومية إلى الحد الذي يجعله يبدو مضحكاً وسلوكه مناف للعقل. سلوك لوثر له معنى فيما يتعلق بنظريته الشخصية، فوالداه كانا ألمانيين بخيلين ويؤمنان بالخرافات والأساطير، ولم يكونا يترددان في تطبيق العقاب في محاولاتهم لغرس القيم التي تحدد الفرق بين الصح والخطأ

فوالداه يضربانه ويذيقانه طعم العقاب والقسوة، فوالدته، ضربته ذات مرة إلى حد أسال الدماء منه لسرقته بعض الأشياء الرخيصة. على ضوء صعوبة الظروف المنزلية والمدرسية، فإنه من السهل فهم أن لوثر أصبح مشغولاً بفكرة العقاب وإطلاق الأحكام الصارمة. أريكسون يرى أن قرار غاندي الإضراب عن الطعام خلال نزاع عمالي محلي هذه الأزمة البسيطة التي استطاع غاندي من خلالها أن يحول الهوية السلبية للضعف والخنوع إلى أسلوب سياسي حيوي وإيجابي.

التغيرات الإيديولوجية لغاندي ظهرت خلال السنوات المتوسطة حين كان التحدي الانفعالي لدورة الحياة يمثل الإنتاجية والتكاثر! بتطوير أسلوب (ساتياقراها) كطريقة للسلوك غير الإرهابي أو العصياني ، غاندي ساعد في تحرير الشعب الهندي. أريكسون لاحظ تشابهاً بين التحليل النفسي وساتيا قراها. الساتيا قراها تنطوي على الإيمان بأنه من يستطيع أن يواجه نزعاته الخاصة للكره والبغضاء والعصيان فيمكنه الاعتماد على بقية من الحقيقة في العدو الشرير إذا هو اقترب منه بمنطق بسيط من الحب النظيف الخالي من الشر والفساد. ساتيا قراها يركز على العدو الخارجي في حين أن التحليل النفسي يمثل وسيلة للتعامل مع العدو الداخلي إذن فكلاهما فرويد وغاندي طورا طرقاً نستطيع بهم التكيف مع غرائزنا ونتعلم التعبير عنهم بطريقة لا عنف فيها.

أسلوب أريكسون تم تطبيقه بواسطة كتاب آخرين درسوا حياة مشاهير وعظماء من رجالات التاريخ مثل تحليل (روبرت هوقان) (Hogan) للسيد مالكولم. مالكولم كان طالباً متفوقاً ومع ذلك مدرس مادة اللغة الإنجليزية، انتقد اختياره للمحاماة كمهنة لأنها غير واقعية واقترح عليه أن يفكر في تخصص أو مهنة النجارة بدلاً من المحاماة! مالكولم يعرف بأنه أذكى من زملائه في الفصل وهم من البيض لكن المجتمع مَنَّ عليه بالهوية التي يرغبها ويختارها لأنه كان أسوداً، من هنا عاد مالكولم وتحول إلى هوية سلبية، ليصبح سفاحاً، ولصاً وجزاراً. . قبل أن يتحول أو يتسنم دور القائد العسكري في الخمسينات والستينات (١٩٥٠ - ١٩٦٠).

الفروق الجنسية:

قام بإجراء بحث فريد على مجموعة كبيرة من الأطفال بين سن ١٠ و١٢ سنة

من أجل أن يكشف كيف أن حياتهم الداخلية يمكن أن تنعكس على بعضهم، حيث وضع طاولة عليها عدد من الدمى ودعى كل طفل على حدة لبناء منظر مثير من فيلم تخيلي ثم طلب من الطفل تسمية الشيء الذي حبكه أو عمله. هذه البناءات أو التركيبات التي أعدها الأطفال عكست بدقة التطورات الداخلية لكل طفل عند مقارنتها بالمصادر الأخرى.

أيضاً أريكسون لاحظ فروقاً جنسية متميزة في مظاهر الأطفال، فالبنات فعلاً يميلون إلى وضع الأثاث في شكل دائري داخل الغرفة في حين أن الأولاد يعملون أبراجاً وبنايات طويلة أخرى توحي أشكالها بالانهيار. أريكسون استنتج أنه لكي نفهم بناء وتركيبات الأطفال، يجب علينا أن نعرف أن البنات والأولاد يستخدمون الفراغ أو الفضاء باختلاف ملحوظ، فالبنات يركزون على الفراغ الداخلي وخصائص الانفتاح مقابل الإغلاق، في حين ترى الأولاد يركزون على الفضاء الخارجي وخصائص الارتفاع والانخفاض. هذه النزعات تذكر أريكسون بالتركيبات الخاصة بالأعضاء التناسلية لكل من الرجل والمرأة. إن نمو المرأة مثلاً، متأثر بإدراكها ووعيها للفراغ (الفضاء) الداخلي الإنتاجي. إن أريكسون باقتراحاته هذه يسبب ضجة عنيفة لمن استنتج أنه يحدد طاقة النساء الإنجابية كمحدد رئيسي لشخصيتها، مع أن هذا لم يكن هو إستنتاجه لأنه بوضوح حدد عنصراً واحد بين عدد من العناصر. أريكسون يذكرنا يقول فرويد المشهور (التركيب الداخلي للجسم قضاء وقدر) والذي جاء كتصحيح لشعار نابليون (التاريخ قضاء وقدر)! فرويد يشير هنا إلى أن التاريخ ليس العنصر الوحيد في نمو الشخصية. فعدد من العوامل تتدخل في تاريخ وتشريح وتركيب وظروف الواحد الاجتماعية، وتنظيم (أنا) الواحد... الخ. ولا توجد نظرية في الشخصية تتجاهل حقيقة أن نمو الشخصية مربوط بظروف معينة، فهناك حدود لما يجب أن نكون عليه وحدود لما تكون عليه أجسامنا وتركيباتنا الاجتماعية ولما يستطيع تشكيل شخصيتنا أن ينميه ويخلق تكاملاً له. إنه لمن المؤسف حقاً أن نقاد أعمال فرويد وأريكسون ركزوا على الجوانب البيولوجية لنظرياتهم وفشلوا في الاعتراف أو الاهتمام بإفاداتهم الأخرى، فالعوامل البيولوجية والتاريخية والثقافية والنفسية كلها تتكامل وتتجمع لتكون خبرة نسائية أو رجالية فريدة.

أريكسون، بعكس فرويد، فملاحظاته الإكلينيكية لم تؤكد فكرة أن وعي البنات بغريزتهن الجنسية بجعلهن يـركزن على القضيب المفقود، بل على الأصح، في النمو الطبيعي، تركيز البنات على معنى الطاقة الكامنة الحيوية. فراغ المرأة الداخلي الإنتاجي عامل لا يمكن اجتنابه في نموها سواء ساعـدتها الـظروف الاجتماعية والتاريخية أو غيرها من العوامل إلى بناء حياتها حوله أم لا.

وجهة نظر أريكسون حول كيفية أن النساء يختلفن عن الرجال وجهة نظر ثقافية تعكس نظرة تاريخية لفترة مبكرة. أيضاً أريكسون ساعدنا في فهم أن الفروق الجنسية وبطريقة غير متغيرة تجد تعبيراً تاريخياً وثقافياً. إيديولوجيات الدور أحياناً تقودنا إلى الاعتقاد بأننا نستطيع اختيار الأدوار التي تتجاهل حدودنا المعروفة. في التحليل النهائي الرجال والنسـاء يجب أن يتحرروا من الأدوار المتبـادلة التي اضطهدت كل منهما.

أريكسون يعتقد أن المهمة المسيطرة والسائدة على سني الرشد للرجال والنساء هي التكاثر الدافع للإنجاب والتكاثر شيء محسوس وحقيقي في الحافز الجنسي. إن حقيقة أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية تجعل من الضروري أن يفيد بناء تلك الطرق التي يعد لها الرجال والنساء من تكاثر أو إنجابهم تفرض أو تضع تحديات إضافية ويمكن أن تتطلب إعادة التوجيه وتسامي غرائزنا الإنسانية الرئيسية. كما ترون فوجهة نظر أريكسون ولدت خصاماً ونزاعات فكرية ملحوظة بالفعل.

طرق البحث:

طريقة أريكسون في البحث على وجه الخصوص هي الملاحظة المباشرة التى يتبعها صياغة نظرية! أريكسون لم يتردد في تطوير أساليب تناسب الأفراد الذين أجرى عليهم دراساته. إذن فأريكسون كمحلل نفسي للأطفال استخدم مسرحيته أو روايته ليكشف عن كيفية ترتيب الأطفال للأشياء في الفراغات في محاولة لإظهار ما في حياتهم الداخلية. في الوضع الإكلينيكي أصبح واضحاً وبسرعة لأريكسون أن البصيرة النفسية التحليلية الرئيسية لا يمكن أن تظهر بدون بعض التدخلات من دافع

أو حافز الملاحظ ودفاعاته، ومثل هذه لا يمكن أن تتصل بدون تدخل ثنائي تناقضي بين المشاركين. إن دراسة أريكسون واهتمامه بمجال الأنثروبولوجيا زوده ببصيرة ونظرة أوسع في كيفية أن الملاحظ يساهم بالضرورة في حياة أفراد الملاحظ فكيف ان شخصيته تحدد وتكون البحث! الملاحظة المشتركة هي المصطلح الذي استخدمه سوليفان وهي التي تقوم على أنه لا يمكن لنا الحديث عن الملاحَظ بدون الحديث عن الملاحِظ.

أريكسون يقول أن التحليل النفسي أنه تنقيح أو حقيقة عرفية عصرية لأسلوب التأمل الباطني النظامي، والتي استخدمها سابقاً الفلاسفة المسيحيين ورجال الدين الشرقيين كما أنه واقع أن نرى عند كتابة تقرير ذاتي أن هناك نزعة لإخفاء بعض المعلومات أو ذكر المعلومات المقبولة اجتماعياً بدلاً من قول الحقيقة، ولكن عندما نكون واعين لهذه النزعات فنحن نستطيع أخذ بعض الإجراءات أو الخطوات التي تكفل لنا تجنبها ، وفي هذه الحالة، فالتأمل الباطني لا يختلف عن أي طريقة علمية تتطلب فحصاً صارماً حول مستوى أمانة وصدق المشاركين من باحثين وأشخاص ملاحظين.

هناك تواز واضح بين الشاهد الإكلينيكي الذي يحصل عليه ويستخدمه المحلل النفسي في صياغة فرضياته والمستخدم في دراسة الأحداث التاريخية، فالدراسة التي تتعلق بالشخص أو المشهور تأخذ في الاعتبار تماسك إفاداته وحياته ووقته وكل حدث يقدر وينظر له فيما يتعلق بمعناه بالنسبة للفرد في تاريخ حياته ككل. المؤرخ السيكولوجي يعترف بأنه لا يؤثر ولا يتأثر في دراسته فهو لا يختار الأشخاص موضع الدراسة.

بعض النقاد يرون أن الصعوبة المتوقعة عندما تميز بين الحقيقة التاريخية والأسطورة تشكل خطورة على استنتاجات الدراسة السيكولوجية التاريخية.

نظرية أريكسون: فلسفياً، علمياً، وأدبياً

نظرية تماسك الحقيقة والتي طبقها أريكسون تعتبر خاصية أو ميزة للفيلسوف. وبعكس فرويد، أريكسون لا يصر على الادعاء بعملية أعماله، فهو يعترف أمام

الجميع بوجود الإفادات الفلسفية في نظريته، مؤمناً بأن نظرية الشخصية الجيدة تتطلب قاعدة فلسفية جيدة علاوة على كل ذلك، فأريكسون يؤمن مثل إريك فروم بأن الالتزامات الأخلاقية الهامة موجودة داخل الإطار التحليلي النفسي! من أجل تسهيل فهم هذه الالتزامات الأخلاقية كشف أريكسون عن نشوء الأنا الأعلى وميز بين أخلاقيات الرضيع، وإيديولوجية المراهق والمعايير الأخلاقية للراشد.

إن قوة الأنا التي تحدث عنها أريكسون يمكن النظر لها كقيم أخلاقية يجاهد ويكافح الجنس البشري من أجلها. نظرية أريكسون تشتمل على عوامل عدة في نمو الشخصية، حيث تضمنت المتغيرات البيولوجية والمعرفة والثقافة التاريخية في مناقشاته. إن ما تحدث عنه أريكسون قريب الصلة لاهتماماتنا وقضايانا الحاضرة. فمثلاً مفردات أزمة الهوية ودورة الحياة والفراغ الداخلي تعتبر جزء من مفردات حياتنا اليومية. كذلك فإن نظرية أريكسون أثارت فكراً ونقاشاً بين المؤرخين، الفلاسفة والغائيين بالإضافة إلى المحللين النفسيين. كما أن عددا من المهنيين وغير المهنيين جميعهم وجدوا نظرية أريكسون تناسب درجة تفكيرهم. أريكسون يعترف بأن فلسفة الواحد يجب أن تعكس فهماً متطوراً للطرق العلمية المعاصرة. أريكسون أيضاً يشير إلى أن الطريقة العلمية الضيقة لا تناسب دراسته الشخصية فهو يصر على استخدام أسلوب اجتماعي علمي لمزيد من دقة البحث.

نظرية أريكسون لم تولد بحوثاً معملية لنقص التعريفات الإجرائية والدقة، فالمفاهيم المعقدة مثل الهوية لا تعد أو تسخر نفسها لقياس دقيق. الباحثون ركزوا إلى حد كبير على نظريات الشخصيات التي من السهل أن تترجم مفاهيمها إلى مصطلحات إجرائية.

أريكسون بوضوح يؤكد بأن التغيرات في مهارات تفكير الشخص سوف تقود إلى تغيرات في شخصيته وتفاعلاته الاجتماعية.

أعمال أريكسون لها تأثيرملحوظ ومتنوع في المجال العيادي، فقد وجدت تطبيقات متعددة لنظريته بالإضافة إلى نمو وتطور الأنا وذلك في مجالات علم نفس الطفولة، التعلم، العلاج النفسي والإرشاد النفسي الزواجي والمهني.

أعمال أريكسون إبداعية ومثيرة وتخيلية، ونظراً لقرب مفاهيمها من نظرية التحليل النفسي الفرويدي فهي قد ساعدت في الإبقاء على بعض مفاهيم التحليل النفسي قريبة ومتوافقة مع العالم المعاصر .

ملخص:

① أريكسون توسع في دراسة نظرية التحليل النفسي الفرويدي بمناقشته لأربع طرق هي:

أ - زيادة فهمنا للأنا.

ب - كرس وركز على مراحل فرويد في النمو.

جـ - وتوسع في مفاهيم النمو لتتضمن دورة الحياة الكاملة.

د - كشف عن تأثير الثقافة والمجتمع والتاريخ على نمو وتطور الشخصية.

② أريكسون أكد على الخصائص التكيفية للأنا في حين أن فرويد مال إلى تأكيد الجانب الدفاعي. أريكسون أيضاً وصف القوى الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على قوى الأنا ووضعها مؤكدين الجانب البناء فيها بدلاً من تأثيراتها المكبوتة على النمو. كما يرى أن نمو الأنا يصل القمة خلال المراهقة.

③ المراحل الاجتماعية النفسية لأريكسون تظهر بوضوح البعد الاجتماعي الذي تتضمنه نظرية فرويد. كل مرحلة من مراحل أريكسون بنيت حول صراع انفعالي يواجه الناس في فترات حرجة معينة، كما أن كل مرحلة تزودنا بفرص لتكوين أساس لقوة الأنا وميزتها لتنمو وتكون طقوسها الخاصة.

④ الثقة مقابل عدم الثقة هي الازدواجية الانفعالية التي تستجيب أو تقابل المرحلة الشبقية عند فرويد، هذه تقود إلى نمو وتطور (الأمل)! الاستقلالية مقابل الشك تميز وتقابل مرحلة فرويد الشرجية وقوة الأنا فيها هي (الإرادة)! المرحلة القضيبية تتميز بالمبادرة مقابل الذنب. قوة الأنا التي تظهر في هذا الوقت هي (الغرض)! المثابرة مقابل النقص. هي السمة الواضحة لفترة الكمون وقوة الأنا فيها هي (الكفاءة)! أريكسون قسم المرحلة التناسلية إلى

أربع مراحل فرعية. الازدواجية الرئيسية خلال المراهقة هي هوية الأنا مقابل غموض الدور وقوة الأنا هي الأمانة. الود مقابل العزلة صفة للرشد الشاب والذي يقود إلى ظهور (الحب)! السنوات المتوسطة تتميز بالصراع فيما بين الركود والتكاثر (الإنجابية) قوة الأنا التي تظهر هنا هي (العناية). المرحلة الأخيرة المميزة بتكامل الأنا مقابل اليأس وقوة الأنا فيها هي (الحكمة).

⑤ أريكسون عمل عدداً من الدراسات التي تظهر كيف أن الثقافة والتاريخ يشكلان الشخصية، أريكسون قارن تطبيقات وممارسة تنشئة الطفل في قبيلتين هنديتين هما (السيوكس واليوروك) كما درس السيرة الشخصية لعدد من أبرز رجالات التاريخ.

⑥ في مناقشته للفروق الجنسية، أريكسون كشف عن مفاهيم الأولاد والبنات للفراغ الداخلي والخارجي فأريكسون وضح أن عدداً من المتغيرات يدخل في نمو وتطور الشخص البيولوجي والتاريخي والثقافي والسيكولوجي.

⑦ أريكسون طور أساليب من الدراسة تناسب أفراد الدراسة كما يصف التحليل النفسي كتصفية عصرية لطريقة التأمل الباطني النظامية. هناك تواز بين الشاهد المستخدم بواسطة المحلل النفسي وما استخدمه أريكسون في دراساته التاريخية النفسية، فكل حدث ينظر له على أساس تماسكه وارتباطه بحياة الفرد.

⑧ نظرية تماسك الحقيقة والتي استخدمها أريكسون هي صفة للفيلسوف فأريكسون لا يصر على الادعاء بعلمية عمله، كما أن الإفادات الفلسفية التي تضمنتها نظريته واضحة وليست غامضة.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further READING

Erik H. Erikson's books are very readable. His first and most important book is Childhood and Society (Norton. 1950: 2 nd ed. revised and enlarged. 1963). It describes different forms of childrearing among the Sioux and Yurok introduces his eight psychosocial stages of development. and discusses the growth of the ego and evolution of identity. Insight and Responsibility (Norton. 1964) discusses Erikson's concept of the ethical implications of psychoanalysis and introduces his idea of ego strenghs. the term «identity crisis» is most associated with Identity. Youth, and Crisis (Norton. 1968) in which he reevaluated his theory of identity in the light of historical change. Erikson's well - Known psychohistorical studies are Young Man Luther and Gandhi's Truth (Norton, 1958 and 1969). A method of research that he clarified in Life History and the Historical Moment (Norton. 1975). Comments on sexual differences can be found in essays throughout his writings. In particular. «The Inner Space» in Chidhood and Society and «The Inner Space Revisited» in Life History and the Historical Moment are recommended.

الجزء الثالث
النظريات المزاجية أو التكوينية
«Dispositional Theories»

اعتاد الناس على الحديث عن بعضهم البعض وذلك بتصنيفهم في فئات عامة بناء على ما بينهم من فروق فهناك من تم تصنيفهم كأشخاص عدوانيين أو خجولين، أو أشخاص حادي المزاج والطباع أو عضليين أو أنثويين أذكياء أو أغبياء.. الخ. هذه الخصائص تبدو سمات أو نزعات طويلة الأجل يمكن أن تستخدم لتصنيف وتمييز شخصيتنا، فإحدى المحاولات القديمة لوصف الشخصية فيما يتعلق بالأمزجة قام بها الطبيب الإغريقي القديم (أبو قراط) والذي يرى ان شخصياتنا يمكن أن تصنف بناء على الأخلاط الكيميائية في الجسم فسيطرة الدم تؤدي إلى ظهور الشخصية أو المزاج الدموي (Sanguine) والتي تتميز بخصائص الحيوية والنشاط. أما صاحب المزاج البلغمي (Phlegmatic) فتعني سيطرة مظاهر الخمول والبلادة على الشخص أما صاحب المزاج الميلانخولي (Melancholic) أو الشخصية الاكتئابية الذي يتسم في سلوكياته بالعزلة والانطوائية وعدم الاهتمام. أما أصحاب المزاج الصفراوي (Choleric) فيتميز بالعنف وسرعة الاستثارة وعلى الرغم من أن مفاهيم نظرية أبو قراط تبدو قديمة إلا أنها مهمة في علم النفس المعاصر وقد أثرت على الكثير من أصحاب نظريات الشخصية وفي مقدمتهم (آيزينك). فمثلاً بعض المعاصرين من الباحثين يرون أن هناك علاقة بين الهرمونات والانفعالات والسلوك فالاكتئاب يعتقد بأن سببه يعود إلى ردود فعل كيمائية في المخ. إن الجزء الثالث من كتابنا هذا يركز على مساهمات أصحاب نظرية الأمزجة والتكوين الجسماني والذين أكدوا على أهمية خصائص الشخصية طويلة المدى.

الفصل التاسع
علم الشخصية: هنري موري
Henry Murray: Personology

أهداف الفصل:

١ ـ وصف دراسة الشخصية.
٢ ـ تحديد الوحدات التي اقترحها موري لدراسة السلوك.
٣ ـ وصف اختبار (TAT) أو تفهم الموضوع.
٤ ـ شرح كيف درس موري الحاجات الإنسانية.
٥ ـ تحديد الحاجات الإنسانية العشرين.
٦ ـ تفسير مصطلح الضغط مع بعض الأمثلة .
٧ ـ مناقشة تركيز أو تكريس موري على بعض المفاهيم الفرويدية.
٨ ـ تقييم نظرية موري فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

مصطلح علم الشخص أو الشخصية استخدمه موري لوصف محاولاته التي قام بها لدراسة الأشخاص والأفراد، فالنظرية التي قال بها موري تعتبر نظرية تنظيمية مؤلفة (Interdisciplinary) تشتمل على تعديلات لنظرية فرويد مع تقدير عميق أو ملحوظ للبيولوجية، والنتائج الإكلينيكية والبحوث العلمية. نظرية موري تميزت بمناقشتها الواضحة للحافز والتركيب المتأني لقائمة الحاجات التي تميز وتوجه السلوك الإنساني.

حياته الخاصة:

ولد هنري موري في مدينة نيويورك في ١٣/مايو/١٨٩٣م لعائلة غنية حيث تهيأت له أسباب الراحة والرفاهية. موري يؤمن بأنه لا تنطبق عليه الشروط التي قال بها فرويد عن الأطفال لذلك فهو لا يعتبر نفسه طفلاً فرويدياً عادياً، حيث وجد من الصعوبة الاعتقاد بوجود عقدة أوديب في حياته فتدريبه التعليمي والتحليلي لم يكشف له عن أية مؤشرات من الامتعاض الخفي تجاه والده، ولكن من جانب آخر يمكن القول بأن طفولته تثير عدداً من أفكار أدلر. موري لم يلتحق بمدارس عامة

وحصل على تدريب محدود في مجال علم النفس. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة هارفارد تخصص تاريخ بعد أن حصل على معدلات أقل من المتوسط كما التحق أيضاً بكلية الطب في جامعة كولومبيا وتخرج مبكراً ليحصل بعد ذلك على الماجستير في الأحياء والدكتوراه في الكيمياء البيولوجية من جامعة كمبردج. موري قضى ثلاثة أسابيع مع كارل يونج في مدينة زيورخ وتعلم منه بعض المفاهيم كاللاشعور وغيره مما جعله يهتم بعلم النفس. ويخصص له جزءاً كبيراً من اهتماماته، ليصل إلى مرتبة أستاذ في علم النفس بجامعة هارفارد في عام ١٩٢٧ م حيث أنشأ العيادة النفسية بجامعة هارفارد لدراسة الشخصية وقد بقي هناك حتى تقاعد عام ١٩٦٢ م. موري جمع حوله عدد من المفكرين الناضجين والشباب والذين صاروا اختصاصيين نفسيين في مجالهم ودراستهم وقد حصل موري على (جائزة المساهمة العلمية المتميزة) من جمعية الاخصائيين النفسيين والميدالية الذهبية من المؤسسة النفسية الأمريكية نظراً لما قدمه من مساهمات ومشاركات في علم النفس.

دراسة علم الشخص: (The study of personology):

موري يرى أن مفهوم الشخصية يمثل فرضية تساعدنا في أن نأخذ في عين الاعتبار سلوك الفرد، فالشخصية لا تنسب إلى أي أساس جسماني حقيقي، فشخصية الفرد تعتمد على عمليات المخ حيث يمثل فيها المركز الرئيسي كما أن هناك علاقة قريبة بين الشخصية وفسيولوجية المخ فالعمليات الفسيولوجية العصبية هي مصدر السلوك الإنساني.

في دراسته، أكد موري على فهم الأفراد العاديين في الأوضاع الطبيعية، فهو يؤمن بأن الأخصائيين النفسيين يجب أن يهتموا في الأساس بعمل دراسات متأنية ومفصلة لحياة الأفراد. في جامعة هارفارد قام موري بمهمة منظمة تولى فيها قيادة ثمانية وعشرين من المختصين في مختلف حقول المعرفة لدراسة (٥٢) طالباً جامعياً لمدة ستة شهور هذا الفريق حصل على معلومات وافية عن طريق الاختبارات والمقابلات والاستبيانات والملاحظات مستخدمين طرقاً نفسية وتاريخية واجتماعية وإكلينيكية لجمع هذه البيانات، ومع أنه خصص مجموعة من الباحثين لدراسة نفس

الفرد، إلا أنه خرج بانطباع يتضمن عدم إيمانه بإلغاء دور الأخطاء الشخصية في التقييم.

موري في دراسته للفرد يرى أنه من المفيد أن نفصل السلوك الكلي للشخص إلى وحدات عملية ومحددة والوحدة الرئيسية في هذا التقسيم هي الإجراء (Proceeding) والذي هو عبارة عن نمط سلوكي مهم وقصير له بداية واضحة ومحددة، فالإجراءات هي التفاعلات التي تحدث بين الشخص وشخص آخر أو شيء آخر في البيئة مثال ذلك، التقاط الكتاب، كتابة الرسالة، أو إجراء محادثة! هذه الإجراءات يمكن أن تكون داخلية (تخيلية) أو خارجية (حقيقية)، فالزواج أو الصداقة مثلاً يتكونان من عدد من الإجراءات التسلسلية التي لابد وأن تدرس ككل متكامل، فكل إجراء في السلسلة يمكن النظر له على أنه يتضمن أهدافاً فرعية تجعل الفرد قريباً من الهدف النهائي. البرامج التسلسلية هذه تحكمها عملية عقلية تعرف باسم الترتيب تساعدنا على فهمنا لعالمنا، وعلى تطوير استراتيجية للتكيف معه والتأقلم فيه، كما تتيح لنا تطوير خطط أو برامج لحل الإجراءات المتضاربة.

إن التكنيكات التي استخدمها لتقييم الشخصية بكل المقاييس أهم من نتائج دراسته في جامعة هافارد والتي ينظر لها اليوم على أنها استنتاجات غير علمية ويأتي في مقدمة هذه الأساليب أو التكنيكات التي صورها موري اختبار تفهم الموضوع (Thematic Appereception Test: TAT) ويتكون هذا المقياس الإسقاطي من ثلاثين صورة غامضة ويطلب من المفحوص تكوين قصة من هذه الصور مخبراً كيفية صار الحديث وماذا يحدث وما هي شخصيات الصورة عن ماذا يتحدثون ويفكرون وبماذا يشعرون. الاستجابات التي نحصل عليها تظهر لنا كيف أن المفحوص يمكن أن يفكر في نفسه وفي علاقته بالبيئة الاجتماعية والطبيعية. كذلك نلاحظ في استجابات المفحوص الأفكار المسيطرة عليه والاهتمام الخاص الذي يوجهه لمزايا وسمات بطل القصة في الصورة أو في البيئة. من خلال المعلومات التي يتم جمعها يستطيع الفاحص أن يستنتج كيف أن المفحوص يرتبط أو يرى نفسه مرتبطاً بالآخرين ويكيف البيئة لتناسب حاجاته. هناك دليل لتسجيل وحساب الدرجات ولكن عدداً من الأخصائيين طوروا أنظمتهم الخاصة بالتحليل. ولأن المثيرات

غامضة والمفحوص حر في الاستجابة بأي طريقة يراها، فمن المعتقد أن أي معنى يقدمه المفحوص للقصة يجب أن يأتي منها. في المقياس نحن نتعامل مع إسقاط تخيلي وليس ميكانيزم الدفاع الفرويدي (الإسقاط) فالمفحوصون وبدون قصد يسقطون اتجاهاتهم ومشاعرهم الخاصة على الصور وبتلك الطريقة يكشفون عن ذواتهم وأنفسهم. قصص اختبار الغموض يمكن تفسيرها عن طريق الحاجات والتي تعمل كقوى دافعة داخل الفرد أما فيما يتعلق بالضغط (Press) فهي قوى تأتي من البيئة وتساعدنا أو تعوقنا من الوصول إلى أهدافنا مثل الرفض أو الأخطار الجسمانية. تفاعل الحاجة والضغط مع محصلة القصة تكون مقالات بسيطة هذه المقالات أو القصص البسيطة التي يتكون منها عدد من القصص تصبح قصصاً أو مقالات معقدة، تساعد في تمييز أسلوب الفرد العلمي. هذه النماذج من القصص رمزية ولا يمكن اعتبارها ترجمات أدبية لسلوك المفحوص الفعلي. الاستنتاج أو الاستدلال الذي يصل إليه الفاحص يساعده ويوجهه في عملية التقييم التي يقوم بها لمعرفة ديناميكيات شخصية الفرد. هذا المقياس معترف به كوسيلة تقييم قيمة.

الحاجات الإنسانية: (Human Needs):

أبرز إسهامات موري هو دراساته المكثفة والعميقة في مجال الحاجات الإنسانية فقد قام بعمل بحوث تعتبر أكبر وأعظم عمل تم في هذا المجال في علم النفس. موري يعرف الحاجة بأنها مفهوم يمثل قوة في المخ تقوم بتنظيم إدراكنا وفهمنا، وسلوكنا بطريقة تغير وصفاً أو موقفاً غير مرضي وتزيد درجة رضانا، الحاجة يمكن أن تثار بواسطة حالة داخلية، مثل الجوع، أو بواسطة مثير خارجي مثل الطعام. كما أنها تدفعنا إلى البحث أو تجنب أنواع معينة من الضغط.

الملاحظ يستطيع أن يستدل على الحاجة من المؤشرات التالية:

نمط سلوك معتاد، البحث عن تجنب أنواع معينة من الضغط، التعبير عن انفعال محدد، ومؤشرات من الرضا أو عدمه مع تأثيرات سلوك الفرد. بالإضافة إلى كل ذلك، المفحوص أو الشخص يستطيع عادة أن يثبت وجود الحاجة لديه من خلال تقاريره الذاتية الخاصة.

ومن دراسته على الأفـراد في جامعة هارفارد ، كون قائمة بعشرين حاجة رئيسية لخصناها في الجدو أدناه على الرغم من التعديلات التى حدثت لها والتي لم تؤثر على قيمتها الإعتبارية .

قائمة الحاجات لدى موري:

١ ـ السيطرة (Dominance) التحكم في البيئة الإنسانية للفرد.

٢ ـ الإذعان والـمراعاة (Deference) الإعجاب بالتفوق ومساعدته.

٣ ـ الاستقلالية (Autonomy) مقاومة التأثير والإكراه

٤ ـ العدوان (Aggression) التغلب على الخصم.

٥ ـ الإذلال (Abasement) الاستسلام بسلبية لقوة خارجية.

٦ ـ التحصيل(Achievement) الحصول على شيء صعب.

٧ ـ الجنس (Sex) تشكيل وتكوين وتطوير علاقة شهوانية.

٨ ـ القدرة على الإحساس (Sentience) البحث والاستمتاع بالانطباعات الحسية.

٩ ـ العرض **(Exhibition)** تكوين انطباع .

١٠ ـ اللعب (Play) الاسترخاء، تسلية النفس، والبحث عن اللهو والتسلية.

١١ ـ الانتساب (Affiliation) تشكيل صداقات وجمعيات أو تنظيمات.

١٢ ـ الرفض (Rejection) فصل الذات أو النفس عن الشيء.

١٣ ـ الاستغاثة (Succorance) طلب المساعدة، والحماية أو العطف.

١٤ ـ التنشئة (Nurturance) المساعدة والحماية والتغذية.

١٥ ـ الابتعاد (Infavoidance) تجنب الإهانة.

١٦ ـ الدفاعية (Defendance)الدفاع عن النفس.

١٧ ـ المعادلة أو الإبطال (Counteraction) الإجادة أو تعويض الفشل.

١٨ ـ تجنب الأذى (Harmavoidance) تجنب الألم والإصابة الجسمانية.

١٩ - النظام (Order) وضع الأشياء بالترتيب أو النظام.
٢٠ - الفهم (understand) تسأل أو تجيب على الأسئلة.

ليست كل هذه الحاجات موجودة لدى كل واحد ولكنها تختلف في القوة والاكتفاء! موري يؤمن أن هناك هرماً من الحاجات بعضها أقوى من بعض. حاجتين أو أكثر يتصارعان، الحاجة الأكثر إلحاحاً سوف يتم تحقيقها أولاً. بعض الحاجات تعتبر مهيمنة وهذا يعني أنها حاجات ملحة جداً إذا لم يتم إشباعها أو إرضائها مثل الحاجة إلى الطعام. الحاجات الأخرى يمكن أن تشبع مجتمعة فالممثل يمكن أن يكون بمقدوره تحقيق حاجات العرض والتحصيل بإداء واحد. نحن نحتاج إلى اعتبار وتقدير مفهوم (الضغط) والذي يمثل قوى من الأشياء أو الأشخاص داخل البيئة تساعد أو تعوض الفرد في تحقيقه لأهدافه. أمثلة من الضغط، النزاع الثقافي، الشجار العائلي، الفقر، الحوادث، فقدان الملكيات، وجود الأقارب والإخوان، التدريب الديني، سوء المعاملة المعاصرة، التشجيع، الصداقة، سوء المعاملة الجنسية، والأمراض. إنه من المهم التمييز بين ضغوط ألفا (Alpha press) وهي المزايا والخصائص الفعلية للبيئة وضغـوط بيتا (Beta press) والتي تمثل الإدراك الفردي لبيئته وهي ضغوط تعتبر محددات للسلوك.

تكريس مفاهيم فرويد:

بعض من سمات مفاهيم نظرية موري في علم الشخصية مستنتجة أو مستمدة من نظرية فرويد. ومع كل ذلك فموري لم يتردد في إعادة تعريف أو تحديد تلك المصطلحات أو تنقيحها. فمثلاً نجده يستخدم مصطلح الهو، الأنا، والأنا الأعلى لوصف الأقسام الرئيسية للشخصية لكنه يضيف معنى خاصاً حيث يتفق مع فرويد بأن الهو هو مصدر الحوافز الرئيسية والحاجات الأساسية، ولكنه يؤكد على أن الهو يتضمن دوافع إيجابية بالإضافة إلى تلك الدوافع السلبية، الأنا الأعلى يشكل تمثيلاً داخلياً للبيئة الاجتماعية فيشير إلى متى وأين وما هي الحاجات التي يمكن أن يتم التعبير عنها. الأنا هي الجزء المنظم والمتميز والمحلل والمعلل والمحدد للوقت والوعي الذاتي للشخصية. دور الأنا يقوم على تسهيل مهمة الهو ليحقق دوافعه وتمكين الفرد من الوصول إلى التوافق المطلوب. موري يقسم مرحلة الطفولة إلى

خمس مراحل كل مرحلة تتميز بوضع أو حالة مرضية يجب أن يكون لها غاية وتترك علامتها أو ميزتها على الشخصية على شكل عقدة. الوضع المريح الأول هو الوجود الآمن داخل الرحم والذي يقود إلى مركب الاعتكاف (Chaustral Complex) وهو الرغبة في أن يستعيد تلك الظروف أو الأوضاع أو الحالات التي مر بها قبل الولادة! المرحلتين المقبلتين تشبهان ما قال به فرويد وهما الاستمتاع أو الإشباع عن طريق المص وذلك برضاعة ثدي الأم مما يؤدي إلى عقدة الشبقية وهذه يمكن التعبير عنها بسلبية أو عنف أو من خلال الرفض. لكن الاستمتاع عن طريق الحواس مربوط بالغائط أو التبرز والتي يعبر عنها أو تعبر عن نفسها في أشكال من التمسك أو الإخراج. العقدة الرابعة هي (العقدة البولية) وتنشأ من الأحاسيس المرضية والمرتبطة بالتبـول كما تسمى عقـدة الـطمـوحـات المفـرطـة **(Urethral Complex)** والتي ورد ذكرها في الأساطير الإغريقية القديمة عن الشخص الذي طار حتى وصل إلى مقربة من الشمس مما جعل جناحيه تميع من شدة حرارة الشمس. هذا تعبير عن وضع الفرد الذي يهدف إلى تحقيق أمور وأشياء عالية جداً ولا يحصل إلا على الفشل فقط. المـرحلة الأخيرة التي وصفهـا مـوري تتضمن إشارات سـارة تنتـج من الإحساسات التناسلية وتقود إلى عقدة الخصاء (Castraction Complex) وهي كما يراها موري القلق الذي ينتج أو يُسببه الخيال بأن القضيب يمكن أن يقطع. بعد هذا يصل موري إلى استنتاج مفاده أن أحداث الطفولة محددات مهمة للشخصة البالغة.

نظرية موري فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

دراسات موري الرائدة ساعدت في عملية تشكيل نمو وتطوير نظرية الشخصية في الولايات المتحدة، فلقد كان موري مسؤولاً إلى حد كبير عن ذلك الاهتمام الملحوظ لفرويد فأثار اهتمامات الدارسين والباحثين للعمل على تحليل ودراسة مفاهيم المدرسة التحليلية الفرويدية. على الرغم من أن موري حاول تقديم أو صياغة بعض التعريفات الإجرائية والمعلومات المحددة، فهو يعترف بأنه لا يوجد لديه ما يبرر تسمية مفاهيم نـظريته بـالمفاهيم العلميـة، وأن الإجراءات التي استخدمها في تشخيصاته فشلت أيضاً في ظل المعايير الخاصة بالبحث العلمي

الراهن، ولكن مع ذلك فلا يمكن تجاهل دوره في رعاية بعض البحوث العلمية التي ساهمت في إثراء فكر ونظرية الشخصية. إن تأثير موري في مجال علم النفس لا يقتصر على جهوده الشخصية بل إن طلابه في جامعة هارفارد قد قاموا ببعض المشاركات والإسهامات في هذا المجال.

موري طور أسلوباً منظماً لدراسة الشخصية لم يسبقه إليه أحد من قبل فقد كان في منزله يدرس أدب هيرمان ملفيل (Melville)وكتابات فرويد، وآخر المعلومات التطبيقية كمصادر محتملة لمعرفة الطبيعة الإنسانية. في عيادة هارفارد النفسية، خلق موري جوا للعقول المبدعة وهيأ لها الظروف لكي تعمل مجتمعة وتتبادل الأفكار وتطور المفاهيم وتنظمها. كما تحدث عن مزايا جمع أساليب مختلفة وتخصصات مع بعضها البعض لتلقي ضوءاً على الطبيعة الإنسانية وتكلم عن الحاجة إلى توسيع مدى معرفتنا لتجاوز النموذج الضيق والمحدد. نتيجة لكل ذلك نجح موري في تجنب الصورة ذات الوجه الواحد للشخصية فقد حاول أن يثير توازناً هادئاً بين العناصر التكوينية والعوامل البيئية، كما اعترف موري بأهمية الأحداث الماضية والمستقبلية. نظريته تتضمن جوانب تجريبية وسلوكية على الرغم من أن موقف موري لم يكن واضحاً فيما يتعلق بوضعه الفلسفي، فمحاولاته تعمقت بوضوح في الفلسفة الإنسانية التي تشجع على تكوين وجهة نظر شاملة وكاملة للطبيعة الإنسانية.

تصنيف موري للحاجات يعتبر تصنيفاً راقياً كما أن تركيزه على العمليات الفسيولوجية للمخ مؤشر على تقدير معاصر وملحوظ لأهمية القوى البيولوجية والكيميائية في الكائن البشري. أخيراً، موري بتصميمه لاختبار تفهم الموضوع والذي يستخدم على مستوى واسع كوسيلة تشخيصية يمثل إسهاماً بارزاً في مجال دراسة الشخصية.

ملخص:

(١) مصطلح موري علم الشخصية (Personology) ينسب إلى دراسته النظامية التأليفية الفريدة (Interdisciplinary) للفرد والتي توظف عدداً من الطرق الإكلينيكية والتحليلية النفسية والتجريبية.

(٢) موري يقسم سلوك الشخص إلى وحدات محددة والوحدة الأساسية هي الإجراء (Proceeding).

(٣) يعتبر اختبار تفهم الموضوع (TAT) أداة إسقاطية يُكَوِّن المفحوص فيها قصة من الصور الغامضة وهذه القصص يمكن تفسيرها في مصطلحات كالحاجات والضغط والمقالات أو القصص القصيرة.

(٤) الحاجة قوة في المخ تنظم إدراكنا، فهمنا وسلوكنا بطريقة تقودنا إلى تغيير الوضع الغير مرضي. الحاجات يمكن أن يستدل عليها أو تستنتج من المؤشرات السلوكية وتؤكد من خلال تقارير ذاتية.

(٥) حدد موري عشرين حاجة رئيسية هي: السيطرة، الإذعان، الاستقلالية، العدوان، الإستدلال، التحصيل، الجنس، قدرة على الإحساس، العرض، اللعب، الانتساب والعضوية، الرفض، الاستغاثة، التنشئة، الابتعاد، الدفاعية، المعادلة أو الإبطال، تجنب الأذى، النظام، الفهم.

(٦) الضغط (Press) قوة من البيئة تساعد أو تعوق الفردفي سعيه لتحقيق أهدافه. موري يميز بين ضغط (Alpha) وضغط (Beta) وكأمثلة على الضغط: المرض والفقر والتشجيع.

(٧) موري كرس عدداً من مفاهيم فرويد، معيداً تفسيرها بطرق ثابتة مع نظريته الخاصة كما ركز موري على الدوافع الإيجابية في الهو وافتراض دوراً أكثر حيوية وإيجابية للأنا. أيضاً قسم موري الطفولة إلى خمس مراحل كل واحدة منها تترك علاماتها على الشخصية في شكل عقدة أو مركب.

(٨) أسلوب موري المنظم والمؤلف (Interdisciplinary) لم يسبقه إليه أحد، مع أنه فشل في أن يكون نموذجاً علمياً مثالياً، لكنه ساعد في تأكيد قيمة الأسلوب المنتظم التأليفي لفهم الشخصية.

قراءات مقترحة

Suggestions for Furtter Reading

Considering the extensive amount of research that Murray has done, he has written very little! He stadied Melville intensively for twenty - five

years and is widely respected as a Melville scholar through his valuable articles on that author. Unfortunately, his writing tends to be stiff and formal and he has a penchant for coining new words that makes him difficult to read. The student who is interested in his work is encouraged to read Explorations in Personality (Oxford University Press, 1938), his major work, written in collaboration with colleagues at the Harvard Psychological Clinic, which describes the findings of his monumental study undertaken there . Also Useful Is «Outline of a Conception of Personal ity», written with C. Kluckholn and included in C. Kluckholn, H. A. Murray, and D. M. Schneider (Eds.), Personality in Nature' Society, and culture (Knopf, 1953). A most delightful read is his autobiography, in E. G. Boring and G. Lindzey, A History of Psychology in Autobiography, Vol. 5 (Appleton - Century - Grofts, 1967).

الفصل العاشر
نظرية السمات الإنسانية: جوردون إلبورت
Gordon Allport: A Humanistic Trait Theory

أهداف الفصل:

١ ـ مناقشة تعريف البرت النهائي للشخصية.
٢ ـ التمييز بين النسق المفتوح والمغلق في نظرية الشخصية.
٣ ـ شرح وتفسير كيف أن السمات المألوفة تختلف عن النزعات الشخصية.
٤ ـ التمييز بين ثلاثة مستويات من النزعات الشخصية.
٥ ـ تفسير لماذا البرت ابتكر مصطلح الخصوصية وحدد وظائفه السبع.
٦ ـ مناقشة مفهوم الاستقلالية الوظيفية أو العملية.
٧ ـ وصف مفهوم النضج.
٨ ـ التمييز بين الأسلوب البعدي والأسلوب الشكلي في دراسة الشخصية مع بعض الأمثلة.
٩ ـ تقييم نظرية البرت في جوانبها الفلسفية والعلمية والأدبية.

عنـدما سئل مجموعة من الإكلينكيين عن أكثر أصحاب نظريات الشخصية تأثيراً عليهم في علمهم اليومي قالـوا فرويد ثم جوردن الـبرت الذي قام بالكشف عن مفهوم (السمـة) **(Trait)** ! الـبرت يصف نظريتـه بأنها (انتقـائية) لأنها تختار الأحسن من بين تشكيلات مختلفة من المفاهيم والطرق ، البرت انتقد التصورات الضيقة للشخصية لإيمانه بالطرق الجديدة في الدراسة وأهميتها في تحقيق غنى وكمال شخصية الفرد . كما أكد البرت على تميز الفرد وحداقة الدوافع والنظرة الكلية للشخص!

السيرة الذاتية:

ولد جوردون البرت في عام ١٨٩٧ م في ولاية إنديانا وترعرع بجوار مدينة كليفلاند في أوهايو، لقد كان والده طبيباً ووصف حياته المنزلية بالجدية والمحافظة الدينية. لم يكتب البرت إلا القليل عن طفولته ولكنه يشير إلى أنه قضى معظمها

وحيداً، كما كان مبدعاً ومحباً للغة ولكنه يعترف بفشله في الرياضة والألعاب. بعد أن تخرج من الثانوية العامة، شجعه أخوه (فلويد) والذي أصبح اختصاصياً نفسياً متميزاً على الالتحاق بجامعة هارفارد حيث تخرج من هناك. في دراسته الجامعية ركز البرت على علم النفس والأخلاقيات الاجتماعية وفي أوقات فراغه كان يشارك في بعض الأنشطة الاجتماعية، فقد تولى إدارة نادي للشباب في مدينة بوسطن بالإضافة إلى مشاركته في تنظيمات اجتماعية أخرى. بعد تخرجه قبل بالعمل كمدرس لمادة اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع في كلية روبرت في اسطنبول بتركيا ضمن برنامج (جمعيات السلام Peace Corps) بعد ذلك قبل زمالة هارفارد لدراسة علم النفس ليحصل بعد سنتين فقط على درجة الدكتوراه في بحث بعنوان (دراسة تجريبية لسمات الشخصية) وهي الدراسة الأمريكية الأولى في مجال السمات الشخصية. كما حصل على زمالة أخرى هيأت له فرصة مقابلة فرويد هذا اللقاء الذي يصفه البرت بقوله: عندما وصلت إلى مقر إقامة فرويد وجدته صامتاً وكان على ما يبدو ينتظر مني الحديث عن سبب الحضور والزيارة وبالفعل فقد تذكرت حادثة مرت بي وظننت أنها سوف تثير اهتمامه لأن لها علاقة بالخواف الاجتماعي فقد حدثت فرويد عن قصة ذلك الطفل الذي رأيته في طريقي إلى مكتبه وكان خائفاً من الأوساخ وكان يلح على والدته بأنه لا يريد أن يجلس على كرسي متسخ أو بجوار رجل وسخ. يقول البرت عندما أكملت رواية الحادثة نظر فرويد إلي وقال (وهل كنت ذلك الولد الصغير؟). استغرب البرت ذلك ولكنه تمالك أعصابه وغير الموضوع، فلقد أثارت تلك الاستجابة البرت ولم ينسها إلى الأبد ولكنه بدأ يشعر بأن وصف فرويد لمعظم السلوكيات بأنها نتيجة دوافع لا شعورية كان وصفاً غير صحيح وأن البحث عن نظرية بديلة أصبح أمراً ضرورياً.

في نظريته، البرت لم يتعمق في الجانب المظلم للشخصية ولا يتفق مع فرويد في تركيزه على الجنس والدوافع اللاشعورية. بعد عودته من أوربا عمل كمدرس للأخلاق الاجتماعية في جامعة هارفارد وكانت له مساهمات متعددة ولكن أبرزها هو تنظيمه لبرنامج العلاقات الاجتماعية والذي يضم برامج في الاجتماع وعلم النفس والأنثربولوجيا، وقد توفي البرت عام ١٩٦٧ م.

طبيعة الشخصية:

صنف إلبرت أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية قبل أن يطور تعريفه الخاص في عام ١٩٣٧ م والذي تم تعديله في عام ١٩٦١ م ليصبح تعريفه النهائي والمنقح كالتالي (الشخصية هي التنظيم الديناميكي داخل الفرد لتلك الأنظمة الجسمانية النفسية التي تحدد تفكيره وسلوكه المميز). تعريف البرت جعل الشخصية بالنسبة له تكويناً واقعياً وليس مفهوماً تخيلياً فقط! البرت ينظر للشخصية كمفهوم فرضي في الوقت الراهن لا يمكن ملاحظته لأننا لا نستطيع قياسه عملياً ولكنه مع ذلك يقترح بأن الاستنتاج أو الاستدلال الذي لا يمكن التهرب منه هو أنه سيأتي اليوم الذي يبرهن فيه مباشرة على أن الشخصية لها وجود حقيقي داخل الشخص ويدخل في ذلك مكوناتها الجسمانية والعصبية. البرت يذكرنا بأنه في وقت من الأوقات كوكب بلوتو كان مجرد مفهوم فرضي وسلمنا بها لمدة طويلة قبل أن يلاحظها أي تلسكوب، لذلك فالبرت يتمنى بل يعتقد أن البحوث والدراسات في مجال الفسيولوجيا العصبية والنفسية ستظهر لنا الطريقة التي تحدد مباشرة التكوين الفرضي الحالي للشخصية. ميز البرت بين النسق المغلق والنسق المفتوح في الشخصية. فالنسق المغلق (Closed System) مفهوم يقبل القليل أو يرفض كل شيء جديد يأتي من خارج الكائن ليؤثر فيه ويغيره بطريقة هامة. ففي النسق المغلق شخصية الواحد ينظر لها كشيء كامل داخل نفسها فهي ببساطة تتجاوب أوتوماتيكياً مع المثيرات داخل البيئة .

أما النسق المفتوح (Open System) فهو الذي ينظر للشخصية كشيء لديه طاقة كامنة وديناميكية للنمو، يعاد تكوينه ويتغير من خلال تحولات كبيرة داخل نفسه وأيضاً داخل بيئته. البرت يرى أن نظرية فرويد تميل إلى النسق المغلق لأنها لا تنظر بالكامل إلى الشخصية كنظام نمو ديناميكي له تفاعلات هامة مع بيئته. فالتحليل النفسي يصف الأنا بأنها تسعى لخلق توازن بين الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي. هذا التركيز على التوزان (Homeostasis) يقود إلى التأكيد على الثبات والاستمرارية بدلاً من النمو والتغير في مفهوم الشخصية .

البرت أيضاً يصف النظرية المفتوحة بأنها تلك التي تسمح بعملية نمـو ديناميكية داخل الكائن أو التفاعلات الكبيرة مع البيئة. النظريات المفتوحة في الشخصية ترى بأن الكائن مع النمو يزداد تعقيداً ويصبح شيئاً أكبر مما كان ومثل هذه الأنظمة ينظر لها على أنها نمطية للـخبرات المختلفة والتي تميز تفاعل الفرد مع بيئته فالفرد ينظر له كمشارك في التحويلات الكبيرة مع ظروف وعناصر متعددة تفرض عليه تسنم أدوار مختلفة. بطريقة أخرى نحن يمكن أن نحدد أو نثبت الفرق بين النسق المفتوح والمغلق للشخصية بقولنا أو استخدامنا لمصطلحي نظريات الاستمرارية مقابل نظريات التوقف والانقطاع، حيث ترى نظريات الاستمرارية أو المواصلة أن نمو الشخصية في الأساس هو تراكم لمهارات وعادات وفروقات بدون أي شيء جديد فعـلاً يظهـر في تعـويض الشخص ، إذن فالتغـيرات بوضوح كمية ولها صلة وثيقة بمقدار المدخلات. نظريات الانقطاع أو التوقف ترى أن الكائن خلال فترة النمو يعاني من تحولات أو تغيرات حقيقية حتى يصل بنجاح إلى مستوى عال من التنظيم. هذا النمو ينظر له نوعياً كشيء مختلف فالمشي يعتبر شيئاً مختلفاً عن الحبو، كما ان الكلام ينظر له على أنه توقف أو انقطاع عن التهجي أو الكلام الطفولي. . . الخ. فلو نظرنا للشخصية كتكوين يتعامل مع المدخلات، فسنجد بوضوح أن نظرية الاستمرارية ستنظر للمدخلات بطريقة تراكمية، في حين أن نظرية الانقطاع ترى أن الكائن يعيد تنظيم وتشكيل هذه المدخلات حتى يكون تركيباً أو بناء للشخصية في تغير راديكالي، فالتغير كيفي وليس كمي. النظريات التي تقول بوجود مراحل للنمو الشخصي لديها إمكانية تطبيق الاستمرارية، لأن كل مرحلة تتضمن تنظيماً مختلفاً عن المرحلة التي قبلها. نظرية فرويد على الرغم من أنها حددت مراحل للنمو لكنها لم تدرك أو تعرف بالتمام هذه الإمكانية بسبب تركيزها الرئيسي على العوامل النفسية الداخلية والفردية، أيضاً عناصر داخل نظرية فرويد تشير إلى الانقطاع أو التوقف ولكنها تبقى شبه مغلقة.

السمات:

يرى إلبرت أن سمات الفرد موجودة، ومن أجل أن يؤكد ذلك اقترح تصوراً

ومفهوماً فسيولوجياً وبيولوجياً لهذه السمات كتكوينات نفسية عصبية. هذا معناه القول بأن السمات تكوينات صادقة لا زيف فيها داخل الشخص تؤثر في سلوكه. هذه السمات ليست ببساطة علامات (Labels) نستخدمها لوصف أو تصنيف السلوكيات. البرت يعرّف السمة بأنها (نزعة أو استعداد محدد للاستجابة) ويرى أن السمات يمكن أن تعتبر واقعاً أو حقيقة مطلقة للتنظيم السيكولوجي. السمة، مثل الشخصية، ليست خفية من حيث المبدأ فأصحاب نظريات السمات بمقدورهم قياس السمات عملياً. البرت يميز السمات الفردية والسمات المشتركة في كتاباته الأخيرة ويوضح وجهة نظره فقد استخدم مصطلحات (سمات مشتركة) (Common Traits) ونزعات شخصية (Personal dispositions) حيث يرى أن النزعات الشخصية فريدة وخاصة بكل فرد، ولأنه لا يوجد شخصان متماثلان فلا يوجد إثنان يمكن القول بأنهما يملكان نزعات شخصية متماثلة أو متطابقة. من جهة أخرى، هناك أوقات نتمنى فيها عمل مقارنة بين الأفراد ومن أجل ذلك، فمن الضروري أن نطرح مضموناً للسمات المشتركة فهي سمات إسمية ولكن مع ذلك فألبرت لا يرغب بأن يعترف أو يسلم بأنها غير موجودة.

الأهمية الرئيسية للتمييز بين السمات المشتركة والشخصية هي الطريقة التي يدرس بها الواحد. فمفهوم السمات المشتركة يخضع نفسه للبحث والقياس النفسي التقليدي في حين أن مفهوم السمات الشخصية تتطلب طرقاً جديدة تتيح المجال لفردية الشخص بالظهور.

السمات المشتركة: (Common Traits):

السمة المشتركة هي مضمون أو مفهوم فتراضي يسمح لنا بمقارنة الأفراد داخل ثقافة معينة، وعلى الرغم من أنه لا يوجد شخصان يمكن أن يقال عنهما إنهما يملكان سمات متطابقة، فنحن يمكن أن نكتشف بعد جهد، سمات تسمح لنا بمقارنة الاستعدادات التي اعتدنا عليها. فالناس العاديون في أي ثقافة يميلون إلى تطوير أساليب متشابهة أو خطوطاً من التوافق. ففي مجتمع تنافسي كالولايات المتحدة معظم الأفراد يطورون مستوى من الإصرار أو المثابرة التي يمكن مقارنتها مع مستوى المثابرة لدى الآخرين. من أجل تكوين سمات مشتركة وظف البرت

طرقاً علمية تقليدية واختبارات نفسية تقيس الخصائص النفسية من خلال استبيانات وأساليب إحصائية. فلكي نعرف ما إذا كان الشخص عدوانياً أم لا علينا معرفة تكرار ومدى وكثافة السلوكيات العدوانية. فنحن نسأل دائماً كيف يظهر السلوك العدواني وكيف يطبق في مختلف الأوضاع والظروف، ما مدى قوة ردود الفعل لهذه التصرفات العدوانية.

هذه المعايير من تكرار ومدى وكثافة هي معايير كمية، ومعنى ذلك القول بأنه يمكن قياسهم من خلال استخدام الاختبار المناسب لإثبات وجود هذه السمات فنحن نلجأ إلى استخدام مقاييس مختلفة للثبات فمثلاً، ثبات الملاحظ (Observer Reliability) يمكن تحديده بملاحظة ما إذا كانت الأحكام التي يطلقها على السلوك الفردي تؤكدها وتثبتها ملاحظات وأعمال ملاحظين آخرين أم لا. الثبات بالإعادة (Repeat Reliability) يتم بإعادة إدارة نفس الاختبار للمفحوص وملاحظة ما إذا كانت نفس الدرجة على السمة تظهر ثانية أم لا. الثبات الداخلي ينسب إلى حقيقة أنه إذا كان الفرد يتصرف بطريقة معينة في وضع واحد، فهو سوف يتصرف أيضاً في أوضاع أخرى بأسلوب مشابه لأولئك الأشخاص الذين يشتركون معه في نفس السمة. الثبات الداخلي (Internal Reliability) يتم بمعرفة ما إذا كانت مفردات الاختبار مرتبطة ببعضها البعض وترتبط كذلك مع الدرجة الكلية لعموم عينة الدراسة. أصحاب الدرجات العالية على فقرة واحدة لديهم نزعة واضحة للحصول على درجات عالية على فقرات أخرى محددة مما يعني ثباتاً داخلياً وتكوين مقياس ثابت للسمة العامة.

باختصار فالافتراض بوجود السمات المشتركة يوحي بأنه متى ما كان هناك نوع واحد من السلوك مرتبط إحصائياً بالأنواع الأخرى فمعنى ذلك إن هناك شاهد على أن السمة تشكل أساساً للسلوكيات، ومتى ما كان الشاهد مشتقاً أو نابعاً من عينة سكانية كبيرة فمن الممكن أن نعتبرها سمة عامة أومشتركة! عدد من السمات، المشتركة يشترك فيها عدد من الأفراد مثل سمات الخنوع والهيمنة الانطوائية والانبساطية، العصابية والقلق الظاهر والحاجة إلى التحصيل والأنثوية

والذكورية،هناك خاصية أو ميزة للسمات المشتركة هي توزيعهم العادي بين السكان فغالبية الناس يحصلون على درجات متوسطة فيما يتوزع البقية وبصورة تدريجية على الأطراف مسجلين درجات منخفضة وعالية ، تراكم هذه الدرجات يشكل منحنى جرسي يطلق عليه المنحنى الاعتدالي للتوزيع. معظم الدرجات تتعنقد أو تتجمع حول المتوسط أو المعدل. المنحنى الاعتدالي يسمح لنا بمقارنة الأفراد فالدرجات العالية أو المنخفضة يمكن النظر لها كانحرافات عن معيار المجموعة.

النزعات الشخصية : Personal Dispositions:

من المسلم به أنه يمكن لنا عقد مقارنة بين الأشخاص ولكننا سنرى في نهاية التحليل أنه لا يوجد شخصان متشابهان تماماً. إذن فالنزعة الشخصية (Personal Disposition) مثلها مثل السمة، تعتبر خاصية عامة ومحددة ولكنها فريدة بالنسبة للشخص الذي يحملها. وعلى الرغم من أنه لا يمكن عمل مقارنات بين النزعات الشخصية إلا أن هذه النزعات ضرورية إذا كنا نريد أن نعرف بدقة التركيب الشخصي لفرد ما. ففي الوقت الذي تصنف فيه السمات المشتركة الأفراد في خانات أو فئات بقصد عمل المقارنات المنشودة نجد أن النزعات الشخصية ـ إذا لم يتم تشخيصها بدقة ـ ستصف الفرد في تميزه وتفرده وصفاً دقيقاً. كل واحد منا له نزعاته الشخصية والتي تحمل أهمية عظمى ومن فرط وجودها وعلى أوسع نطاق يخيل لك كملاحظ أن كل سلوك شخصي متأثر بها وهي ما يسمى بالنزعات الرئيسية (Cardinal dispositions)

لقد قام إلبورت بتحديد ثلاثة مستويات من النزعات الشخصية هي:

① النزعات الرئيسية.
② النزعات المركزية.
③ النزعات الثانوية.

١ النزعات الرئيسية : Cardinal dispositions.

هذه النزعات ذات تأثير كبير وملحوظ على تصرفات الأفراد وبشكل يكاد أن يكون مستمراً ومتكرراً. وكمثال لهذه النزعات الرئيسية الرغبة الشديدة والتعلق بالسلطة

وهي من وجهة نظر البورت تعتبر نادرة وإن كان هناك من مشاهير التاريخ من تنطبق عليه هذه السمات أو النزعات الرئيسية وفي مقدمتهم نابليون الذي يمكن وصفه بأنه يملك هذه النزعة للقوة والتسلط والسيطرة.

٢ ـ النزعات المركزية: Central Dispositions.

النزعة المركزية هي تلك النزعة المميزة للفرد والتي تعمل على تزويده بالصفات أو العبارات التي قد يستخدمها في وصف الخصائص الرئيسية للفرد. البورت يرى أن عدد النزعات المركزية هذه يتراوح في العـــادة ما بين خمس إلى عشر نزعات.

٣ ـ النزعات الثانويـة :Secondary dispositions

هذه النزعات غالباً موقفية ليس لها تلك الأهمية الحاسمة والمؤثرة في تركيب الشخصية، فالشخص يمكن أن يملك عدداً كبيراً من هذه النزعات فمثلاً الرجل يمكن أن يكون مسيطراً وعدوانياً في المنزل عند ممارسته لدورة كأب لكنه يتحول إلى رجل خنوع عندما يواجه رجال السلطة أو المرور.

مقاييس التقويم وأدوات القياس وهي وإن كانت مجدية مع السمات المشتركة إلا أن فائدتها أقل عندما يتعلق الأمر بالنزعات الشخصية، مع الأخذ في عين الاعتبار بأن الدرجات العلمية أو المنخفضة التي نحصل عليها عند قياسنا للسمات المشتركة قد تكشف لنا عن جوانب متعددة من النزعات الشخصية. فمثلاً تحليلنا لسلوكيات الفرد يمكن أن يكون طريقة أو وسيلة لتحديد نزعاته الشخصية، فلو كان لدى الباحث معلومات عن عدد كبير من السلوكيات فبمستطاعه البحث عن أنماط مكررة وهي طريقة أو أسلوب استنتجه البورت من دراسة قام بها على موضوع أطلق عليه «رسائل من جيني» والتي تجاوزت ثلاثمائة رسالة كشفت عن عدد من النزعات الشخصية.

أيضاً فيمكن لنا فحص النزعات الشخصية للفرد بافتراض أنه يملك نزعة مركزية ورئيمية معينة تساعد في عمل تنبوءات عن سلوكياته اللاحقة. أخيراً فدراسة الأفراد في المواقف العيادية أو الإكلينيكية يتيح الفرصة لنا لفحص النزعات الرئيسية والثانوية والمركزية.

الخصوصية: The Proprium:

يمكن النظر للتوجهات الإنسانية التي يحملها إلبورت من خلال مفهوم الخصوصية (Proprium) حيث ابتكر هذا المصطلح هادفاً من ذلك إلى تجنب استخدام مصطلحات «الأنا» و«النفس» حيث يعتقد بأن هذين المصطلحين مثلاً كثيراً ما يستخدمان كسلة للعبارات والعناصر الشخصية التي لا يمكن حسبانها بأي طريقة أخرى.

مصطلح الخصوصية ينسبه إلبورت إلى تلك الخبرات الأساسية للوعي الذاتي لدى الشخص في مرحلة نموه وتحركه إلى الأمام. من وجهة نظر البورت فالخصوصية يمكن التعرف عليها من خلال وظائفها حيث أطلق على هذه الوظائف مسمى الوظائف الذاتية (Propriate Functions) وهي ليست فطرية، بل هي وظائف تتطور تدريجياً مع مرور الزمن ومع نمو الفرد من الرضاعة إلى البلوغ. إلبرت يصف سبع وظائف ذاتية هي:

١ ـ الإحساس بالذات الجسمانية

٢ ـ الهوية الذاتية.

٣ ـ الاحترام الذاتي.

٤ ـ التمدد الذاتي.

٥ ـ الصورة الذاتية.

٦ ـ الذات المتكيفة المنطقية.

٧ ـ النضال الذاتي.

هذه الأنشطة والوظائف تكون مع بعضها البعض حساً ومعنى وذاتياً.

الوظيفة الأولى التي تظهر في معنى الذات الجسمانية (Bodily - Self) وهي تتكون من أحاسيس في الجسم وتشتمل على معرفة حدود جسم الواحد، فهناك أجزاء معينة من الجسم يؤكد على أنها تحظى بأهمية أكبر من غيرها فمثلاً الأطفال الصغار، عندما نطلب منهم أن يغسلوا أيديهم ووجوههم نراهم يغسلون راحة اليد ومقدمة الوجه ولكنهم لا يهتمون بغسيل كامل الأجزاء سواء في الأيدي أو الوجه

حتى نحن الراشدين معظمنا يميل إلى وضع الذات في منطقة الرأس، هذا الحس أو المعنى الجسماني والذي نتعلمه يبقى أساساً لوعينا الذاتي بالوظيفة الثانية وهي الهوية الذاتية (Self - identity) والذي ينسب إلى الوعي بالاستمرارية والتشابه الداخلي. الرضع لا يعون أو لا يشعرون بأنفسهم كأفراد ولا يستطيعون تمييز أنفسهم ولا الأشياء الأخرى من حولهم، ولكنهم تدريجياً، يصلون إلى التمييز بين الأشياء الداخلية والخارجية. العالم الخارجي يتطور لدى الطفل أولاً وفيما بعد يكشف معنى أو حس (أنا). هاتان الوظيفتان تبدآن في الظهور بعد سنة ونصف. أما ما بين السنة الثانية والثالثة فتتطور الوظيفة الثالثة وهي الاعتزاز الذاتي (Self - esteem) والذي ينسب إلى مشاعر الافتخار مع تطور قدرة الشخص على عمل الأشياء. هذه المرحلة تماثل مرحلة أريكسون (الاستقلالية) والتي تعكس حاجة الطفل إلى الشعور بقدرته عل التحكم في نفسه والأشياء الأخرى من حوله فطفل السنتين يطمح لعمل الأشياء لنفسه ويريد من الآخرين أن يساعدوه. ميزة واحدة تدل على ظهور معنى أو حسن الاحترام الذاتي هي السلبية فالطفل يوظف كلمة (لا) لتأكيد! تحرره من سيطرة الكبار! إلبرت يعتقد أن وجود مقدار معين من السلبية ضروري لتطوير ونمو الاحترام الذاتي.

أما بين السنة الرابعة والسادسة فتظهر وظيفتان أخريتان هما: الصورة الذاتية والتوسع الذاتي. فالتوسع الذاتي (Self - extension) ينسب إلى معنى حب التملك فنرى الأطفال يعترفون بأن دمى معينة وأشخاصاً معينين يتبعون لهم ويحددونهم بقولهم (كرتي، سيارتي، والدي.. الخ). التوسع الذاتي يقود على تقييم الآخرين من خلال علاقتهم المباشرة بالشخص. أما الصورة الذاتية (Self - image) فتعزى إلى حس من توقعات الآخرين ومقارنته بالسلوك الشخصي الخاص، فالطفل بعد ذلك يفهم ويدرك التوقعات الأبوية ويرى في نفسه القدرة على تحقيق ولعب تلك الأدوار المرغوبة. هذه الصورة الذاتية المبكرة تضع اللبنات الأولى لنمو الضمير وفيما بعد النوايا والأهداف. أما فيما بين سن السادسة والثانية عشر، فتظهر الوظيفة السادسة والتي تتمثل في الذات كأداة تكيف منطقية .(Self as rational coper) هنا الأطفال يكتشفون أن باستطاعتهم استخدام طاقاتهم واستعداداتهم الواقعية أو

المنطقة لحل المشاكل فيبدأون في النظر لأنفسهم كأشخاص لديهم الحيوية والقدرة على حل المشاكل وبالتالي تطوير معنى أو حس من الكفاءة فيما يقومون به من أعمال. إلبورت يقارن الذات كأداة تكيفية بمفهوم فرويد للأنا كمنفذ للشخصية.

أخيراً، وخلال سن المراهقة تبرز وظيفة النضال الذاتي، وهي تنسب إلى وضع الأهداف والأغراض طويلة المدى وتطوير خطة لتحقيقها. مثل هذه المحاولات ضرورية أو رئيسية لنمو الهوية الذاتية والتي أشار إليها أريكسون كسمة أو صفة رئيسية للمراهقة.

البورت يؤمن بأن هناك اختلافاً واضحا ومميزاً بين الرضيع والبالغ فالرضيع اعتمادي، غير صبور، يبحث عن اللذة فقط، تحكمه إلى حد كبير حوافز بيولوجية غير متعلمة لا تحتمل التأجيل؛ فالرضيع لديه الطاقات الكامنة لتكوين الشخصية ولكن قلما يقال إن لديه شخصية. إننا عندما نقوم بتأمين الحب والأمان لأطفالنا نجد أنهم ينمون ويطورون الخصوصية المطلوبة. هنا الطفل سيتحول من كائن تسيطر عليه القوى أو المحددات البيولوجية إلى شخص بالغ وناضج نفسياً. أما البالغ فهو يظهر من الطفل لكنه لم يعد محكوماً بحاجات ذلك الطفل.

إلبورت أيضاً يقترح بأن هناك إنفصالاً راديكالياً بين الأطفال والبالغيين الناضجين، كما هو الحال بين العصابيين والأصحاء. فحياة العصابي تميزها الإعاقة المعرفية، فهم في محاولاتهم إيجاد الأمان يكونون ردود فعل بطرق متحجرة لا تعرف المرونة. مثل هؤلاء الأفراد يستمرون في التصرف كأطفال، تسيطر عليهم الحوافز والصراعات الطفولية، هنا يمكن لنا القول بأن خصوصيتهم لم تتطور ودوافعهم بقيت مربوطة بالحاجات الأصلية أو الأولية.

الاستقلالية الوظيفية : (Functional Autonony) :

الاستقلالية الوظيفية تتضمن الاعتراف بأن دافع الشخص البالغ ليس بالضرورة مرتبط بماضيه، فسلوك ما قد يصبح هدفاً في حد ذاته بغض النظر عن قصده أو نواياه الأولية. إذن، فدوافع البالغ ليست بالضرورة مربوطة بالخبرات

المبكرة والتي يبدو فيها الدافع أوالنشاط. إلبورت يقول بوجود مستويات من الاستقلالية الوظيفية

١ ـ الاستقلالية الوظيفية الدؤوب (Perseverative functional Autonomy).

٢ ـ الاستقلالية الوظيفية الذاتية (Propriate functional autonomy)

١ ـ الاستقلالية الوظيفية الدؤوب تنسب إلى تلك التصرفات أو السلوكيات التي تعاد حتى وإن كانت قد فقدت وظيفتها الأولية فهي ليست محكومة بالخصوصية ولا يوجد لها اتصال حقيقي بها. مثال ذلك، الفتاة المراهقة يمكن في ظل الروح العصيانية ضد والديها أن تبدأ في التدخين وهو شيء تعرف سلفاً أنه سيزعجهم ولكنها يمكن أن تستمر في التدخين حتى بعد مضي فترة العصيان في سن المراهقة.

إذن فالاستقلالية الوظيفية الدؤوب تنسب إلى النشاطات المعادة أم المكررة مثل النشاطات الإكراهية أو القسرية والإدمان على المخدرات أو الكحوليات والسلوكيات الروتينية والطقوس المملة. مثل هذه التصرفات متحررة من الدوافع الأولية ولا يمكن القول بأن الخصوصية تحكمها.

٢ ـ الاستقلالية الوظيفية الذاتية: تنسب إلى تلك الاهتمامات والمقاصد والقيم وأساليب الحياة والاتجاهات المكتسبة والتي توجهها الخصوصية، ومتحررة من تلك الدوافع المبكرة. القدرات مراراً وتكراراً تتحول إلى اهتمامات، فالشخص يختار تلك القيم المهمة وبعد ذلك ينظم هذه الدوافع بأسلوب منتظم يتناسب مع تصوره الذاتي وأسلوب حياته. باختصار هناك انفصال متطرف أو راديكالي بين دافع الرضيع والدافع الموجود لدى البالغ العادي أو السليم.

البورت يعترف بأن السلوكيات ليست كلها مستقلة وظيفياً ومن بين تلك العمليات التي ليست مستقلة وظيفياً الحوافز والانعكاسات والعادات والذكاء والتعزيزات الرئيسية والتثبيت وبعض العصاب والتسامي! في أوقات معينة نجد أنه من الصعب تحديد ما إذا كان الدافع مستقل وظيفياً أم لا، كما أنه بالإضافة إلى ذلك يمكن أن نجد أن هناك دوافع مستقلة إلى درجة معينة فقط. مع كل ذلك،

البورت يؤمن بأن عدداً من دوافع البالغ الناضج والسليم يمكن اعتبارها محكومة باستقلالية وظيفية ذاتية. أما فيما يتعلق بمبرر البورت لتطوير مفهوم الاستقلالية هذا فهو الرغبة في تأكيد قيمة أننا نعيش في الحاضر وليس في الماضي. البورت هنا لا يقول إن هناك انقطاع بين الماضي والحاضر ولكن على الأصح فالشخص البالغ السليم ليس مطوقاً أو مربوطاً بالماضي. فهو أو هي حر في الحاضر والمستقبل بدون قيود أو تحفظات يمليها الماضي عليه!

مفهوم البورت للاستقلالية الوظيفية كان موضوع خصام ونقد عظيم فهو كان يهتم بالتدريس وإثارة الاهتمامات بدلاً من عمل إفادات فوق مستوى اللوم أو التوبيخ. إذن، ففي الغالب نجد أنه من الصعب التفريق بين ما يفترضه البرت وبين ما قام به وتوصل إليه من خلال الإجراءات التطبيقية التي كونها. مفهوم الاستقلالية الوظيفية ليس فكرة أو مضموناً يخضع للتعريفات الإجرائية أو التنبؤات أو الاختبارات التطبيقية. البورت لا يصف بوضوح تلك العمليات التطورية التي تكون أساس الاستقلالية الوظيفية فقدفشل في شرح كيفية ظهورهـــا. ومع كل ذلك فمفاهيم البورت تعتبر منسجمة ومتطابقة إلى حد كبير مع التطورات الراهنة في نظرية الشخصية. فتأكيدات البورت على الانقطاع أو عدم الاستمرارية تعلق بها وتبناها أصحاب نظرية الشخصية المعرفيين والإنسانيين، كما إن مفاهيمه في الاستقلالية الوظيفية والوظائف الذاتية تنسجم مع التوسعات الجارية في التحليل النفسي حيث يهدف التحليل النفسي إلى تقوية وظيفة الأنا. إن الهدف من استعادة أحداث الماضي في التحليل النفسي هو السماح للمريض بالعمل من خلال ذلك الماضي، حتى تزول سيطرته على الفرد. بإدراك الواحد لدوافعه اللاشعورية يصبح حراً في التصرف بطرق مختلفة في المستقبل إذا رغب في ذلك. إذن، فهدف التحليل النفسي مطابق إن لم يكن مرادفاً لتطور الاستقلالية الوظيفية الذاتية. البورت يعتبر واحداً من أصحاب نظرية الشخصيـة الأوائل الـذين خصصوا جزءاً كبيراً من اهتماماتهم بالشخصية السليمة والناضجة بدلاً من العصابي أو الشخصية غيـر الناضجة. كما رأينا، إلبورت يؤمن بأن هناك انفصالاً راديكالياً بين الشخصية العصابية والسليمة فهو يتفق مع يونج على أن عدداً كبير من أصحاب نظرية الشخصية يركزون مناقشاتهم على خصائص العصابي وينظرون للصحة على أنها

غياب الأعراض العصابية فقط. البورت يرى أننا نحتاج إلى تعريف إيجابي للصحة يتيح لنا الإشارة إلى نموذج في الحياة الراشدة. البورت لطرح ستة معايير للنضج هي:

١ ـ التوسع في معنى الذات.
٢ ـ دفء العلاقة بين الذات والآخرين.
٣ ـ الأمان الانفعالي.
٤ ـ الإدراك الواقعي.
٥ ـ الاستبصار والإنسانية.
٦ ـ فلسفة موحدة للحياة.

النضج يعني الحرية أو التحرر من الماضي التعبير عن الوظائف الذاتية. مفهوم البورت للنضج يعكس عناصر من مفهوم يونج للتحقيق الذاتي ومفهوم أدلر للذات المبدعة أو الخلاقة.

طرق البحث:

كتب البورت الكثير عن طرق البحث والدراسة والتي تعتبر مفيدة في دراسة الشخصية، وإن كان بعضاً من بحوثه الخاصة في ذلك المجال يعتبر كلاسيكياً. البورت يشير إلى أن الشخصية معقدة جداً حتى أن كل طريقة أو أسلوب علمي لابد وأن يدخل في هذه الدراسة لكي نتمكن من مطاردتها أو فهم أعماق هذه الشخصية. ألبورت ينتقد أولئك الذين يقصرون بحوثهم ويحددونها فلا يشجعون أو يسمحون بدراسة مفاهيم الشخصية والتي لا تخضع بسهولة للاختبار العملي. كما نجده أيضاً يوجه النقد لأولئك الذين يطبقون الطرق المناسبة لدراسة الأفراد العصابيين على أولئك الأشخاص الأصحاء أو الناس العاديين. وجهة نظر البورت بالنسبة للانفتاح أو الانفصال في الشخصية لا تخضع نفسها للدراسة باستخدام الطرق التقليدية التي تستعمل في علم النفس الأكاديمي، والذي يهدف إلى اكتشاف قوانين عامة تنطبق على كل الحالات. التركيز، خصوصاً في علم النفس الأمريكي، على الأسلوب البعدي (Dimensional) وذلك بدراسة مجموعة كبيرة من الأفراد لتحديد المرات التي تظهر معها أحداث معينة ومن هذه الدراسة نستنتج أو

نستدل على متغيرات أو مبادىء عالمية! السواء هو ذلك السلوك الذي يتكرر ظهوره بصورة عادية. إذن، فالسلوك الذي يعتبر طبيعياً بالنسبة لطفل السنتين هو ذلك السلوك الذي يشترك فيه معظم الأطفال ممن أعمارهم سنتين، الاختصاصيون النفسيون يبحثون عن سمات عامة أو عادية يشترك فيها عدد كبير من السكان، فالفرد يدرس لمعرفة جوانب انحرافه وشذوذه عن العاديين. البورت يشجع الأسلوب الشكلي (morphogenic) والذي يتركز حول الفرد، مطبقاً أساليب ومتغيرات مناسبة لفهم تميز وفردية كل شخص. الأساليب التكوينية أو التشكلية تهدف إلى اكتشاف قوانين تحكم ذلك الفرد. وعلى الرغم من أن طرقاً كهذه تعتبر صعبة، وفيها إضاعة للوقت وأحياناً صعوبة في التطبيق لأنها مكلفة نجد أن هدفهم هو أن نأخذ في الحسبان تميز الحدث الفريد والذي نجده نظرياً قابل للشرح القانوني مثله مثل الحدث المتكرر. وكمثال للأسلوب الشكلي نقول بأن أسلوب التحليل النفسي والذي يعتبر مألوفاً لدينا يمثل بحثاً موسعاً في التطور التاريخي والتركيب النفسي للفرد.

ومع ان معظم بحوث البورت من النوع البعدي إلا أنه يشجع تطوير واستخدام الأسلوب الشكلي كتكنيك أفضل لفهم وتوقع السلوك. وهو يسير بثبات وانتظام مع تركيزه على تميز وتفرد الشخص لذلك اعتبر البورت رائداً في تطوير الأسلوب الشكلي لدراسة الشخصية.

طور إلبورت مع فيرنون وليندزي (Vernon and Lindzey) دراسة لمقياس القيم والتي تعتبر مقياساً بعدياً صمم لاختبار الفردية وهذا المقياس يقيس ست سمات عامة في الأصل قال بها في الأصل سبرنجر (١٩٢٨ م) (Spranger) وهي :

١ ـ النظرية.
٢ ـ الاجتماعية.
٣ ـ الدينية.
٤ ـ السياسية.
٥ ـ الاقتصادية.
٦ ـ الجمالية.

ولأن الاختبار يعكس القوى النسبية لتلك القيم الست داخل شخصية الواحد

نجد أن درجة الشخص على المقياس لا يمكن مقارنتها بأي شخص آخر. البروفايل النهائي الذي يظهر على الاختبار يبدو فريداً وشخصياً ووثيق الصلة بالشخص الذي أخذ ذلك الاختبار، هذا الاختبار تم استخدامه على نطاق واسع في الإرشاد والتوجيه المهني وأثبت جدواه كأسلوب هام في بعض دراسات عملية الإدراك. في الأربعينات من القرن الحالي كتبت سيدة تدعى جيني ماسترسون (Masterson) أكثر من ثلاثمائة رسالة عندما كان عمرها يتراوح ما بين ٥٩ ـ ٧٠ سنة وجهتها للأزواج الشباب ونالت اهتمام البورت حيث قام مع بعض من طلابه بتحليل تلك الرسائل لتحديد النزعات الرئيسية لدى جيني. بدراسة هذه الوثائق حاول البورت أن يلاحظ مدى تكرار ومرات ظهور بعض الأفكار، كما سأل بعض الناس أن يقوموا بقراءة تلك الرسائل وطلب منهم تقييم سمات جيني كما قام بمناقشة شخصية جيني على ضوء نظريات الشخصية المختلفة.

يؤمن إلبورت بأن دراسة الوثائق الشخصية مثل المذكرات والسير الذاتية والرسائل يمكن أن تكون أسلوباً شكلياً قيماً. مثل هذه الدراسة لا يمكن أن تحظى باهتمام قليل منا بل يجب أن تتم تحت توجيهات وإرشادات علمية واضحة.

بدأ فيرنون وإلبورت بحثاً حول السلوك الظاهر أو التعبيري وهو سلوك ينسب إلى الفرد في الأداء فكل سلوك يحتاج إلى تكيف أو جانب تعبيري، حيث يعزى الجانب التكيفي إلى ما يعمله الفرد للتعامل أو التأقلم مع ما يقوم به من مهام أما الجانب التعبيري فينسب إلى الكيفية التي يتكون عليها التصرف أو السلوك فعندما تستمع إلى محاضرة فأنت تركز على ما يقوله المحاضر ولكنك تسجل بعض الملاحظات المتعلقة بكيفية الإلقاء التي يمارسها المحاضر فهو قد يكون مرتبكاً أو مسترخياً أو يتحدث بصوت مرتفع أو منخفض.. الخ. كل هذه الجوانب التعبيرية للسلوك تدفعك إلى عمل استدلالات أو استنتاجات معينة عن المحاضر كشخص.

نحن في العادة نعطي أهمية أكبر للسلوك التكيفي أكثر من التعبيري ولكن لأن السلوك التعبيري أكثر عفوية فقد يكون أقدر على الكشف عن بعض الجوانب الرئيسية في الشخصية.

قام إلبورت وبعض من المفكرين ببعض البحوث على السمات التعبيرية

المتعددة للشخصية مثل الوجه والصوت والحركات والكتابة. . الخ. واكتشفوا بأن هناك تناسقاً وثباتاً واضحاً في سلوك الشخص التعبيري. في بعض الأمثلة البورت كان قادراً على استنتاج سمات معينة وتكوين أحكام دقيقة عن شخصية الفرد. البورت يعترف بأن البحث لا زال في وضع لا يؤهل أو يتيح له إمكانية تزويدنا بدليل متكامل للتشخيص النفسي. وعلى الرغم من كل ذلك، البورت يرى أن عمل بحوث ودراسات أكثر في هذا المجال أمر مطلوب لأن أسلوب الشخص في التعبير وطريقة حياته يمكن أن تكون العامل الأهم في فهم الشخصية.

نظرية إلبورت: علمياً وفلسفياً وأدبياً:

تعتبر نظرية البورت نظرية إبداعية، فعلى الرغم من أن عدداً من أفكاره مماثل أو تكرار لأفكار الآخرين، لكنه بالتأكيد مزج وجهات نظر الآخرين مع أفكاره ليطور أسلوباً فريداً. فمفاهيمه الأصلية، مثل النزعات الشخصية، والخصوصية، والاستقلال الوظيفي تعتبر إلى حد كبير مثار جدل ونزاع كما أن تركيزه على فردية الشخص والدوافع المعاصرة والنظرة الكلية للشخص، كان بمثابة مقدمة لنظريات سوف نتطرق لها في الجزء الرابع. بالتأكيد. فتركيزه في نظريته ليس على الماضي ولكن على التحرك إلى الأمام.

إلبورت يقول بما أن الشخصية معقدة جداً، فكل طريقة نظامية مطلوبة لدراستها في محاولة منا لسبر أغوار هذه الشخصية وفهمها، لذا نراه يستخدم طرقاً علمية صارمة ودقيقة لفهم كيفية تكوين وبناء السمات العامة. أيضاً نجد البورت يشير إلى أن الطرق الإحصائية في التجربة الحيوانية والمستخدمة في المختبر السيكولوجي تؤدي بالضرورة إلى فهم كامل للطبيعة الإنسانية، فالطرق البدائية والتي تساعدنا في فهم تميز وفردية كل شخص تحتاج إلى تطوير في بحوثه الخاصة! يعترف إلبورت بقيمة الطرق الأخرى مما جعله يستخدم تلك المعلومات التي استنتجها من الأدب والفلسفة والتراث والدين بالإضافة إلى تلك التي تحصل عليها من العلوم الطبيعية. مساهمات البورت الإبداعية في مجال نظرية الشخصية، مثل مفاهيم الخصوصية والاستقلالية الوظيفية، لا تخضع نفسها للتعاريف الإجرائية بسهولة. إلبورت يؤمن بأن نظام الشخصية المفتوح يشجع على اختراع طرق جديدة

في البحث تهدف إلى دراسة جوانب معينة من الشخصية، دراسة دقيقة لأن الطرق العلمية الراهنة لا تتضمن ذلك.

البورت يدرك بأنه لكي نفهم الكائن البشري فهماً كاملاً فمن الضروري أن نفهم الفرد فلسفياً بالإضافة إلى فهمه علمياً، ففلسفة الشخص ليست منفصلة عن سيكولوجيته. إن كل موقف نفسي، كما يقول البورت، مرتبط ببساطة بالافتراضات الفلسفية الرئيسية.

البورت لم يكن معالجاً نفسياً تطبيقياً ولم يطور أسلوباً علاجياً محدداً ومع ذلك فعدد من أفكاره مثل الاستقلالية الوظيفية والوظائف الذاتية والانفصال الراديكالي بين العاديين والعصابين كانت أفكاراً مفيدة للعاملين في المجال العيادي. أيضاً ألبورت لم يطور مدرسة نظرية ولم يكن له عدد كبير من الأتباع لكن نظريته كان لها أثر ملحوظ. أعمال البورت كونت جسراً بين علم النفس الأكاديمي التقليدي والذي يركز على الدراسات القياسية النفسية والبعدية وعلم النفس العيادي، والذي يركز على أسلوب أكثر شكلية لفهم الشخصية.

ملخص:

(١) إلبورت وصف وصنف أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية قبل أن يضع تعريفه النهائي التالي (الشخصية هي التنظيم الديناميكي داخل الفرد لتلك الأنظمة الجسمانية النفسية التي تحدد فكره وسلوكه المتميز).

(٢) إلبورت يميز بين السمات المشتركة، وهي التكوينات الافتراضية التي تتيح لنا عمل مقارنات بين الأفراد والنزعات الشخصية والتي تعتبر فريدة بالنسبة لكل شخص، السمات المشتركة والنزعات الشخصية تدرس بواسطة طرق بحثية مختلفة.

(٣) هناك ثلاثة مستويات للنزعات الشخصية هي:

١ - الرئيسية.
٢ - المركزية.
٣ - الثانوية.

٥ ابتكر إلبورت مصطلح الخصوصية (Proprium) والذي ينسب إلى الخبرات الرئيسية للوعي الذاتي الذي ينميه الفرد ويحركه إلى الأمام - البورت يصف سبع وظائف ذاتية هي:

أ - معنى الذات الجسمانية.

ب - الهوية الذاتية.

جـ - الاحترام الذاتي.

د - التمدد أو التوسع الذاتي.

هـ - الصورة الذاتية.

و - الذات كتكييف منطقي.

ز - الكفاح أو النضال الذاتي.

٦ مفهوم الاستقلالية الذاتية الوظيفية يتضمن ان دافع الفرد الراشد ليس بالضرورة مربوط بالماضي كما أن هناك مستويان للاستقلالية الذاتية الوظيفية هما:

أ - الاستقلالية الوظيفية الدؤوب.

ب - الاستقلالية الوظيفية الذاتية.

٧ البورت كان واحداً من أصحاب نظريات الشخصية الذين ناقشوا الشخصية السليمة والعصابية كما طرح ستة معايير للنضج.

٨ الأسلوب البعدي لدراسة الشخصية يدرس مجموعات كبيرة من الأفراد من أجل استنتاج متغيرات عامة أو مبادىء شاملة: بينما الأسلوب الشكلي يركز على الفرد مستخدماً أساليب مناسبة لفهم فردية وتميز كل شخص.

٩ إلبورت قدم واستخدم الطرق الصارمة في العلوم ليكون ويبني السمات المشتركة ولكنه أيضاً أدرك واعترف بأهمية وقيمة الطرق الأخرى والحاجة إلى فهم الفرد فلسفياً بالإضافة إلى الفهم العلمي.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Allport was a prolific author whose many writings have a clear teaching intent. He sought to describe and illustrate his concepts vividly. His writings are enjoyable to read and of great interest to the student of personality.

Allport's pioneer effort in the field of personality theory was Personality: A Psychological Interpretation (Holt, 1937). This work constitutes the initial presentation of his theory: distinguishing between common and individual traits and introducing the concept of functional autonomy. A revised and updated statement of his position is given in Pattern and Growth in Personality (Holt, Rinehart, and Winston, 1961). In this work, Allport introduces the concept of personal disposition and emphasizes the uniqueness of each individual. The book is highly readable and strongly recommended as an introduction to Allport's thought. Becoming. Basic Considerations for a Psychology of Personality (Yale University Press, 1955) underscores Allport's humanistic and futurisitic approach. In it he discusses the criteria for maturity. Also recommended are The Person in Psychology: Selected Essays (Beacon Press, 1968), which contains a group of Allport's important articles; and The Individual and His Religion (Macmillan, 1960), which offers a psychological interpretation of religion as a normal phenomenon of human behavior.

الفصل الحادي عشر

نظرية السمة القياسية النفسية: ريموند كاتل

Raymond CAttell: Psychometric Trait Theory

أهداف الفصل:

١ ـ وصف تصنيف كرتشمر والتفريق بين التصنيفات والسمات.

٢ ـ تحديد ما يعبر عنه بعملية الارتباط.

٣ ـ وصف دراسة شيلدون الكلاسيكية.

٤ ـ تعريف كاتل للشخصية ومقارنة اهتماماته بنظرية الشخصية مع الآخرين.

٥ ـ التمييز بين السمات الظاهرة (السطحية) والسمات الأصلية.

٦ ـ التمييز بين المشاعر والاتجاهات والدوافع.

٧ ـ شرح كيف عرف كاتل السمات من خلال استخدامه لأسلوب التحليل العاملي.

٨ ـ وصف القسمات البارزة لنظريات آيزنيك وبص وبلومن.

٩ ـ مناقشة كيف أن نظريات السمة تثير قضايا جدلية مع تقدير لدور الوراثة والبيئة في الشخصية.

١٠ ـ تقييم نظرية كاتل عملياً وفلسفياً وأدبياً.

من المواضيع الهامة في نظريات الشخصية موضوع أهمية العوامل الجينية الموروثة ومقارنتها بالعوامل البيئية وتأثيرها على تشكيل الشخصية. الشخص العادي قد يعتقد أن الفروق الفردية في السلوك ترجع للخصائص الجسمانية العامة الموروثة. فهناك مفاهيم سائدة لدى الناس حيث يقولون الناس البدينون مرحون، وأصحاب الشعور الحمراء عصبيون. في أمثلة أخرى، يعتقد بأن طاقة الفرد محددة بوضوح بواسطة العوامل الموروثة. التطورات الحديثة في مجالات الوراثة

والفسيولوجيا وعلم الأدوية النفسية تؤكد أهمية العوامل الكيميائية والبيولوجية في الشخصية والسلوك وهذا الفصل يناقش عدداً من النظريـات التي تتناول هـذه الموضوعات مع تركيز على ريموند كاتل.

السيرة الذاتية:

ولد ريموند كاتل في عام ١٩٠٥ هـ في مدينة ستافورد شير بإنجلترا. طفولته كانت سعيدة وهانئة فوالداه، وضعا له مستوى ومعايير محددة في السلوك المتوقع ولكنهم أيضاً أعطوه حرية معقولة لاختيار أنشطته والتي كانت في معظمها خارج المنزل ومع أخوته! عندما دخلت إنجلترا الحرب العالمية الأولى كان عمر كاتل تسع سنوات واعترف فيما بعد بتأثير تلك الحرب عليه في ذلك السن، حيث شاهد مئات الجرحى والقتلى ينقلون في الشاحنات الكبيرة للعلاج بالمستشفيات. تأثير مثل هذه الظروف والمشاهد خلق في نفسه نزعة الجدية وحب العمل. حصل ريموند على درجة البكالوريوس في الكيمياء والفيزياء من جامعة لندن عام ١٩٢٤ م ومع أن تخصصه كان في العلوم الطبيعية إلا أنه اهتم وبدرجة ملحوظة بالأمور والشئون الاجتماعية ليواصل دراسته الأكاديمية في مجال علم النفس حيث حصل على درجة الدكتوراه في عام ١٩٢٩ م من جامعة لندن بعد أن درس تحت إشراف الاختصاصي النفسي سبيرمان والذي طور أسلوب التحليل العاملي الذي استخدمه كاتل فيما بعد. ونظراً لصعوبة الحصول على وظائف آنذاك فلقد عمل في عدة وظائف منها أنه حاضر في جامعة (Exeter) وأنشأ عيادة في مدينة ليستر مع مواصلته للبحث والدراسة. طبعاً ظروف الكساد الاقتصادي وتردي حالته الصحية خلقت له الكثير من المشاكل ولكن أبرزها كان الطلاق ومع ذلك أخلص في عمله وكان مريضاً وقلقاً على موضوع تطبيق التحليل العاملي في دراسة الشخصية.

في عام ١٩٣٧ م قامت جامعة لندن بمنح الدكتوراه الفخرية في العلوم لكاتل نظير مساهماته في بحوث الشخصية، كما تلقى في تلك السنة أيضاً دعوة للعمل في جامعة كولومبيا كزميل باحث مع العالم ثورندايك ليصبح بعد ذلك مدرساً لعلم النفس في جامعة كلارك ثم هارفارد. في عام ١٩٤٥ م منح أستاذية البحث في جامعة الينوى والتي فرغته إلى حد كبير للبحوث والدراسات. كاتل حالياً أستاذ مقيم

في جامعة هاوائي في ماناوا. حصل كاتل على عدة جوائز لمساهماته الهامة في مجال دراسة الشخصية فقد طبع ونشر العديد من الكتب والمقالات في مختلف الموضوعات. على الرغم من أن تركيزه الرئيسي كان على موضوع دراسة الشخصية من خلال استخدامه لأساليب التحليل العلمي إلا أنه لم يفقد حماسه واهتمامه بشئون ومجالات علم النفس الأخرى. ميوله في علم النفس الأكلينيكي قادته إلى محاولة تطوير أساس علمي لتحليل الشخصية، وبالتحديد في عام ١٩٧٣ م أنشأ معهداً للبحوث في الأخلاق والإدراك الذاتي في مدينة بولدر في ولاية كلورادو، حيث يسعى إلى تعميق وتوسيع مجالات اهتمامه في العلوم الاجتماعية والدينية والعلمية. قبل مناقشة نظرية كاتل لعله من الأفضل التطرق لمعرفة نظريتين سبقتا نظريته، وهما نظرية كرتشمر ونظرية شيلدون.

خلفية تاريخية عن نظريتي شيلدون وكرتشمر:

أرنست كرتشمر (Kretschmer) طبيب نفسي طور تصنيفاً حديثاً أشار إلى أن الناس يمكن تصنيفهم بناءً على أشكالهم أو مظاهرهم الجسمانية. مجموعات من سمات الشخصية ربطت بأنماط جسمانية مختلفة لأن الهرمونات خلقت الخصائص الشخصية وشكل الجسم! النمط النحيل (Asthenics) يمتاز بأنه نحيف وطويل الأطراف وضيق الصدر ويميل إلى الانسحاب والانطواء والخجل والحساسية. فيما يتصف النمط البدين (PyKnics) بأنه قصير وبدين وله صدر عريض، مرح وانبساطي، وأحياناً اكتئابي وذو مزاج متقلب في حين أن النمط الرياضي (Athletics) يتمتع بنمو ملحوظ في العضلات وذو طاقة جسمانية قوية، عدواني عنيف! نظرية كرتشمر لها ميزة اقتراحها لمزيد من التركيبات الجسمانية العادية لشكلين رئيسين من الأمراض العقلية هما الفصام والهوس الاكتئابي، حيث يرتبط النمط النحيل بالفصام والنمط البدين بالهوس الاكتئابي. عمل كرتشمر كان له تأثيره القوي لكنه في نفس الوقت تلقى نقداً ملحوظاً لأنه كان من الصعب بناء على تصنيفه هذا وضع كل شخص في الخانة أو التصنيف المناسب، إذن فالصعوبة الحقيقية تكمن في أن كرتشمر لم يأخذ في حسبانه التمازج بين الأنماط فهو يؤمن بأن كل واحد منا يمثل نمطاً بحتاً.

لتجنب المشكلة أو الصعوبات التي واجهت كرتشمر، وليام شيلدون (Sheldon) (١٨٩٩ - ١٩٧٧ م) وصف الأفراد بناءً على سماتهم الخاصة. والسمات عبارة عن مفاهيم افتراضية مثلها مثل التصنيفات التي يقصد بها تفسير السلوك الفردي، نظرية شيلدون مهمة لأنها تمثل نقطة التحول من التصنيفات المبكرة والقديمة إلى الأساليب المعقدة والمتطورة لفهم الشخصية فيما يتصل بالسمات وتبشر بقدوم اهتمامات متعددة تمثلت فيما نلاحظه في النظريات المزاجية اليوم.

وفي دراسة تقليدية، شيلدون (١٩٤٠ م) حدد ثلاث سمات رئيسية للتكوين الجسماني وبرهن على علاقتها القوية والإيجابية بثلاثة أمزجة رئيسية، دراساته وبحوثه في هذا المجال كانت خير مثال على الدراسة الارتباطية التي تحاول أن تقول لنا ما إذا كان متغيران مرتبطان أم لا، ففي حين نجد أنه في التجربة متغير واحد أو أكثر يختلف بصورة نظامية إذا ما أردنا معرفة ما إذا كان لهذا المتغير تأثير أم لا على المتغيرات الأخرى. في الدراسات الارتباطية لا توجد تلك المحاولات لتغيير أو تعديل أي من المتغيرات، بل بدلاً من ذلك، هذه المتغيرات تتم ملاحظتها بدقة ونظامية عند ظهورها طبيعياً. الارتباط لا يتضمن علاقة السبب والنتيجة بين المتغيرات، ولكنه ببساطة يخبرنا ما إذا كان هؤلاء يتغيران مباشرة أو بطريقة عكسية. صنف شيلدون الناس وقسمهم إلى ثلاثة أنماط أو أنواع تكوينية جسمانية حددها بعد اختبار دقيق لصور أكثر من أربعة آلاف طالب جامعي حيث لاحظ وجود ثلاثة أنماط متطرفة تشذ عن تكوين الرجل المتوسط. شيلدون أطلق على هذه الأنماط الثلاثة تسميات:

١ ـ النمط الحشوي (Endomorphy) حيث تسيطر الكتل اللحمية الناعمة على جسمه.

٢ ـ النمط العضلي (Mesomorphy) حيث تسيطر العضلات والعظام والأنسجة المتصلة وقسوة وخشونة الملمس اللحمي.

٣ ـ النحيل (Ectomorphy) حيث تسيطر النعومة واللين على شكله الجسماني.

من أجل أن نعرف النمط الجسماني للفرد، شيلدون صمم مقياساً (Soma-totype Scale) يتضمن درجات من ١ ـ ٧ تشكل كل درجة الخاصية أو السمة التي يظهرها في استجابته لبعض العبارات حيث يمثل واحد أقل الخصائص سيطرة على الشخص بينما رقم (٧) يظهر الصفات الأكثر سيطرة على الفرد. إذن، ثلاثة أرقام منفصلة تشكل المقياس الجسماني للفرد. فإذا كان المقياس ٧ ـ ١ ـ ١ فهذا مؤشر على أن تكوين الفرد الجسماني هو الحشوي ويعبر عن مستوى متدن جداً للعنصرين أو النمطين الآخرين العضلي أو النحيف، أما إذا كانت الدرجات ٤ ـ ٤ ـ ٤ فهي مؤشر على أن الفرد يقع في وسط هذه الأنواع أو الأنماط التكوينية الجسمانية.

ويمكنك عزيزي القاريء اختبار أو تصنيف تكوينك الجسماني بناءً على استجاباتك للتمرين التالي : ـ

اقرأ عبارات المقاييس الثلاثة بتأنٍ واسأل نفسك عما إذا كانت كل عبارة تنطبق أو تمثل جانباً متميزاً من شخصيتك. ضع علامة (X) مقابل كل عبارة تميزك، ولا تلقي بالاً لتلك العبارات التي تتناقض مع سماتك، كما أنك إذا لم تكن متاكداً من فقرة أو عبارة فلا تضع علامة لها؛

مقياس (أ):

١ ـ أنا مسترخي في الحركة والجلوس . ( )
٢ ـ أنا أحب الراحة الجسمانية. ( )
٣ ـ أنا بطيء في ردود الفعل. ( )
٤ ـ أنا أحب الأكل. ( )
٥ ـ أنا أكره الأكل بمفردي. ( )
٦ ـ أشعر بالسعادة بعد الأكل. ( )
٧ ـ أحب الأفراح والمناسبات. ( )
٨ ـ أحب الناس. ( )
٩ ـ أنا صديق لكل واحد. ( )

١٠ ـ أشعر بالأسى والتعاسة عندما يكرهني شخص ما. ( )
١١ ـ أنا أميل إلى الناس لا الأشياء. ( )
١٢ ـ أنا أحب السفر وسهل الجانب. ( )
١٣ ـ أنا أتحمل الكثير. ( )
١٤ ـ أنا أحب النوم. ( )
١٥ ـ أنا أحب الإرضاء واللطف. ( )
١٦ ـ أنا متوازن أجد حلولاً لطرفي الصراع ( )
١٧ ـ أنا أحب الحديث عن مشاعري. ( )
١٨ ـ أنا مسترخ، سعيد، متحدث تحت تأثير الكحول. ( )
١٩ ـ أنا أحتاج الناس عندما أكون في مشكلة. ( )
٢٠ ـ أنا ميال إلى علاقات الطفولة والعائلة. ( )

* * المجموع ________________ * *

مقياس (ب):

١ ـ أنا دقيق في حركتي وجلوسي. ( )
٢ ـ أنا أحب المغامرة الجسمانية. ( )
٣ ـ أنا شخص ذا طاقة. ( )
٤ ـ أنا أحتاج وأستمتع بالتمارين. ( )
٥ ـ أنا أحب السيطرة وتملك السلطة. ( )
٦ ـ أنا أحب المخاطر والفرص. ( )
٧ ـ أنا واضح ومستقيم في أسلوبي. ( )
٨ ـ أنا لدي شجاعة في المعسكرات. ( )
٩ ـ أنا عنيف في المنافسات. ( )
١٠ ـ أنا لست عاطفياً. ( )
١١ ـ أنا أكره المناطق الضيقة والأزقة الصغيرة. ( )
١٢ ـ أنا لي صوت أجش. ( )
١٤ ـ لدي قوة على التحمل. ( )

١٥ ـ أنا بصفة عامة مزعج. ( ) ( )
١٦ ـ نضجي كان مبكراً. ( ) ( )
١٧ ـ أنا سريع في قراراتي. ( ) ( )
١٨ ـ أنا عدواني وعنيد تحت تأثير الكحول. ( ) ( )
١٩ ـ أنا أحب التصرف والعمل تحت تأثير المشكلات. ( ) ( )
٢٠ ـ أنا أميل إلى أنشطة وأهداف الشباب. ( ) ( )

* * المجموع ———————————— * *

مقياس (جـ):

١ ـ أنا مقيد في حركاتي وسكناتي ( ) ( )
٢ ـ أنا سريع في الاستجابة الجسمانية ( ) ( )
٣ ـ ردود فعلي حالية ودقيقة. ( ) ( )
٤ ـ أنا أحب الخصوصيات. ( ) ( )
٥ ـ أنا يقظ وحيوي التفكير والعقل. ( ) ( )
٦ ـ أنا عاطفياً مقيد وأخفي مشاعري. ( ) ( )
٧ ـ أنا أتحاشى النظر إلى الآخرين. ( ) ( )
٨ ـ أنا أفضل مجموعات ودية صغيرة على المجموعات الكبيرة. ( ) ( )
٩ ـ أنا أتحاشى الحديث مع الآخرين. ( ) ( )
١٠ ـ أنا أقاوم الروتين والعادات. ( ) ( )
١١ ـ أنا أكره الأماكن المفتوحة والمزدحمة. ( ) ( )
١٢ ـ اتجاهاتي يصعب على الآخرين التنبوء بها. ( ) ( )
١٣ ـ أنا بصورة عامة هادىء. ( ) ( )
١٤ ـ أنا حساس بالنسبة للآلام. ( ) ( )
١٥ ـ أنا لي عادات نوم سيئة وغالباً أبدو مرهقاً. ( ) ( )
١٦ ـ أنا أبدو أصغر من عمري أو سني. ( ) ( )
١٧ ـ أنا انطوائي وذو تفكير عميق. ( ) ( )
١٨ ـ أنا أكره وأتحاشى الكحوليات. ( ) ( )

١٩ ـ عندما أكون في مشكلة أفضل العزلة. (   )
٢٠ ـ أنا ميال إلى الأشياء التي يستمتع بها الكبار. (   )

* * المجموع ــــــــــــــــــــــــــ * *

عندما تنتهي من وضع العلامات التي تمثل سماتك وخصائصك، اجمع درجات كل مقياس واقسمها على ثلاثة. نتائج المقاييس الثلاثة في الخانات الثلاث سوف تزودك بنمط شخصيتك الجسماني. فمثلاً (أ) يمثل الحشوى، ومقياس (ب) يمثل العضلي أما المقياس (جـ) فيمثل النحيل، فمثلاً لو حصلت على النتائج الثلاث التالية ٦ ـ ٣ ـ ٣ فمعنى ذلك أنك من النوع الحشوي ولو حصلت على ٤ ـ ٤ ـ ٤ فمعنى ذلك أنك وسط. يجب عليك ملاحظة أن هذه النتائج أو المقاييس ليست بالضرورة دقيقة وصارمة. فيما بعد شيلدون وضع قائمة لخمسين سمة شخصية ووضع مجموعة من الرجال الذين لاحظهم لفترة طويلة على هذه السمات. هنا شيلدون خرج بثلاث مجموعات من السمات هي:

١ ـ السمات الحشوية الأساسية (Viscerotonia) وتتضمن حباً عاماً للاسترخاء والراحة والناس والاجتماعات والأكل والعواطف.

٢ ـ السمات المزاجية الجسدية (Somatotnia) يتميز بسيطرة النشاط العضلي والبنية الجسمانية المتماسكة وبالتالي النزعة إلى التسلط والأعمال والأفعال.

٣ ـ السمات المخية الأساسية (Cerebrotonia) وتتميز بسيطرة القمع والقيود والرغبة في التراضي!

أخيراً شيلدون عمل تحليلاً ارتباطياً ليرى ما إذا كان أي من التكوينات الجسمانية أو المزاجية مترابطة وقد توصل إلى العلاقات الإيجابية الارتباطية: ـ

١ ـ الحشـوي مـع المزاج الحشوي. +. (Endomorphy and Viscerotonia .79)

٢ ـ العضلـي مـع المزاج الجسدي. +. (Mesomorphy and Somatotonia .82)

٣ ـ النحيف مع المزاج المخي .+ Ectomorphy and Cerebrotonia)

مثل هذه العلاقات تقود إلى الفرضية القائلة بأن (التكوين الجسماني يلعب دوراً كبيراً في الدوافع والمزاج). شيلدون نفسه يؤمن بأن المزاج والبدن يعتبران محصلة رئيسية للوراثة.

هنا شيلدون لا ينكر تأثير القوى البيئية على الشخصية، فقد استخدم نظرية تفاعلية حيث يشعر بأن العوامل التكوينية والبيولوجية تلعب دوراً تم تجاهله بواسطة علم النفس الأمريكي ولذلك فهو يجاهد لتوضيح ذلك الدور. شيلدون يوصي بأن الوالدين والمدرسين والآخرين الذين لديهم ميول لدراسة عملية النمو الشخصي عليهم أن يأخذوا جدياً في عين الاعتبار النمط الجسدي للطفل فيولونه حقه من الدراسة والعناية، حتى يمكن لهم مساعدة الطفل في تطوير طموحات وتوقعات تتناسب مع مزاجيته وتركيبه الجسماني وتجنبه تلك الجوانب المتنافرة التي لا تتناسب مع مؤهلاته الشخصية ككل.

أيضاً هؤلاء المهتمين أو المختصين من الآباء والمدرسين والباحثين يمكن لهم تطوير مقاييس لعمل إجراءات انضباطية تتناسب مع مزاجيته وتركيبه الجسماني وتجنبه تلك الجوانب المتنافرة التي لا تتناسب مع مؤهلاته الشخصية ككل.

أيضاً هؤلاء المهتمين أو المختصين من الآباء والمدرسين والباحثين يمكن لهم تطوير مقاييس لعمل إجراءات انضباطية تتناسب مع الطبيعة الأساسية للفرد مما يمكنها من الكشف عن الطاقات الكامنة لدى الفرد بدلاً من إعاقتها وعدم تنميتها. شيلدون وضع حجر الأساس لحركة مهمة في نظرية الشخصية المعاصرة ألا وهي نظرية السمات القياسية النفسية حيث اعتمدت دراساته وبحوثه على أساس قوي من الأعمال الأمبيريقية والشواهد الصادقة والثابتة. لقد أدخل شيلدون مفهوم المتغيرات المتقطعة بدلاً من الفئات المفككة في طرق وأساليب التصنيف المبكر.

إن بحوث شيلدون الحيوية زودت نظريات السمات بأمثلة ممتازة لاستخدامات المقاييس النفسية في نظرية الشخصية. ومع ذلك، وحتى وإن وافقنا

على أن هناك علاقة بين المزاج والتركيب الجسماني فنحن لا نملك البرهان أو الدليل على وجود علاقة سببية بين الإثنين، فمع أن شيلدون ينظر إلى أن العوامل التكوينية لها دورها في السلوك الإنساني إلا أنه لم يشرح كيف أن النمط الجسماني يؤثر في المزاج والاستعداد وهذا هو أحد الأسباب التي لم تساعد على شيوع وانتشار استخدامات هذه النظرية.

مساهمة شيلدون الرئيسية كانت في تزويدنا بنموذج لقياس ووصف التركيب الجسماني والمزاج، كما أن استخداماته ونماذجه القياسية النفسية أفادت وكونت أرضية صلبة لمزيد من الأساليب القياسية المتطورة.

ملخص العلاقة بين عناصر الجسم والمزاج في نظرية شيلدون:

التركيب الجسماني		التكوين المزاجي	
العنصر	الوصف	العنصر	الوصف
١ ـ النمط الحشوي	سيطرة الجسم الممتلىء	المزاج الخمولي	حب عام للراحة والاسترخاء
	والمبروم والناعم		والأكل والاجتماعات مع الناس
٢ ـ النمط العضلي	سيطرة العضلية العظيمة	المزاج الجسدي	نزعة إلى السلطة والقوة من
	والأنسجة المترابطة		خلال التأكيدات والارتباطات
			الجسمانية.
٣ ـ النمط النحيل	سيطرة المادة الخفيفة	المزاج الحاد	سيطرة نزعات الاسترخاء
	القابلة للكسر والليونة		والقمع والعنف.

تعريف كاتل للشخصية:

كاتل بدأ بتعريف مبدئي للشخصية جاء فيه (إن الشخصية هي ذلك النسق الذي يسمح بالتنبوء بما سيعمله الشخص في وضع معين). كاتل يؤمن بأن تعريفاً كاملاً للشخصية يتطلب مزيداً من البحث والدراسة في أنماط ومفاهيم تدخل في دراسة السلوك. مفهومه العام يمكن التعبير عنه في المعادلة أو الصيغة التالية: (R= (F,P,S)، حيث تمثل (R) الاستجابة Response و (F) الوظيفة Function التي يقوم بها الشخص في حين تمثل (P) الشخص Person أما (S) فتمثل المثير

(Stimulus). كاتل لاحظ أن الاستجابة والمثيرات يمكن تحديدها بدقة في تجربة يقوم المجرب فيها بصنع الموقف أو الوضع.

تعريف كاتل للشخصية يعطينا مقارنة هامة وذات دلالة بين الاهتمام والطريقة التي استخدمها في بحث ودراسة الشخصية وما تناوله الآخرون مثل فرويد الذي طور نظرية التحليل النفسي كوسيلة لفهم ذات الواحد وبالتالي تطوير نظرية شاملة للطبيعة الإنسانية. كاتل كان يهتم بالقيمة المساعدة (Heuristic Value) لمفاهيم وتكوينات الشخصية وقدرة هذه المفاهيم على التنبؤ بالأحداث المستقبلية.

مواقف كاتل تمثل العالم الإمبريقي الذي يشتق من نظريته فرضيات ومقترحات أو مسائل قابلة للبحث والتمحيص. بمعنى أصبح التوقع أو التنبؤ أكثر صعوبة من الشرح أو التفسير للأحداث التي وقعت! من ناحية أخرى النظرية يمكن أن يكون لها قوة تنبؤية معتبرة وتكسب شواهد صادقة ومؤثرة، لكنها تفشب في تزويدنا بشرح شامل ووافٍ. كاتل يؤمن بأن تفسير السمات يساعدنا في فهم تركيب وظيفة الشخصية. المعرفة بالسمات التي تشكل الأساس سوف تساعدنا في عمل التوقعات عن سلوكنا وسلوك الآخرين.

كاتل يعرف السمات بأنها مضامين ومفاهيم عقلية أو تخيلية، مستنتجة من السلوك الظاهر الذي نقوم به من أجل أن نأخذ في الاعتبار نظاميته وثباته. إذن فالسمات عبارة عن تنبؤات فرضية تتيح لنا تكوين استنتاجات من الأحداث السلوكية المتتالية ومع أن كاتل يهتم بالعناصر العصبية والجسمانية التي تؤثر في السلوك إلا أنه بعكس البورت، لا يصر على أن السمات التي يكتشفها لها بالضرورة وضع عصبي أو جسماني.

السمات الظاهرة مقابل السمات الأصلية: (Surface Traits Versus Source Traits):

كاتل يذكرنا بأنه لكي تكون نظرية السمات مفيدة، فيجب أن تكون السمات المسلم بها أكثر من مجرد سلوكيات ظاهرة، يظهرها الفرد. كاتل يميز بين السمات الظاهرة والسمات الأصلية حيث تمثل السمات الظاهرة مجموعات من الاستجابات السلوكية الظاهرة والتي تبدو مترابطة أو يساير بعضها البعض مثل الأمانة والتكامل والانضباط الذاتي والتفكير أو الاعتقاد. السمات الأصلية تنسب إلى المتغيرات

التحتية والتي يبدو أنها تحدد العرض الظاهر، في هذه الحال، ربما تكون قوة الأنا.
دراسة السمات الأصلية قيمة ومفيدة لعدة أسباب، فهذه السمات مع أنها قليلة في عددها، ولكنها تمثل وصفاً مختصراً للفرد. ثانياً، السمات الأصلية لها تأثير حقيقي على تركيب الشخصية ولذلك فهي تحدد الطريقة التي نسلك بها ونتصرف. إذن، فالمعرفة بسمة أصلية معينة قد يتيح لنا أن نذهب إلى أبعد من مجرد الوصف المجرد وعمل التوقعات لسلوكيات إضافية يمكن أن نلاحظها فيما بعد.

السمات الأصلية يمكن أن تكون مقسمة فيما يتعلق بأصلها في السمات التكوينية والسمات ذات الصياغة البيئية، فالسمات التكوينية لها أصلها في الوراثة أو الوضع الفسيولوجي للفرد، في حين أن السمات ذات الصياغة البيئية تنشأ من تأثيرات محيطاتنا الطبيعية والاجتماعية، كلاهما السمات الظاهرة والأصلية يمكن وصفهم على حسب الطريقة التي نعبر بها عنهم فهناك السمات الديناميكية والتي تتضمن تحفيز أو دفع الفرد تجاه بعض الأهداف. أما السمات المزاجية فتتضمن وصف كيف يتصرف الشخص من أجل أن يحقق أهدافه. أما سمات القدرة فتحدد كيف يحقق الشخص أهدافه بفاعلية.

من خلال بحوث متعددة، قام فيها كاتل باستخدام تكنيك التحليل العاملي، تم تحديد ستة عشر سمة أساسية والتي اقترحها لتمثل حجر الأساس للشخصية. في المقام الأول، كاتل لم يحدد أو يسمي تلك السمات لكنه حددهم بطريقة هجائية. فيما بعد أعطاهم أسماء فنية. وعلى كل، هذه السمات يمكن فهمها بواسطة الشخص العادي عن طريق التقسيم والصفات العامة التي وضعها كاتل في أبعاد متقابلة والتي تعني أن الدرجة العليا على نهاية واحدة من البعد تشير إلى درجة منخفضة على البعد الآخر والعكس بالعكس.

(السمات الستة عشر الأصلية)

١ ـ الانفتاحي (Outgoing)	ـ المتحفظ (Reserved)
٢ ـ الأكثر ذكاء: More Intellingent	ـ الأقل ذكاء Less Intelligent
٣ ـ المستقر انفعالياً: Emotionally Stable	ـ المضطرب انفعالياً Emotionallyunstable
٤ ـ حازم (Assertive)	ـ المتواضع (Humble)
٥ ـ رزين (Happy - go - Lucky)	ـ صفيق (Sober)

٦ - صاحب ضمير حي(Strong Conscience - غير مبالي Lack Of Internal Standards

٧ - جريء Adventuresome - خجول Shy

٨ - عقلية صارمة Tough - minded - عقلية متساهلة Tender - mindel

٩ - واثق Trusting - شكاك Suspicious

١٠ - تخيلي imaginative - عملي Practial

١١ - مراوغ أو داهية Shrewd - صريح واضح Porthright

١٢ - واسع الفهم Apprehensive - التأكيد الذاتي Self - Assured

١٣ - تجريبي Experimental - حذر ومعتدل Coservative

١٤ - اعتمادي على المجموع Group-dependent - مكتفي ذاتياً: Self - sufficient

١٥ - عرضي Casual - موجه ومتحكم فيه: Controlled

١٦ - استرخائي relaxed - متوتر: Tense

كاتل وصف نوعين من سمات المصدر الدينامكية وهي تلك السمات التي تشكل أساس السمات الدينامكية الظاهرة أو الاتجاهات، كاتل يفضل استخدام مصطلح محايد هو المحرك أو الجهد (Erg) على مصطلحات (الغريزة) أو (الحافز)، وذلك لأن المحرك أو الجهد (Erg) يتجنب تلك التجمعات المفككة. المحرك ينسب إلى العوامل الدافعية الفطرية. سبعة محركات (Ergs) حددت من خلال التحليل العاملي وهي: -

١ - الجنس.
٢ - الحماية الأبوية.
٣ - حب الاستطلاع أو الفضول.
٤ - الخوف أو الهروب.
٥ - التأكيد الذاتي.
٦ - الانغماس الذاتي.
٧ - الاجتماعية (Gregariousness).

العواطف هي سمة أصلية دينامكية من صياغة البيئة تظهر من خلال تفاعل المحركات مع البيئة نتعلمها أو نكتسبها من خلال علاقاتنا وصلاتنا بالبيئة الطبيعية الاجتماعية. إنها أحاسيس عميقة ومبكرة تجاه أشياء ثقافية هامة مثل المؤسسات الاجتماعية أو الأشخاص.

هذه السمات الديناميكية ترتبط مع بعضها البعض عن طريق شبكة ديناميكية وعلى أساس مبدأ الدعم الثانوي (Subsidiation) والتي تعني أن سمات معينة تعتبر ثانوية بالنسبة لسمات أخرى ، بصورة عامة الاتجاهات ثانوية بالنسبة للعواطف والتي هي ثانوية بالنسبة للمحركات. إذن، فالمحركات هي القوى الدافعية الأساسية. أحاسيس الرجل العاطفية نحو زوجته يمكن أن تكون مربوطة بمحرك الجنس أو الحماية الاجتماعية والتأكيد الذاتي أو جميعهم .

سلوكه واتجاهه الظاهر، نحو تسريحة شعر زوجته يتأثر بتلك العواطف بالإضافة إلى عواطف أخرى، الاتجاهات الظاهرة تعكس العواطف والتي تعبر عن المحركات.

العاطفة الذاتية تنسب إلى الصورة الذاتية للشخص . هذه تنعكس في كل تلك الاتجاهات التي يحملها الشخص حيث يقترح كاتل أن العاطفة الذاتية تلعب دوراً حاسماً في تكامل التعبيرات الخاصة بشكل المحركات المتعددة والعواطف الأخرى !

كاتل يعترف بأهمية التعلم في نمو الشخصية وقام بوصف مراحل نمو الشخصية مع أن هذه ليست مؤكدة أو مركز عليها في نظريته، إلا أنها تفيد في ربط نظريته مع مواقف وأوضاع نظرية أخرى مثل نظرية التعلم وعلم النفس التكويني وتشير إلى الترابط أو الاتصال بين التعلم المتطور والنمو، والسمات الشخصية. عدد من دراسات كاتل حاولت تحليل التغيرات التي قد تظهر في سمات الشخصية المختلفة خلال مراحل العمر المختلفة.

طرق البحث:

نظرية كاتل في الشخصية تركت أثرها القوي من خلال أساليبه وطرقه في البحث وتحديد السمات. الأداة الرئيسية في عمل كاتل كانت (التحليل العاملي) ولكن كاتل قبل تطبيقه لهذه الأداة كان من الضروري عنده جمع معلومات كثيرة عن

عدد من الأفراد وفي عدة مواقع. لقد حصل كاتل أو اعتمد في جمعه للمعلومات والبيانات على ثلاثة مصادر رئيسية هي: ـ

١ ـ سجلات الحياة أو (L - data) وتنسب إلى ملاحظات سلوك الشخص في المجتمع أو في الحياة اليومية. مثال ذلك سجل الطالب في المدرسة، عدد حوادث السيارات، تقارير الأداء الوظيفي... الخ. إذن فسجلات الحياة تمثل مقاييس وتقييمات يقوم بها الآخرين للشخص.

٢ ـ الاستبيانات أو التقارير الذاتية أو (Q - data) وتتمثل في إجابات الشخص على المقاييس التي تركز على النمط الجسدي والنزعة إلى الانفتاح أو التحفظ. إذن بما أن هذه الاستبيانات تتضمن الإجابات أو الاستجابة الذاتية فهناك احتمال بألا تكون حقيقية. كاتل استخدام عدداً كبيراً من الاستبيانات أو المقاييس ومع أنه يعترف بأن هناك صعوبات في تقييم دقة التقارير الذاتية، فهو يؤمن بأنها أسلوب هام في جمع المعلومات.

٣ ـ الاختبار الموضوعي (T - data) وقد استخدمه كاتل بطريقة غير عادية ليعني أن الاختبار يبنى بطريقة تجعل الشخص المفحوص لا يعرف أي نوع من الاختبارات أو الفقرات صممت للقياس. إذن فمن الصعب على الشخص المفحوص أن يتجاهل أو يخدع أو يشوه الاختبار أو استجاباته. مثال ذلك، اختبار تفهم الموضوع. كل هذه المعلومات التي حصلنا عليها من هذه المصادر الثلاثة عرضت للأسلوب الاحصائي المتطور والمعقد (التحليل العاملي) والذي هو إجراء ترابطي في العلاقات، لكنه يتضمن واحداً أو أكثر من العلاقات. التحليل العاملي إجراء داخلي يربط بين عدد من العلاقات أو الارتباطات في وقت واحد. مئات أو آلاف من المتغيرات يمكن أخذها في الاعتبار في دراسة واحدة. التحليل العاملي مبني على الافتراض بأنه إذا كانت متغيرات مرتبطة مع بعضها الآخر إلى حد كبير فمن المحتمل أن يكون البعد العام يشكل أرضية أو أساساً لهم. في الأساس، التحليل العاملي يهدف إلى وصف أعداد هائلة من المعلومات بواسطة وحدات أصغر وأكثر معالجة وإدارة. استخدام صيغ حسابية معقدة يخفض المعلومات إلى أبعاد أو مجموعات متشابهة وصغيرة يطلق عليها عوامل يمكن الاعتماد عليها في

معرفة التباين الكبير! الخطوة الأولى في التحليل العـاملي هي عمل الجـدول الارتباطي (المصفوفة) وذلك بإدخال المعلومات وبرمجة المعاملات الارتباطية لكل متغير لإظهار كيف أنه مرتبط بالمتغير الآخر. هذا من شأنه أن يدلنا على مدى التباين الموجود بين المتغيرات. الخطوة الثانية هو تجزئة الجدول الارتباطي والبحث عن أي أنماط تظهر!

الخطوة القادمة هو جمع وبرمجة ارتباط بين كل واحد من العوامل المحددة وكل واحد من المتغيرات الأصلية. هذه الارتباطات تعكس عبء المتغيرات على العوامـل وتخبرنا إلـى أي درجة كل مقياس مرتبـط بالعامـل الآخر. الارتبـاط الايجـابي القــوي يشــير إلى أن المقياس مرتبط بقـوة بالعـامـل . الارتبـاط السلبي القـوي يرى أن المقياس مرتبط ولكن بطريقة عكسية. الخطوة النهائية هي تسمية العوامـل، ففي حين أن الإجراءات المستخدمة لاستخراج عوامل قد بنيت وبطريقة حسابية نجد الحكم الذاتي يدخل في عملية التدليل أو العنونة والتفسير.

إجراءات التحليل العاملي تتيح للباحث أن يستنتج أو يصل إلى استنتاجات مثل: درجات متشابهة في القراءة، المفردات واختبارات الإملاء تعود إلى عامل تحتي عام للقدرة اللفظية، في حين أن، الأداء في الجمع، الطرح، والضرب يعتمد على القدرة الحسابيـة. إذن، فكاتل الذي بدأ بمئات من السمات الشخصية الظاهرة اكتشف من خلال التحليل العاملي أن السمات تتجمع وتظهر مع بعضها وبصورة أكثر تكرارية.

هذه السمات فيما بعد توضع مع بعض تحت سمة أصلية عامة، بواسطتها نخفض عدد السمات التي يتم التعامل معها مما يجعلها أسهل في عملية التحليل. في النهاية، كاتل يأمل في أن يكون في مستطاعه استخدام المعلومات التي جمعها لتسهيل عملية التنبؤ بالسلوك.

الاتجاهات المعاصرة في نظرية الشخصية التكوينية أو المزاجية:

أولاً: هانز ايزنك (Hans. J. Eysenck)

رتب آيزنك جميع القوى البيولوجية والتاريخية والتصنيفية ونظرية التعلم والتحليل العاملي ووضعها في بوتقة واحدة من أجل فهم الشخصية. آيزنك استخدم التحليل العاملي في عمله لكن استخدامه لهذا التحليل العاملي كان أكثر دلالة من استخدام كاتل، ففي بحوث كاتل، الاستنتاجات حصلت من المجموعات التي ظهرت في عملية تجميع العوامل! آيزنك بدأ بفرضية واضحة عن متغيرات تحتية محتملة وبعد ذلك استخدم تحليلاً إحصائياً لاختبار هذه الفرضية، علاوة على ذلك، فآيزنك يعتبر التحليل العاملي أداة تمهيدية تمهد الطريق لبحوث تجريبية ومعملية متلاحقة للوصول إلى فهم للعوامل المثبتة. آيزنك ذو التزام صارم وغير عادي بالطريقة العلمية.

آيزنك ينظر للشخصية على أنها تنظيم هرمي حيث نجد في قاعدة هذا الهرم، السلوكيات التي نستطيع ملاحظتها واقعياً وهي الاستجابات المحددة. أما المستوى التالي (الأوسط) فتظهر فيه الاستجابات المعتادة . في قمة الهرم أبعاد واسعة أو أنواع رئيسية . معظم بحوث ايزيك التطبيقية كانت محاولات منه لفهم بعدين رئيسيين هما الاستقرار الانفعالي مقابل العصابية ، والانطوائية مقابل الانبساطية . الاستقرار الانفعالي مقابل بعد العصابية ينسب إلى انسجام وتوافق الفرد الأساسي مع بيئته واستقرار السلوك على مدار الوقت . الانطوائية مقابل بعد الانبساط يعكس إلى أي درجة يعتبر الشخص محب للاتصالات والعلاقات والمشاركات الجماعية .

آيزنك تأثر بتصنيف يونج للانطوائي مقابل الانبساطي بالإضافة إلى علم النفس التكويني لشيلدون. كما أنه أدخل التصنيف المبكر لأبي قراط في مناقشته للسمات الشخصية، مقترحاً أن الأبعاد والسمات الرئيسية للشخصية يمكن تلخيصها في الجدول أدناه، حيث تمثل الدائرة الداخلية الأمزجة الأربعة لأبي قراط، والدائرة الخارجية عنها تظهر نتائج دراسة التحليل العاملي للارتباطات الداخلية بين السمات، والتي تعكس بوضوح البعدين الأساسيين للاستقرار الانفعالي مقابل العصابية والانبساطية مقابل الانطوائية .

العصابية والانطواء مقابل الانبساط.

العصابية الانبساطية الانطوائية الاستقرار الانفعالي

حساس غير مستقر عنيف سريع الاستثارة متقلب طائش متفائل حيوي مزاجي قلق متحجر صارم وحازم متشائم متحفظ غير اجتماعي هادي سلبي حريص مفكر مسالم مستقر ويعتمد عليه مزاج معتدل هادي اجتماعي يحب الاتصالات متحدث متجاوب سهل الجانب حيوي ونشط يحب المساعدة للآخرين قيادي الصفراوي السوداوي الدموي البلغمي

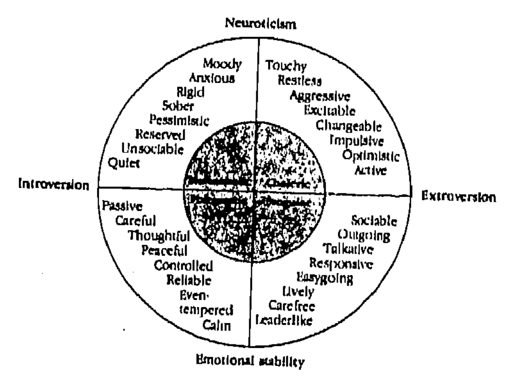


Figure 11.2 *The Intercorrelation of Traits*
The inner circle shows Hippocrates' four temperaments. The outer ring shows the results of factor analysis studies of the intercorrelations between traits done by Eysenck and others.

حديثاً، آيزنك أضاف بعدين جديدين هما الذهانية مقابل اللاذهانية. الذهان، هو اضطراب الشخصية الشاذ ويعرف لدى العامة باسم الجنون. يتميز هذا الاضطراب بفقدان أو تشويه الحقيقة وعدم القدرة على التمييز بين الواقعية والخيال. الاضطرابات موجودة في الاعتقاد والانفعال والسلوك الحركي وبعض الضلالات والهلاوس. دراسات آيزنك ترى أن الاضطرابات الذهانية تختلف إلى حد كبير عن الاضطرابات العصابية، إذن، فالشخص يمكن أن يكون عصابياً بشكل ملحوظ وبدرجة خطيرة لكن دون أن يكون ذهانياً وبالعكس. آيزيك يؤمن بأن هناك أساس بيولوجي واضح للشخصية حيث أن تركيبات تكوينية معينة تجعل الأفراد أكثر أو أقل قابلية لخصائص وأبعاد الشخصية التي ذكرها في وصفه المبكر للشخصية. آيزنك يشير إلى أن الأفراد يختلفون في سرعة الاستجابة للمثيرات والتأثر بها. هذه الفروق تبدو مرتبطة مع أبعاد الاستقرار الانفعالي والعصابية والانطوائية

والانبساطية. حديثاً، آيزنك (١٩٦٧ م) ربط نظريته في الإثارة والكف بوظائف بيولوجية محددة حيث يرتبط الانطواء والانبساط بحدوذ في النظام الحيوي المعقد الشبكات والخيوط (Reticular Activating System: RAS) للمخ، أما الاستقرار الانفعالي والعصابية فهما مرتبطان باختلافات في نشاط أحشاء المخ (Visceral Brain Activation: VB)! نظام التنشيط الشبكي أو المعقد (Reticular Activating System) يعتبر شبكة من الخيوط التي تبدأ من مؤخرة المخ وتمتد حتى منتصفه وتمتد إلى أن تصل لمقدمة المخ. وظيفتها الرئيسية (النظام) تنظيم مستويات الإثارة بدءاً من النوم إلى حالات من الانتباه واليقظة. هذه الأنسجة تسبب للحيوان النوم باستمرار في حين أن إثارتهم ستجعله يصبح أكثر إثارة. إذن فـ (RAS) يتحكم في مستوى الإثارة في المخ واستجابته للمثيرات. الانطوائيون يعتقد بأنهم يملكون مستويات أعلى من (RAS) مقارنة بالانبساطيين.

الاستقرار الانفعالي مقابل العصابية يعتقد بأنها تظهـر بسبب الفروق في نشاط المخ الحشوي والذي يتضمن الهيبوثلامس والنظام الفراغي واللذين يتضمنان الدافع والسلوك الانفعالي. هؤلاء يمارسون تأثيرهم من خلال النظام العصبي غير الإرادي. فالأفراد الذين لديهم حد منخفض من النشاط الحشوي يعتبرون انفعاليين جداً في سلوكهم وأكثر قابلية للاضطرابات العصابية.

إحدى نقاط القوة في نظرية آيزنك هي أنها تتيح لنا التنبؤ والاختبار أو عمل فحص معين. فالانطوائيين مثلاً لو كان لديهم عمليات مخية أكثر إثارة وتأثيرات كف ضعيفة نسبياً، فهم سوف يتكيفون بسرعة وفي أوضاع معملية محددة مثل التكيف في إغماضة العين. دراسات تخطيط القلب وبحوث تخطيط الجسم فسيولوجياً تدعم وتؤكد ما ذهب إليه آيزنك في نظريته. فمن الثابت الإشارة إلى الانبساطية والانطوائية وذلك من خلال مقارنة كمية اللعاب الناتج عن استخدام عصير الليمون مع الكمية التي تحصل عليها بدون عصير الليمون. فالانطوائيون يخرجون لعاباً أكثر من الانبساطيين. وهذا معناه أن الوظائف الفسيولوجية نفسها تتحكم في خصائص اللعاب وخصائص الانطواء والانبساط.

ولأن الانطوائيين لديهم أنظمة عصبية حساسة، فهم اجتماعياً أسهل من

غيرهم. مما يجعلهم أكثر عرضة للعصاب والذي أساسه القلق. الانبساطيون من ناحية أخرى، لديهم حساسية أقل وعمليات دماغية قمعية أكثر، فهم يبحثون عن إثارة إضافية وبطيئين في تطوير استجابات مشروطة. وبما أن السلوك الاجتماعي يعتمد إلى حد كبير على ضمير مشروط بدقة ثم تطويره أثناء الطفولة، فالانبساطيون أكثر تطويراً للاضطرابات السيكوباثية. إذن، العصابيون يصابون بهذا الاضطراب لأن حالتهم الانفعالية والدماغية تتداخل مع تعلمهم للاستجابات المناسبة أو تسهل من عملية تعلمهم لتلك الاستجابات الغير متكيفة!

باختصار آيزنك يرى أن هناك علاقة سببية بين الوظائف البيولوجية للمخ والأبعاد الرئيسية للشخصية: الاستقرار الانفعالي والعصابية والانطوائية والانبساطية. فالعصابية تعزى إلى استثارة مفرطة يطلقها المخ الحشوي وتؤدي إلى درجة عالية من الانفعالية يمكن أن تندمج مع استثارة دماغية عالية أو منخفضة لنظام التنشيط الشبكي (RAS) لتشكيل عصاب معين. الأساس البيولوجي للشخصية ثم تلخيصه في الشكل أدناه.

*** * * الأساس البيولوجي للشخصية * * ***

النشاط المخي الحشوي

Visceral Brain Activation

Reticular activating system arousal	High	Low
High	neurotic introvert (anxiety types)	emotionally stable introvert
Low	neurotic extrovert (psychopathic types)	emotionally stable extrovert

الاضطرابات العصابية. ومع كل ذلك، فاعترافه بالأساس البيولوجي للشخصية يوحي بإمكانية تعديل سلوك الفرد من خلال استخدام المواد الكيميائية والعقاقير التي يمكن أن تصحح الشذوذ في وظائف الجسم والمخ.

آيزنك وجد عيوباً مفضوحة في تلك النظريات التي لا تعتمد كثيراً على الأساليب والحقائق والطرق العلمية في دراسات الشخصية فمثلاً آيزنك كان ناقداً للتحليل النفسي الفرويدي باعتبارها أسلوباً فلسفياً إلى حد كبير. إن مفهوم آيزيك للنشاط العلمي مع ذلك يعتبر مفهوماً ضيقاً فهناك طرق بديلة لجمع المعلومات الأمبريقية وتحديد تعاريف إجرائية حيث يتضح أن إجراءات آيزنك الخاصة ليست موضوعية أو علمية بحتة كما يفترض أحياناً. مثلاً، المعلومات الخاصة بالتحليل العاملي يمكن تحليلها بطرق مختلفة وهناك طرق متعددة لتحديد عدد العوامل التي تدخل في هذا العمل بالإضافة إلى مستوى تأثيرهم! آيزيك فشل في تقدير قيمة الذاتية (Subjectivity) واعتبارها من المناهج العلمية الدقيقة!

بص وبلومين (Buss and Plomin):

آرنولد بص (Arnold H. Buss) وروبرت بلومين (Robert Blomin) طورا نموذجاً للشخصية يتضمن مزجاً بين مفاهيم السمات والتعليم والبيولوجيا. هذان العالمان يؤكدان أن هناك عدداً من الأمزجة والنزعات الموروثة أو المتأصلة والتي تأثرت في تطورها بالتفاعلات مع البيئة، فهما يؤمنان بأن التفاعل بين المزاج والبيئة في تركيب الشخصية مهم وعلى وجه الخصوص في مرحلة الطفولة المبكرة ومع ذلك فهناك حدود للمقدار الذي يمكن للبيئة أن تعدله أو تغيره في الأمزجة الأساسية. من خلال التحليل العاملي (بص وبلومين) حددا أربعة أبعاد مزاجية موروثة هي: -

١ - الحيوي مقابل الخامل: الشخص الحيوي عادة مشغول وسريع مقارنة بالفرد البطيء والكسول.

٢ - الانفعالي مقابل البارد أو الفاتر المشاعر: وهو الذي يثار ويستجيب بتوتر أكثر من الشخص الفاتر أو السلبي.

٣ ـ الاجتماعي مقابل الانعزالي: يبحث عن الآخرين ويتصل بهم بعكس الانعزالي الذي لا يجب الاختلاط أو الارتباط.

٤ ـ المتأني مقابل الاندفاعي أو الطائش: المتأني هو الـذي يتروى في استجاباته ويخطط لها في حين تأتي استجابات الاندفاعي سريعة.

البحث في التأثير البيولوجي من خلال دراسة التوائم ودراسات الأبـوين والأطفال، وتحديد سلوك الرضيع مباشرة بعد الولادة تزودنا بأدلة على العامل البيولوجي خصوصاً في الأبعاد الثلاثة الأولى. الدليـل على البعد الجيني في الاندفاعية أو الطيش غير محدد بسبب مشاكل القياس والتعريف.

إن نظريات مثل نظرية بص وبلومين وآيزنك تساعدنا وتعوضنا في علمية فهم تأثير العوامل الجينية المهملة من قبل علم النفس الأمريكي حتى أن هذا التجاهل أو الإهمال أصبح إحدى خصائصه لسنوات عديدة.

نظرية كاتل: علمياً وفسفياً وأدبياً:

نظرية كاتل في الشخصية مبنية على أساليب علمية دقيقة وموضوعية وقد عمل العديد من البحوث التي نشرت في عدد من الدوريات ومنها (Annual Review Of Psychology).

نظرية كاتل تعكس التركيز الراهن على الطرق الكمية والبيانات الأمبيريقية والتي لم يعطها حقها وأهميتها إلا عدد قليل من أصحاب النظريات. إذن فنظرية كاتل يمكن القول بأنها نموذج جدير بالتقدير في مجال البحث وأسلوب علمي كفوء لدراسة الشخصية، النقاد أشاروا إلى أن طريقة كاتل ليست موضوعية كما تبدو في البداية، فمع أن الذاتية قد تدخل في عدة خطوات من التحليل العاملي، فمن المستحيل لأي طريقـة أن تكـون موضـوعية بالكـامـل. طريقـة كاتـل في التنبؤ بالسلوك مثال جيد لاستخدام الشواهد الصادقة. فقولنا إن كاتل عالم لا يعني تجاهل حقيقة أن نظريته تظهر من التزامه الفلسفي بالأسلوب الأمبيريقي فنظرية كاتل تنظر للعالم كتشريـع، ثابت ومحكم يمكن السيطرة عليه. أكثر من ذلك فكاتل يرى أن نظام القيم الأخلاقية والذي يطلق عليه مسمى (العالم الآخر Beyondism) يمكن أن

يكون قد طور على أساس العلم. العالم الآخر مبني على وجهة النظر بأن الإنسانية في عملية تطور وتقدم بيولوجي وطبيعي. فالقوانين الأخلاقية والتي سوف تؤمن وتروض هذه العملية النشوئية تحتاج إلى تطوير. مثل هذه الأخلاقيات سوف تجعلنا نتكيف مع مجال أوسع من الظروف وستعطينا فرصة أفضل للعيش. ولنتحدث بصراحة ودقة أكثر، فأخلاقية كاتل الجديدة لا يمكن القول أنها تنبع من العلوم. العلماء قد يكتشفون عملية النشوء لكن الحكم بأن مثل هذا النشوء جيد ويجب أن يكيف وينشأ مسألة حكم قيمي يأخذنا خارج عالم الشواهد الصادقة إلى عالم الفلسفة. القضايا الأخلاقية التي يثيرها كاتل، مثل النصيحة بالتكاثر أو الإنجاب الانتخابي كوسيلة لتهذيب السمات المرغوبة، يستحق تقديراً جاداً من قبل كل المهتمين بمستقبل الجنس البشري. نظرية كاتل لسوء الحظ ليست مشهورة كالنظريات الأخرى بين الاختصاصيين النفسيين بل تكاد تكون غير معروفة بالكامل بين العامة. جزئياً هذا النقص في الشعبية يعود إلى تعقيداتها ولكنه أيضاً يعزي إلى الشعور بأن التحليل العاملي يخلق نتاجاً صناعياً أو شخصياً لا يوجد له علاقة حقيقية بالشخص الحقيقي.

نظرية كاتل بنيت بدقة ولها جذور عميقة في مجال المعلومات والبيانات الأمبيريقية، كما أن فيها ما يساعدنا على تعلم الكثير عن الشخصية الإنسانية والتنبؤ بالسلوك. في الحقيقة، فكاتل يؤمن بأنه بتطبيق القوانين المرجعية المناسبة سيكون في مقدور الاختصاصي النفسي التنبؤ بالسلوك الإنساني وبالدقة التي يتنبأ فيها علماء الفلك بمسيرة النجوم والكواكب. طريقة كاتل الصارمة وأساليبه الدقيقة مثال أو خاصية للمشروع أو العمل العلمي في أحسن حالاته.

النظريات المزاجية بصورة عامة، تعتبر إلى حد كبير مثار جدل ونزاع لأنها تتضمن اختلافات شخصية مبنية على أسس جينية فآيزنك قال (الناس خلقوا متساوين في النظرة إلى الله مع التقدير للنظام التشريعي ولكنهم لم يخلقوا متساوين عندما يتعلق الموضوع بالجمال أو الذكاء أو القوة أو أي أمور أعظم).

هذه النتيجة تتعارض مع اعتقاد الأمريكيين القوي في المساواة بين الناس والتزامهم بالبرامج الاجتماعية، هذا لا يعني، بالطبع، القول بأن الوراثة تشكل

المحدد الرئيسي للشخصية، فالوراثة قد تضع حدوداً على قدرات وطاقة الفرد ولكن البيئة يمكن أن تحدد أين وفي أي مجال يمكن أن يتم سلوك الشخص العادي. تطبيقات نظريات السمات والمزاج تعتبر في الواقع خطيرة ويمكن أن تستخدم لتكوين الفروق والتمييز بدلاً من المساواة والعدالة فالشخص العادي وبدون شك متأثر مباشرة بأسلوب السمة في الشخصية بدلاً من تأثره بأساليب أخرى، معظم الناس تم تقييمهم بنفس الأداة بناءً على أسلوب السمة، فمثلاً اختبار الذكاء أو اختبار التحصيل، أو اختبار القدرات، وغيرها من المقاييس استخدمت ولكن ليس بدون شيء من النقد. معظم التركيبات والمفاهيم والتي يفترض أن نشير إليها بواسطة تلك الاختبارات لا يمكن قياسها مباشرة.

من جانب آخر، الاستخدام الحكيم لأساليب التقييم المناسبة يمكن الا تكون له قيمة في تطوير طاقة الفرد والمجموع. أفلاطون ركز على استخدام أسلوب تقييم معين عند تشكيله لمجتمعه المثالي (الجمهورية) فمثلاً شجع المدرسين على ملاحظة السمات المسيطرة على طلابهم من أجل اختيارهم وإعدادهم للطبقة الاجتماعية المناسبة لهم، عمالاً كانوا أم جنوداً وحراساً، أو فلاسفة.. الخ. إن الفهم الدقيق لإمكانيات الواحد منا وقدراته مهم لتطوير طاقاته الكامنة وتسخيرها. إن إدراك الاختلافات الفطرية بين الناس لا يشكل استهلالاً أو تقديماً لفلسفة اجتماعية تؤكد فرصة المساواة تحت ظل القانون! مثل هذا الإدراك يثير تساؤلات اجتماعية وأخلاقية ويقلل من الرغبة في العلاقة المتبادلة بين الفلسفة والعلم والأدب في نظرية الشخصية. العلماء يجب أن يكونوا واعين للطرق التي تكون فيها الافتراضات الفلسفية مؤشراً لعملهم ومدركين للطرق العلمية التي تؤثر نتائجها في القرارات الاجتماعية والأخلاقية.

ملخص:

(١) صنف كرتشمر الأفراد إلى نحيف وبدين ورياضي بناءً على الأساس الشكلي والظاهري. التصنيفات تميل إلى تقسيم الناس إلى مجموعات متميزة في حين أن نظريات السمات تنظر إلى الأبعاد التي لدى الأفراد وبدرجات متباينة.

(٢) الارتباط دليل ما إذا كان متغيرين مرتبطين مباشرة أم لا. فالارتباط، في

حد ذاته، لا يتضمن العلاقة بين السبب والنتيجة.

③ شيلدون حدد ثلاثة عناصر للتكوين الجسماني وثلاثة عناصر مزاجية أساسية. نوع الجسم يمكن التعبير عنه في نمط جسماني حيث استطاع شيلدون التمييز بين ثلاثة أنماط هي:

أ ـ الحشوي الداخلي.
ب ـ الرياضي العضلي.
جـ ـ النحيف الرقيق.

أما الأمزجة فهي:

أ ـ المزاج الحشوي.
ب ـ المزاج الجسماني أو الجسدي.
جـ ـ المزاج المخي.

④ كاتل يعرف الشخصية بأنها (ذلك الذي يسمح بالتنبؤ بما سيعمله الشخص في موقف أو وضع معين).

⑤ السمات الظاهرة مجموعات من استجابات السلوك الظاهر تبدو متصلة مع بعضها البعض أما السمات الأصلية فهي المتغيرات التحتية والتي قد يكون أصلها في الوراثة أو في المؤثرات البيئية. كاتل حدد ستة عشر سمة رئيسية للقدرات والأمزجة.

⑥ المحركات والعواطف يشكلان أرضية للاتجاهات أو السمات الديناميكية الظاهرة. السمات الديناميكية مرتبطة ببعضها البعض عن طريق شبكة ديناميكية انطلاقاً من مبدأ المساعدة القانونية.

⑦ كاتل استخدم التحليل العاملي لتحديد السمات، فهو إجراء وطريقة ارتباطية تربط داخلياً عدداً من العلاقات في وقت واحد وتجدد أبعاداً مألوفة تشكل البناء التحتي لهم. كاتل يتمنى استخدام نتائجه لتسهيل عملية التنبؤ بالسلوك وذلك عن طريق استخدام معادلة الوصف.

⑧ آيـزنك حـدد بعدين رئيسيين للشخصيـة همـا الاستقـرار الانفعـالي والعصابية، والانطوائية والانبساطية. آيزنك يؤمن بـأن هناك أسـاس بيولـوجي للشخصية. بص وبلومن طورا نموذجاً للشخصية يتضمن مزجاً بين مفاهيم التعلم والإحياء والسمات.

⑨ نظريات السمات كانت مثار جدل لأنها تؤكد على أن اضـطرابات الشخصية والفروق البشرية أمور جينية وتعود إلى الوراثة بالإضافة إلى البيئة هذه النتائج تثير تساؤلات أخلاقية تقلل من قيمة العلاقة المتبادلة بين العلم والفلسفة.

⑩ نظرية كاتل مثال ممتاز لمحاولة فهم الشخصية من خلال استخدام المناهج العلمية.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Cattell has been a prolific Writer, authoring over thirty books and three hundred articles. His work is technical and difficult to digest. However, an introductory primer to his theory is provided in The Scientific Analysis of Personality (Aldine, 1965), Which is not too technical and is aimed at a lay Public. Also readable and exciting because of the ethical issues that it raises is A New Morality from Science: Beyondism (Pergamon, 1972). Beyond that the interested reader has a vast array of primary sources to choose from. Cattell's most recent findings are included in the recently published Personality and Learning Theory, Vols. 1 and 2 (Springer Publishing Company, 1979, 1980).

A broad critical review of Cattell's work is found in an article by S. B. Sells, «Structured measurement of personality and motivation: A review of contributions of Raymond B. Cattell», Journal of Clinical psychology, 1959, 15, 3 - 21. For summaries of research that Cattell's work has gener-

ated, the reader is advised to consult the selections on personality in recent issues of the Annual Review of Psychology.

Eysenck has written over twenty books and three hundred articles. The level of readability varied widely. A work that is relatively easy for the lay person to understand is Psychology Is about People (Open Court, 1972). The defintive statement of his cortical hypothesis of arousal is found in the Biological Basis of Personality (Charles C Thomas, 1967). A three - volume collection of research essays related to his theory has been published under the title of readings in Extroversion - Introversion (Staples, 1970 - 1971).

الجزء الرابع

النظريات الإنسانية والمعرفية

Humanist and Cognitive Theories

النظريات الإنسانية التي قال بها كارل روجرز وأبراهام مازلو ظهرت في الخمسينات من هذا القرن كمحاولة لتصحيح مفاهيم محددة للطبيعة الإنسانية في نظريتي التحليل النفسي والمدرسة السلوكية. روجرز ومازلو يعارضان الصورة السلبية والمظلمة والتشاؤمية للشخصية والتي يُقدمها التحليل النفسي الفرويدي. كما أنهما يرفضان ويمقتان الصورة التي تجعل من الشخص مكينة أو رجلاً آلياً وهي التي نادت وأكدت عليها أساليب التعليم والسلوك المبكر. الإنسانيون يرون أن الدراسة التي تتعلق بالعصابيين أو الكائنات الحيوانية يجب ألا تستخدم كدليل في دراسات الشخصية الإنسانية. فالصحة أكثر من مجرد غياب الأعراض العصابية وهناك فرق بين تجربة الفأر في صندوق سكنر وسلوك الكائن البشري في عالم الحياة اليومية.

روجرز ومازلو يؤكدان على النظرة إلى الشخص ككائن حيوي ومبدع ومجرب يعيش في الحاضر ويستجيب ذاتياً للتصورات الراهنة والعلاقات والمواجهات. إذن النظرة الإنسانية للشخصية متفائلة وإيجابية تؤكد نزعة الشخصية نحو النمو والتحقيق الذاتي.

النظريات المعرفية والتي يمثلها في كتابنا هذا، جورج كلي، تؤكد على العمليات التي بواسطتها يصبح الفرد واعياً بالعالم من حوله ويصدر أحكاماً على متغيراته. النظريات المعرفية تؤكد أن السلوك الفردي غير محدد بالبيئة فقط ولكن بواسطة اتجاهاته وتوقعاته واعتقاداته.

النظريات الأخرى أدركت أهمية المعرفة ولكنها لم تجعلها الأساس في معتقداتها. فرويد أكد على العمليات العاطفية للقلب بدلاً من العمليات العقلية للرأس. السلوك وتقاليد التعليم، كانت إلى حد قريب، تهتم بتحليل المثيرات

البيئية واستجابة الفرد الظاهرة للبيئة بدلاً من العمليات الذاتية المتوسطة التي أدت إلى ذلك السلوك. نظريات المعرفة من جانب آخر، تنظر للمعرفة كعامل رئيسي يتحكم في الشخصية والسلوك!

الفصل الثاني عشر

نظرية التمركز حول الشخص: كارل روجرز:

Carl Rogers: A Pereon - Centered Theory:

أهداف الفصل:

١ - شرح كيف أن روجرز عاد ليؤكد أن الذات مفهوم مفيد لفهم الشخصية.

٢ - وصف الحركة الفلسفية لعلم الظاهرات (Phenomonology) والإشارة إلى تطبيقاتها في علم النفس.

٣ - شرح المفاهيم التالية في نظرية روجرز: المجال الظاهراتي - تحقيق الذات - الكائن - الذات وكيف أن الانفعالات تؤثر في عملية تحقيق الذات.

٤ - شرح مقصد روجرز من مفهومي الانسجام والتنافر وتحديد الجمود والتشويه كعمليتين تؤديان إلى التنافر.

٥ - مناقشة المقصود (بالتقدير الإيجابي المشروط وغير المشروط) ودورهم في التأثير على نمو وتطور الشخصية.

٦ - وصف ثلاثة اتجاهات علاجية تؤدي إلى التغيير.

٧ - التمييز بين خمس استجابات مختلفة للاتصالات الانفعالية.

٨ - مناقشة العلاج النفسي الممركز حول العميل.

٩ - وصف مفهوم روجرز للشخص الكامل وظيفياً (fully functioning).

١٠- تقييم نظرية روجرز علمياً وفلسفياً وأدبياً.

بالنسبة لروجرز فسلوك الشخص يعتمد بالكامل على نظرته للعالم واحداثه فنظرية روجرز في الشخصية تصف الذات كعنصر هام من الخبرة! في الفكر السلوكي المعاصر مفهوم الذات تم تجاهله حيث اعتبر بقايا مندثره لوجهات نظر دينية وفلسفية قديمة ولكن روجرز قدم الذات كمفهوم علمي يساعد في عملية الملاحظة، فالذات مصطلح يمثل تلك العمليات النفسية التي تتحكم في سلوكنا،

مع تركيزه على أهمية النظر إلى الكائن كشخص أو ككل متكامل.

حياته الخاصة:

ولد كارل روجرز عام ١٩٠٢ في مدينة أوك بارك بولاية إلينوي حيث كان ترتيبه الرابع بين ستة أطفال بينهم فتاة واحدة فقط. والداه كان يتمتعان بقدر جيد من التعليم ويعتبران من البروتستانت المتحفظين في الطبقة الوسطى، مما جعلهما يغرسان معايير وتعاليم أخلاقية لعل أهمها الدقة والنظامية والتركيز على أداء الأعمال الجادة. روجرز لا يتذكر إلا القليل عن حياته الاجتماعية التي قضاها خارج إطار عائلته الكبيرة مع أن ذلك لا يضايقه حيث كون استقلالية ذاتية واعتمد على نفسه كثيراً. عندما بلغ الثانية عشرة من العمر انتقلت عائلته إلى مزرعة خاصة مما أتاح له الفرصة للقراءة والاطلاع حيث ركز على أدب الزراعة فوالده كان يحضر معه الكثير من النشرات والمطبوعات ذات العلاقة بهذا الفن.

إلتحق روجرز بجامعة ويسكانسن على أمل دراسة الزراعة ولكنه عاد بعد سنتين ليغير تخصصه واهتماماته ويتحول لدراسة المجالات الدينية. بعد تخرجه في عام ١٩٢٤ م تزوج من هيلين إليوت لينتقل إلى نيويورك حيث واصل دراسته في أحد الكليات المهتمة بالدراسات الدينية. هذا الاتجاه والمصير لم يكن ليستمر حيث غير روجرز أفكاره ومفاهيمه الرئيسية عن الدين فقد وجد من الصعوبة بمكان بعد الاحتكاك بعدد من جمعيات الشباب الأمريكية المسيحية الالتزام بمجموعة معينة من المعتقدات فقط. هذه المرحلة كانت صعبة بالنسبة لروجرز ولعائلته ولكنها في النهاية كانت بداية القناعة لديه بأن الفرد يجب في نهاية المطاف أن يعتمد على خبراته. أيضاً اهتماماته تغيرت وتوجهت نحو التركيز على علم النفس حيث انتقل إلى كلية التربية بجامعة كولومبيا حيث درس فلسفة جون ديوي وبدأ تدريبه العملي في علم النفس الإكلينيكي.

في عام ١٩٣١ م حصل روجرز على درجة الدكتوراه وانضم إلى (مركز روتشيستر للتوجيه) حيث ساعد وإلى حد كبير في إنشاء قسم ناجح لدراسة الأطفال. هنا بدأ روجرز حركة المعارضة الطويلة التي استمرت لسنين مع الأطباء

النفسيين الذين كانوا ينادون ويرون أن من الواجب عدم السماح للاختصاصيين النفسيين بممارسة أو تسنم أي مسؤوليات في مجال العلاج النفسي. في عام ١٩٣٩ م قبل العمل كمدرس في جامعة أوهايو الحكومية ولكنه في عام ١٩٤٥ م انتقل إلى جامعة شيكاغو حيث نادى بأهمية دور الأخصائي النفسي وقدرته على أداء مهمة ناجحة في مجال العلاج النفسي. نتيجة لمحاولات روجرز الجادة أصبح علم النفس الإكلينيكي مقدراً ومعترفاً به ومحترماً وصار الاختصاصي النفسي مع الطبيب النفسي في مكانة متساوية ومهنتين تسعيان لتحقيق هدف عام، حتى وصل الأمر إلى تكليفه بالتدريس في جامعة ويسكانس في عام ١٩٥٧ م كمدرس لعلم النفس والطب النفسي. منذ عام ١٩٦٣ م روجرز أصبح زميلاً في مركز دراسات الشخص في مدينة لايولافي كاليفورنيا (Center fon studies of the Person).

نظرية الشخصية:

المجال الظاهراتي: (The Phenomenal field):

روجرز يؤكد أن كل فرد يعيش في مجال ظاهراتي معين حيث يكون هو مركز ذلك المجال. نحن نرى تأثير الحركة الفلسفية التي تسمى (بعلم الظاهرات (Phenomenology). فلسفياً، علم الظاهرات يميل إلى وصف للمعلومات أو معنى الخبرة الحالية. في علم النفس، علم الظاهرات يعني دراسة إدراك الوعي الإنساني. علماء الظاهرات يؤكدون بأن المهم ليس الشيء أو الحدث نفسه لكن المهم هو كيف ينظر له الفرد ويفهمه. المجال الظاهراتي ينسب إلى المجموع الكلي للخبرات أنت عندما تقرأ مثلاً قد لا تكون مدركاً للضغط الذي يسببه الكرسي لظهرك، ولكن عندما تلقي بالا أو اهتماماً لهذه الحقيقية (حقيقة الألم والضغط) تصبح واعياً وشاعراً بها.

الكائن يستجيب للمجال كما يدركه أو يفهمه. تأكيد روجرز هنا ينصب على إدراك وفهم الفرد للواقع فنحن ولأغراض اجتماعية نتفق مع القول بأن الإدراكات التي نشترك فيها عامة مع الآخرين هي الإدراكات والملاحظات الصحيحة. على كل، فالواقعية أساساً أمر خاص جداً. فمثلاً شخصان يسيران سوية في الليل قد

يشاهدان شيئاً ولكن استجابتهما لذلك الشيء تتباين، ففي حين يعتقد أحدهما بأن ذلك الشيء دب كبير فالخوف سوف يسيطر عليه، بينما الآخر، الذي يعتقد ذلك الشيء شجرة كبيرة يظهر اللامبالاة وعدم الاهتمام! إدراك وفهم الفرد لا حقيقة الشيء في حد ذاتها هي الأكثر أهمية. لنفترض أن طفلاً صغيراً جاء لروجرز يشتكي من قسوة وسيطرة والده، بينما واقع الحال ومن خلال نظرة الملاحظ المحايد يقول بأن الأب متفتح وديمقراطي، روجرز هنا يشير إلى أن ما يفضله الأب ليس فهماً، ولكن المهم هو كيف ينظر الإبن إلى أوامر والده ويفهمها:

روجرز يؤمن بأن الفرد هو خير من يفهم نفسه ويدرك مجال خبراته، فالفهم المجدي لسلوك الشخص الآخر لا يفرضه ملاحظ خارجي يفسر السلوك من إطار مرجعي خارجي ولكنه مكتسب بواسطة فهم سلوك الفرد كما هو أو هي تدركه. روجرز يعترف بأنه ليس من السهل علينا دائماً فهم السلوك من الإطار المرجعي الداخلي، فنحن محددين بإدراك الفرد الواعي لخبراته، أيضاً، معرفتنا تعتمد على الاتصال والذي غالباً ما يكون خاطئاً ولكن على الرغم من كل ذلك فمثل هذا الفهم الودي لخبرات الآخرين أكثر دقة لعكس القوانين الرئيسية لسلوك وعملية الشخصية.

تحقيق الذات: (Self - Actualization):

النزعة الرئيسية للكائن تتمثل في البقاء وتحقيق وتعزيز نفسه. هذه النزعة التي تتعلق بتحقيق الذات تتبع خطوطاً وضعتها الجينات، فنوع البذور التي زرعت تحدد ما إذا كانت الزهور ستكون زهور اقحوان أو زهور قرمزية، لكن البيئة تؤثر إلى حد كبير في الزهرة المتفتحة حيث أن البيئة التي تزودنا بالتغذية والهواء والشمس والماء المناسب تؤدي إلى تفتح الزهور صحياً. ظروف الجفاف أو الحرارة الشديدة يمكن أن تعوق النبتة أو الزهرة وتؤثر في نموها. عملية التحقيق هذه ليست أوتوماتيكية ولا هي خالية من المحاولات ولكنها تتضمن جهاداً وآلاماً أيضاً. فالطفل الصغير لا يقوم بالخطوة الأولى بدون جهد، فهو قد يقع وقد يتضرر، ومع كل ذلك فالرغبة في النمو تحركه وتدفعه إلى الأمام.

إن السلوك هو محاولة غرضية موجهة لتحقيق حاجات الكائن كما يفهمها أو يدركها. تعريف روجرز هنا يختلف عن ذلك الذي قال بها علماء نظريات التعليم

والذين يرون أن السلوك إلى حد كبير يمثل استجابة للمثيرات، أيضاً فهو يختلف عن نظرة مدرسة التحليل النفسي للسلوك والتي تؤكد على أهمية المحددات اللاشعورية للسلوك. روجرز يرى أن السلوك استجابة لإدراك الواحد لحاجاته، لذلك فتعريف روجرز يؤكد على الإدراك الذاتي والقيم والأنشطة الموجهة. التحرك قدما لتحقيق الذات يمكن أن يظهر فقط عندما تكون الخيارات المفتوحة مدركة ومفهومة بوضوح ويتم تحديدها بدقة بواسطة الكائن الحي. أما عندما تكون الخيارات غير واضحة فلن يكون بمقدور الفرد التمييز بين السلوك المتقدم والنكوص.

روجرز هنا يريد الوصول إلى القول بأننا سوف نختار النمو والتحرك إلى الأمام بدلاً من التحرك إلى الخلف فيما لو طرحت أمامنا خيارات واضحة!

الانفعالات تصاحب وعادة ما تسهل عملية تحقيق الذات. فالانفعالات السارة تصاحب تحقيق الهدف بل إن روجرز يذهب إلى أبعد من ذلك حين يؤكد بأنه حتى تلك الانفعالات التي نفكر فيها عادة ونعتقد بأنها ليست سارة مثل الخوف أو الحسد، لها تأثير إيجابي في عملية التكامل وتركيز سلوكنا على الهدف المنشود. كثافة الانفعال تتباين بناء على الأهمية المدركة للسلوك تجاه تحقيق الهدف. القفز خارج الطريق تصاحبه انفعالات قوية جداً، خصوصاً إذا كان هذا السلوك ينظر له كشيء هام يتعلق بالحياة أو الموت. هذه الانفعالات إن لم تكن مفرطة أو غير مناسبة فهي تسهل السلوك الموجه أو الغرضي. وجهة نظر روجرز بالنسبة للانفعالات تعتبر نظرة إيجابية، فالانفعالات التي يعاني منها الفرد تسهل عملية النمو، في حين أن نكران أو تشويه هذه الانفعالات قد تتيح لهما فرصة هدم أو تخريب حياتنا. روجرز لديه نظرة تفاؤلية تختلف عن نظرة المحللين النفسيين للدوافع والحوافز، فهو يرى أن تحقيق الذات يظهر بحرية أكثر عندما يكون الشخص متقبلاً ومدركاً لجميع خبراته الحسية أو الداخلية أو الانفعالية. من وجهة نظر روجرز فالكبت ليس ضرورياً، فالشخص الذي يستخدم حواسه وانفعالاته ويثق فيهم وإلى حد كبير، هو الشخص الذي يتيح لعملية تحقيق الذات أن تتطور.

الذات: (The Self):

ينتج عن تفاعل الكائن الحي مع البيئة مفهوم الذات، ذلك الجزء من المجال

الظاهراتي والذي أصبح تدريجياً متميزاً أو مختلفاً فالذات بالإضافة إلى كونها عملية فهي شيء إدراكي حيث يدرك الشخص ويفهم ذاته وما ينبغي أن تكون عليه. إذن، فنحن نملك تمييزاً بين الكائن، أو الذات الواقعية كعملية، وبين الذات كما ينظر لها وتدرك كشيء. بتفاعل الأطفال الصغار مع بيئتهم، فهم تدريجياً يكتسبون أفكاراً عن أنفسهم ، وعالمهم وعلاقاتهم مع ذلك العالم. الأطفال يمرون بتجربة الأشياء التي يحبونها أو التي يكرهونها والأشياء التي يستطيعون أو لا يستطيعون التحكم فيها، تلك الخبرات التي تبدو معززة لذات الواحد تقيم وتندمج في الصورة الذاتية (Self - image) أما تلك الخبرات التي تبدو مهددة للذات وغريبة عليها فيتم التنكر لها ورفضها! المفهوم الذاتي، عادة يتضمن القيم التي نتوارثها أو نأخذها من الناس الآخرين وليس من الخبرات الفعلية للكائن فالطفل يتعلم بسرعة أن والديه يسحبان عطفهم أو حبهم عندما يقوم بضرب أخيه الأصغر حتى وإن كان ضرب أخيه عملاً مرضياً له، فالولد يخسر رهانه أو اعترافه برضاه عن الضرب من أجل أن يبدو أو ينظر لنفسه كمحب لوالديه محبوباً منهم. من خلال الاحتواء أو الإمتصاص القيم يمكن أن تكون مفصولة عن الخبرات الفعلية للكائن.

عندما ينكر الأطفال أو يشوهون رموز خبراتهم، فمعنى ذلك عدم إدراكهم لهذه الخبرات. الأطفال يبدأون تجربة اتجاهات الآخرين ومعايشتها، مثل الاتجاهات الأبوية كما لو كانت هذه هي الخبرات المباشرة والخاصة بهم. الذات التي يشكلها الواحد يمكن أن تكون متباينة أو مختلفة مع الخبرة الواقعية لكيان الواحد. الفرد قد يعاني أو ينظر لأي تعبير عن الغضب كشيء سيء من خلال هذا التشويه. هو أو هي لن يدرك أبداً أن تعبير الغضب شيء مرضي وفي مثل هذه الحالات، خبرات الذات وخبرات الكائن لن تتطابق أو تتفق مع بعضها البعض.

روجرز لا يؤمن بأن التركيب الذاتي يجب أن يتشكل بناء على النكران والتشويه. فالطفل يقيم خبرات تكوينه كشيء إيجابي أو سلبي فلو كان أحد الوالدين متقبلاً للطفل ومشاعره الخاصة نحو عدم جدوى أو ملاءمة تصرفات معينة فالوالد هنا يستطيع مساعدة الطفل في كبح جماح بعض تلك التصرفات الغير مرغوبة بدون تهديد لتكامل وكيان المفهوم الذاتي للطفل، فالوالدين بمقدورهما أن يوضحا لابنهم

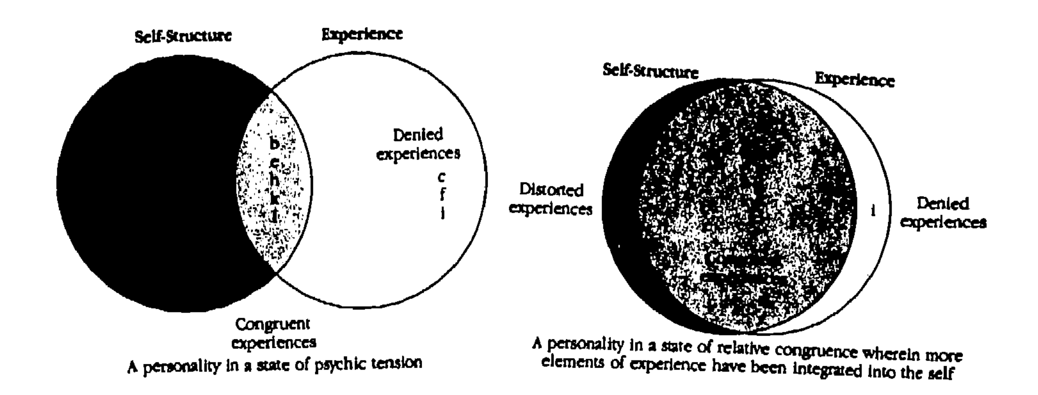
أن ضرب أخيه الرضيع خطأ، بدون ضربه أو تهديده بعنف وهنا يكونان قد قبلا واعترفا بمشاعر الطفل العدوانية ورغبته وبطريقة مناسبة لا تهدد مفهومه الذاتي لأن مثل هذا الاعتراف يزود الطفل بالرموز الصحيحة والدقيقة لخبراته. الطفل يستطيع أن يزن الرضا الذي يحصل عليه من ضرب الرضيع مع الرضا الذي يحصل عليه بإسعاده للأب أو الأم ويتصرف بالتالي بناء على ذلك الشيء. إن الطفل هنا لا يحتاج إلى إنكار مشاعر الرضا لديه ولا إلى توحيد أو ربط ردود فعله الخاصة مع ما لدى والده.

الخبرات التي تظهر في حياة الواحد اما أن تكون رمزية أو مهملة أو منكرة أو مشوهة. فلو كانت الخبرة رمزية، فمعنى ذلك أنها مدركة ومنظمة في علاقة مع الذات وعموماً، مثل هذه الخبرات مرتبطة بحاجات الذات. أما الخبرات المهملة فتظهر عندما لا يستطيع الواحد إدراك أي علاقة بين الخبرة والتركيب الذاتي. هنا الواحد منا وبكل بساطة يفشل في الانتباه أو الاهتمام بالخبرات المفككة أو البعيدة. أما الخبرات المنكرة أو المشوهة فهي التي تبدو متنافرة ولا تنسجم مع التركيب الذاتي، فالشابات اللواتي تم تنشئتهن على الإيمان بأن العدوان ليس مظهراً أو خاصية أنثوية يمكن أن ينكرن أو يشوهن مشاعرهن الطبيعية الخاصة بالغضب فيجدون من الصعب عليهن أن يكن حازمات لأنهن يميلون للتصرف بطرق تعتبر أنثوية! باختصار، فوعي الفرد يعتمد إلى حد كبير على مفهومه الذاتي حيث أنه من الصعب على الفرد أن يسمح بالتطفل في الإدراكات والذي يعتبر في تباين مع المفهوم الذاتي. أحدهم يميل إلى اعتبار مثل هذه الإدراكات شيئاً غريباً. الخبرات تظهر في الواقع والكائن يستجيب لها ولكن الذات الواعية لا تدركها أو تعترف بها!

الانسجام والتنافر: (Congruence and incongruence):

لابد من وجود انسجام بين الذات كما ندركها والذات الحقيقية، حالة الانسجام هذه تظهر عندما تعكس الخبرات الرمزية للشخص خبرات كيانه الفعلية. لكن عندما لا تمثل الخبرات الرمزية الخبرات الفعلية للواحد، أو إذا شوهت هذه الخبرات فسيحدث نقص في التجاوب بين الذات كما ندركها والذات الحقيقية. في مثل هذا الوضع نجد أن هناك تنافراً واحتمال عدم توافق كما يظهر ذلك في

الرسم أدناه حيث نجد التداخل بين الدوائر والذي يعبر عن تداخل بين الذات الحقيقية والذات المثالية.



A personality in a state of psychic tension

A personality in a state of relative congruence wherein more elements of experience have been integrated into the self

عندما ينكر أو يشوه الفرد خبرات داخلية أو حسية هامة، تظهر عليه توترات أساسية معينة. هنا، الذات كما ندركها، والتي أساساً تتحكم في السلوك، ليست تمثيلاً صحيحاً لخبرات الكائن الحقيقية، لأنه أصبح من الصعب على الذات أن ترضي حاجات الكائن فيتطور التوتر ويشعر الواحد به كقلق أو عدم تأكد.

عندما ينسجم المفهوم الذاتي مع خبرات الكائن يصبح الشخص متحرراً من التوتر الداخلي فيظهر التوافق النفسي المنشود. هنا لابد أن يكون واضحاً بأن روجرز لا يؤيد التعبير الحر لكل الانفعالات والدوافع وبدون قيد أو شرط، فجزء من واقعية خبرة الكائن تتمثل في أن قيماً ثقافية واجتماعية معينة تتطلب قمعاً لأنشطة معينة. وعلى الرغم من ذلك فالمفهوم الذاتي للواحد منا يمكن أن يتضمن رغبتين ـ إحداهما تسلك بطريقة معينة والأخرى تتصرف بطريقة أكثر قبولاً من الناحية الاجتماعية. فإذا كان الوالدان يقبلان مشاعر رفضهم لأطفالهم بالإضافة إلى مشاعر الود والحب، فمعنى ذلك أنهم يرتبطون بأطفالهم بطريقة أكثر أماناً واطمئناناً!

عندما يصبح الناس واعين لدوافعهم أو إدراكهم ويقبلونها فمعنى ذلك زيادة احتمالية السيطرة الواعية على تعبيرهم فالشخص عندما يقبل بكل خبراته، فهو يكتسب سيطرة ذاتية أفضل!

تطور الشخصية:

روجرز لم يحدد مراحل معينة لنمو وتطور الشخصية من الرضاعة حتى الرشد، ولكنه يركز فقط على الطريقة التي بواسطتها تعمل تقييمات الآخرين على إعاقة أو تسهيل عملية تحقيق الذات. على الرغم من أن النزعة لتحقيق الذات تتبع محددات جينية إلا أن روجرز لاحظ أنها قابلة أو عرضة لتأثيرات بيئية قوية!.

الطفل الصغير له حاجتين رئيسيتين هما:

١ ـ الحاجة إلى تقدير إيجابي بواسطة الآخرين.

٢ ـ الحاجة إلى تقدير إيجابي ذاتي.

التقدير الإيجابي (Positive Regard) ينسب إلى كون الشخص محبوباً ومقبولاً، فالأطفال الصغار مثلاً يتصرفون بطريقة يظهرون فيها حاجتهم القوية لقبول وحب أولئك الذين يهتمون بهم كالوالدين ولذلك فهم سيقعون تحت تغييرات هامة في سلوكهم من أجل الحصول على التقدير الإيجابي المرغوب!

في الوضع المثالي، التقدير الإيجابي غير مشروط، فهو يعطي بحرية للأطفال بغض النظر عن ما يعملونه. هنا التقدير الإيجابي المطلق (الغير مشروط) (Unconditional Positive Regard) لا يرتبط ولا يتوقف على سلوكيات معينة، فالوالد يمكن أن يحدد أو يعوق سلوكيات معينة يجدها غير مرغوبة بالاعتراض فقط على السلوكيات وعدم رفض الطفل ومشاعره. الوالد الذي يرى الطفل يقوم ببعض الكتابات على الحائط قد يقول له (الكتابة على الحائط تشوه ذلك الجدار، فاستخدام هذه السبورة بدلاً منه) هنا، الوالد يحدد ملاحظاته على السلوكيات أو السلوك نفسه، لكن لو قال (أنت ولد قليل الأدب أو سيء لأنك تكتب على الجدران) فهو هنا قد تغير في معاملته فمن رفض السلوك المشين إلى رفض الطفل نفسه ومثل هذا التقدير لم يعد غير مشروط.

التقدير الإيجابي المشروط يمنح تحت ظروف معينة فقط. فالأطفال يوجهون إلى فهم أن والديهم لن يظهروا لهم الود والمحبة إلا إذا هم فكروا وشعروا وتصرفوا حسب رغبة والديهم. مثل هذا التقدير الإيجابي المشروط يدل أو يومىء للطفل بأنه

لن يكون مقبولاً من والديه إلا إذا تصرف بطرق معينة ووفق رغبات محددة فالأب الذي يقول: (أنت ولد سيىء لأنك تكتب على الحائط) هو في الواقع يقول للطفل (أنا لن أحبك إذا كتبت على الحائط). في مثل هذه الحالات، الوالد يضع شروط القيمة (Conditions of worth) محددة وبالتالي فهو لن يقبل إلا بعد تحقيقها والإذعان لها. مثل هذه الشروط (شروط القيمة) قد تقود الطفل إلى تشرب قيم الآخرين والتوحد معها بدلاً من الذات مما يؤدي إلى انفصال بين المفهوم الذاتي وخبرات الكائن.

التقدير الذاتي الإيجابي يتبع مباشرة حصول الواحد على تقدير إيجابي غير مشروط فالأطفال المقبولين لما هم عليه ينظرون لأنفسهم بقبول وتفضيل لأنه من الصعب حقاً، أن ينظر الشخص لذاته نظرة إيجابية إذا كان دوماً هدفاً للانتقاد والاحتقار والتقليل من الشأن. الفرد الذي يمنح تقديراً إيجابياً مشروطاً قد يجد من الصعب عليه اكتساب الاحترام الذاتي. إذن فمن الواضح أن تقدير الفرد لنفسه يعتمد إلى حد كبير على نوعية التقدير الذي منحه الآخرون له. المفاهيم الذاتية الخاطئة، ومشاعر النقص أو الغباء، تظهر دائماً لأن الشخص لم يحصل على تقدير إيجابي صحيح من الآخرين.

وجهة نظر روجرز هنا هي أن تقييم الآخرين يلعب دوراً رئيسياً في تطوير وتنمية التركيب الذاتي . فإذا كانت شروط القيمة مفروضة فالمفهوم يمكن أن يكون مشوهاً. لنفرض أن ولداً صغيراً يغار من أخته الرضيع فيبدأ في ضربها بالدمية التي معه، الأم هنا تستطيع منع هذا السلوك وذلك بأن تأخذ هذه الدمية منه، كما يمكن لها أن تذكر طفلها بأن ضربه لأخته الصغيرة يؤلمها لكن لو حاولت هذه الأم الإشارة لطفلها بأنه طفل سَيِّىء وإنها لن تحبه إذا شعر بالغيرة من أخته أو ضربها فمعنى ذلك أنها تضع شرطاً للقيمة والتقدير. إذن فالخيارات المطروحة أمام الطفل الصغير أصبحت الآن محددة، فهو يمكن أن يقبل بأنه طفل سيىء ويمكن أن يعترف بأن أمه لا تحبه، أو أيضاً يمكن أن يقرر بأنه ليس غيوراً أو حسوداً وبالتالي لا يريد ضرب أخته بدميته الصغيرة. كل واحد من هذه الخيارات ينكر جوانب معينة من الحقيقة.

إذن فمن أجل أن يحقق شروط والدته ليحظى بالقيمة المطلوبة أو التقدير

المنشود، عليه أن ينكر بعضاً من جوانب خبرات كيانه أو بمعنى أصح عليه أن يضع غمامات على عينيه إذا جاز لنا التعبير. ولنفترض أنه قرر أنه غير حاقد على أخته، كيانه لا زال فيه غيرة ولكنه غير قادر على إدراك وفهم تلك الغيرة، لأن إدراكها سيجعله قلقاً مخافة أن يفقد حب والدته. القيم التي تشربها أو تقمصها تحل محل قيمه الخاصة ليصبح بالتالي منقسماً على نفسه.

خلال مرحلة النمو أي خبرة تختلف عن المفهوم الظاهر ينكر عليها دخول الذات لأنها تهددها وتثير القلق بالنسبة لها. إذا تم تعليم الأطفال أنه من الخطأ أن يشعروا بالغضب، فهم قد يبدأون إدراك انفعال الغضب نفسه كشيء خطير أو خاطيء بدلاً من إدراك تغييرات معينة من الغضب. من أجل تحقيق شروط القيمة قد يصبح الطفل عاجزاً عن إدراك مشاعر الغضب عندما تتطور. روجرز يشير إلى أن هناك أناساً لا يستطيعون إدراك متى يغضبون لأنهم تعلموا أن مشاعر الغضب ذاتها لا التصرفات نفسها التي يمكن أن تنبعث من تلك المشاعر هي الخطأ والنشاز!.

التمييز الأساسي هنا هو بين المشاعر والتصرفات، فالمشاعر بكل بساطة لها قيمة هامة حيث تساعدنا في فهم خبرتنا، أما التصرفات فقد تكون قياسية أو قد تكون غير ملائمة فبعض من هذه التصرفات يمكن ردعها أو منعها إذا أردنا العيش جميعاً في هذا المجتمع ! عندما يمنع على خبرة دخول الذات ، فليس معنى ذلك أنها ببساطة قد تجوهلت، بل على الأصح قد تكون زيفت بحجة أنها غير موجودة أو قد تكون شوهت! في مصطلحات التحليل النفسي، الخبرة تكبت! أو كما يفسرها روجرز بأن الشيء أو الحدث يمكن أن يدرك لا شعورياً كتهديد. مع أنها قد تورث ردود فعل داخلية لدى الكائن، فهي لا شعورياً محددة، بل بدلاً من ذلك، ميكانيزمات النكران أو التشويه تمنع الخبرة المهددة من أن تتحول إلى خبرة شعورية. روجرز يشير إلى أن بعض الناس سيصرون على المفهوم الذاتي والذي هو في تناقض واضح مع الواقعية. فالفتاة الشابة التي تؤمن بأنها ناقصة وتحصل على علاوة قد تعتقد بأن رئيسها رثى لحالها. فحصولها على العلاوة أو الدرجة لم يأتي لأنها تستحقها نظاماً وعن جدارة. الشخص الذي حقق هدفاً غالياً وبارزاً يمكن أن

يدخل في اكتئاب عميق لأن مفهومه الذاتي ضعيف جداً لدرجة أنه لا يتيح له (لذاته) الاستمتاع بما حدث أو بما حقق وبطرق واقعية.

إنه من الواضح بالنسبة لروجرز أن التأقلم أو التكيف النفسي يعتبر وظيفة لانسجام الذات مع الواقع. فالفرد الذي يملك إدراكاً وفهماً صحيحاً وواضحاً لبيئته حر في أن يكون متقبلاً لخبرات جديدة ومهيأ لتحقيق طاقاته.

العلاج النفسي:

عرف روجرز بطريقته المتميزة في العلاج النفسي والتي أطلق عليها اسم (العلاج المركز حول العميل) أو (العلاج الغير موجه) (Client - centerd Therapy) أو (nondirective therapy). روجرز لم يقدم هذا العلاج فقط بل إنه درسه بعناية ليضمن تطبيقه بطريقة عملية كعالم فقد حاول تقديم تعريف إجرائي لتلك الشروط التي تشكل أساس العلاج الناجح لتكوين وعمل فرضيات يمكن اختبارها عملياً وتطبيقياً.

الشروط المطلوبة للتغيير العلاجي:

دراسات روجرز وبحوثه ترى ضرورة توفر ثلاثة اتجاهات فعالة ورئيسية لإحداث التغيرات العلاجية. هذه الشروط الثلاثة في رأي روجرز ليست ضرورية أو أساسية في الطرق العلاجية التي يستخدمها هو شخصياً وإنما يجب أن تشكل الأساس التحتي لأي أسلوب علاجي ناجح.

الاتجاه أو الشرط الأول: هو التعاطف أو التعايش العاطفي (Empathy) والذي يعني القدرة على مشاركة الشخص الآخر مشاعره كما لو كانت تلك المشاعر مشاعره الخاصة. من خلال هذا التعاطف أو التعايش العاطفي، المعالج سيكون قادراً على وضع نفسه محل العميل بدون محاولة منه في فحص خصائص وصفات العميل أو فقدان خصائصه هو شخصياً. المعالج يفهم الإطار المرجعي الداخلي للعميل ويتصل بهذا الفهم إلى حد كبير من خلال إفادات تعكس مشاعر العميل.

الاتجاه الثاني هو القبول (acceptance) حيث لا يضع المعالج أية شروط للقيمة. فالقبول في الأساس يعني اعترافاً غير قيمي بالذات والشخص الآخر.

المنشود، عليه أن ينكر بعضاً من جوانب خبرات كيانه أو بمعنى أصح عليه أن يضع غمامات على عينيه إذا جاز لنا التعبير. ولنفترض أنه قرر أنه غير حاقد على أخته، كيانه لا زال فيه غيرة ولكنه غير قادر على إدراك وفهم تلك الغيرة، لأن إدراكها سيجعله قلقاً مخافة أن يفقد حب والدته. القيم التي تشربها أو تقمصها تحل محل قيمه الخاصة ليصبح بالتالي منقسماً على نفسه.

خلال مرحلة النمو أي خبرة تختلف عن المفهوم الظاهر ينكر عليها دخول الذات لأنها تهددها وتثير القلق بالنسبة لها. إذا تم تعليم الأطفال أنه من الخطأ أن يشعروا بالغضب، فهم قد يبدأون إدراك انفعال الغضب نفسه كشيء خطير أو خاطيء بدلاً من إدراك تغييرات معينة من الغضب. من أجل تحقيق شروط القيمة قد يصبح الطفل عاجزاً عن إدراك مشاعر الغضب عندما تتطور. روجرز يشير إلى أن هناك أناساً لا يستطيعون إدراك متى يغضبون لأنهم تعلموا أن مشاعر الغضب ذاتها لا التصرفات نفسها التي يمكن أن تنبعث من تلك المشاعر هي الخطأ والنشاز!.

التمييز الأساسي هنا هو بين المشاعر والتصرفات، فالمشاعر بكل بساطة لها قيمة هامة حيث تساعدنا في فهم خبرتنا، أما التصرفات فقد تكون قياسية أو قد تكون غير ملائمة فبعض من هذه التصرفات يمكن ردعها أو منعها إذا أردنا العيش جميعاً في هذا المجتمع ! عندما يمنع على خبرة دخول الذات ، فليس معنى ذلك أنها ببساطة قد تجوهلت، بل على الأصح قد تكون زيفت بحجة أنها غير موجودة أو قد تكون شوهت! في مصطلحات التحليل النفسي، الخبرة تكبت! أو كما يفسرها روجرز بأن الشيء أو الحدث يمكن أن يدرك لا شعورياً كتهديد. مع أنها قد تورث ردود فعل داخلية لدى الكائن، فهي لا شعورياً محددة، بل بدلاً من ذلك، ميكانيزمات النكران أو التشويه تمنع الخبرة المهددة من أن تتحول إلى خبرة شعورية. روجرز يشير إلى أن بعض الناس سيصرون على المفهوم الذاتي والذي هو في تناقض واضح مع الواقعية. فالفتاة الشابة التي تؤمن بأنها ناقصة وتحصل على علاوة قد تعتقد بأن رئيسها رثى لحالها. فحصولها على العلاوة أو الدرجة لم يأتي لأنها تستحقها نظاماً وعن جدارة. الشخص الذي حقق هدفاً غالياً وبارزاً يمكن أن

يدخل في اكتئاب عميق لأن مـفهومه الذاتي ضعيف جداً لدرجة أنه لا يتيح له (لذاته) الاستمتاع بما حدث أو بما حقق وبطرق واقعية.

إنه من الواضح بالنسبة لروجرز أن التأقلم أو التكيف النفسي يعتبر وظيفة لانسجام الذات مع الواقع. فالفرد الذي يملك إدراكاً وفهماً صحيحاً وواضحاً لبيئته حر في أن يكون متقبلاً لخبرات جديدة ومهيأ لتحقيق طاقاته.

العلاج النفسي:

عرف روجرز بطريقته المتميزة في العلاج النفسي والتي أطلق عليها اسم (العلاج الممركز حول العميـل) أو (العلاج الغيـر موجـه) (Client - centerd Therapy) أو (nondirective therapy). روجرز لم يقدم هذا العلاج فقط بل إنه درسه بعناية ليضمن تطبيقه بطريقة عملية كعالم فقد حاول تقديم تعريف إجرائي لتلك الشروط التي تشكل أساس العلاج الناجح لتكوين وعمل فرضيات يمكن اختبارها عملياً وتطبيقياً.

الشروط المطلوبة للتغيير العلاجي:

دراسات روجرز وبحوثه ترى ضرورة توفر ثلاثة اتجاهات فعالة ورئيسية لإحداث التغيرات العلاجية. هذه الشروط الثلاثة في رأي روجرز ليست ضرورية أو أسـاسية في الـطرق العـلاجية التي يستخـدمهـا هو شخصياً وإنـما يجب أن تشكـل الأساس التحتي لأي أسلوب علاجي ناجح .

الاتجاه أو الشرط الأول: هو التعاطف أو التعايش العاطفي (Empathy) والذي يعني القدرة على مشاركة الشخص الآخر مشاعره كما لو كانت تلك المشاعر مشاعره الخاصة. من خلال هذا التعاطف أو التعايش العاطفي، المعالج سيكون قادراً على وضـع نفسه محل العميل بدون محاولة منه في فحص خصائص وصفات العميل أو فقدان خصائصه هو شخصياً. المعالج يفهم الإطار المرجعي الداخلي للعميل ويتصل بهذا الفهم إلى حد كبير من خلال إفادات تعكس مشاعر العميل.

الاتجاه الثاني هو القبول (acceptance) حيث لا يضع المعالج أية شروط للقيمة. فالقبول في الأساس يعني اعترافاً غير قيمي بالذات والشخص الآخر.

القبول يسمح أو يتيح لكل شخص أن يكون هو نفسه من يكون، بدون وضع أي قيود أو أحكام قيمية على سلوك أي واحد. من خلال قبوله بالعميل، فالمعالج هنا يجعل الشخص الآخر يحقق ما يريد ويكون وفق ما يتمنى.

الشرط أو الاتجاه الثالث والأخير هو: (الواقعية أو المصداقية genuineness) المعالج الفعال أو الذي يود أن يترك أثراً على عملـه لا بد بأن يكون حقيقياً ومتكاملاً، وحراً وواعياً وبعمق لكل خبراته داخل العلاقة، فالمعالج لا يحتاج إلى أن يكون نموذجاً للصحة النفسية الكاملة في كل جانب من جوانب حياته الخاصة، فهو أو هي قد يكون لديهم بعض القصور أو الصعوبات في مـواضع أخـرى، لكن داخل العـلاقة العلاجية، المعالج لابد وأن يكون منسجماً ومتوافقاً! آخذين هذه الشروط في عين الاعتبار، روجرز يؤمن بأن تغيرات إيجابية وبناءة في الشخصية سوف تظهر. في جو من التقدير الإيجابي المطلق، المريض لن يكون بمقدوره الكشف عن تلك المشاعر والخبرات والتي كانت في السابق منكرة ومشبوهة. بعمل ذلك، المفهوم الذاتي للمريض سوف يصبح تدريجياً أكثر انسجاماً مع الخبرات الفعلية لكيانه. روجرز يرى أن كل علاج ناجح (وليس فقط طريقته في العلاج المركز حول العميل) لابد وأن يطبق هذه الشروط الثلاثة. العامل الرئيسي الذي يجعل العلاج النفسي فعالاً هو وجود توجه حقيقي نحو القبول بالعميل من جانب المعالج وإدراك العميل لذلك القبول الذي يقدمه ويطرحه هذا المعالج بدون قيد أو شرط.

الاستجابات للاتصالات الانفعالية:

روجرز لم يستخدم أية أساليب خاصة في العلاج، مثل التداعي الحر أو تحليل الأحلام. فاتجاه أو توجيه العلاج يحدده العميل، ففي الوقت الذي نجد أن التعليمات في التحليل النفسي هي (قل ما يرد على بالك). نجد التعليمات في علاج روجرز، هذا إن وجدت هذه التعليمات أصلاً، تقوم على (تحدث عن ما تريد) هاتان المجموعتان من التعليمات مختلفتان جداً. العميل يحدد ما ستتم مناقشته، ومتى يتم ذلك وإلى أي مدى. هذا هو السبب الذي جعلهم يسمون علاج روجرز (العلاج الممركز حول العميل) فلو أن العميل رغب في عدم الحديث عن

موضوع معين فهو لن يكون مجبراً على عمل ذلك. العميل غير ملزم بالكلام أو التحدث على الإطلاق إذا لم يكن لديه رغبة في ذلك. روجرز يؤكد وبقوة أن عملاؤه لديهم القدرة على فهم واكتشاف مشاكلهم مع وجود العلاقة العلاجية المناسبة فسيتمكن العميل من تحقيق ذاته.

في علاج روجرز المعالج يلمس ويحس باتجاه القبول لدى عميله إلى حد كبير عن طريق تلك الإفادات التي تعكس مشاعر العميل ونستطيع فهم هذا بصورة أفضل وذلك بالتمييز بين أنواع مختلفة من الاستجابات للاتصالات الانفعالية. روجرز قام بإجراء عدد من الدراسات حيث كشف عن كيفية اتصال الناس ببعضهم البعض أو وجهاً لوجه في أوضاع متعددة ومواقف مختلفة. لنأخذ هذا المثال بين الطبيب ومريضه (الطبيب دوماً يخبرني بعدم الاهتمام ولكنني متخوف من إجراء هذه العملية الجراحية). هناك عدة طرق مختلفة يمكن فيها الاستجابة لمثل هذه الإفادة. روجرز اكتشف أن غالبية الاستجابات تقع ضمن واحدة من المجموعات الخمس التالية:

١ ـ سبر الغور أو التعمق (probing).

٢ ـ تقييمة.

٣ ـ تفسيرية.

٤ ـ تطمينية.

٥ ـ انعكاسية.

١ ـ الاستجابة التعمقية (probing Response) وتهدف إلى جمع معلومات إضافية، فالواحد قد يسأل (ما هو الشيء الذي يخيفك بالنسبة للعملية؟). معلومات أخرى قد تكون مفيدة في مساعدة المستمع لفهم المشكلة. استجابة سبر الغور قد ينظر لها العميل كمحاولة للكشف عن خصوصياته لذلك فقد تكون استجابته أن ذلك لا يخصك أو من شؤونك. روجرز يوصي بأن استجابة سبر الغور أو تقديمها بطريقة تتيح للمتحدث (العميل) فرصة الخيار بين الاستجابة أو تغيير الموضوع إذا هو أراد ذلك، لذلك يتوقع أن يكون سؤال المعالج (هل يجب الحديث عن هذا الموضوع؟) هذا يتيح للمتحدث الحرية في القول (لا أنا أفضل عدم الحديث في

هذا الموضوع متى ما وجد أن الموضوع مؤلم جداً.

٢ ـ استجابة التقييم (Evaluative Response) تضع حكماً قيماً على اعتقادات ومشاعر ورغبات وسلوك الشخص. الواحد قد يقول (أنت يجب ألا تكون متخوفاً من العملية) الاستجابات التقييمية تظهر عندما يسأل الشخص المستمع عن رأيه أو رغبته في الكشف عن اتجاهاته أو قيمه الخاصة تجاه هذه القضية أو تلك. ولكن لأن نزعتنا الطبيعية للموافقة أو الرفض أو الحكم على أو تقييم تعليقات شخص آخر تعتبر حاجزاً رئيسياً للفهم في الاتصال، الاستجابات التقييمية دائماً توصد الأبواب تجاه أي اتصالات إضافية بدلاً من فتحها. فغالباً هي تؤدي إلى ردة فعل دفاعية عند العميل حيث أن كل طرف ينظر إلى المشكلة من وجهة نظره الخاصة. إن الشخص الذي يأخذ الموقف الدفاعي ليس شخصاً قابلاً لاكتشاف أشياء إضافية تجلب له القلق الذي يحاول أن يدفعه عن نفسه.

٣ ـ الاستجابة التأويلية (Interpretative Response) هي محاولة من جانب المستمع لاطلاع المتحدث (العميل) على ماهية مشكلته الحقيقية أو كيف هو أو هي يشعر حقيقة تجاه ذلك الوضع أو الموقف. أحدهم قد يقول (ذلك لأنك تخاف من كونك غير واع خلال العملية) التفسير أو التأويل يعتبر أسلوباً يتم توظيفه في العلاج المكثف مرات عديدة تحت إشراف الفني الماهر والمدرب! التأويل يمكن أن يكون مساعداً ذا قيمة لتطوير البصيرة أو الاستبصار ولكن تحت إشراف شخص هاو أو غير مهني أو متمرس، التفسير قد يصبح أداة خطرة. ففي المقام الأول التأويل قد يكون خاطئاً، ثانياً إذا كان التفسير صحيحاً فيجب أن يكون توقيته مضبوطاً، لكن إذا لم يكن توقيته جيداً فقد يرفض لأن العميل غير مهيأ أو مستعد له. إذا رفض التفسير فقد يكون له آثار جانبية إضافية تجعل العميل يشعر بأنه غير مفهوم ولا يميل إلى نقاش إضافي للقضية. لهذه الأسباب أي تفسير أو تأويل يجب أن يقدم تمهيدياً فقط ويترك مفتوحاً لمزيد من الإثبات إضافة إلى ذلك، التفسير يجب أن يوقت حتى إذا قدم بطريقة كلها مهارة وتعايش عاطفي وتحامل فبلا شك سيترك أو يكون له دور حاسم في عملية النمو الشخصي!

٤ ـ استجابة التطمين (الطمأنة) (Reassunimg Response): تحاول أن

تلطف مشاعر المتحدث، حيث تتضمن ألا يشعر العميل (المتحدث) بالخوف، فالمعالج قد يستجيب لتساؤلات العميل بالقول(عدد من الناس قد تجاوزوا أو مروا بهذه العملية بسلام) الاستجابات التطمينية قد تساعد في جعل العميل يعرف كيف أنه مقبول كما أنه يقوم بتشجيع الشخص على تجربة سلوكيات جديدة قد تساعد في حل المشكل. على كل، فإن الطمأنة يتم إدراكها دوماً بواسطة الفرد على أنها محاولة لتخفيض مستوى أو حدة مشكلته. في اللحظة التي هو أو هي لا يهتم فيها بالناس الآخرين ولكن يهتم فقط بمعضلته الخاصة. عرض أو التطرق لمشاكل الناس الآخرين أو مشاكل الواحد الخاصة في محاولة للإرضاء قدتوحي له بأن المستمع (المعالج) لم يأخذ مشكلته بجدية كافية ويرغب في تجاهلها.

٥ ـ الاستجابة الانعكاسية (Reflective Response): تهدف إلى الحصول على المشاعر المتعمقة التي يعبر عنها في الاتصال الأصلي. المعالج قد يقول (أنت خائف جداً) إن الإفادة الانعكاسية لا تمثل ببساطة أو تحل محل الاعتقادات أو الكلمات الأصلية للمتحدث (العميل) ولكنها قد تكون ذات فاعلية وتأثير فيما لو أن المستمع استخدم كلماته وعباراته واستجاب بأسلوب يتمشى ويتفق مع عمق الاتصال الأصلي أو في مستواه!

هنا يجب أن يكون التمييز أو التفريق بين الاستجابة الانعكاسية وإعادة الإفادة (Restastement) أمراً معتبراً، فإعادة الإفادة تتضمن إعادة الاعتقاد الأصلي الذي قال به المتحدث في حين أن التعليق الانعكاسي يميل إلى التعبير عن الانفعال التحتي أو المتعمق. الاستجابات الانعكاسية مفيدة لأنها تقول للمتحدث (العميل) إن المستمع (المعالج) مهتم ويفهم ما تحاول التعبير عنه أو قوله. الاستجابة الانعكاسية في الغالب قد تكون مشجعة للمتحدث على التركيز والكشف عن مشكلته بشكل موسع وبالإضافة إلى كل ذلك فهي تساعد المستمع على فهم الإطار المرجعي الداخلي للشخص الآخر. لهذه الأسباب، فمن المحتمل أن تكون هذه الاستجابة الأكثر فائدة وقابلية للتطبيق خصوصاً بالنسبة للشخص العادي وحتى بالنسبة للمعالجين المهرة في المراحل البدائية للعلاقة.

روجرز وجد أنه في الحياة اليومية نقوم باستخدام هذه الاستجابات حسب النظام التسلسلي التالي:

١ ـ تقييمي .
٢ ـ تأويلي .
٣ ـ تطميني .
٤ ـ تعمقي .
٥ ـ انعكاسي .

العلاج النفسي التدعيمي مقابل العلاج النفسي العميق - (Supportive Versus constructive Psychotherapy)

هناك طرق متعددة من العلاج النفسي تختلف في طموحاتها، فبعضها يهدف إلى تقوية السلوكيات التكيفية والبعض الآخر يميل إلى إعادة تنظيم بناء الشخصية الرئيسي. من جانب آخر، التحليل النفسي يقف كمثال مناسب للعلاج النفسي العميق أو الطويل. فمن خلال تحليل المقاومات والتحويل نجد المحلل يبحث عن إزالة الدفاعات حتى يستطيع المريض إيصال مشاعره الحقيقية ويكمل شخصيته.

من جانب آخر فهناك عدد من الأساليب العلاجية النفسية التي يمكن وصفها بمسمى (تدعيمية) لأنها تميل إلى تقوية الغرائز التكيفية والدفاعات بدون إخلال بالتركيبة الأساسية للشخصية. في كلا المثالين السلوك غير التكيفي يمكن النظر له كسلوك دفاعي، فمن أجل أن يحمي الفرد نفسه من القلق نجده يطور ميكانيزمات دفاعية أو تنكرات وتشوهات. هذه الميكانيزمات الدفاعية لها سمات بناءة وسمات هدامة فهي إيجابية وبناءة حين توقف أو تمنع القلق الذي يعتبر مؤلماً جداً ويصعب تحملها مع كل ذلك فالدفاعات قد تكون هدامة عندما تمنعنا من إدراك ومعرفة مشاعرنا الداخلية.

العلاج النفسي التدعيمي يبحث عن تقوية وتدعيم ميكانيزمات الدفاع التكيفية لمساعدة الشخص في التكيف بصورة أكثر فاعلية مع قلقه. أما العلاج النفسي الذي يقوم على إعاد بناء الشخصية فيتضمن إضعافاً لتلك الدفاعات التي صارت غير تكيفية حتى أن القلق أو الانفعالات الأصلية يمكن أن تعاد تجربتها وتحل بفاعلية أكثر.

كلا الطريقتين العلاجيتين لهما مكانتهما. بعض المرضى يتطلبون علاجاً نفسياً تدعيمياً في حين أن البعض الآخر يستفيد أكثر من العلاج النفسي العميق والمكثف. العمر، وطبيعة المشكلة، والقدرة على تحمل الضغوط قليل من عدة عوامل تحتاج إلى تقدير قبل اختيار طريقة العلاج المناسبة. فمثلاً عندما يتعلق الموضوع بالرغبات الجنسية للشباب وهي موضوع مألوف لدى المراهقين فقد يكون العلاج التدعيمي مناسباً في الوضع الذي لا يوجد فيه شروط للقيمة من قبل الوالدين فإن الشباب يمكن أن يعبروا عن مشاعرهم بدون خوف من العقاب.

في حين نجد أن العلاج النفسي التدعيمي يأخذ تركيب الشخصية الموجود ويقوي سماته المرغوبة، فإن العلاج النفسي العميق يسعى إلى إعادة بناء كامل الشخصية. أسلوب روجرز في العلاج يميل إلى العلاج النفسي التدعيمي لا العميق. هذا لا يعني القول بأن أسلوباً أحسن من الآخر ولكن على الأصح، نحن يجب أن نعرف بأنه بالنسبة لبعض الناس في بعض الظروف وحتى في أوقات مختلفة في حياتهم، أسلوب واحد قد يكون أنسب من الآخر. مثل هذا التباين قد يفسر لنا لماذا روجرز في أساليبه العلاجية كان ناجحاً في علاج طلاب الكليات والذين غالبيتهم لم يكونوا يعانون جدياً من بعض الصعوبات بل كانوا يمرون بمرحلة صعبة من أزمة الهوية والتي قد يكون العلاج النفسي التدعيمي مناسباً لها ومساعداً في حلها.

روجرز يشير إلى أننا نستطيع الاستفادة من العلاج مع أننا قد لا نعاني من مشاكل ظاهرة تؤثر بجدية في حياتنا فنحن قد لا نكون فاعلين وعاملين كما نحب ونرغب. روجرز يعترف بأنه خلال فترة معينة وصعبة من حياته تلقى علاجاً من أحد زملائه. روجرز يشعر بشيء من الاعتزاز لأنه قد طور علاجاً ودرب مجموعة من المهنيين الذين لديهم القدرة على تقديم المساعدة للمحتاجين، ويضيف بأنه ومنذ تلقيه للعلاج صار لا يطلب من عملائه أجراً على عمله وجلساته.

تغييرات في وجهة نظر روجرز نحو العلاج:

كتابات روجرز المبكرة عن الأسلوب العلاجي تؤكد فكرة أن الطاقة الكامنة لتحقيق صحة نفسية أفضل موجودة في العميل. دور المعالج كان في الأساس يقوم

على عمل أنواع من الاستجابات الانعكاسية التي تتيح لطاقات العميل أن تزدهر وتنمو، فيما بعد، روجرز غير من تركيزه على هذا الأسلوب إلى حاجة المرشد النفسي إلى تطوير علاقة تبادلية شخصية حيث تجتمع الخبرات في الوعي. خلال كتاباته المتأخرة أكد روجرز على الحاجة إلى المعالج ليكون حاضراً كشخص في العلاقة. في حين يستمر روجرز في الاعتراف بأهمية عدم التوجيه، مؤمناً بأن العميل يجب أن يبقى مسؤولاً عن حياته الخاصة، فهو يصر على أن المعالج يجب أن يبقى واعياً لمشاعره الخاصة وحراً في التعبير عنها بدون فرضها على العميل. في السنوات الحديثة، روجرز أصبح أقل اهتماماً بالعلاج الفردي وصار ميالاً إلى استخدام العلاج الجماعي . روجرز يؤكد على أهمية مزج الخبرة مع التعلم المعرفي كما أنه يكشف عن أشكال متعددة من اتجاهات المشاركة بالإضافة إلى علاقات تبادلية شخصية أخرى موجودة في المجتمع المعاصر .

الصدق الأمبيريقي للعلاج النفسي:

روجرز كان من المنادين بتجربة واختبار نظرياته عملياً لكن الشخصية الخصوصية والسرية للعلاج الإكلينيكي جعلا من الصعب دراستها في الوضع الطبيعي. بعد موافقة عملائه، روجرز أدخل فكرة تسجيل الأشرطة والتصوير في غرفة العلاج، حيث يرى ارتباطها بنجاح العلاج حيث أن المعالج والعميل بعد وقت قصير ينسيان عدة التسجيل أو التصوير ويتصرفان بطريقه طبيعية وعفوية.

التسجيلات التي عملها روجرز ساعدت في عملية ملاحظة ودراسة الجلسات العلاجية فيما بعد، حيث يتم تحليلها بطرق متعددة نظام التصنيف يسمح لنا بملاحظة أنواع الإفادات التي قالها المعالج والعميل. إن تكنيك (Q - sort) قد تم استخدامه لقيام التغيرات التي تظهر خلال مراحل العلاج. باختصار، روجرز نادى بتطوير سبل ووسائل للبحوث الأمبيريقية الحالية خاصة بعمليات العلاج والذات. ولقد استنتج روجرز من خلال دراساته بأن هناك توقعاً واضحاً للعملية العلاجية. فالعميل قد يعبر عن اتجاهات دفاعية عميقة وسيكشف أو يصبح أكثر وعياً لاتجاهاته وردود فعله، العميل سيبدأ قبول ذاته أكثر وسيختار أهدافاً أكثر إرضاء. أخيراً، العمل سيبدأ في التصرف بطريقة تشير إلى نضج ونمو نفسي أعظم.

البحوث التي يقوم بها الآخرون مع الأفراد المضطربين، وفي التعليم أيدت الفكرة القائلة بأنه عندما تكون الشروط الميسرة موجودة أو حاضرة، فالتغيرات في الشخصية والسلوك سوف تظهر.

الشخص الكامل الفاعلية (The Fully Functioning Person)

الشخص المنتج الفعال هو الفرد الذي يعمل إلى أقصى مستوى أو إلى الحد الأعلى نتيجة لنموه الخاص أو نتيجة للمعاملة النفسية. روجرز وصف خمس خصائص للشخص الذي يعمل بفاعلية ويعطي إلى أعلى حد:

① الانفتاح على الخبرات: حيث يكون هذا الشخص مدركاً وواعياً لكل خبراته فهو ليس دفاعياً ولا يحتاج إلى تنكر أو تشويه لخبراته. إنه الشخص الذي يعترف بالمشاعر أو الأحاسيس حتى وإن كانت غير مناسبة خلال المحاضرة، مثلاً، الشاب الذي تجلس إلى جواره فتاة جميلة قد يفكر في إقامة علاقات جنسية معها ولكنه لا يقوم أو يتصرف بناء على ذلك خلال المحاضرة لأنه يدرك أن مثل هذه التصرف تصرف غير حكيم أو طائش. الأشخاص الفاعلين الذين يوظفون طاقاتهم إلى أعلى حد يعرفون بأن لديهم انفعالات سلبية وإيجابية ويسمحون لها بالدخول في نظامهم الذاتي.

② الإنسانية: هؤلاء الأشخاص لديهم قدرة على العيش والسعادة والاستمتاع بكل لحظة من لحظات وجودهم، فكل خبرة بالنسبة لهم تعتبر جديدة وحديثة، فهم لا يحتاجون إلى تصورات مسبقة لكل فكرة أو موقف لتفسير كل ما يحدث أو يقع فكل حدث أو موقف يتحدث عن نفسه ويفسره. هم يستطيعون التعامل مع مواقف جديدة وغير متوقعة ولا يمكن التنبوء بها، كما أنهم يتمتعون بمرونة وعفوية، فهم يكتشفون تركيب خبراتهم خلال عملية التجربة أو المعايشة التي يمرون بها.

③ الثقة: هؤلاء الأشخاص قد يأخذون آراء الناس الآخرين وإجماعهم وموافقة مجتمعهم في الحسبان، لكنهم لا يتقيدون بها، كما إن محور أو نواة عملية اتخاذ القرار موجودة في داخل ذواتهم.

④ الحرية: هؤلاء الأشخاص يتصرفون ويعملون كما لو كانوا أشخاصاً ذوي خيارات حرة، فهم لا يشعرون بأنهم مقيدين أو مجبرين بواسطة الآخرين.
هم يفترضون ويتسنمون المسؤوليات واتخاذ القرارات والسلوكيات لأنفسهم، مع العلم بالطبع أنهم عرضة للقوانين العامة. سلوك كل واحد منهم محدد إلى حد كبير بالتكوين الجيني، والخبرات الماضية والقوى الاجتماعية. ومع كل ذلك، فالأشخاص الذين يوظفون طاقاتهم إلى أقصى حد يشعرون ذاتياً بالحرية في أن يكونوا واعين لحاجاتهم ويستجيبون للمثيرات على ضوء ذلك.

⑤ الإبداع: هؤلاء الأشخاص يعيشون بطريقة بناءة وفاعلة في بيئاتهم. المرونة والعفوية سمة من سماتهم تتيح لهم التكيف بصورة صحيحة مع المتغيرات في محيطهم وتجعلهم يسعون إلى اكتساب خبرات وتحديات جديدة، أحراراً من القيود، هؤلاء الأشخاص يتحركون بثقة إلى الأمام في عملية التحقيق الذاتي. يؤكد روجرز على أن وجهات نظره فيها تفاؤل مفرط أو حتى ساذج فمصطلحات مثل (سعيد) (مبسوط) (قنوع) كلها مصطلحات لا تصف بالضرورة الأشخاص الذين وظفوا طاقاتهم أو إمكانياتهم ولكن على الأصح، مثل هؤلاء الناس يقبلون التحدي ويجدون الحياة أكثر فائدة وجدوى وذات معنى، فتأتي خبراتهم مثيرة وغنية وذات قيمة. تحقيق الذات يتطلب الشجاعة في أن تكون ما تود أن تكون والرغبة في أن تطلق العنان لنفسك في معترك الحياة.

نظرية روجرز: فلسفياً، علمياً، أدبياً:

عمل روجرز الكثير من أجل أن يجعل الكائن البشري نقطة التركيز الرئيسية في الدراسات النفسية. روجرز كان مهتماً وإلى حد كبير بالتمييز بين افتراضاته الفلسفية وفرضياته العلمية. فمثلاً، في نظرية روجرز الذات ليست مفهوماً فلسفياً ولكنها اسم لمجموعة من العمليات التي يمكن دراستها علمياً.

في كل ذلك، فتركيز روجرز على الذاتية (Subjectivity) والإطار المرجعي الداخلي للفرد جعل البحوث العلمية صعبة. الباحثون التقليديون يؤكدون على دور الملاحظ الخارجي وذلك لأن التقارير ذات الطبيعة التأملية الباطنية أصعب من التقارير ذات الطبيعة التأملية الظاهرة خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالتصديق والإثبات.

إنتقد روجرز لاستخدامه التقارير الذاتية في بحوثه وعدد من الاختصاصيين النفسيين العالميين رفض الاعتراف بمفهوم روجرز للذات وذلك بسبب طرقه التي استخدمها في البحوث. النزعات إلى إخفاء المعلومات أو إلى إعطاء معلومات اجتماعية مقبولة موجودة في التقارير الذاتية. وعلى كل حال، فنحن عندما نكون مدركين لهذه النزعات تجاه الأخطاء، فنحن نستطيع اتخاذ بعض الخطوات لتجنبها وعلى هذا النحو، فالاستبطان لا يختلف عن أي طريقة علمية أخرى. التأمل الظاهري قابل للكثير من الأخطاء أيضاً حيث أن أعضاء الحواس قد تكون ناقصة أو مضللة.

الاختصاصيون النفسيون عرفوا ولمدة طويلة بأن هناك تقابل وتلاق تام بين المثير وبين إدراكنا للعالم. التأمل الباطني لا يتضمن الحواس إلى الحد الذي نراها في التأمل الظاهري ولكن مع ذلك فهذه الحواس قد تكون صادقة وموثوق بها إلى حد كبير. فتأكيد روجرز على التأمل الباطني تصحيح مفيد للتركيز على التأمل الظاهري الذي ميز علم النفس الأمريكي منذ جون واطسون.

لكن مع كل ذلك فهناك انتقاد رئيسي لوضع روجرز مبنى على مفهوم بسيط للعلم الظاهراتي لا يعكس فهماً متطوراً لتعقيدات العمليات التي تشكل أساساً تحتياً للوعي الإنساني. هذه الظاهراتية لا تأخذ في الحسبان التركيبات المعرفية الفجة للطفل وعجزه عن عمل تمييز واضح من المشاعر والتصرفات! إن الافتراض بأن الشخص هو المصدر الأكثر أهمية لجمع المعلومات عن ذاته لأنه هو الشخص الوحيد الذي يعي بالتمام خبراته، معناه التقليل من عدد مرات تنكر الكائنات البشرية أو تشويهها لحقيقة ذاتهم. إذن عدد منا يبدو ميالاً لخداع الذات بدلاً من فهمها.

على الرغم من أن روجرز يعترف بأن هناك خبرات قد يكون الشخص غير واع لها من خلال عمليات التشويه أو التنكر لكنه مع ذلك لا يؤمن بأن الكبت أمر لا مفر منه. تحت الظروف المناسبة من التقدير الإيجابي المطلق. روجرز يرى أن الكبت يمكن اجتنابه وأن جو القبول ملائم لرفع أو إزالة الكبت. النقاد يرون أن هذا الاعتقاد ساذج وروجرز بهذا القول أو الاعتقاد يفشل في الاعتراف بقوة وكثافة القوى اللاشعورية.

فلكي تسمح للعميل بأن يقول ببساطة ما يريد قد يكون معناه أبدية أو استمرارية عملية خداع الذات فإذا لم يسمح للشخص بقول ما يخطر بباله، فهو قد يتجنب ببساطة تلك الموضوعات المؤلمة، الموضوعات التي لا يريد الكشف عنها والتي قد تكون هي محور الصعوبة وتحليلها قد يعمق دفاعاتنا. بالتأكيد، فمناقشة الموضوعات المؤلمة يعتبر بمثابة تهديد ولكن مقداراً معيناً من هذا التهديد قد يكون ضرورياً في العلاج النفسي بتجديد وتنشيط الظروف الأصلية التي أدت إلى الكبت وبالتالي يسمح للقوى اللاشعورية بدخول منطقة الشعور في هذا الصدد! كما أن افتراضات روجرز الفلسفية ينقصها التعمق.

من جانب آخر، دراسة روجرز الأمبيريقية المتأنية للعملية العلاجية تلقي بعض الضوء على ظاهرة وممارسة العلاج. فالبحث العلمي ساعدنا في توضيح أنواع المواقف والعلاقات وهي كلها أمور تفضي إلى التعبير. مناقشة روجرز لاتجاه المعالج المتعلق بالقبول يعتبر تصحيحاً مساعداً لتأكيدات فرويد المفرطة على موضوع التحويل أو الطرح.

إن تغيير الشخصية ينشأ من خلال إقامة علاقة شخصية حقيقية بين المعالج والعميل. روجرز بتشجيعه الباحثين على تقييم ومناقشة صدق نظرياته من الناحية العملية سهل تطوير ونمو أساليب العلاج المتمركز حول العميل، فهو إلى حد كبير مسؤول عن نمو وقبول العلاج النفسي خلال الستينات على وجه الخصوص.

روجرز انتقد بشدة التطبيقات الفلسفية والاجتماعية لعلم السلوك المتحجر، مثل ذلك ما يقترحه سكنر، والذي استغل التطور التكنولوجي للتحكم في السلوك الإنساني، فروجرز يؤمن بأن ذلك النوع من المجتمع سيهدم صفتنا الشخصية، فهو

يعترف بأن العالم قدم لنا القوة والسلطة للتعديل والتغيير ولكن نحن لابد وأن نعدل معتمدين على أساس من الأهداف المحددة. الطريقة العلمية لا تستطيع تكوين الأهداف، فهي فقط تستطيع اختبار الفرضيات التي قد تكون مفيدة. الفرضيات تعكس نظام القيم عند العالم، فإذا نحن قيمنا القدرة على التحكم في الناس الآخرين، فمعنى ذلك ان التكنولوجيا العلمية التي لدينا لا تستطيع اطلاعنا على كيفية تحقيق هذا الهدف. من جانب آخر، لو أننا قيمنا حرية وإبداع الفرد، فمعناه أن التكنولوجيا العلمية قد تستطيع تسهيل هذه الغايات أيضاً. إن الاختلاف الجوهري بين المذهب السلوكي والمذهب الإنساني هو الخيار الفلسفي فكل خيار يؤدي إلى موضوعات مختلفة من البحث وطرقاً متعددة من الصدق.

روجرز يرى أننا نحتاج إلى الوضوح فيما يتعلق بالأهداف التي يريد علماؤنا ومفكرونا تحقيقها أو يعملوا لخدمتها ! روجرز ، درس التنبوئية في العملية العلاجية ليس بقصد السيطرة والتحكم في سلوك العميل ولكن لمساعدته ليكون أقل تنبوئية وأكثر حرية ومسؤولية وعفوية.

نظرية روجرز تحقق رغبات من يكره النظرة الحتمية التشاؤمية مع التحليل النفسي والنظرة الاختزالية في السلوكية، فعدد من الاختصاصيين النفسيين قد رحبوا بإعادته التركيز على أهمية الذاتية والإدراك في تحديد السلوك. أساليبه العلاجية لقيت ترحيباً وذيوعاً واسعاً وكيفت لتناسب مجالات التعليم والصناعة والبرامج الاجتماعية. إضافة لكل ذلك، فنظرية روجرز أثارت ودفعت بالكثير إلى إجراء البحوث والدراسات خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الذات وعملية العلاج النفسي. تركيز روجرز على الطاقات الكامنة والحرية الإنسانية زودنا ببديل مثير وجذاب للنظريات التي تؤكد بأننا وإلى حد كبير مقيدين بقوى لا شعورية وخارجية. نظرية روجرز لقيت ترحيباً وقبولاً منقطع النظير عند أولئك الذين يشاركونه في فلسفته الإنسانية التفاؤلية حول الكائن البشري.

ملخص:

(١) روجرز عاد ليؤكد أن الذات تركيب وبناء مفيد لفهم الشخصية وذلك بتقديمها كفكرة علمية.

(٢) نظرية روجرز الإنسانية متأثرة بعلم الظاهرات الذي يؤكد على أن المهم ليس الشيء أو الحدث ذاته ولكن كيف يدرك وينظر له. في علم النفس هذا يعني تركيز على الوعي الإنساني والقناعة بأن أفضل صورة لفهم الفرد هي ما يدركه ويفهمه الفرد نفسه.

(٣) المجال الظاهراتي ينسب إلى المجموع الكلي للخبرات التي لدى الكائن أما تحقيق الذات فهو الديناميكية داخل الكائن والتي تؤدي به إلى تحقيق ذاته وتعزيز طاقاته. الانفعالات تصاحب وتسهل عملية تحقيق الذات والنمو الشخصي أما الكبت فهو ليس ضرورياً من وجهة نظر روجرز.

(٤) حالة من الانسجام تظهر عندما تكون خبرات الشخص الرمزية تعكس خبراته الفعلية أما عندما يكون هناك تنكر وتشويه في الرمزية فمعنى ذلك وجود حالة من التنافر أو عدم الانسجام.

(٥) الطفل الصغير لديه حاجة قوية للتقدير الإيجابي. مثالياً، التقدير الإيجابي غير مشروط إلا إذا كان متوقفاً على سلوكيات معينة فهو يصبح تقديرا إيجابياً مشروطاً ويضع شروطاً للقيمة قد تقود الطفل إلى التوحد أو التشرب ببعض قيم الآخرين ويصبح بالتالي غير منسجم أو متنافر.

(٦) اشتهر روجرز بطريقته العلاجية (العلاج الممركز حول العميل) فهو يؤمن بأن هناك ثلاثة اتجاهات ضرورية وكافية في العلاج لكي نتمكن من إحداث التغيير المنشود وهي:

١ ـ التعايش العاطفي.
٢ ـ القبول.
٣ ـ الواقعية أو المصداقية في القول والفعل.

(٧) روجرز يميز بين خمس استجابات مختلفة للاتصالات الانفعالية هي:

١ ـ التعمقية.
٢ ـ التقيمية.
٣ ـ التأويلية.

٤ ـ التطمينية.

٥ ـ الانعكاسية.

كل واحدة من هذه الاستجابات لها تأثيرات مختلفة وإن كان روجرز يشجع عملية تهذيب الاستجابة الانعكاسية.

⑧ العلاج الممركز حول العميل يميل إلى كونه علاجاً تدعيمياً وليس إعادة بناء أو علاجاً متعمقاً مكثفاً. في كتاباته الأخيرة، روجرز أكد على الحاجة إلى تواجد وحضور المعالج كشخص في العلاقة وأظهر ميلاً أكبر إلى العلاج الجماعي والتغيير الاجتماعي، كما شجع الاختبار الأمبيريقي لنظرياته وطور طرقاً لتقييم وتوقع التغير العلاجي.

⑨ بناء على مرئيات روجرز الشخص الذي يؤدي ويوظف طاقاته كاملة يتميز بالانفتاح على الخبرات والعيش الوجودي والثقة التامة والحرية التجريبية والإبداع.

⑩ روجرز ميز بأناة بين افتراضاته الفلسفية وفرضياته العلمية. فانتقد وجهة نظر سكنر العلمية وأهدافه في التحكم في السلوك الإنساني بدلاً من زيادة حرية الإنسان ومسؤولياته وعفويته. كما أشار إلى أن التكنولوجيا يفترض الاستفادة منها في تهيئة وتقويم وتحقيق أهداف مختلفة. انتقد روجرز لاتخاذه موقفاً يعتمد على العلم الظاهراتي المبسط وامتداحه لهذا العلم الذي يعتقد أنه يزيد من فهمنا للعلاقات الشخصية المتبادلة. دراسة روجرز المتأنية والإمبيريقية للعملية العلاجية تلقي ببعض الضوء على ظاهرة العلاج.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Carl Rogers is a lucid writer whose works are relatively easy for the lay person to understand. In Counseling and Psychotherapy (Houghton Mifflin, 1942), Rogers first introduced his nondirective therapy technique, gave examples, and compared it with other therapeutic methods. Client - Centered Therapy (Houghton Mifflin, 1942) reflects the change in name

Rogers gave his technique in order to focus attention on the client as the center of the therapeutic process. This book discusses the practice and implications of client - centered therapy and also describes his theory of personality and behavior. With Rosaling Dymond. Carl Rogers edited Psychotherapy and Personality Change (University of Chicago Press, 1954), which presents thirteen empirical studies investigating hypotheses that arose out of the client - centered aproach. In a group of significant articles organized into the book On Becoming a Person (Houghton Mifflin, 1961), Rogers describes his own experiences as a therapist, his view of the fully functioning person, the place of research in psychotherapy and its implications for education, family life, and group functions. Also included is Rogers's critique of B. F. Skinner. Freedom to Learn (Charles E. Merrill, 1969) discusses ways of making classroom learning more relevant and meaningful to students. Rogers explains how the atmosphere that makes learning effective is similar to those attitudes that are conducive to personality change in therapy. A Way of Being (Houghton Mifflin, 1980) describes the changes that occurred in Rogers's life and thought during the 1970s.

Summaries of Rogers's own research may be found in a book edited by him, The Therapeutic relationship Rogers and Dymond book mentioned above. For a discussion of the research generated by self - theory, the reader is referred to R. Wylie's chapter on «The Present Status of Self - Theory» in E. F. Borgotta and W. W. Lambert, Handbook of Personality and Research (Rand McNally, 1968) and his book The Self - Concept (University of Nebraska Press, 1974, 1978), as well as D. N. Aspy, Toward a Technology for Humanizing Education (Research Press, 1972) and R. Taush's article «Facilitative dimensions in interpersonal relations: Verifying the theoretical assumptions of Carl Rogers», College Student Journal, 1978, 12 (1).

الفصل الثالث عشر

نظرية تحقيق الذات : أبراهام مازلو

Abraham Maslow: Theory of Self-Actualization

أهداف الفصل.

١ ـ شرح أسباب نقد مازلو لنظريتي التحليل النفسي والسلوكية .

٢ ـ التمييز بين الدافع ، والدافع الأسمى (Metamotivation)، حاجات (D) وحاجات (B) مع الإشارة إلى أهمية هذه الفروق.

٣ ـ وصف هرم مازلو في الحاجات الإنسانية مع تحديد الدراسات التى ترى أن الحاجات ضرورية للحياة والتطور الإنساني المثالي .

٤ ـ وصف دراسة مازلو لالأشخاص الذين حققوا ذواتهم .

٥ ـ تحديد أربعة أبعاد رئيسية للأشخاص الذين حققوا ذواتهم مع وصف لخصائص كل بعد .

٦ ـ شرح ما المقصود بمصطلح الخبرة الذروة (Peak Experience) وإعطاء أمثلة على ذلك.

٧ ـ وصف بعض من الاعتقادات التي وجهت إلى آراء مازلو في الشخص الذي حقق ذاته .

٨ ـ التمييز بين علاج الحاجات الأساسية والعلاج التبصيري والإشارة إلى المعايير التي يعتقد مازلو في أهميتها وضرورتها للعلاج المؤثر والفعال.

٩ ـ تقييم نظرية مازلو فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

يعتبر مازلو الأب الروحي للمذهب الإنساني الأمريكي فهو يعتبر علم النفس الإنساني قوة ثالثة جنباً إلى جنب مع المدرسة التحليلية والسلوكية. انتقد مازلو المدرسة السلوكية والمذهب التحليلي النفسي لأنهما وضعا تصورات تشاؤمية ونظرات سلبية محددة حول الطبيعة الإنسانية .

إن تركيز مدرسة التحليل النفسي على دراسة العصابيين والمضطربين نفسياً فقط، يؤدي من وجهة نظر مازلو إلى تكوين علم نفسي عصابي مشلول. كما يرى أن دراسة السلوك والطبيعة كآلة أسلوب أو سمة للمدرسة السلوكية ولا يمكن معه فهم الشخص بالكامل! مازلو قدم وجهات نظره وآرائه لتكون بمثابة تتمة لهاتين المدرستين أو القوتين وليست كبديل لهما، لأنه لا ينكر المساهمات التي قدمتها هاتين المدرستين، لكنه يؤمن بأن صورة الطبيعة البشرية تحتاج إلى مزيد من الوضوح والدقة. لقد ركز مازلو على البحث عن الجانب الإيجابي للطبيعة الإنسانية وأبدى عدم اهتمامه وحرصه على الكشف عن تلك الجوانب السلبية في الشخصية لأن الجانب المضيء في الطبيعة الإنسانية من وجهة نظر مازلو مؤكد وموجود في مفهوم الشخص الذي حقق ذاته.

حياته الخاصة:

ولد مازلو في عام ١٩٠٨ في بروكلين في أحد الأحياء اليهودية بمدينة نيويورك حيث كان هو الأكبر بين اخوانه السبعة! والداه تركا روسيا في هجرتهم إلى الولايات المتحدة حيث تحسنت أوضاعهم الاقتصادية لينتقلوا بعد ذلك إلى حي لا يوجد فيه من اليهود غيرهم والتى صارت هدفاً لأولئك الذين يعادون السامية. هذه الظروف أجبرت مازلو على العيش في عزله بدون أصدقاء أو أصحاب وكان يقضي معظم وقته في الاطلاع والقراءة والدرس فلقد كان لطموح والده الكبير تأثيره على أبنائه حيث غرس فيهم الرغبة الجادة في النجاح والتقدم والتحصيل. في مقتبل عمره كان مازلو يوزع الصحف لصالح شركة والده والتي صارت فيما بعد إحدى الشركات العالمية المعروفة. مازلو لم يكن قريباً من والدته - بل انه كان يتهمها أو يعتقد بإصابتها بمرض الفصام ويستغرب كيف نجح هو في حياته على الرغم من طفولته التعيسة!. لقد كان خاله هو أقرب الناس إليه والذي كان مخلصاً ولطيفاً، يقضي مع أبراهام وقتاً طويلاً وقد يكون له الفضل في استقرار مازلو الذهني. لقد كان والد مازلو يصر على أن يتخصص أو يدرس ابنه القانون على الرغم من عدم رغبة الإبن في هذا التخصص أو ميله إليه. لذلك لم يوفق في دراسته وترك نيويورك ليلتحق بجامعة ويسكانسن حيث تأثر في البداية بمبادىء المدرسة السلوكية والتي

اعتقد آنذاك أنها طريقة عملية لتطوير المجتمع. هناك مازلو عمل أيضاً مساعداً للعالم (وليام شيلدون) كما أجرى بعض البحوث والدراسات على الحيوانات من القرود مع الباحث المشهور (هاري هارلو) حتى وصل به الأمر إلى كتابة بحث الدكتوراه في موضوع الخصائص الجنسية والتسلطية للقرود! بعد حصول مازلو على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٤ عمل مساعداً للمفكر (أدوين ثورندايك) في كلية بروكلين. خلال تواجده هناك سنحت له الفرصة لمقابلة عدد من الأطباء والاختصاصيين النفسيين الفارين من غائلة النازية أمثال (وير تهايمر) أحد رواد مدرسة الجشطلت، وإيريك فروم وكيرين هورني وفيما بعد الفرد أولر - وكذلك الأنثروبولوجت روث بنيديكت والذي تأثر مازلو بأفكاره إلى حد كبير.

تحت هذه الظروف ووسط هذه المتغيرات، بدأ مازلو في تغيير نظرته عن المذهب السلوكي كما أن ميلاد ابنته الأولى، حسب قوله، هو الشيء الوحيد الذي حدد الأمور ووضعها في نصابها لينهي بعد ذلك وإلى الأبد علاقته بالمدرسة السلوكية، فكل تجاربه على القرود والقطط والفئران لم تساعده في فهم لغز الطفولة الإنسانية، فنظرته للمثير والاستجابة يمكن أن تشرح ما يحدث في المختبر أو تتم ملاحظته هناك ولكن لا يمكن الاعتماد عليها عندما يتعلق الأمر بالتجربة الإنسانية. كذلك كان لظروف الحرب العالمية الثانية وما خلفته من ويلات ومحن أثره الكبير في حمله على التفكير في الشخصية الإنسانية بصورة أشمل وأعمق في محاولة منه لتحسينها وتطويرها. بعد أن قضى أبراهام مازلو أربعة عشر عاماً في بروكلين وبالتحديد في عام ١٩٥١ توجه إلى جامعة برانديس حيث بقي هناك معزولاً على الرغم من شهرته كعالم نفسي. توفي مازلو في عام ١٩٧٠.

الدافع الإنساني والنظرية الهرمية:

يعتقد مازلو أن الكائنات البشرية تهتم بموضوع النمو بدلاً من عملها على تجنب الإحباطات أو إعادة التوازن، فهو يصف الكائن البشري بأنه حيوان يرغب في تحقيق شيء ما، وحقيقة الأمر هنا أن تحقيق رغبة إنسانية أو إشباعها يعني ظهور حاجة أخرى تحل محلها، إذن فالإنسان في بحثه عن تحقيق ذاته يسعى أو يتحرك - قدماً نحو السعادة والرضى.

مازلو يميز بين مجموعتين من النزعات هما: ١ ـ الدافع (Motivation). ٢ ـ الدافع الأسمي (Metamotivation)! فالدافع يسعى إلى تخفيض التوتر وذلك بالعمل على إرضاء حالات النقص لذلك نراها تتضمن حالات العجز (Deficiency Needs) أو حاجات (D) والتي تظهر في الغالب عند حاجة الكائن إلى البقاء الطبيعي أو الأمن مثل الحاجة للأكل والمشرب والسكنى والراحة. أما الدافع الأسمى فينسب إلى نزعات النمو لذلك فهي تتضمن حاجات الكينونة أو حاجات (B) (Being Needs) وهي تظهر من دافع الكائن إلى تحقيق ذاته أو طاقاته المتأصلة. إن حاجات (B) لا تخرج عن عجز أو نقص، بل على الأصح، فهي تدفع بالفرد إلى الأمام بقصد الوصول إلى تحقيق لذاته وتعزيز لحياته لتصبح حياة غنية وثرية معنوياً واجتماعياً. من المؤكد أن حاجات (B) لا تخفض من التوتر ولكنها تزيده من خلال البحث المتواصل عن حياة ومعيشة أفضل. كذلك فإن حاجات (D) يجب أن تحقق أو تشبع أولاً، ويمكن تصنيف هذه الحاجات أو ترتيبها في شكل هرمي حيث لا بد من إشباع الحاجات الموجودة في أسفل الهرم قبل أن نسعى لإشباع وتحقيق تلك الحاجات التى تعتلي قمته! في هذا التصنيف الهرمي مازلو وصف خمس حاجات رئيسية رتبت حسب درجة قوتها على النحو التالي:

١ ـ الحاجات الفسيولوجية: Physiological Needs.

٢ ـ الحاجات الأمنية: Safety Needs.

٣ ـ حاجات التبعية والحب: Belong and love Needs

٤ ـ حاجات الاحترام والتقدير الذاتي: Self - Esteem Needs

٥ ـ حاجات تحقيق الذات: Self - actualization Needs

هرم الحاجات

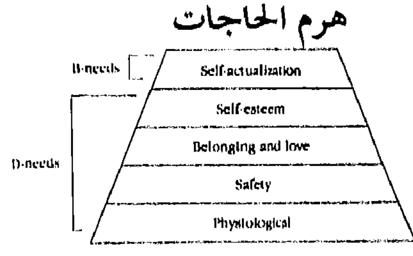


Figure 14.1 *Maslow's Hierarchy of Needs*
Maslow suggests that human needs may be conceived of as arranged in a hierarchy in which the needs that stand at the bottom must be satisfied before those at the top can be fulfilled

كل حاجة في المستوى الأدنى يجب إشباعها قبل أن يدرك الفرد حاجات جديدة أو تكون لديه قدرة واستعداد على تحقيق حاجات أعلى. عندما يشبع الفرد حاجة من هذه الحاجات، نجد الحاجة التالية تتطور وتكتسب أهمية وشأناً. بعض الأشخاص وبسبب ظروفهم الصعبة يجدون صعوبة في إرضاء حتى الحاجات الدنيا ولكن المؤكد أن الشخص كل ما كان قادراً على تحقيق حاجات أعلى فمعنى ذلك أنه سيكون في صحة نفسية أفضل وسيبرهن على تحقيق ذاته.

(١) الحاجات الفسيولوجية:

وهذه الحاجات تعتبر أقوى الحاجات لارتباطها بالبقاء والمحافظة على النوع أو الكائن البشري وتشمل حاجات مثل الأكل والمشرب والنوم والأوكسجين والمأوى والجنس.. الخ. فالشخص الذي يعاني من عدم توفر الطعام أو المجاعة لن تكون لديه رغبة أخرى عدا الحصول على ما يسد رمقه ويبقيه على قيد الحياة.

(٢) حاجات الأمن:

وتنسب إلى متطلبات الكائن وتطلعه إلى عالم منظم ثابت ومستقر يسهل التنبؤ بما فيه من متغيرات أو تطورات حيث أن ذلك يكفل للفرد الشعور بالأمان والاطمئنان. معظم الراشدين من الناس العاديين يكونون قد أشبعوا هذه الحاجات ولكن يمكن ملاحظة هذه الحاجات لدى الأطفال العصابيين فالطفل الاتكالي والضعيف يفضل حداً معيناً من الروتين والانتظام لأن غياب هذه العناصر أو المتغيرات يجلب له القلق والاضطراب وعدم الثقة فيمن حوله. كما أن منح الطفل حرية أكثر من اللازم تعتبر بمثابة تهديد لشخصه لأنه لا يعرف ماذا يعمل بها، لذلك ترى العصابي يتصرف دائماً كالطفل الذي لا يشعر بالأمان والاطمئنان فينظم عالمه بالقوة ويتجنب الخبرات الغريبة والمختلفة.

(٣) حاجات التبعية والحب:

عندما تتحقق حاجات الأمن، تظهر الحاجة إلى التبعية والود حيث يبحث الفرد ويسعى لتكوين علاقات ودية عاطفية ووجدانية مع الآخرين. أيضاً فلا بد من شعوره بأنه جزء من مجموعات مرجعية مختلفة كالعائلة والحي والعصبة والتنظيم أو

الجمعية المهنية والتي تزوده بالقيم والمبادىء الضرورية.

لقد أظهرت الدراسات الأكلينيكية أهمية هذه الحاجات فغياب الحب يعطل النمو لذلك فهو ضروري للحياة مثله مثل الطعام، فأولئك الذين لا يحصلون على الحب المطلوب لن يكون بمقدورهم منح أو إعطاء الحب للآخرين عندما يصبحون أشخاصاً بالغين. مازلو لم يحدد أو يقرن الحب بالجنس كما فعل فرويد عندما قال إن الحب مشتق من الجنس.

٤ حاجات الاحترام الذاتي:

وصف مازلو نوعين من حاجات الاحترام الذاتي هما:

١ ـ الحاجة إلى الاحترام والتقدير من الآخرين.

٢ ـ الحاجة إلى الاحترام والتقدير الذاتي.

وهذا الآخر يتضمن الكفاءة والثقة والإجادة والاستقلالية والتحصيل والحرية، في حين ينطوي الاحترام من الآخرين على الاعتراف والقبول والمكانة الاجتماعية المناسبة. عندما يفشل الفرد في تحقيق هذه الحاجات يشعر بالانهزامية والضعف والنقص.

إذن فالحاجة إلى الاحترام من الآخرين تتضاءل مع مرور الزمن أو مع كبر السن لأنها قد أشبعت وتبقى الحاجة إلى الاحترام والتقدير الذاتي هي الأكثر أهمية.

٥ حاجات التحقيق الذاتي:

عندما نشبع الحاجات السابقة تظهر حاجات تتعلق ببحث الفرد عن تحقيق ذاته والتي يصعب وصفها لأنها فريدة وتتباين من شخص لآخر إذن فتحقيق الذات ينسب إلى الرغبة في تحقيق أو إشباع قوى الفرد الكامنة والعليا، فإذا لم يستخدم الفرد إمكاناته ويستغل مواهبه فسيقضي عمره في قلق وامتعاض غير مرتاح البال. مازلو يرى أنه من الواجب علينا فتح المجال للموسيقي لكي يغني وللرسام أن يرسم إذا أردنا له العيش في سلام مع نفسه. إذن فهناك عدة شروط أولية ضرورية لا بد

من توفرها لكي يحقق الفرد ذاته وهي:

١ ـ ألا يكون الفرد مشغول البال بالحاجات الفسيولوجية والأمنية.

٢ ـ لا بد أن يشعر الفرد بالأمان في علاقاته مع الآخرين وبالثقة والاطمئنان في ذاته.

٣ ـ المعرفة الذاتية لا بد من توفرها حتى يدرك الشخص قدراته وإمكاناته فعندما يتقدم الفرد في الهرم يبدأ اهتمامه يقل بحاجات (D) ويبدأ في التركيز على حاجات (B) وهي كما ذكرنا حاجات نمو وكينونة مثل التكامل والعدل والحيوية والغنى والبساطة والجمال والجدية والطيبة والمرح والاكتفاء الذاتي.

لقد أظهرت دراسات عديدة تم إجراؤها على الأطفال الموجودين في المؤسسات الاجتماعية كدور التوجيه والتربية والتأهيل الاجتماعي والذين لم يوفر لهم حباً مناسباً لا ينمون بصورة طبيعية رغم أنه قد تم إشباع حاجاتهم الأولية أو الفسيولوجية بصورة جيدة ومنظمة، من هنا نرى مازلو يؤكد على أن أولئك الأفراد الذين يشبعون حاجاتهم الأساسية هم أكثر سعادة وصحة وفاعلية من أولئك الذين أحبطت حاجاتهم أو ثبطت مما يجعلهم يظهرون أعراضاً للاضطرابات العصابية.

دراسة الأشخاص الذين حققوا ذواتهم:

عرف عن مازلو اهتمامه بعمل دراسات وبحوث تتعلق بالأشخاص الأصحاء والعاديين لا المضطربين والعصابيين، فلقد قام بعمل دراسة مكثفة ويعتبرها خاصة أيضاً، تتضمن بحثاً في شخصيات أولئك الأفراد الذين حققوا ذواتهم حسب اعتقاده. هؤلاء الأشخاص الذين اختارهم مازلو يمثلون مجموعة من الأصدقاء وبعض المشاهير ممن لا زالوا على قيد الحياة أو من الراحلين عنها مثل أبراهام لنكولن، وتوماس جيفرسون وروزفلت وألبرت إينشتاين وألبرت سكوثيزر. في دراسته المبدئية لثلاثة آلاف طالب جامعي، وجد مازلو واحداً فقط يمكن أن تنطبق عليه مواصفات الشخص المحقق لذاته، ولكن مازلو يفترض أن نزعات تحقيق الذات من المحتمل أنها تزداد مع مرور الوقت وكبر السن، فلقد قسم أفراد دراسته إلى مجموعات وقام بدراسة الخصائص الشخصية لكل مجموعة على حدة مما أتاح

له فرصة تطوير مفهوم أو تعريف الصحة النفسية.

أساليب البحث والدراسة:

في هذه الدراسات استخدم مازلو أساليب متعددة، ففي تعامله أو دراسته للأفراد القدامى أو المتوفين عمد إلى تحليل سيرهم الذاتية والسجلات المكتوبة عنهم أما الأشخاص الذين لا زالوا على قيد الحياة فاستخدم معهم المقابلات الطويلة وبعض الاختبارات النفسية مثل مقياس رورشاخ وتفهم الموضوع بالإضافة إلى ما كونه مازلو من انطباعات عن أصدقائه وبعض المقربين منه من زملاء المهنة أو التخصص! إن ما قام به مازلو لا يعد دراسة علمية بمقاييس المختبرات والبحوث وهو يعترف بذلك، فالوصف الذي حدده لأولئك الأفراد الذين حققوا ذواتهم يعتبر تعريفاً أو تحديداً ذاتياً لا يوجد له معايير علمية فهو إذن في مجمل أعماله في هذا الخصوص، قدم معلوماته وإحصائياته وبياناته كملاحظات مبدئية ومحاولات جادة لدراسة الصحة مقابل العصاب على أمل أن تسمح الدراسات المستقبلية له أو لغيره بالحصول أو الوصول إلى تصورات ومعلومات تدحض أو تؤكد صحة معتقداته وفرضياته أو بطلانها.

خصائص الشخص الذي حقق ذاته:

لخص مازلو مجموعة من الخصائص للأشخاص الذين حققوا ذواتهم من خلال ما قام به من دراسات جمعها أو ضمها تحت أربعة مصطلحات أو أبعاد هي:

١ ـ الوعي.

٢ ـ الأمانة.

٣ ـ الحرية.

٤ ـ الثقة.

حيث يتضمن الوعي، إدراك الأشخاص لقدراتهم وإمكانياتهم وما يخالج دواخلهم وذواتهم مع توفر رؤية دقيقة وتصورات واضحة عن العالم من حولهم ومدى ارتياحهم فيه. إن العصابيين لا يرون العالم بوضوح كما يراه الأشخاص

الأصحاء، إذن فالفرق بين الصحة والمرض يبدو من وجهة نظر مازلو فارقاً معرفياً بالإضافة إلى الفارق الانفعالي. الذين حققوا ذواتهم يظهرون تقديراً حقيقياً للأسس التي تشكل الحياة الهنيئة فهم على الدوام انفتاحيون يقبلون بالخبرات الجديدة ويدعون أو يفسحون المجال لكل خبرة لتتحدث عن نفسها.

لقد تحدث مازلو وأسهب في موضوع (خبرة الذروة) (Peak Experience) والتي يعني بها تكثيف ملحوظ لخبرة ما إلى الحد الذي يجعلها تصل إلى مرحلة السمو (Transcendence) فالأحداث التي قد تبدو عادية بالنسبة للآخرين كالنظر إلى عمل فني معين يمكن أن يكون بمثابة الشرارة التي تثير أو توقد الخبرة الذروة.

خلال تجربة الفرد أو مروره بالخبرة الذروة يشعر بالقيمة الذاتية لوجوده وكيانه. كل الناس لديهم إمكانية الخبرة الذروة ولكنهم يقمعونها لأنهم ببساطة لا يدركونها عند الظهور ولا يعرفون التعامل معها.

كذلك هؤلاء الذين يحققون ذواتهم لديهم وعي أخلاقي يستطيعون بواسطته التفريق أو التمييز بين الطيب والردي ولهم معاييرهم الأخلاقية والتي ليست بالضرورة تلك المعايير التقليدية المتعارف عليها، بل على الأصح، هم يعرفون الصح من الخطأ في العمل الذي يقومون به - كما يمكن القول بأن هؤلاء الأشخاص يركزون على تحقيق الغايات لا على الوسائل فنجدهم يرون الغايات في الأنشطة التي هي ببساطة وسائل بالنسبة للآخرين.

٢ - الأمانة والصراحة:

تسمح الأمانة لأولئك الذين حققوا ذواتهم بمعرفة مشاعرهم والثقة فيها وهي المشاعر التي تولدها العلاقات الشخصية التبادلية. أيضاً يلاحظ أن النكت والطرف العادية والمألوفة لا تضحك هؤلاء الأشخاص وإنما نجد أن طرائفهم لها علاقة بالفلسفة،كما تتسم الدعابة والطرف عندهم بالعفوية وعدم التصنع . الأفراد الذين حققوا ذواتهم يمرون بخبرة الميول الاجتماعية أو الإحساس العميق بالرابطة الإنسانية . هنا نرى مازلو وقد استعار مصطلح الميول الاجتماعية من أدلر - هؤلاء الأشخاص يكونون علاقات شخصية طويلة وقوية ولكنها محدودة وانتقائية لذلك تجد

لديهم مجموعة صغيرة من الأصدقاء. أما ما يتعلق بردود فعلهم فهي توجه دائماً نحو سلوك الشخص لا الشخص نفسه فحبهم وتقديرهم لا تمييز فيه، بل تظهر عليهم سمات الشخصية الديمقراطية فهم متحررون من التحيز الشخصي أو التفرقة العنصرية يقبلون بكل الناس بغض النظر عن خلفيتهم الدينية أو العرقية أو الجنسية، يستمعون ويتعلمون من كل من لديه قدرة على تعليمهم وتزويدهم بما يفيد وينفع.

٣ ـ الحرية:

يمر الأشخاص الذين حققوا ذواتهم بدرجات عالية من الحرية تسمح لهم بالانفصال أو الابتعاد عن القوى المحيطة بالآخرين حيث يتمتعون بحرية الإبداع والعفوية ـ والاستقلالية علاوة على الخصوصية والابتعاد عن الازدحامات البشرية. هذا الانفصال يساعدهم على التركيز أكثر من الأشخاص العاديين، ففي حين نرى بعضاً من الناس يثورون وينفعلون ويتدخلون في أشياء عديدة لا تخصهم نجد الأفراد الذين حققوا ذواتهم يترفعون عن مثل هذه الأمور ولا يضعون أنفسهم في مواقف لا تناسب مقامهم بل نجدهم يلزمون طابع الهدوء والسكينة. كما نرى هؤلاء الأشخاص يفتحون المجال للآخرين للتعبير عما يدور في مخيلتهم ويتعاملون مع أطفالهم بهذه الطريقة أو الأسلوب فلا يتدخلون بطريقة تسلطية أو استفزازية في قرارات أولادهم ورغباتهم.

٤ ـ الثقة:

يتمتع الأفراد الذين حققوا ذواتهم بثقتهم الكبيرة في أنفسهم وقدراتهم ورسالتهم في هذه الحياة فنجدهم يتفاعلون مع الآخرين عندما تكون لهم مهام معينة يسعون لتحقيقها ويظهرون قبولاً بالآخرين فهم يدركون عيوبهم ولا يتضايقون منها بل يقبلون بها فهازلو يرى أن هؤلاء الأشخاص ليسوا كاملين بل على العكس فإن لهم عادات سخيفة وطباع غير معقولة أو مقبولة. كذلك يتسم هؤلاء بالمزاجية والانشغال الذهني الدائم كما أن تركيزهم على الجدية في العمل مثلاً يجعلهم يظهرون للآخرين بشكل غير لائق أو تنقصهم معرفة بمهارات اللياقة الأدبية وأصول الظُرْف.

أخيراً مازلو يقرر أن هؤلاء الذين حققوا ذواتهم لديهم القدرة على تجاوز ما

نراه نحن تبايناً أو تناقضاً كجدلية الفرق بين العقل والبدن والبيئة والوراثة والحتمية والحرية أو القلب والعقل. . . الخ.

تعليقات مازلو على العلاج:

مازلو لم يمارس العلاج النفسي لذلك لم يطور نظرية ولا طريقة جديدة فيه، لكن كانت له بعض الملاحظات والتعليقات الجيدة والتي تستحق الإشادة والإشارة لها، فلقد عمل تمييزاً بين علاج الحاجات الأساسية وعلاج البصيرة. ففي علاج الحاجات الأساسية نرى مازلو يؤكد على الإجراءات العلاجية التي تحقق الحاجات الرئيسية للناس كالحاجة إلى الأمن والحب والتبعية والتقدير. أما العلاج التبصيري فينسب إلى تلك المحاولات العميقة والجادة لفهم الذات والتي تؤدي إلى تغيرات طويلة المدى.

الحاجات الإنسانية الأساسية يمكن إرضاؤها فقط بواسطة كائنات إنسانية أخرى فالفرد لا يستطيع إرضاء أو إشباع هذه الحاجات بنفسه.

هاري هارلو في تجاربه على القردة برهن على أهمية الأمومة ودرجة الارتياح العاطفي الذي يجده الرضيع عندما يرتمي في أحضان أمه. فلقد استنتج هارلو أن القرود الصغيرة والتي تحرم من عاطفة الأمومة تفشل في التطور أو النمو بطريقة طبيعية. إن فقدان الأم من حياة الطفل خصوصاً في السنة الأولى يحرمه من أشياء وجدانية كثيرة ويعوضها الرضيع مضطراً بأشياء غير طبيعية. إذن فتطوير الطفل لرباط قوي من العلاقة مع الأفراد المهمين في عائلته ومدرسته يساعده ويعده لإقامة علاقة شخصية تبادلية فيما بعد يسودها الحب والثقة والأمان لأن من يعوزه الحب وتطغى عليه مشاعر الفتور لا يمكنه أن يعطيه للآخرين، ففاقد الشيء لا يعطيه.

إذن فالمعيار الرئيسي للعلاج من وجهة نظر مازلو، يقوم على العلاقة بين الكائنات البشرية. مازلو أشار أيضاً إلى أن نوع العلاقة التي ترضي حاجاتنا الأساسية ليست علاقة متميزة أو فريدة ولكنها تلك العلاقة التي تشارك أو تسهم في الخصائص الأساسية الموجودة في كل العلاقات الإنسانية الجيدة، فلقد انتقد مازلو اهتمام فرويد في العملية العلاجية بتلك العلاقة التي تبرز في التحليل من خلال

أسلوب الطرح أو التحويل وإهمال العلاقة الأساسية بين العميل والمعالج.

أيضاً في الوقت الذي نجد فيه فرويد يؤكد على أن المشاعر التي يمكن للمريض أن يحملها نحو المحلل هي تلك التي تتعلق بالتحويل السلبي أو الإيجابي، فنجد مازلو يذهب إلى التأكيد على أهمية العلاقات الثنائية ويشجع على تعليم الأسس التي تتعلق بتكوين علاقة إنسانية جيدة وتنشئة أو رعاية تكفل نمو العلاج النفسي العادي. إن الشخص المريض لا يمكن له الاستفادة من أسلوب علاج الحاجات الرئيسية لأن هذا المريض قد توقف عند محاولة إشباع حاجاته الأساسية من أجل إرضاء حاجاته العصابية. إن المريض الذي نقدم له الحب والحنان، على سبيل المثال، قد يتخوف منه أو يسيء تفسيره بل يحتمل أن يرفضه وفي هذه الحالة يعتبر العلاج التبصيري المهني هو العلاج المناسب له.. مشكلة العلاج النفسي وعلى وجه الخصوص في أمريكا أن التركيز فيه على أساس أنه طريقه طبية للعلاج حرمه من الدخول في مجالات أخرى.

نظرية مازلو فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

تصورات مازلو وأفكاره عن الشخص الذي حقق ذاته تعتبر تفاؤلية وتبعث على الثقة في الطاقات الكامنة للإنسان ومع ذلك بعض النقاد يرى أن صورته مبسطة تتجاهل بعض العمليات المؤثرة في النمو والتطور. أيضاً من الواضح أن مازلو في وصفه لخصائص وسمات شخصيات الأفراد الذين حققوا ذواتهم يؤكد على أن نسبتهم لا تتجاوز ١٪ ولكن من المهم أن نتيح المجال للعمليات داخل الفرد والمجتمع لكي يحقق ذاته.

مناقشات مازلو حول مفهوم تحقيق الذات مناقشات وصفية أكثر منها وظيفية، فهو في وصفه للشخص المحقق لذاته لا يقول لنا كيف يمكن أن تطلب هذه الخصائص حسياً أو عملياً. معظم دراسات مازلو ومفاهيمه تميل إلى الجانب الفلسفي وعلى حساب الجانب العلمي البحت، فنحن ننسى أن الكائنات البشرية تخلق العلم وتضع الأهداف وتستخدم التكنولوجيا لتحقيق أغراضها الإنسانية.

مرة أخرى نرى مازلو وبوضوح يؤكد على أن العلم يجب النظر إليه كنشاط

لحل مشكلة وليس تقنية محددة.

ملخص. -

(١) ابراهام مازلو يطلق عليه الأب الروحي للمذهب الإنساني الأمريكي، فهو ينتقد المذهب التحليلي لكونه تشاؤمي وسلبي وينتقد كذلك نظريات التعلم والسلوك لكونها آلية وميكانيكية.

(٢) مازلو يفرق بين الدافع والدافع الأسمى أو «ما وراء الدافع» وهما اللذان يتضمنان حاجات (B) وحاجات (D) فالدافع وحاجات (D) تسبق حاجات (B) وما وراء الدافع (الدافع الأسمي).

(٣) هرم الحاجات الإنسانية عند مازلو يُبين حاجات فسيولوجية وأمنية، وتبعية وحاجات حب واحترام ذاتي وتحقيق ذات. عدد من الدراسات أظهرت أن الحاجات التي وصفها مازلو ضرورية لكمال النمو والحياة الإنسانية.

(٤) الشخص الذي حقق ذاته هو ذلك الذي إستغل طاقاته ويعمل العمل الأحسن الذي بمقدوره القيام به. عينة دراسة مازلو تتضمن الأصدقاء، والمقربين والمشاهير وبعض من طلاب الجامعة، كما أنه استخدام طرقاً متعددة في البحث، وإن كانت لم تتم عبر خطوط علمية دقيقة، حيث شعر أن هذه الحدود لن تكون مناسبة لبحثه.

(٥) مازلو يصف خصائص عدة للأشخاص الذين حققوا ذواتهم، وهي تلك الخصائص التي يمكن تجميعها تحت أربعة أبعاد وهي: الوعي ـ الأمانة ـ الحرية ـ الثقة.

(٦) الشخص الذي حقق ذاته غالباً يمر (بخبرة الذروة) والتي تستثار بواسطة أحداث دينية ودنيوية.

(٧) بعض النقاد يرى أن صورة مازلو للشخص الذي حقق ذاته مبسطة ويتجاهل العمل الشاق الذي يدخل في موضوع النمو والتطور.

(٨) مازلو يميز بين علاج الحاجات الأساسية والعلاج التبصيري ويدعو إلى علاج أكثر فاعلية وشمولاً.

(٩) نظرية مازلو تشير إلى اتجاه بعيد عن العلم، فعمله يؤكد حقيقة أن

الإجراءات العلمية الصارمة قد لا تتضمن أو تسمح بالبحث في أسئلة إنسانية هامة.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading:

Maslow's best - Known Work is Motivation and Personality (Harper Row, 1970), Which presents his theory of personality and describes in full his concepts of the hierarchy of needs and self - actualization. Originally published in 1954, it was completely revised shortly before his death. Religions, Values, and Peak Experiences (Viking, 1964)) Presents Maslow's argument that religion be viewed as a normal, potentially heaithy phenomenon and studied scientifically. In this work he outlines has concept of peak experiences, although he does not limit them to religious experiences. Nevertheless, Maslow points out the need of human beings for spiritual expression and he suggests that science can assist us in understanding this need and its expressions. Toward a psychology of Being (Van Nostrand, 1968) is a collection of papers in which Maslow discusses his theory of B - values as well as peak experiences and self - actualization; the book also makes clear Maslow's humanistic stance as opposed to those who present a mechanistic or negative picture of human nature. Maslow's last work, The farther Reaches of Human Nature (Viking, 1971), is a cumulative effort to integrate his theory with the latest developments in science. It covers topics such as biology, creativity, cognition, and synergy.

Two readable secondary sources on Maslow's thought are franke Goble, The third force; The psychology of Abraham Maslow (Grossman, 1970) and Colin Wilson, New pathways in psychology; Maslow and the Post - Freudian Revolution (Taplinger, 1972).

الفصل الرابع عشر

البدلية البناءة: جورج كلي

George Kelly: Constructive Alternativism

أهداف هذا الفصل: -

١ - تحديد السمة المميزة لنظرية كلي في الشخصية.

٢ - وصف الوضع الفلسفي للبدلية البناءة.

٣ - شرح لماذا يقترح كلي أن ننظر إلى أنفسنا كعلماء.

٤ - مناقشة المسلمة الرئيسية لدى كلي وتحديد أحد عشر لازمة تدعمها.

٥ - إعادة كلي للنظر في المفاهيم التقليدية في نظرية الشخصية .

٦ - وصف (اختبار رب Rep Test).

٧ - مناقشة وجهات نظر كلي ومساهمتها في العلاج النفسي.

٨ - تحديد بعض الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية.

٩ - تقييم النظرية فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

نظرية جورج كلي في البدلية البناءة تدعو إلى النظر في الشخصية بأسلوب مختلف وجديد حيث يتم النظر لكل شخص كعالم، فالكائن البشري لديه ميزة رئيسية تتمثل في قدرته على تكوين مرئيات متفرقة أو أنماط متعددة من المعاني أو التفسيرات والمضامين التي تتيح له فهم عالمه. بناء على هذه المرئيات المختلفة نقوم بعمل تنبؤات عن الأحداث ونستخدم هذه التنبؤات كدلائل تساعدنا على التصرف في نشاط موازٍ لنشاط العلماء . نظرية كلي نظرية معرفية بحق فهي تركز على كيفية تباين الناس في تفسير الوقائع والأحداث وقراءة أعمال كلي مثلها مثل الدخول في حقل جديد من المعرفة فهو يتحاشى استخدام عدد من المفاهيم التقليدية التي تمثل نظريات الشخصية. ففي قاموس كلي لا توجد مفاهيم مثل (أنا) ولا يوجد

(انفعال) ولا (تعزيز) أو (حافز) أو(لا شعور) و (حاجة) فكل هذه المفاهيم مهملة بل زاد على ذلك بأن أعطاهم معانٍ جديدة ودمجهم في فلسفة البدلية البناءة.

حياته الخاصة:

ولد جورج كلي في إحدى ضواحي بيرث بولاية كانساس في عام ١٩٠٥ م. كان والداه متدينين جداً يحرمون المشروبات الكحولية والرقص ولعب الورق ومن هنا ولأن جورج كان ابنهم الوحيد فقد حصل على حب واهتمام كبير من والديه خصوصاً والدته. تعليم كلي المبكر كان إلى حد ما متقطع فقد ذهب إلى مدينة (ويتشيتا) للدراسة الثانوية حيث التحق بأربع مدارس هناك وحصل من كلية (بارك) على البكالوريس متخصصاً في الرياضيات والفيزياء وكان يخطط ليصبح مهندساً ميكانيكياً ولكنه بعد ذلك غير ميوله إلى الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية. تقلب في عدة وظائف ذات علاقة بالهندسة والتربية إلا أنه واصل دراسته وحصل على الماجستير في علم الاجتماع التربوي من جامعة كانساس. ليحصل بعد ذلك في عام ١٩٢٩ م على الزمالة ليواصل دراسته في جامعة أدنبرة باسكتلنده متخصصاً في التربية. كما كانت أطروحته في مشكلة (التنبوء بالنجاح التعليمي) كشفت له أن ميوله بدأت تتغير إلى علم النفس. بعد عودته إلى بلاده، سجل كطالب دكتوراه في علم النفس بجامعة أيوا الحكومية وحصل عام ١٩٣١ م على الدكتوراه في موضوع (صعوبات الكلام والقراءة). ونظراً لقلة الوظائف وندرة الحاجة إلى تخصصه بالإضافة إلى ظروف الكساد الاقتصادي في الثلاثينات، وجه جورج اهتمامه إلى المجال الجديد والناشيء ألا وهو علم النفس الإكلينيكي، كما دَرَّسَ في كلية (كانساس) الحكومية في (فورت هيز) وطور برنامج العيادات النفسية المتنقلة والهادفة إلى تحديد ومعالجة المشاكل السلوكية والانفعالية لدى طلاب مدارس التعليم العام. هذه الخبرة كان لها تأثير في تطوير مبادئه النظرية فيما بعد حيث لم يرتبط أو يلتزم بأسلوب نظري معين بل استخدم عدة طرق إرشادية من مدارس مختلفة في إرشاده الطلابي مما أعطاه الفرصة لتجربة أساليب جديدة وطرقاً إكلينيكية تقليدية ساعدته في تطوير أفكار متعددة حظيت بتطبيقات في نظرية الشخصية فيما بعد. التحق بالبحرية كأخصائي نفسي وترأس برنامجاً تدريبياً للطيارين المدنيين

وعمل في الهيئة الطبية والجراحة حيث حصل على اعتراف بخدماته الإكلينيكية. بعد الحرب ظهرت الحاجة الماسة إلى الأخصائيين النفسيين وأصبح علم النفس الإكلينيكي جزءاً مهماً من خدمات الصحة وكان لجورج دور قيادي في تنمية وتكامل علم النفس الإكلينيكي في الاتجاه العام لعلم النفس الأمريكي. بعد أن درس لمدة عام واحد في جامعة ماريلاند التحق بجامعة أوهايو الحكومية كرئيس لقسم علم النفس الإكلينيكي وخلال العشرين سنة التي قضاها هناك كوّن جورج برنامجاً معترفاً به متميزاً في علم النفس الإكلينيكي وصاغ نظريته في الشخصية. في عام ١٩٦٥ هـ كلي حصل على منصب ذو مكانة عالية في قسم العلوم السلوكية بجامعة برنديس. هذا المنصب كان سيعطيه الفرصة لمواصلة بحوثه، لكنه مات بعد سنة واحدة فقط من تعيينه. كلي لم ينشر الكثير ولكنه ألقى العديد من المحاضرات في جامعات أمريكا والخارج. كما قضى وقتاً طويلاً في شرح كيف أن نظرية المضمون الشخصي يمكن تطبيقها لمساعدتنا في حل مشاكل اجتماعية علمية! كما تبوأ عدداً من المناصب مثل رئاسته لأقسام الإرشاد النفسي وعلم النفس الإكلينيكي في الجمعية النفسية الأمريكية كما ساعد في تطويره، وخدم كرئيس للهيئة امريكية للممتحنين في علم النفس المهني.

البدلية البناءة:

نظرية جورج كلي في الشخصية تدعى (البدلية البناءة) وهي تقوم على الافتراض القائل (إن أي حدث قابل لمختلف التفسيرات). كلي يلاحظ أن العالم لا يعني شيئاً لنا من الوهلة الأولى ولكن يجب أن نكون طرقنا الخاصة لفهم الأحداث التي نتعرض لها. فالطفل الذي يتأخر عن المدرسة. والده قد يعتقد أنه بسبب كسل الولد لكن أمه قد تظهر أن ولدها يفعل ذلك لأنه كثير النسيان. بينما مدرسه قد يفسر تأخر هذا الولد على أنه تعبير عن امتعاضه وعدائه للعمل الأكاديمي في حين أن صديق الولد المفضل يمكن أن ينظر لهذا الحدث على أنه مصادفة فقط. الولد نفسه يمكن أن يفسر سلوكه في التأخر على أنه مؤشر لمركب النقص والضعف! إذن فالحدث في حد ذاته هو بالتحديد مجموعة حقائق أو معلومات معينة لكنها تعطينا مؤشراً لعدد من التصورات أو المرئيات البديلة أو الإختيارية والتي يمكن أن تؤدي

لتصرفات مختلفة. بالنسبة لجورج كلي، فالحقيقة الموضوعية لتلك التفسيرات التي يقول بها الشخص غير مهمة لأنها غير معروفة، لكن المهم هو تطبيقاتها في السلوك والحياة عامة. في محاولاتنا لفهم العالم نحن نطور قالباً شفافاً من صنعنا الشخصي يجعل العالم مجدياً وذا قيمة. إذن فالوضع كما لو كان الشخص ينظر فقط للعالم من خلال نظارة شمسية من اختياره الخاص. كلي يشير إلى أنه لا يوجد نمط أو تصور واحد نهائي يعكس بالكامل ما يدور في العالم. إذن، وضعنا في العالم على ضوء البدلية البناءة يجعلنا نغير أو ننقح تلك التصورات والمرئيات من أجل فهما بصورة أوضح أو أدق.

جورج كلي يرى أننا ننظر إلى أنفسنا وإلى الناس الآخرين كعلماء وهو في وصفه للشخص أياً كان بالعالم يريد أن يقول إن الوضع الذي نتبعه في محاولتنا للتنبؤ والتحكم في الأحداث في عالمنا يشبه العالم الذي يطور ويختبر الفرضيات. في محاولاتنا لفهم العالم، نحن نطور تفسيرات ومضامين تعمل كفرضيات نرمي من ورائها إلى جعل العالم مفيد لنا، فلو فسرنا العالم أو أحداثاً ما على أنها أشياء عدائية فنحن سوف نتصرف بطرق معينة لنحمي أنفسنا أما إذا كانت سلوكياتنا التي تحمينا تبدو كطرق مفيدة للتكيف مع الأحداث فسوف نستمر في حمل هذا التفسير العدائي. إذا كان النمط أو البناء ضعيفاً، أو بمعنى آخر، لم يهيئنا لسلوكيات تساعدنا على التكيف مع الأحداث في عالمنا، فسوف نبحث عن تغيير أو تعديل لذلك البناء أو التصور من أجل بناء أفضل. الناس توظف تفسيراتها ومضامينها للتنبؤ بما سوف يحدث لهم في المستقيل لذلك فالأحداث التي تلي تستخدم كمؤشرات للتنبؤات سواء كانت صحيحة أو مضللة. أيضاً، فى بداية الفصل الدراسى الطلاب يضعون أفكاراً عن الموضوعات التي يدرسونها. عادة هذه المرئيات والأفكار مبنية على عينة محدودة جداً من المقرر الحقيقي أو سلوك المدرس. أحد الطلاب يمكن أن يتوقع أن مقرراً معيناً سوف يكون سهلاً ويتطلب وقتاً قليلاً واستعداداً بسيطاً. طالب آخر يمكن أن يستنتج أن نفس المقرر سوف يكون صعباً ويتطلب جهداً مضاعفاً ومحاولة جادة، مع مرور الفصل الدراسي كل طالب يبدأ عمله تدريجياً ومن

ثم يبدأ في إختبار فرضيته المبدئية عن المقررات المدرسية للتأكد من صحتها. المحاضرات، قراءة الواجبات، كتابة الأوراق والاختبارات كلها أحداث متتابعة تخدمه في تأكيد أو عدم إثبات التخمينات والشكوك الأولية. في منتصف الفصل الدراسي يكون لدى الطالب فكرة أوضح لمدى دقة أو صحة مرئياته أو أفكاره الأصلية فيما يتعلق بالمقرر من نجاح أو فشل. إذا كانت الفرضية الأصلية تبدو صادقة ففرضية استمرار الطالب في طريقته الراهنة في التعامل مع المقرر كبيرة، لكن إذا كانت الأحداث المتتابعة تظهر أن المرئيات الأصلية كانت غير صحيحة فالطالب سوف يعيد تقييم وتغيير تلك المرئيات أو الأفكار عن مقرره الدراسي، مطوراً أنماطاً جديدة للسلوك أكثر تلاؤماً مع التصورات المنقحة. مثال سلوك الطالب في التعامل مع مقرر الكلية ببساطة مثال مصغر لما يحدث لنا كلنا في أغلب الأوقات في حياتنا. وكما أشرنا مسبقاً، فالعالم ليس شيئاً معيناً وثابتاً يمكن فهمه واستيعابه مباشرة، فمن أجل أن نفهم العالم يجب أن نطور مرئيات أو طرقاً للنظر منها ومحاولة فهمه خلال مسيرة حياتنا، وهذا طبعاً يعني أن نستخدم عملية اختبار وتنقيح وتعديل لهذه المرئيات والطرق بصورة مستمرة! إذن فالشخص حر في التعبير عن مرئياته في محاولة منه لعمل شيء ما أو التنبؤ بأمر ما أو التحكم في عالمه الذي يعيش فيه.

المسلمة الرئيسية ومفرداتها (Fundamental Postulate and corollaries):

من أجل أن يشرح نظريته ويفسرها وضع كلي افتراضاً أساسياً ومسلمة رئيسية تتكون من إحد عشر مضموناً أو تركيباً تساعدنا في فهم العالم وأحداثه.

المسلمة الرئيسية:

هذه المسلمة تُقرأ كما يلي: (العمليات التي يقوم بها الشخص توجه نفسياً بالطرق التي يتوقع فيها الأحداث) يمكن أن تكون كلمة يتوقع أو يخمن هي أهم كلمة في هذه المسلمة، حيث يرى كلي أن الطريقة التي بواسطتها يتنبأ الفرد بالأحداث المستقبلية مهمة وحاسمة لتحديد سلوكه. كعلماء نجد الناس ينشدون ويبحثون عن طرق وأساليب للتنبؤ بما سيحدث كما أنهم يوجهون سلوكياتهم وأفكارهم حول العالم وجهة تميل إلى التنبؤات الدقيقة والصحيحة والمفيدة. . من كل هذا وبناء على آراء كلي، فالمستقبل، وليس الحاضر، هو المحرك الرئيسي للسلوك.

كل مضمون أو مفردة من الأحد عشر مضموناً التي قال بها كلي تركز على كلمة رئيسية تساعدنا في تجميع وفهم النظرية وفرضياتها.

① المعنى أو التفسير:

مصطلح (contrue) يعني وضع تفسير للحدث فكما رأينا فالعالم من حولنا ليس شيئاً معروفاً لنا بصورة أوتوماتيكية. بل نحن يجب علينا أن نضع مرئيات أو تصورات أو طرق نستطيع بها أن نفهمه.

② الفردية : (Individuality)

لا يوجد شخصان يفسران الأحداث بنفس الطريقة فكل واحد يعايش الحدث بصورة ذاتية ونفسية من وجهة نظر شخصية بحتة. هذه النتيجة تؤكد اعتقاد كلي بأن التفسير الذاتي للحدث لا الحدث نفسه، هو الشيء المهم.

③ التنظيم : (Organization):

تفسيرنا للأحداث ليس اعتباطياً ولا هو صدفة فكل واحد منا ينظم مرئياته في سلسلة من العلاقات المرتبة حيث تكون بعض المرئيات أو التصورات أكثر أهمية وذات أولوية من البعض الآخر، فمرئياتنا وتصوراتنا التي تقع في نمط منظم تعني أننا نطور نسقاً من التصورات بدلاً من مجرد مجموعة من المرئيات المفردة.

④ الثنائية : (Dichotomy):

في تفسيرنا للحدث، كلي يعتقد أننا لا نضع تأكيدات فقط ولكننا أيضاً نشير إلى أن الصفة المقابلة ليست خاصية لذلك الحدث فالثنائية تعني التضاد أو التقابل، لذلك فهو يرى أن كل تصوراتنا قطبية الشكل وعندما نتصور أن هذا الشخص قوي فنحن أيضاً كمن يؤكد أن هذا الشخص ليس ضعيفاً. هذا الشكل من الثنائية لتصوراتنا يزودنا بأساس البدلية البناءة

⑤ الاختيار : (Choice):

كلي يرى أنه خلال عملية تطوير التصورات والتفسيرات فكل شخص يميل إلى اختيار القطب الذي يبدو أكثر فائدة في توسيع توقعاته أو تخميناته عن الأحداث

المستقبلية. هذه النتيجة مهمة جداً، لأنها تؤكد اعتقاد كلي بأن الشخص حر وقادر على الاختيار من بدائل متعددة .

٦ المجال أو المدى: (Range):

كل تصور له مدى أو مجال معين، فتصور معادلة الطويل مقابل القصير مفيد في وصف الناس والأشجار أوالخيول ولكنه غير مجد لفهم طبيعة الجو مثلاً. بعض الناس يطبقون تصوراتهم بتوسع بينما آخرون يحددون تصوراتهم في تركيز ضيق. مثلاً، بعض من السياسين الرجعيين يستخدمون تصورات ذات مجالات ضيقة لذا فإننا من أجل أن نفهم تصورات فرد ما نحتاج إلى أن نأخذ في الحسبان ما يتضمنه مجالهم وما لا يتضمنه.

٧ الخبرة: (Experience):

كلي يؤمن بأن الناس تغير تفسيرها للأحداث على ضوء الخبرات اللاحقة فهي تخدم كعملية تصديق واختبار بواسطتها نستطيع التأكد من دقة التوقعات. إذا ثبت عدم دقة تصور معين في التوقع بأحداث مستقبلية فإن صياغته تعاد ويتم تغييره مثل هذا الوضع أو الإجراء يشكل في رأي كلي أساساً للتعليم الذي يقع في كل الأوقات.

٨ التعديل: (Modulation):

إن الحد الذي يمكن أن تصل إليه التغييرات خلال تصوراتنا يعتمد على الإطار والتنظيم الموجود في النظام التركيبي. هذه التصورات قابلة للتغيير والتعديل بصورة أكثر فالمفهوم الذي يحدد عناصره في مجاله فقط يطلق عليه تصور محدد لأنه يصنف العالم بطرق متحجرة ولا يسمح بإدراك العالم بطرق مختلفة. أما بالنسبة للتصور الذي يترك عناصره مفتوحة لتصورات أخرى فيطلق عليه التصور الافتراضي لأن الشخص يستخدم تعبيراً أكثر انفتاحاً وقبولاً بالخبرات والتغيرات.

٩ التجزئة: (Fragmentation):

هناك أوقات يقوم الناس فيها باستخدام تصورات تبدو منفصلة أو غير محكمة وبسبب هذا غالباً ما نفاجأ بسلوك الناس الآخرين ولا نستطيع أن نستدل أو نستنتج ماذا سوف يعمل الشخص غداً من خلال تصرفه هذا اليوم مثلاً. مثل هذه التجزئة

على وجه الخصوص تبدو ميالة للظهور سواء عندما تكون تصورات الشخص ملموسة أو عندما يتعرض الشخص لظروف التغيير.

(١٠) المشاركة: (Communality):

عندما يشترك شخصان في تصورين متشابهين، فعملياتهما النفسية يمكن أن يقال عنها إنها متشابهة. هذا لا يعني أن خبراتهما متطابقة ولكن قدرتنا على المشاركة والاتصال بالآخرين مبنية على حقيقة أننا نشترك معهم في تصورات متشابهة.

(١١) الاجتماعية: (Sociality)

طاقاتنا الكامنة التي تؤهلنا للاتصال وفهم الآخرين تعتمد على قدرتنا على فهم تصورات الشخص الآخر فنحن يجب أن يكون لدينا بعض الأفكار حول ماهية تصورات الشخص الآخر. إن قدرتنا على التفاعل اجتماعياً مع الناس الآخرين تتضمن فهم مجال عريض أو واسع من التصورات والسلوكيات.

إعادة بناء المفاهيم القديمة:

كلي يتجنب عدداً من المفاهيم المرتبطة تقليدياً بنظرية الشخصية! مصطلحات ومعالم مألوفة أخذت معان جديدة! التصور الذاتي مبني على ما ندرك كتشابهات في سلوكنا الخاص. فنحن نتصور أنفسنا عندما ننظر لشخص ما على أنه عدواني أو شرير. فنجعل تلك الصفات أو الخصائص وما يقابلها بعداً لخبراتنا الخاصة وتفسيرنا الذاتي مرتبط بعلاقاتنا مع الناس الآخرين.

كلي يعرف مصطلح (الدور) كعملية أو سلوك يلعبه الشخص بناء على فهمه للسلوك وتصورات الناس الآخرين. كلي يشير إلى أنه ليس من الواجب أن نكون دقيقين في تصوراتنا لنلعب مثل هذا الدور. فمثلاً الطالب يمكن أن يلعب دوراً معيناً مع المدرس الذي يؤمن الطالب بأنه مفرط في طلباته وغير منصف في معاملته بينما في الحقيقة المدرس ليس كذلك. ولا الدور من الضروري أن يكون متبادلاً بواسطة الشخص الآخر.

استخدام كلي لمصطلح الدور يجب ألا يخلط بالاستخدام الذي يقول به مفكري علم النفس الاجتماعي حيث يعني الدور في علم النفس الاجتماعي

مجموعة من التوقعات أو الأدوار السلوكية، مثل الأم، المدرس، الطبيب، الحاكم.. الخ.

بالنسبة لكلي فالشخص في نشاط مستمر وسلوكه محكوم بنظام من التصورات الشخصية، فهو يعتقد أنه لا توجد قوى داخلية خاصة مطلوبة مثل الحوافز، الحاجات، الغرائز أو الدوافع! فالطبيعة الإنسانية في ذاتها تتضمن الدافع لأنها مباشرة وحية وعملية. إنه بكل بساطة من غير المناسب أن تتصور أن الفرد مدفوع بقوى خارجية أو داخلية! وعلى الرغم من أن بعض النقاد يرى أن نظرية كلي ذهنية وعقلية إلى حد كبير، فكلي تعامل مع موضوع الانفعالات كسمة واحدة للشخصية المتحدة للشخص فهو يرفض تقسيم الشخص إلى حالات معرفية أو انفعالية، فالمشاعر والانفعالات تعزى للحالات الداخلية التي تحتاج إلى تصور. لذلك فالعمليات الشعورية واللاشعورية يمكن أن تتم بقدرتنا على تكوين تصورات لا نضعها في كلمات فقط فليست كل التصورات لفظية كما نعرف.

العلاج النفسي:

بناءً على آراء كلي فالاضطرابات النفسية تظهر عندما يتمسك أو يستمر الشخص في استخدام تصورات شخصية على الرغم من أن الخبرة التالية تفشل في تصديقها. مثل هذا الشخص يعاني من صعوبة التوقع أو التنبؤ بالأحداث كما أنه غير قادر على أن يتعلم من الخبرات. العصابي يتخبط في محاولته لتطوير طرق جديدة لتفسير العالم أو الاحتفاظ بتصورات غير مفيدة، فمثلاً نجد العصابي بدلاً من أن يطور تصورات أكثر نجاحاً ويحل مشاكله نراه يطور أعراضاً مرضية.

جورج كلي ينظر إلى طرقه العلاجية على أنها إعادة تصور وبناء فبدلاً من العلاج النفسي نجده يبحث عن مساعدة مرضاه في استعادة تصورهم للعالم بطريقة تتيح لهم تكوين توقعات وسيطرة أفضل. الخطوة الأولى في العلاج هي تكريس الشكوى وفي هذه الخطوة، المعالج يبحث عن (١) تعريف أو تحديد للمشكلة (٢) يكتشف متى وتحت أي ظروف ظهرت في المقام الأول (٣) يشير إلى أي تغيرات تظهر في المشكلة (٤) يكتشف أي احتياطات أو إجراءات تصحيحية اتخذها العميل. (٥) ومن ثم البحث واكتشاف تحت أية ظروف صارت المشكلة أكثر وضوحاً أو أقل.

تكريس المشكلة عادة يظهر عدة جوانب من نظام التصور الشخصي، لكن كلي ينظر للخطوة الثانية على أنها تكريس لنظام التصور نفسه. مثل هذا التكريس يعطي صورة أوضح وأكمل للعناصر التي تنطوي عليها الشكوى ويسمح لمزيد من البدائل بالظهور والبروز ويوسع قاعدة العلاقة بين المعالج والعميل ويظهر الإطار النظري الذي يخلق ويحافظ على بقاء الأعراض.

كلي يستخدم «اختبار رب» (Rep Test) كما يستخدم طريقة الوصف الذاتي فهو يمكن أن يسأل عميله أسئلة مثل (أي نوع من الأطفال كنت؟) (أي نوع من الأشخاص تتوقع أن تكون؟) و(ماذا تتوقع من العلاج؟). كل هذه الطرق قد برهنت على جدواها في تأكيد نسق نفسي فعال. كلي ساهم مساهمة فريدة وذلك عندما قام بتطوير وتشجيع استخدام تكنيك لعب الشخصية المتبادلة بصورة خاصة، كأن يكون رئيسه كثير المطالب أو مدرسه غير ودود، هنا كلي سوف يقترح عملية افتراض أنهما (المعالج العميل) في مكتب الرئيس أو المدرس ويطلب إعادة سيناريو الصعوبة. بعد ذلك طرق بديلة لمعالجة الموقف يمكن أن تظهر أو تطرح تساعد العميل في التعامل مع مثل هذه المواقف مستقبلاً.

وباستخدام أسلوب لعب الدور كلي يشجع استخدام (عكس الدور) (Role Reversal) حيث يلعب العميل دور الشخص المؤثر في حياته (كالأب، المدرس، المدير) بينما المعالج يلعب دور العميل. مثل هذا الدور يسمح للعميل بفهم مشاركته أكثر وأيضاً فهم إطار الشخص الآخر. أيضاً كلي استخدم (علاج الدور الثابت) (Fixed - role Therapy) حيث يتسنم العميل دور شخص ما لمدة طويلة من الزمن. المعالج يختلق دوراً خيالياً جديداً لعميله ليلعبه يختلف عن الدور الطبيعي ومصمم لمساعدة العميل في الكشف عن طرق تمكنه من إعادة وبناء خبراته. العميل يطلب منه التصرف كما لو كان هو هذا الشخص الخيالي. أيضاً العميل يحاول التفكير والحديث والتصرف كما لو كان هو ذلك الشخص الآخر لمدة من الزمن كبضعة أيام أو أسابيع فالدور يجب أن يكون واقعياً وليس مخيفاً للعميل، فعلاج الدور المثبت أثبت جدواه كطريقة إبداعية جديدة لإعادة بناء الذات تحت توجيه مهني!

وكلي يؤمن بأن نظريته لها تطبيقات واسعة في مجال العلاقات الشخصية المتبادلة والاجتماعية، عندما نأخذ في الاعتبار تصورات بديلة فمعنى ذلك أنه من الممكن لنا فردياً أو جماعياً النظر بطرق إبداعية وأساليب جديدة للتعامل مع الوضع المشكل. خذ المشكلة التي تظهر عندما يلاحظ المدرس طالباً غير مبال أو مهتم ويقدم واجبه المنزلي متأخراً ولا يحاول الإنتاج بجدية وحماس. المدرس يمكن أن يستنتج أن الطالب كسول. كلي يمكن أن يسألنا في وضع هذا السؤال: هل هذا هو التفسير الأكثر فائدة والذي يمكن للمدرس أن يعمله، ربما بتصور مختلف يُعطَى المدرس مدى أو حرية أكبر في التعامل بإبداع مع المشكلة. في نفس الوقت، الطالب يمكن أن تكون له مرئياته وتصوراته لوضع الصف الذي يعرقل لا الذي يسهل عملية التعليم. الطالب يمكن مثلاً، أن يتصور أن المدرسين يحاولون أن يثبتوا غباء تلامذتهم ولا يمكن له أن يلعب أكثر من دور المعتذر.

كلي أيضاً شجع استخدام العلاج الجماعي للمساعدة في حل المشكلات المشتركة والفردية. أسلوب لعب الدور على وجه الخصوص تم تكييفه بدقة للعمل الجماعي حيث أن عدداً من أعضاء المجموعة العلاجية يمكن أن يساعدوا الفرد في تطبيق بعض الأدوار! كلي اقترح طرقاً يمكن بواسطتها تطبيق نظريته للمساعدة في حل المشاكل الاجتماعية والعالمية. معظم الصعوبات التي تواجهنا كأمريكيين وفي مجال العلاقات الدولية كان مشكلتنا كدولة في فهم كيف أن أحداثاً مختلفة صورت أو فسرت بصورٍ متعددة وبواسطة أناس في بلدان أخرى، ولعل الحرب الفيتنامية خير مثال على ذلك.

نظرية كلي فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

على الرغم من أن كلي شجعنا على التفكير أو الاعتقاد في الشخص كعالم، مناقشاته للطريقة التي نقيم بها التصورات الشخصية تتضمن الشخصية الملزمة للنظرات الفلسفية أيضاً. نظرية كلي ترى أن التصور مصدق ومثبت إذا كانت التوقعات أو التخمينات التي تعطيها ظاهرة وواضحة! العالم الذي يختبر الفرضيات لا يبحث عن الأحداث التي ستبرهن على صدق الفرضيات ولكن على الأصح وضع شروط يمكن أن تدحضها. في نظرية كلي الناس فلاسفة كما أنهم علماء، أو

على الأقل، الأنشطة العلمية التي يشاركون فيها تعتمد على أساس فلسفي. كلي يعترف بأن وجهة نظره في الشخص كعالم كانت مبنية على الوضع الفلسفي للبدلية البناءة. الجانب الفلسفي لنظرية كلي استثار القليل من البحوث حتى وإن كان الاختصاصيون النفسيين يهتمون بزيادة العوامل المعرفية في الشخصية. معظم الدراسات مبنية على اختبار رب (Rep Test) حيث يرى بعضهم أن هذا الاختبار وتصورات كلي تساعدنا في فهم اضطراب التفكير لدى الفصاميين. الباحثون استنتجوا أن التصورات الفكرية للفصاميين أقل ترابطاً وأكثر تنافراً من الناس الآخرين، خصوصاً فيما يتعلق بالتصورات الشخصية التبادلية! نظراته المنطقية والعقلانية في الفرد والعلاج وفشله في التعامل بدقة مع الانفعالات الإنسانية وإصراره على المفاهيم الثنائية كلها جوانب أكسبته شهرة معينة مع أن النقد الأكبر لنظرية كلي كان في تجاهله للمدى الأوسع للشخصية الإنسانية في سبيل محاولته إنصاف العقل البشري فقط.

كلي يركز على المنطقية في التكوين البشري، فهو يؤمن بأن العالم العلمي يصبح معقداً بصورة تدريجية فالتصورات التي نكونها تصبح بازدياد تقريبات أكثر نجاحاً في الواقع. مع كل ذلك، فكلي لا يؤمن أن العالم أو الشخص في نهاية المطاف شخص فاهم من خلال معايير ومقاييس المناهج العملية، فالعالم بكل بساطة هو نظام تصور يساعدنا في شرح الأحداث، إنه نظام واحد من التصورات وسط بدائل متعددة. كما أن أسلوبه في لعب الدور أثبت جدواه كأداة مفيدة في العلاج النفسي والتربية.

ملخص:

(١) نظرية كلي في الشخصية متميزة بتركيزها على المعرفة.

(٢) نظرية كلي مبنية على الوضع الفلسفي للبدلية البناءة والفرض الذي يقول إن أية حدث قابل لعدد من التفسيرات.

(٣) كلي يرى أننا ننظر لأنفسنا كعلماء، لأنه في محاولاتنا لفهم العالم، نحن نطور تصورات تعمل كفرضيات.

(٤) المسلمة الرئيسية لدى كلي هي (عمليات الشخص موجهة نفسياً بطرق

تجعله يتوقع أحداثاً) هو يكرس هذه المسلمة بأحد عشر مضموناً هي: التصور - الفردية - التنظيم - الثنائية - الاختيار - المدى - الخبرة - التعديل - التجزئة - المشاركة - والاجتماعية.

⑤ كلي يعطي معنى جديداً لعدد من المفاهيم التقليدية في نظرية الشخصية مثل التصور الذاتي - الدور - التعليم - الدافع - الانفعال.

⑥ كلي طور (Rep Test) والذي يسمح للشخص بالكشف عن تصوراته وذلك بالمقارنة والمقابلة بين عدد من الأشخاص المختلفين في أنماط حياتهم.

⑦ في علاجه النفسي، حاول كلي مساعدة مرضاه على إعادة تصوراتهم عن العالم وذلك بتكريس الشكوى أولاً وبعد ذلك تكريس نظام التصور وكذلك مساهمته الفريدة في استخدام أسلوب (لعب الدور).

⑧ أنتقد كلي كونه استخدم لغة ونظرية ذات مستوى معرفي وفكري عالٍ وفشل في التعامل الكامل مع الشخصية أو الانفعالات.

⑨ الطريقة التي نقيم بها تصوراتنا الشخصية تتضمن تصورات فلسفية بالإضافة إلى الطرق العلمية.

قراءات مختارة

Suggestions For Futther Reading

George Kelly was not a prolific writer, Two books and about a dozen articles constitute the sum of his publications. His basic theory was published in a two - volume work called the psychology of Personal Constructs (Norton, 1955). The first three chapters of those volumes were published separately as A Theory of Personality: A Psychology of Personal Constructs (Norton, 1963). Kelly's writing is rather academic and dificult reading for the lay person, who might be better advised to begin with a good secondary source such as D. Bannister and F. Fransella, Inquiring Man: The Theory of Personal Constructs (Penguin, 1966). Donald Bannister, an Englishman is Kelly's most fervent disciple, and this books is a concise introduction to Kelly's theory.

الجزء الخامس
نظريات السلوك والتعلم

أحد الأسئلة الغامضة في نظرية الشخصية كان موضوع الثنائية والتضاد الذي يقع بين المحددات الخارجية والداخلية للسلوك. هل السلوك يحدث بسبب استعدادات أو نزعات تؤدي بالشخص إلى التصرف بطريقة معينة أم أن السلوك يشبه الوضع الذي يجد الشخص نفسه فيه؟ ما قيمة شخصية الواحد حقيقة؟.

إن الاتجاه المسيطر في علم النفس الأمريكي الآن هو الحركة السلوكية التي تركز على التعلم والخبرة كعوامل رئيسية في تشكيل السلوك، بدلاً من التسليم بوجود تركيبات شخصية متعددة وديناميكيات داخل الفرد! نظريات السلوك والتعلم تركز على تلك العوامل الموجودة في البيئة والتي تحدد تصرف الفرد. على الرغم من أن التركيبات الداخلية ليست منكرة لكنها مخفضة إلى أدنى حد أو أزيلت من أجل القوى الخارجية.

معظم نظريات التعلم والسلوك بدأت في المختبر النفسي حيث كانت الأنواع الدنيا من الكائنات الحية مثل الفئران أو الحمام هي موضع الدراسة. التخمينات النظرية لا يلقى لها بال في مقابل التجربة والملاحظة المتأنية. أصحاب نظرية السلوك صاروا تدريجياً ملتزمين بطرق علمية صارمة في محاولة منهم لتحقيق الكمال للأساليب النفسية ورفع مستواهم إلى مستوى العلوم الطبيعية. هذا سمح بالدقة والاقتصاد في البناء النظري بالإضافة إلى الأسس الأمبيريقية الواضحة للمفاهيم الرئيسية في نظرياتهم. في الجزء الخامس نقدم المساهمات الرئيسية لأسلوب السلوك والتعلم في نظرية الشخصية ونكشف عن تأثيرهم القوي على علم النفس اليوم.

الفصل الخامس عشر

نظرية التعلم التحليلية النفسية : جون دولارد ونيل ميلر

John Dollard and Neal Miller: Psychonalytic Learning Theory:

أهداف الفصل:

١ ـ وصف كيف أن أصحاب نظرية السلوك والتعلم درسوا الشخصية تجريبياً.

٢ ـ تحديد المساهمات المبكرة للعلماء بافلوف ـ واطسون ـ ثورندايك ـ هول.

٣ ـ تحديد وإعطاء أمثلة للعادات والحوافز والمعززات.

٤ ـ وصف الأجزاء الفكرية الرئيسية الأربعة لعملية التعلم.

٥ ـ مناقشة النتائج التي ظهرت من البحوث في عملية التعلم.

٦ ـ شرح كيف جمع دولارد وميلر بين نظرية التعلم والتحليل النفسي.

٧ ـ وصف تطبيقات ميلر ودولارد للعلاج النفسي.

٨ ـ مناقشة الكف المتبادل وغيره من الأساليب العلاجية النفسية والتي بنيت على مبادىء التعلم.

٩ ـ تقييم نظرية دولارد وميلر من النواحي العلمية والفلسفية والأدبية.

اتجـاه جون دولارد ونيل ميلر أطلق عليه (نظرية التعلم التحليلي النفسي) لأنها كانت محاولة إبداعية لوضع المفاهيم الرئيسية لنظرية فرويد مع تلك الأفكار واللغة والطرق والنتائج المعملية البحثية على السلوك والتعلم. دولارد وميلر استفادا من عدد من أفكار فرويد ولكن ذلك تم بخلق نوع من التكامل أو التمازج بينهم وبين تلك الأفكار والطرق العلمية المستخدمة في البحوث النفسية السلوكية في مجال التعلم والسلوك.

حياتهما الخاصة :

ولد جون دولارد ونيل ميلر في ولاية ويسكانسن كما درسا سوية وعملا معاً في معهد العلاقات الإنسانية في جامعة ييل، حيث تم تأسيس هذا المعهد في عام ١٩٣٣ في محاولة للكشف عن العلاقات النظامية المتبادلة بين الطب النفسي وعلم النفس من جهة والأنثربولوجيا وعلم النفس من جهة أخرى. محاولاتهما المشتركة نتج عنها نظرية في مجال الشخصية بنيت على نظرية هول (Hull) في مفهوم التعزيز وأفكار نظرية التحليل النفسي. هذا التكامل بين النظريتين نتج عنه نظرية سلوكية أصبحت ممثلاً حقيقياً للتيار العام في علم النفس الأمريكي.

جون دولارد ولد عام ١٩٠٠ م وحصل على البكالوريوس من جامعة ويسكانسن أما الماجستير والدكتوراه فقد حصل عليهما من جامعة شيكاغو. كانت ميوله الرئيسية في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كما عرف عنه تأييده القوي للدراسات التنظيمية(Interdisciplinary).

أما نيل ميلر فقد ولد في عام ١٩٠٩ م وحصل على البكالوريوس من جامعة واشنطن والماجستير من جامعة ستانفورد أما الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة ييل وكان ميالاً وبشكل ملحوظ إلى علم النفس التجريبي. حصل الإثنان على تدريب مركز في مجال التحليل النفسي، كما تسنما عدة مناصب قيادية وألفا العديد من الكتب ونشرا الكثير من المقالات والبحوث.

التحليل التجريبي للسلوك :

لعله من المناسب وقبل مناقشة عمل دولارد وميلر أن نلقي نظرة على بعض أصول التحليل التجريبي للسلوك فجذور نظريات السلوك والتعلم تعود إلى وجهة النظر الفلسفية المعروفة بالمذهب التجريبي (Empiricism) الذي يؤمن بأن كل المعارف تنشأ من التجربة . يعتبر جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) الفيلسوف الإنجليزي من أقدم الفلاسفة التجريبيين حيث قام ببحث وتطبيق الاختبارات الاستقرائية والطرق العلمية التي استخدمها الفيلسوف البريطاني (فرانسيس بيكون ١٦٥١ - ١٦٢٦) في مجال علم النفس.

لوك يؤمن بأن كل معارفنا تأتي عن طريق حواسنا ومن خلال تجاربنا. هو يعتقد أن عقل الطفل وقت الولادة يكون على شكل لوح أملس (Tabula Rasa) أو اللوح الفارغ (Blank Slate) وهذا الاعتقاد يعبر عن وجهة النظر الفلسفية للمذهب التجريبي في شكلها الكلاسيكي كما هو الحال مع اعتقاد ديكارت (أنا أفكر، إذن أنا موجود) والذي يعبر عن المذهب المنطقي أو العقلاني. نظريات التعلم والسلوك الحديثة تنادي بأن المعرفة الصادقة تنبع من التجربة والتطبيق. فسلوك الكائن يدرس بعناية في مختبر محكم ويتم الربط بين السلوك والعوامل البيئية في علاقات محددة. الفاحص هنا يحاول أن يحدد ما إذا كان متغير أو عامل معين يؤثر على بعض أشكال السلوك ويتم ذلك بدراسة دقيقة ونظامية. نظريات السلوك والتعلم لا تستطيع التحكم أو التنبؤ بسلوك الفرد في حياته اليومية بالدقة التي يمكن أن يحصلوا عليها في المختبر ولكنهم فقط يستفيدون من هذه النتائج المعملية للتعميم على سلوكيات أعم وأشمل، فمثلاً عدد من المبادىء استخدمت واستنتجت من التحليل التجريبي للسلوك تم تطبيقها في مجالات رحبة مثل التعليم، والعلاج النفسي والصناعة والمؤسسات الإصلاحية الاجتماعية.

مع أن نظرية السلوك المعاصرة تعتبر أمريكية الاتجاه، لكن خلفيتها التاريخية بدأت في روسيا وعلى يدي العالم (ايفان بافلوف ١٨٤٩ - ١٩٣٦) والذي أوجد مفهوم الأشراط الكلاسيكي (Classical conditioning) أو أحد أشكال التعلم المعروفة اليوم. بافلوف أظهر لنا أنه عندما نعمل اقتراناً بين المثير المشروط والمثير غير المشروط نحصل على استجابة لم نكن لنحصل عليها مسبقاً إلا بواسطة المثير الأصلي (المثير غير المشروط).

أمـا جون واطسون (١٨٧٨ - ١٩٥٨) فيعتبر حسب رأي عدد كبير من المفكرين الأب الروحي للمدرسة السلوكية، حيث توسع في استخدامات الأشراط الكلاسيكي ليحوله إلى نظرية في السلوكية (Behaviorism) حيث أكد على أن يقوم علم النفس بدراسة السلوك الظاهر فقط وهي تلك السلوكيات التي نستطيع ملاحظتها مباشرة مثل الحركات والصراخ والكلام أما السلوكيات الخفية وهي التي لا يعاني منها أو يجربها إلا الشخص نفسه مثل الاعتقادات والأحاسيس

والرغبات فلا تخص أو تدخل ضمن مجال علم النفس إذا أريد له أن يكون علماً تجريبياً أو تطبيقياً. إذن واطسون يقترح علينا أن نعمل ونركز فقط على السلوك الظاهر ونتصرف كما لو أن العقل غير موجود لأن العمليات العقلية لا يمكن ملاحظتها مباشرة وهذا فيه تناقض مع المعنى المقصود لمصطلح علم النفس والذي نتداوله يومياً ونعني به دراسة العقل (Mind) والنفس (Psyche).

ادوين ثورندايك (Thorndike) (١٨٧٤ ـ ١٩٤٩) عالم آخر كان له تأثير في تاريخ نظرية التعلم حيث عمل عدداً من التجارب على عدد من الحيوانات من أجل الحصول على فهم واضح لعملية التعلم، فقد صاغ عدداً من القوانين الهامة في التعلم أهمها هو قانون الأثر (Law of effect) هذا القانون الذي يؤكد أن السلوك أو الأداء المصحوب بالرضا يحدث مرة أخرى، ولكن عندما يصاحبه الإحباط فتكراره أو ظهوره يقل وينطفىء أو يختفي!

وأخيراً هناك العالم كلارك هول (Hull) (١٨٨٤ ـ ١٩٥٢) والذي طور نظرية نظامية في التعلم بنيت على مفهوم اختزال أو تخفيض الحافز (Drive Reduction) هول هنا يؤمن بأن التعلم يظهر فقط إذا تلى استجابة الكائن اختزال للحافز، فالطفل يتعلم مص زجاجة الحليب أو الرضاعة من أجل أن يخفف من جوعه، لكن لو أن الرضاعة هذه لم ينتج عنها تخفيض لحاجة ما، فالرضيع لن يتعلم القيام بأداء هذا النشاط أو العمل.

العادات والحوافز والمعززات وعملية التعلم:

يؤكد دولارد وميلر على دور التعلم في الشخصية بينما يحظى تركيب الشخصية بأهمية أقل لأنهما يعتقدان بأن تركيب الشخصية يمكن تعريفة ببساطة كعادات فقط.

١ ـ العادات: - Habits: -

تعزى العادات إلى نوع من الارتباط المتعلم بين المثير والاستجابة والتي تجعلهما يظهران معاً مراراً وتكراراً. العادات تمثل تركيباً مؤقتاً لأنها تظهر وتختفي ولأنها متعلمة كما أنها يمكن ألا تكون متعلمة. اهتمام ميلر ودولارد

الرئيسي يرتكز على تحديد تلك الظروف البيئية التي نكتسب تحت ظلها هذه العادات.

٢ ـ الحوافز: Drives : ـ

يرى ميلر ودولارد أن تخفيض الحافز يعتبر معززاً للفرد لذا فهو سوف يتصرف بطرق تخفف التوتر الذي سببته الحوافز القو إذن فهما يعتمدان إلى حد كبير على مفهوم نظرية هول مؤكدين أن تخفيض الحافز يشكل ديناميكية أساسية لنمو الشخصية.

يميز دولاردو ميلر بين نوعين رئيسيين من الحوافز هما:

١ ـ الحوافز الأولية.

٢ ـ الحوافز الثانوية.

أ ـ الحوافز الأولية: هي تلك الحوافز المرتبطة بالعمليات النفسية الضرورية لبقاء الكائن. مثل ذلك الجوع والعطش والحاجة إلى النوم. هذه الحوافز وإلى حد كبير يتم إشباعها أو إرضاؤ ها عن طريق الحوافز الثانوية.

ب ـ الحوافز الثانوية: وهي حوافز متعلمة على أساس الحوافز الأولية، فميلر ودولارد يعتبران هذه الحوافز تكريس للأولية، فمثلاً شخص مدفوع للأكل في وقت معين، يكتسب مالاً لشراء الطعام وإرضاء حوافز أخرى لها علاقة بالارتياح الجسماني وكطريقة عادية ومقبولة في ثقافة المجتمع.

٣ ـ المعززات: Reinforcers : ـ

دولارد وميلر يميزان أيضاً بين نوعين رئيسيين من المعززات الثانوية والرئيسية. المعزز هو أي حدث يزيد من احتمالية حدوث استجابة معينة. المعززات الرئيسية هي تلك التي تخفض الحوافز الرئيسية كالطعام والماء، أما المعززات الثانوية فهم في الأصل محايدون ولكنهم يكتسبون قيمة تقديرية بناءً على ارتباطهم بالمعززات الرئيسية. فالمال يعتبر معززاً ثانوياً لأنك تستخدمه لشراء الطعام، كذلك الحال مع ابتسامة الأم أو كلمة المديح التي تقولها لطفلها فهي معزز ثانوي مرتبط بحالة من السعادة والرضى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ عملية التعلم : Learning Process : ـ

تعتبر عملية التعلم شيئاً رئيسياً لفهم الشخصية حيث نستطيع بواسطة هذه العملية اكتساب وتطوير استجابات سلوكية محددة، فالرضيع يبدأ حياته مزوداً أو مجهزاً بما يحتاج إليه من أساسيات لتخفيض حوافزه الأولية كالأكل والشرب والقيام ببعض الأفعال والاستجابات المنعكسة.

الاستجابات المنعكسة هي استجابات أوتوماتيكية لمثيرات معينة، فنحن نغمض أعيننا لتجنب أي مثير يؤثر عليها وكذلك الحال عندما نلمس شيئاً حاراً فنقوم بسحب اليد بفعل منعكس قوي. مثل هذه الانعكاسات تعتبر مهمة لعملية بقائنا وعيشنا. كذلك فقد تحدث ميلر ودولارد عن هرم الاستجابات ويقصدان بذلك وجود نزعة لاستجابات معينة تظهر قبل غيرها فمثلاً الرضيع يمكن أن يبحث فطرياً عن الهرب من مثيرات غير سارة وذلك بالصراخ كذلك الفأر الذي يهرب أو يركض يميناً ويساراً متجنباً الصدمة الكبريائية بدلاً من الاستسلام لها وتحمل آلامها. لكن لو لم تنجح هذه الاستجابة فهو على كل حال سيلجأ إلى محاولة القيام بالاستجابة التي تليها على هرم الاستجابات، فإن لم تجدي أو تنجح فمعنى ذلك اللجوء إلى الاستجابة التالية وهكذا.

دولارد وميلر يقترحان أن عملية التعلم يمكن تقسيمها إلى أربعة أجزاء فكرية رئيسية هي:

١ ـ الحافز.

٢ ـ المؤشر.

٣ ـ الاستجابة.

٤ ـ التعزيز.

١ ـ الحافز: ـ عبارة عن مثير يدفع الشخص لاتخاذ إجراء معين لكنه لا يوجه أو يحدد نوعية ذلك السلوك.

٢ ـ المؤشر: ـ ينسب إلى مثير معين يخبر الكائن متى وأين وكيف يستجيب،

فصوت الجرس أو رنينه بمثابة مؤشر للطلبة لدخول أو مغادرة فصول الدراسة.

٣ ـ الاستجابة: ـ ردة فعل الواحد بالنسبة للمؤشر تعتبر استجابة، ولأن هذه الاستجابات تظهر في شكل هرمي، فنحن يمكن أن نرتب الاستجابة بناءً على احتمالية ظهورها، لكن هذا الهرم الفطري للاستجابات ليس شيئاً ثابتاً أو دائماً، فقد يتغير من خلال التعلم.

٤ ـ التعزيز: ـ ينسب إلى تأثير الاستجابة، فلو أن استجابة لم تعزز بإرضاء الحافز فهي سوف تنطفىء. الانطفاء لا يزيل الاستجابة ولكنه يعوقها متيحاً المجال لاستجابة أخرى لتنمو بقوة وتخلفها أو تحل محلها في هرم الاستجابة. إذا لم تعزز الاستجابات الحاضرة فمعنى ذلك أن الفرد سيكون في معضلة بالنسبة لعملية التعلم، حيث سيحاول تجربة عدد من الاستجابات حتى يطور واحدة ترضي أو تشبع حوافزه.

دراسات تجريبية في عملية التعلم:

أجرى ميلر ودولارد مجموعة كبيرة من الدراسات في مجال الإحباط والصراع، حيث يظهر الإحباط عندما يعجز الفرد عن إشباع حافز معين لأن الاستجابة التي كان يمكن لها إرضاؤه اعترضت. إذا كان الإحباط ينشأ من وضع تظهر فيه استجابات متضاربة في نفس الوقت، فالوضع يوصف على أنه صراع. إذن فالصراعات باختصار، تسمح ببعض من التضاد بين النزعات التي يجب أن نقدم عليها أو نحجم عنها. دولارد وميلر يميزان بين عدة أنواع مختلفة من الصراع، ففي صراع الإقدام ـ إقدام الفرد في آنٍ واحد يتم إغراؤه بهدفين لهما قيمة إيجابية لكن ذلك شيء يتعذر تحقيقه. أنا أرغب في مشاهدة فيلم معين هذا المساء، لكنني حصلت على كتاب جديد قد وصل لتوه وأنا تواق لقراءته. في صراع الإحجام ـ إحجام، الشخص يواجه خيارين غير مرغوبين ولكنه لا يستطيع الهروب في أي اتجاه بدون مقابلة واحدة من هذه الأهداف السلبية. طالب لا يذاكر استعداداً للامتحان ولكنه في نفس الوقت لا يريد الرسوب.

الأوضاع الإنسانية متعددة جداً لدرجة أن التوقع يبقى مستحيلاً في الوقت

الراهن، لكن دولارد وميلر أجروا تجارب على أنواع مختلفة من الحيوانات سمحت ببعض درجات التوقع للسلوك. ففي التجربة التقليدية، وضعت الفئران في جهاز مربوط بمقود وتقوم مقاييس معينة بمقياس قوة السحب والجهد الذي يبذله الفأر في الإحجام أو الإقدام. في حالة واحدة الطعام كان هو الهدف، هنا المجرب لاحظ أن السحب على المقود أصبح أعظم كلما كان الحيوان أقرب للطعام. هذا جعل المجرب يضع نقاطاً تدل على انحدار الإقدام. في وضع آخر، الفئران وضعت في جهاز مشابه حيث تعلموا أن يتوقعوا صدمة كهربائية. في هذه التجربة، الفئران وضعت بقرب الهدف وسمح لها بالركض والهروب . فلاحظ المجرب أنهم سحبوا الجهاز بقوة عندما كانوا قرب الهدف أكثر مما كانوا في المسافة الأبعد منه (من (النزعتين) النزعة للإحجام والنزعة للإقدام يصلان نقاط قمتهما بقرب الهدف . الفئران سحبت بقوة في الجهاز لتجنب الصدمة أكثر مما فعلت للحصول على الطعام . معرفة هذه الحقائق ، جعلت المجرب قادراً على التنبؤ بما سيفعله الفأر ، إذا هو وضع في أية موقف داخل قفص تعلم منه أنه سوف يتلقى طعاماً وصدمة كهربائية في منطقة الهدف! مثالياً ، لو إستطعنا قياس القوى المعقدة التي لو تسير السلوك الإنساني ولو استطعنا تطوير صيغ متطورة تساعدنا في متابعة وتغطية كل المتغيرات التي تدخل في العملية لأصبح بمقدورنا التنبؤ بسلوك الأنواع الدنيا والسلوكيات الإنسانية المعقدة . نظرية دولارد وميلر على كل ، كانت ناجحة في التنبؤ بسلوك حيوانات المختبر البسيطة تحت شروط وظروف محكمة ولكنها لم تنجح في التنبؤ بالسلوك الإنساني المعقد .

تكامل نظرية التعلم والتحليل النفسي:

في محاولتهم لخلق تكامل بين التحليل النفسي ونظرية التعلم، استخدم ميلر ودولارد عدداً من المفاهيم الفرويدية التي أدخلوها ضمن مصطلحات نظرية التعلم ومنها مثال القوى اللاشعورية التي تكون السلوك الإنساني أعادا مع حيث تعريف مفهوم العمليات اللاشعورية بما يتناسب مع نظريتهما، حيث يؤمنان بأن هناك محددان رئيسيان للعمليات اللاشعورية :

أولهما : هما يقترحان أننا غير مدركين لمؤشرات وحوافز معينة لأنها غير معنونة أو معلمة (Unlabled) هذه الحوافز والمؤشرات يمكن أن تكون قد ظهرت قبل أن نتعلم الكلام ولذلك نحن لم نكـن قادرين على عنونتها، لكن مؤشرات أخرى يمكن أن تكون غير شعورية، لأن المجتمع لم يعطها علامات دقيقة. في مجتمعنا، نحن لدينا كلمة واحدة للثلج، حتى وإن وصفناه بالجفاف أو النعومة. في بعض ثقافات الأسكيمو، هناك ثلاثين كلمة أو أكثر تعني الثلج. مثل هذا المجتمع بالتأكيد أكثر وعياً للفروق المختلفة للثلج أكثر من مجتمعنا! التشوهـات في التمييز يمكن أيضاً أن تؤثر في إدراك الفرد الشعوري. خـلال التصنيف المشوه، الانفعـال كالخوف، يمكن أن يصبح متداخلاً مع انفعال آخر كالذنب. إذن، الفرد يمكن أن تكون ردة فعله في أوضاع مخيفة كما لو كان مذنباً وما ذلك إلا بسبب تشوه التمييز في العلاقات أو العنونة.

ثانياً: دولارد وميلر يقترحان أن العمليات اللاشعورية تعزى إلى مؤشرات واستجابات كانت في يوم من الأيام شعورية، لكنها كبتت لأنها لم تكن فعالة. الكبت في الأصل، عملية تجنب اعتقادات معينـة كما تتضمن فقدان القدرة على استخدام تصنيفات لفظية مناسبة. إذن الاعتقادات المكبوتة لم تعد تحت طائلة التحكم اللفظي . بعد ذلك هما أشـارا إلى أن الكبت شيء متعلم مثل كـل السلوكيات الأخرى، عندما نحن نكبت فنحن لا نفكر في اعتقادات معينة نعمل على عنونتهم لأنهم غير طيبين. تجنب هذه الاعتقادات يخفض الحافز وذلك بتخفيض الخبـرة المؤلمة. بنفس الـطريقة، دولارد وميلر ربـطا بين عدد من ميكانيزمات الدفاع التي لخصها فرويد. الإسقاط، التقمص، تشكيل رد الفعل، التبرير والإزاحة حيث ينظران لهذه الميكانيزمات كاستجابات وسلوكيات متعلمة ذات ارتباط بعملية التعلم. فمثلاً التقمص يسمح بتقليد السلوك الذي تعلمه الواحد من الآخرين. الإزاحة تفهم عن طريق التعميم والعجز عن عمل تمييزات صحيحة أو مناسبة.

مراحل النمو الحرجة:

إعادة استخدام مفاهيم التحليل النفسي في مصطلحات التعلم بواسطة دولارد وميلر يمكن النظر لها بوضوح من خلال مناقشاتهما لمراحل النمو الحرجة حيث حددا أربع مراحل تدريبية حرجة في نمو الطفل هي: ـ

١ ـ مشاعر سن الرضاعة.

٢ ـ تدريب النظافة.

٣ ـ التدريب الجنسي المبكر.

٤ ـ تدريب التحكم في الغضب والعدوان.

هناك فترات حرجة في نمو الطفل حيث أن الظروف الاجتماعية للتعلم التي يفرضها الوالدان يمكن أن تكون لها آثار متعددة في النمو مستقبلاً. هنا الموازاة مع مراحل فرويد واضحة. فالوضع المتناقض في عملية التغذية خلال سن الرضاعة يذكرنا بالمرحلة الشبقية لدى فرويد، كما أن مرحلة تدريب النظافة تذكرنا بالمرحلة الشرجية أما التدريب الجنسي المبكر بالإضافة إلى محاولة السيطرة على العنف والعدوانية فهي عناصر من المرحلة القضيبية الفرويدية. دولارد وميلر يتفقان مع فرويد في أن الأحداث في الطفولة المبكرة مهمة وحيوية في تشكيل السلوك فيما بعد بالإضافة إلى كل ذلك فهما يقترحان أن منطقية هذه الأحداث يمكن فهمها داخل عملية التعلم في حين أن مراحل فرويد بيولوجياً مفتوحة نجد أن نتائج مراحل ميلر ودولارد محكومة بعملية التعلم. إذن، الرضيع الذي يصرخ عندما يجوع ويحصل على استجابة سريعة من والديه يتعلم أن النشاط الذاتي يؤثر في تخفيض الحافز. لكن إذا ترك الرضيع يصرخ فهو يمكن أن يتعلم أنه ليس هناك نشاط ذاتي معين يمكن أن يعمل على تخفيض الحافز! المفاهيم الفرويدية مثل التثبيت

والنكوص قام ميلر ودولارد بإعادة تأويلها على ضوء مبادىء نظرية التعلم فالنكوص يفهم على أساس أنه عودة إلى نمط مبكر من الاستجابة لأن نمط السلوك الراهن قد أحبط أما التثبيت فقد وصف على أنه التوقف أو البقاء في نمط مبكر من الاستجابة لأن السلوك الجديد والأكثر ملاءمة لم يتم تعلمه بعد. إذن في دمجهما لبعض مصطلحاتها النظرية بما في نظريات فرويد ، دولارد وميلر أعادا الاحترام لأفكار فرويد على ضوء مبادىء نظرية التعلم وكرسوها في هذه المصطلحات. ترجمة ميلر ودولارد لمفاهيم فرويد في مصطلحات نظرية التعلم أثارت أهمية عظيمة في البحث العلمي والاختبارات التجريبية لمفاهيم فرويد. على كل دولارد وميلر في دمجهما مفاهيم فرويد في نظرية التعلم لم يقدما ترجمة دقيقة لفرويد ففي حين نجد أن القلق والصراع والكبت بالنسبة لفرويد كانت سمات في الطبيعة الإنسانية لا يمكن تجنبها نجد أن دولارد وميلر يعتبرون هذه السمات استجابات متعلمة. إذن هناك اختلافات جوهرية بين مفاهيم فرويد وبين الارتباط الذي قدمه دولارد وميلر لهذه المفاهيم. إن الشيء المؤكد أنه، بدمج وتحويل عدد من مفاهيم فرويد في نظرية التعلم وعلم النفس التجريبي، دولارد وميلر جعلا فرويد ومفاهيمه مستساغة لدى عدد كبير من الناس. أخيراً إن أعمال دولارد وميلر أثارت كثيراً من الأبحاث والدراسات حول المفاهيم الفرويدية.

العلاج النفسي:

نحن رأينا أن السلوك بالنسبة لدولارد وميلر متعلم في محاولتنا الوصول إلى تخفيض للحافز. السلوك الشاذ أيضاً متعلم، لكن في العصاب، السلوكيات المتعلمة دائماً تعبر عن انهزام ذاتي غير منتج! دولارد وميلر يطلقون على العصاب لأزمة الغبار والبؤس (Stupidity - misery syndrome) ! المريض لديه صراعات لا شعورية قوية وغير مصنفة من الناحية الانفعالية، ولأن مشكلته لم تصنف فهو أو هي لا يميز بفاعلية بل يعمم ويطبق حلولاً قديمة وغير فعالة لمشاكل وأوضاع حاضرة. الشاب الذي كان والده طاغية يمكن أن يكون قد تعلم في طفولته المبكرة أنه يجب أن يستجيب لوالده بخنوع من أجل أن يتجنب عقاب والده وغضبه لذا يعجز هذا الشاب عن التمييز بين توجهات والده وتوجهات الأشخاص

أصحاب السلطة الآخرين في حياته كالشرطة والمدرسة والدين لذا، فالشاب يمكن أن يعمم استجـابتـه لوالده على الأشخاص أصحاب السلطة والذين هم في واقع الأمر ليسوا طغاة أو مستبدين كأبيه. دولارد وميلر يؤمنان بأن الصراعات العصابية تدرس بواسطة الوالدين ويتعلمها الأطفال منهم! العلاج يشمل عدم تعلم عادات قديمة، غير فعالة وغير بنـاءه وإحلال استجابة أكثر تكيفاً وحداثة لهذه العادات. دولارد وميلر يقسمان العلاج إلى مرحلتين هما:

١ ـ مرحلة الحديث.

٢ ـ مرحلة الأداء.

في مرحلة الحديث، العادات العصابية تدرس وتفحص وتحدد حتى نضمن عدم تعلم المـريض لها . وهذا الإجراء يتضمن تزويدنا بالعلامات المناسبة لاستجابات المريض فالطفل الذي يكسر بالصدفة طبقاً غالباً يخاف من غضب والدته ، لكن لو أن والدته لم تعبر عن غضبها فقط بل زادت ذلك باتهامه بعمل ذلك عن عمد وقصد ، فالطفل يمكن أن يشعر بالذنب أيضاً . في المستقبل ، الأوضاع التى تخلق الخوف يمكن أن تكون مركبة مع مشاعر من الذنب والتصنيف يساعدنا في التوضيح والتمييز بين هذه الأوضاع . دولارد وميلر يوظفـون أساليب التداعي الطليق والتأويل في علاجهم ، خصوصاً خلال مرحلة الكلام !

أما المرحلة الثانية من العلاج فهي مرحلة الأداء، حيث يكتسب المريض عادات واستجابات جديدة أكثر تكيفاً وإنتاجية ويشجع على تطبيقها. التدريب المقصود في القمع يمكن أن يكون مفيداً فالمريض يمكن أن يدرب على القمع وذلك يعني، شعورياً إيقاف أو الحد من تلك الأفكار والتصرفات التي تعزز العادات القديمة. في نفس الوقت، هو أو هي يعرض عن عمد نفسه لمؤشرات جديدة سوف تظهر أو تميز استجابات مختلفة! في حين اعتقد فرويد أنه من الضروري العمـل من خلال مشـاكل الماضي لأي تحليل ناجح، دولارد وميلر يعتقدان أن استعادة الأحداث التاريخية وتفريغ الأحداث الماضية فعال فقط عندما يكون ذلك العمل إجرائياً لخلق التغيير!.

إذا كانت الإعادة التاريخية ضرورية للتغيير لكي يظهر، فهي فقط خطوة قصيرة لاستثناء ذلك التركيز على الماضي والتركيز على السلوكيات الحاضرة كما يفعل أصحاب نظريات التعلم اللاحقين. دولارد وميلر أيضاً اقترحا أنه من أجل أن يحتفظ المريض بعاداته الجديدة واستجاباته المكتسبة التي تعلمها في العلاج، لا بد من تطوير عادة دراسة الذات وهي التي تعزى إلى التحليل والملاحظة الذاتية. مثل هذه الدراسة الذاتية لا بد وأن تؤخذ في عين الاعتبار متى ما نحن أحسسنا بظهـور مشكلة، فنحن نحتـاج إلى اختبـار لاستجاباتنا وتحديد ملاءمتها وعادة الدراسة تساعد المريض بعد العلاج في مواصلة تعزيز ما تلقاه أو تعلمه.

الكف المتبادل: Reciprocal Inhibition:

طبق جوزيف ولبي طريقة في العلاج تعتمد أساساً على تطبيق مبادىء التعلم المستمدة من التجارب المعملية. ولد ولبي في عام ١٩١٥ لعائلة يهودية هاجرت من ليثيونيا إلى اتحاد جنوب إفريقيا، وحصل على تدريبه الطبي في جامعة ويتواثر ستراند في جنوب إفريقيا. على الرغم من أنه في البداية اعتنق مذهب التحليل النفسي، إلا أنه رفض نظرية فرويد فيما بعد لأنه يرى أن البحث العلمي لم يؤيد فرضياتها علمياً . من ناحية أخرى وجد في أعمال كلارك هول نظرية منظمة للتعلم يستطيع أن يتوسع فيها . ولبي طور طرقه في العلاج بعد عمل سلسلة من التجارب على الحيوانات حيث قام في دراسة واحدة بإعطاء صدمات كهربائية لقطط كانت في بيئة محظورة لا تمكنها من الهرب . القـطط أظهرت مستوى عالياً من القلق وأعراضاً عصابية أخرى ولم يكن بمقدورها الأكل عندما وضعت في جهاز التجربة . بناءً على نتائج هذه الدراسات ، ولبي طور مبدأ الكف المتبادل الذي ينطوي على تقديم الاستجابة التنافسية والتي سوف تتداخل مع الاستجـابـة الغـير منتجـة والغير متكيفة في الأصل . ولبي يرى أن القلق استجابة أتوماتيكية ، الكائن يظهرها في حضور مثيرات مؤلمة وضارة . إذن أصبح القلق متواتراً جداً خلال عملية التكيف أو الأشراط ويمكن أن يؤدي إلى العصاب حيث يصبح الواحد قلقاً على مثيرات متتالية هي في الحقيقة غير ضارة . على كل حال ، إذا الاستجابة التي تتنافس مع القلق أمكن عملها في نفس الوقت الذي يظهر فيه المثير الذي يحرض على القلق فهي

يمكن أن تضعف العلاقة بين المثير والقلق ، فتطوير الاستجابة التنافسية ، يمكن أن يكف القلق .

بعض الأساليب العلاجية السلوكية :

١ ـ **التحصين المنتظم**: في هذا الأسلوب المريض يكيف لإيقاف استجابة القلق للمثير ولاستبداله باستجابة جديدة حيث اكتشف أن الاسترخاء غالباً استجابة تنافسية ناجحة جداً، فمن الصعب على الشخص أن يشعر بالقلق في وضع استرخائي نفساني. إذن، الخطوة الأولى في التحصين المنتظم هي تدريب المريض على الاسترخاء العضلي العميق. من خلال سبع جلسات تقريباً المريض يكون قد تعلم كيف يرخي أجزاء مختلفة من جسمه حتى يصل في النهاية إلى درجة تساعده في الاسترخاء وفق ما يشاء.

الخطوة الثانية في التحصين المنتظم هو بناء أهرام القلق، المعالج سوف يسأل المريض تحديد كل مصادر قلقه وتلك المصادر تجمع في أفكار عامة ، وتقسم إلى فقرات والمريض يُسأل للقيام بترتيب كل واحدة منهم ، واضعاً الفقرة الأكثر إزعاجاً في القمة فالأقل ثم الأقل وكمثال هنا هرم يمثل المخاوف التي طورت بواسطة واحد من مرضى ولبي والبالغ من العمر أربعاً وعشرين سنة يدرس فن الرسم والذي قاده قلقه الشديد في الامتحانات إلى تحصيل درجات منخفضة في عدد من المواد.

هرم مخاوف الأمتحان لدى الطالب :

١ ـ في الطريق إلى الجامعة في يوم الامتحان.

٢ ـ في عملية الاجابة على ورقة الامتحان .

٣ ـ الوقوف أمام الأبواب المغلقة لغرفة الامتحان.

٤ ـ انتظار توزيع أوراق الامتحان.

٥ ـ ورقة الامتحان مقلوبة على وجهها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ الليلة قبل الامتحان.

٧ ـ يوم واحد قبل الامتحان.

٨ ـ يومين قبل الامتحان.

٩ ـ ثلاثة أيام قبل الامتحان.

١٠ ـ أربعة أيام قبل الامتحان.

عندما يتم تدريب المريض على الاسترخاء العميق ويتم بناء الأهرامات، عملية التحصين نفسها تبدأ وذلك بتقديم مثيرات تحريض القلق الضعيفة في البداية ليتخيلها أثناء استرخائه. المريض يسأل أن يخبر المعالج والمنظر يتوقف حتى يكون المريض قادراً على الاسترخاء ثانية. في الأخير نجد المريض يستطيع تخيل مناظر ذات كثافة أعظم ولمدة أطول مع انخفاض في درجة القلق وزيادة في الاسترخاء وباختصار فالاستجابة المنافسة تم تكوينها.

٢ ـ **التدريب المؤكد:** في هذا الأسلوب المريض يعلم على التعبير عن مشاعره في أوضاع يومية مختلفة، سواء المشاعر الودية أو مشاعر الغضب والعدوانية. ولبي أشار إلى أن هناك عدد منا تم تدريبهم على كف التعبير عن مشاعر معينة في أوضاع أجتماعية من أجل أن نصبح لبقين ومقبولين اجتماعياً وأدبياً. بسبب ذلك نحن يمكن أن نشعر بالكف في التعبير عن مشاعرنا الإيجابية اعتراض على سلوكهم أو يمكن أن نشعر بالكف في التعبير عن مشاعرنا الإيجابية تجاه الآخرين. التدريب المؤكد يخول الشخص تعلم مهارات تساعده على الوقوف والتعبير عن ما يشعر به، فلو أن شخصاً دخل فجأة قبل أحد الواقفين في خط الانتظار قائلاً (أنا متأكد أنك لن تعارض) ذلك الشخص لا بد أن يكون قادراً على القول (آسف، إنني أعترض، من فضلك ارجع إلى آخر الخط). ولبي وجد التمرينات السلوكية مساعداً مفيداً في التدريب التوكيدي والمحاولة السلوكية (التمرين أو البروفة) هي شكل من لعب الدور، فالمعالج سوف يلعب دور شخصي يعطي المريض بعض الصعوبات كالمسؤول الذي يسأل المريض تكرار العمل خارج وقت الدوام عندما لا يكون الوقت أو الوضع ملائماً. من خلال البروفة

السلوكية المريض يمكن أن يكون بمقدوره تأكيد ذاته ليشير إلى أن ذلك سيكون له ما يقابله بدلاً من الخضوع وعمل المطلوب. البروفة السلوكية يمكن أن تساعد أيضاً الواحد في تصور الحلول الوسط بحيث يرضى الطرفان.

٣ ـ العلاج التنفيري: على الرغم من أن المعالجين السلوكيين لا يعتبرون العلاج التنفيري خيارهم الأول، إلا أنهم كشفوا عن استخداماته! هذا الأسلوب يعرف أيضاً بالأشراط العكسي التجنبي ويتضمن ربط مثير غير سار لاستجابة أحجام قوية، مثل الصدمة الكهربائية، مع استجابة غير مرغوب فيها. هذا الأسلوب قد تم استخدامه في علاج المدمنين على المخدرات والمسكرات فمثلاً الكحولي يعطى مادة (امتيك)، دواء يسبب التقيؤ وبعد ذلك يعطى المشروب الكحولي. المريض يتقيأ بعنف نتيجة للأمتيك، والذي يعطى في فترة قريبة جداً لتناول المشروب. بعد عدة جلسات من هذا النوع المريض يمكن أن يبدأ في الشعور بالغثيان عند رؤيته أو شمه الكحول وبالتالي يفقد الرغبة في شربه. العلاج التنفيري استخدم لإزالة مثل هذه السلوكيات الغير مرغوب فيها مثل الشراب والقمار وعض الأصابع والشراهة في الأكل، والشذوذ الجنسي. هذه الأساليب وصفت في كتاب وفيلم (Clockwork Orange). مثل هذه الأساليب التنفيرية في العادة لن تكون فعالة، إلا إذا تعرض المريض لمثيرات أخرى سوف تعزز التعبير عن الاستجابة المرغوبة، وإلا، فإنه في حالة عدم تعزيز الاستجابة الغير مناسبة سلبياً فيما بعد فقد تتم البرهنة على إفاقة عضوية! لأولئك الناقدين الذين أشاروا إلى أن العلاج التنفيري يتضمن سيطرة سادية، المعالجون السلوكيون يؤكدون على أنه يجب ألا يُستخدم إلا إذا تطوع المريض وباختياره وموافقته على أن هذا الأسلوب هو الأفضل لعلاج وضعه أو مشكلته.

نظرية دولارد وميلر: فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

نظريات التعلم والسلوك المتعلقة بالشخصية طورت من تجارب معملية ودراسات مخبرية وليست من واقع أو عمل عيادي مع المرضى ، بينما يؤكد أصحابها أنهم أسسوا نظرياتهم وإفاداتهم معتمدين على شواهد تطبيقية وأظهروا رغبة محددة لتقديم فروق نظرية للاختبارات الملاحظة . السلوكيون أدركوا أكثر من أصحاب النظريات الأخرى ،

أن النظرية مفيدة أو غير مفيدة من خلال تأثيرها في الكشف عن التوقعات التي يمكن فحصها . كنظريات علمية ، نظريات التعلم والسلوك كانت مثيرة وجذابة لعدد من الأخصائيين النفسيين لأنها تمكننا من الاحتكام إلى الشواهد الصادقة .

بعض المثيرات أكثر قرباً لكائنات معينة كما أن الاستجابات المحتملة أيضاً تختلف، فنقر الحمام وشخبطة الدجاج وقلب الخنازير للتربة، من الصعب ، إن لم يكن مستحيلاً تغييرها لذا فالواحد منا لا يستطيع أن يعمم بسهولة من فأر إلى كائن بشري .

كما رأينا فإن دولارد وميلر قد أخذا عدداً من مفاهيم التحليل النفسي الفرويدي وأذابوها في المضامين التخيلية للنظرية العلمية. فلقد زودا مفاهيم فرويد بتعاريف عملية إجرائية وأظهرا أنه يمكن فحصها واختبارها. الكثير منا يعتبر هذا مساهمة جيدة أضافت الحيوية والموضوعية لمفاهيم فرويد، أما موضوع استفادة مدرسة التحليل النفسي من ذلك فمسألة متروكة للنقاش والجدل. البعض يحب أن يشير إلى أنه ومن خلال الترجمة، مفاهيم فرويد فقدت ديناميكية قيمة وفرغت من هدفها الأصلي. الآخرون يعتقدون أن دراسات فرويد المتعمقة والعيادية للبشر أكثر فهماً لدينامية الشخصية الإنسانية من دراسات دولارد وميلر على الفئران، ولكن مع كل ذلك فوجهات نظر دولارد وميلر صارت أساساً في دراسات الشخصية منذ طباعتهما ونشرهما لكتابهما الرئيسي (الشخصية والعلاج النفسي). نظام دولارد وميلر في دراسة الشخصية يهدف إلى منافسة أو مضاهاة النماذج أو المناهج العلمية في فهم الشخصية.

ملخص:

١) نظريات التعلم والسلوك تكشف عن الشخصية تجريبياً بدراسة السلوك في أوضاع معملية وطرقهم الدقيقة تعكس وجهة نظر امبيريقية وتعديلاً متأنياً لمتغيرات معينة تحت ظروف محكمة .

٢) السلوكيون المبكرون تركوا بصمات واضحة على المذهب السلوكي مثل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بافلوف الذي شرح عملية الأشراط الكلاسيكي أو واطسون والذي ركزت نظريته على السلوك الظاهر أو ثورندايك والذي صاغ قانون الأثر أو هول الذي وضع مفهوم تخفيض الحافز.

(٣) دولارد وميلر يصفان تركيب الشخصية فيما يتعلق بالعادات التي يمكن تعلمها وتلك التي لا يمكن تعلمها. كما يميزان بين الحوافز الأولية والثانوية والمعززات كقوى حافزية أولية للشخصية.

(٤) السلوك البشري يمكن فهمه من خلال عملية التعلم والتي تنقسم إلى أربعة أجزاء فكرية رئيسية هي:

١ ـ الحافز.

٢ ـ المؤشر.

٣ ـ الاستجابة.

٤ ـ التعزيز.

(٥) عدد من التجارب تم عملها على عملية التعلم خصوصاً في مجال الإحباط والصراع. التجارب على الأنواع الدنيا من الكائنات الحية كانت ناجحة في التنبؤ بسلوك حيوانات المعمل البسيط تحت ظروف محكمة.

(٦) دولارد وميلر استخدما عدداً من مفاهيم فرويد ودمجاها في مصطلحات نظرية التعلم. العمليات اللاشعورية ينظر لها على أنها مؤشرات وحوافز غير مميزة أو معنونة. ميكانيزمات الدفاع ومراحل النمو الأربع والمرتبطة بعملية التعلم ساعدت على شيوع مفاهيم فرويد وأثارت مزيداً من البحوث حولها.

(٧) العلاج النفسي الذي قال به دولارد وميلر يعتبر جسراً للعلاجات الأكثر توجيهاً وحيوية فالعلاج السلوكي يتضمن عدم تعلم عادات غير فعالة واستبدال الاستجابات بأخرى أكثر تكيفاً! خلال مرحلة الكلام، المريض يتعلم أن يميز ويضع علامات الاستجابات أما في مرحلة الأداء فهناك تدريب متأنٍ في القمع تتم تجربته أو تطبيقه!

⑧ الكف المتبادل يتضمن تطوير استجابات تنافسية كما أن أصحاب نظريات التعلم والسلوك طوروا أساليب عديدة مثل التحصين المنتظم والتدريب التوكيدي والعلاج التنفيري أعطت نتائج إيجابية ملموسة.

⑨ نظرية دولارد وميلر في الشخصية تهدف إلى تكوين نموذج علمي وتضع تركيزاً ملحوظاً على البحث الأمبريقي.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

For students who are interested in a historical introduction to the experimental movement in psychology, E. G. Boring, A History of Experimental Psychology (Appleton - Century - Crofts, 1929) is an encyclopedic survey, A calssic statement of john Watson's behaviorism may be found in his book Behaviorism (Norton, 1925).

Dollard and Miller have jointly written two books that describe their effort to develop a theory of personality. Of primary interest is Personality and Psychotherapy: An Anlysis in Terms of Learning, Thinking, and Culture (Mc Graw - Hill, 1950). In this work, the authors outline how they have applied the cocepts of learning theory to reconsider many of the insights and observations of Freudian psychoanalysis. They translate freud's theory of personality, therapeutic concepts, and procedures into learning theory terms. The book is an outstanding introduction to the learning and behavior approach to personality.

Social Learning and Imitation (Yale University Press, 1941) represents an early attempt to apply Hull's principles of learning to the study of personality. It is a good introduction to an effort to use learning theory to understand personality.

Dollard and Miller have also written Several articles. Some of these are cited in the References. Joseph Wolpe's therapy techniques for clinical practice are included in the Pracitice of Behavior Therapy (Pergamon, 1973).

الفصل السادس عشر

المذهب السلوكي الراديكالي: ب. ف. سكينر

B. F. SKinner: Radical Behaviorism

أهداف الفصل:

١ ـ شرح أسباب تركيز سكينر على السلوك الظاهر وتجنبه تطوير نظرية في الشخصية.

٢ ـ وصف عملية الأشراط أو التطويع الإجرائي ومقارنتها بالأشراط أو التطويع الكلاسيكي.

٣ ـ التمييز بين أنظمة التعزيز وأنواعها المختلفة والإشارة إلى فعاليتهم.

٤ ـ مناقشة مفهوم سكينر لتعديل السلوك وشرح كيفية تطبيقه بنجاح.

٥ ـ وصف مفهوم سكينر للمجتمع اليوتيبي.

٦ ـ إظهار كيف أن وضع سكينر يتضمن افتراضات فلسفية بالإضافة إلى الإفادات العلمية.

٧ ـ التمييز بين التأمل الباطني والتأمل الخارجي كوسائل لاكتساب المعلومات الأمبيريقية وشرح لماذا نظريات التعلم والسلوك ينظر لها كنظريات جزئية أو غير مكتملة.

٨ ـ تقييم نظرية سكينر علمياً وفلسفياً وأدبياً.

نظريات السلوك الاجتماعي تحلل تطور الشخصية فيما يتعلق بالمبادىء المشتقة من نظريات التعلم وتهدف إلى تطبيق نتائجها على أوضاع اجتماعية. مجموعة أصحاب النظريات الذين سنتحدث عنهم في هذا الفصل يشاركون دولارد وميلر بالإضافة إلى السلوكيين القدماء اعتقادهم بأهمية التعلم في تشكيل الشخصية ولكنهم يختلفون عنهم في رفضهم لمفاهيم التحليل الفرويدي كما أنهم ذرائعيون في عملهم أكثر منهم نظريون.

العالم النفسي الشهير وصاحب المواقف المثيرة للنقاش (بيرهوس فردريك سكينر) والذي تمسك بوجهة نظر سميت فيما يعد باسم (السلوكية المتطرفة) أثبت عدم أهتمامه ومبالاته لوضع أي حوافز داخلية أو تركيبات تحتية يمكن القول بأنها تكون الشخصية. لقد كان اهتمام سكينر الرئيسي منصباً على دراسة توقع السلوك وكيفية التحكم في ذلك السلوك. إذن فهو يريد تزويدنا بتطبيقات دقيقة جداً للطرق والمعلومات والمفاهيم التي تظهر عن طريق دراسة التعلم.

البرت بندورا وريتشارد وولترز أكدوا أهمية العوامل الاجتماعية في التعلم فهم ينتقدون استخدام أساليب التعلم في فهم الشخصية والتي تركز على دراسات الحيوانات لمحدودية تصوراتهم. جوليان روتر ساهم في دراسة التعلم بتقديره لقيمة الخبرة الشخصية التي يحملها الفرد في الموقف حيث اقترح صيغة مبدئية تسمح لنا بالتوقع بسلوك الشخص في أي موقف معين.

أخيراً وولتر ميتشل ساهم بالكثير فيما يتعلق بفهم وعلاج السلوك الشاذ والمشكلات الاجتماعية.

حياة سكينر الخاصة:

يعتبر سكينر في الوقت الحاضر أشهر وأكثر العلماء تأثيراً في علم النفس الأمريكي. ولد سكينر في بلدة سيسكويهانا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٤ م. كان والد سكينر محامياً طموحاً وجمهورياً متحفظاً، حقق نجاحات طيبة مادياً ومعنوياً ومهنياً وإن كان لا يعترف بقيمة ذلك، أما والدته فقد كانت جميلة وذكية وتتحلى بخلق رفيع. كانت تنشئة سكينر طيبة جداً حيث عاش في بيت مريح تتوفر فيه عناصر العاطفة والأمان والاستقرار وكل ما يميز الطبقة الاجتماعية الوسطى من قيم ومثل، فلم تستخدم على سبيل المثال في تربيته العقوبات الجسدية ولا حتى المعنوية ولكن الإرشاد والنصح من والديه وأجداده كان مجدياً في تعليمه مبادىء الخوف من الله واحترام الأعراف والسلطات المجتمعية فنشأ شخصاً مخلصاً للقيم الاجتماعية والدينية الفاضلة. كطفل، أظهر سكينر شغفاً ملحوظاً بالآلات والمكائن وأبدى ميولاً حقيقية في اكتشاف ومعرفة كنه وكيفية عمل

هذه الأدوات حيث كان يقضي معظم وقته في تركيب وبناء تلك القطع والأشياء، فعمل طائرات وصنع سيارات وقام بتركيب ألعاب للأطفال، فمثلاً نجده يطور آلة ميكانيكية تذكره بموعد نومه وتعليق بجامته وأخرى تساعده في نفخ الدخان بدون مخالفة للتعليمات الأبوية.

كانت لدى سكينر ميول لدراسة سلوكيات الحيوانات فقد تعود على إحضار بعض الحيوانات المتوحشة إلى منزلهم كالثعبان والسنجاب .. الخ . كما أظهر ميلاً وحباً في اقتناء وتربية الحمام، لدرجة أنه عمل فيما بعد على تدريبهم مع حيوانات أخرى على لعب البونج بونج وتوجيه قذائف صاروخية إلى الأهداف المحددة وكذلك أداء بعض الأعمال الغريبة. أما في المدرسة فقد كان سكينر طالباً نجيباً وقد تخصص في دراسة اللغة الإنجليزية عندما كان يدرس في كلية هاميلتون (Hamilton College) في ولاية نيويورك، حيث كان يفكر جدياً في أن يصبح كاتباً فقد كان يرسل العديد من القصص القصيرة للشاعر المعروف (روبرت فروست) والذي شجعه في طموحاته الكتابية مما جعله يخصص قرابة السنتين للكتابة، لكنه لم يستطيع إكمال مسيرة الكتابة لأنه كما يقول لم يجد شيئاً مهماً يستحق الكتابة أو القول. خلال هذه الفترة سنحت لسكينر فرصة القراءة والاطلاع على عدد من الكتب من بينها كتابات بافلوف وواطسون اللذين أثرا في تفكيره واعتقاداته كثيراً حتى أنه من فرط إعجابه بهما قرر استكمال دراساته العليا في جامعة هارفارد في مجال علم النفس حتى حصل على درجة الدكتوراه في هذا التخصص عام ١٩٣١ م. بعد تخرجه قام بالتدريس في جامعة مينسوتا لمدة تسع سنوات، ثم ترأس قسم علم النفس بجامعة أنديانا قبيل عودته إلى جامعة هارفارد في عام ١٩٤٨ م بعد أن كون سمعة طيبة عن نفسه كعالم نفسي تجريبي كبير بالإضافة إلى نشره لكتابه المعروف (Walden II) والذي يصف فيه مجتمعاً مثالياً يقوم على المباديء النفسية.

نظرية الشخصية والتي لا شخصية لها: Atheory of Personality Without Personality:

يعتبر سكينر من أشهر رواد النظرية السلوكية في الماضي والحاضر ويمكن

القول إنه قد أخذ تعاليم ومفاهيم نظرية جون واطسون وطبقها في تطرفها المنطقي فهو يتفق مع واطسون على أنه من الغباء ان ننسب إلى مفاهيم ومضامين الشخصية تلك الأشياء التي لا يمكن ملاحظتها مباشرة، كالهو والأنا والأنا الأعلى. نحن قد رأينا أن ميلر ودولارد قد طورا نظرية للشخصية ذات توجهات سلوكية تحليلية نفسية حيث دمجا بعض مفاهيم نظرية فرويد التحليلية مع مبادىء نظرية التعلم.

سكينر طور علم نفس لا يعتمد على الشخص فقط بل يعتمد على المتغيرات والقوى البيئية التي تؤثر في الشخص ويمكن ملاحظتها مباشرة! فهو إذن يقدم النظرية السلوكية ونظرية التعلم في شكلها الراديكالي الواضح!، سكينر يبدو ومن عدة وجوه أن مكانه خارج كتابنا أو أي كتاب يركز على نظريات الشخصية فهو لم يقدم لنا أو يزودنا بأي نظرية للشخصية، بل على الأصح، هو وصف تلك المتغيرات والقوى البيئية التي تشكل سلوك الفرد الظاهري. سكينر يرى أن محاولة فهم أو شرح الشخصية باستخدام مصطلحات أو بناءات داخلية كالهو والأنا والأنا الأعلى معناه الحديث بصورة خيالية لأن المصطلحات الخفية غير مجدية في فهمنا لجوانب الشخصية لأنها أولاً تعرض بطريقة لا يمكن ملاحظتها مباشرة، كما أنه من الصعب أن نستنتج منها تعريفات إجرائية، أما المأخذ الأخير فيبدو مستحيلاً تطوير وسائل نظامية أو تطبيقية لاختبار وقياس هذه المصطلحات أو المفاهيم. ولأن مثل هذه المفاهيم ليس من السهل التعامل معها أو التحكم فيها بواسطة العالم الباحث، سكينر وبكل بساطة اقترح علينا تجاهلها وعدم الالتفات إلى أي نوع من التركيبات الداخلية للشخصية واقترح بدلاً من ذلك، التركيز على التأثيرات البيئية والتي تحدد بسلوك الفرد. إذن، سكينر يقترح علينا أنه من أجل أن نفهم الشخص، فليس ضرورياً أن نفترض وجود أي تركيب داخلي للشخصية ومعنى ذلك أن الواحد ببساطة يمكن أن يعتبر هذا الشخص أو ذاك كما لو كان كياناً فارغاً ويلاحظ كيف أن التغيرات البيئية تؤثر في سلوكه! بالنسبة لسكينر مصطلح (الشخصية) يعتبر في النهاية شيئاً غير ضروري، حيث أن سلوك الفرد يمكن فهمه بالكامل من خلال استجابات معينة للقوى والعوامل البيئية المختلفة. في نفس الوقت، سكينر يعتقد أنه ليس ضرورياً افتراض وجود قوى داخلية أو حالات دافعية داخل الشخص

كعوامل مسببة للسلوك. سكينر لا ينكر أن مثل هذه الحالات تظهر لكنه ببساطة لا يرى داعياً للحديث عنها لأنه لا يمكن تعريفها إجرائياً. فبدلاً من محاولة تحديد كيف يكون الكائن جائعاً، سكينر يحاول تحديد المتغيرات أو القوى البيئية التي تؤثر في سلوك الأكل عنده. مثل هذه العوامل البيئية يمكن تحديدها بدقة، وقياسها والتعامل معها بصورة عملية لذلك سكينر لا يفترض أي ديناميات أو تركيبات للشخصية مهما كان الحال. بعض من منتقديه يرون أن سكينر يبدأ بمذهب (الكائن الفارغ) أو (الصندوق المغلق) هذه المصطلحات لا يقرها سكينر كما أنه لا يقبل تسميته بصاحب نظرية المثير والاستجابة. سكينر يعترف بأن الرضيع في ميلاده ليس كاللوح الأملس. بل هو كائن يحمل وراثة جينية معينة واستعدادات انعكاسية محددة وقدرات أخرى للاستجابة بالإضافة إلى دوافع معينة وحالات حافزية. هذه العوامل محددة ولا يمكن تغييرها كما أن دراستها لها قيمة قليلة فمن المهم أن تظهر كيف أن السلوك يمكن تغييره أو تعديله بواسطة البيئة بدلاً من أن تظهر كيف يبدو السلوك أو يظهر من خلال قوى أو تركيبات داخلية.

عمل سكينر يختلف أيضاً عن الباحثين الآخرين حيث يركز على الموضوعات الفردية حيث جرت العادة على أن يقوم بدراسة كل حيوان بمفرده ويقرر نتائجه في سجلات فردية، في حين أن الباحثين التجريبيين الآخرين يكتبون استنتاجاتهم بناءً على أداء مجموعات المقارنـة ككل، فهو يؤمن بأن قوانين السلوك يجب أن تطبق على كل فرد وعلى كل موضوع عندما تتم ملاحظتها تحت الظروف المناسبة.

تطوير السلوك من خلال التعلم:

في يوم ميلاده، الرضيع يولد مزوداً باستعدادات فطرية لكن سلوكياته اللاحقة يمكن فهمها فيما يتعلق بالتعلم. قانون الأثر لثورينديك عندما يتوج السلوك أو الأداء بالرضى فمعنى ذلك الاستمرارية والبقاء. لكن لو توج الأداء الإحباط فمعناه القضاء عليه. سكينر يقترح مصطلحاً بسيطاً جداً هو مصطلح التعزيز وهو أي شيء يرفع أو يخفض احتمالية حدوث الاستجابة. إن نتيجة سلوك الواحد منا هي التي تحدد احتمالية ظهوره ثانية، فـإذا كان الطفل يصرخ أو يئن فيمكن أن تكون تلك محاولات منه لجلب اهتمام والديه نحوه وبالتالي تعزز. إذا نتج عن السلوك تعزيز

ففرصة إعادة هذا النمط من السلوك كبيرة جداً أما إذا لم ينتج عن السلوك أي تعزيز وذلك بتجاهل الطفل وعدم إعطائه الاهتمام فهناك احتمال أن تنقطع الاستجابة السلوكية ويتصرف الطفل بطرق بديلة لكي يجد أنماطاً سلوكية يمكن تعزيزها.

التعويد أو الأشراط الأجرائي:

سكينر يفرق بين نوعين من السلوك: السلوك المستجيب والسلوك الأجرائي. فالسلوك المستجيب (Respondent) ينسب إلى تلك الانعكاسات أو الاستجابات الأتوماتيكية التي أثيرت بواسطة مثير معين. الضوء الساطع يسبب للعينين الإغماضة، والركبة لو وخزت نجد الساق تمتد إلى الأمام كذلك عندما تلمس أصابعنا جسماً حاراً نسحبها بسرعة. مثل هذه السلوكيات غير متعلمة فنحن لا نتعلم كيف نقوم بها فهي تظهر بطواعية وبصورة أوتوماتيكية. السلوك المستجيب يمكن، على كل، أن يكيف أو يشرط أو يغير من خلال التعلم فالسلوكيات المستجيبة كانت معروفة في تجارب بافلوف حول الأشراط الكلاسيكي. كلب بافلوف تعلم أن يسيل لعابه عند سماع صوت الجرس. هذه انعكاسات تلقائية أو استجابات أوتوماتيكية تؤدى في حضور المثير الذي كان سابقاً محايداً من خلال الترابط أو التداعي.

أما السلوكيات الإجرائية (Operant Behaviors): فهي استجابات تصدر بدون ضرورة وجود مثير في الوقت الحاضر. هذه السلوكيات تظهر عفوياً فليست كل حركات المولود الجديد استجابات انعكاسية فلبعضهم سلوكيات إجرائية حيث أن الرضيع يتصرف بناءً على ظروف البيئة. الرضيع يحرك ذراعه أو ساقه ويتبع ذلك آثار معينة. هذه الآثار تحدد ما إذا كانت الاستجابة سوف تعاد أم لا. سكينر يعتقد أن عملية الأشراط الإجرائي لها أهمية أكبر من الأشراط الكلاسيكي البسيط، هناك سلوكيات عفوية في الأصل آثارها أو نتائجها تحدد إمكانية إعادتها أوتكرارها وهناك تمييز واضح بين طبيعة السلوك المستجيب والسلوك الإجرائي فالسلوك المستجيب يظهر بواسطة مثير في حين أن السلوك الإجرائي يصدر أو يعمل بحرية بواسطة الكائن. طبيعة التعزيز أيضاً تختلف في الأشراط الكلاسيكي عنها في الأشراط الإجرائي. ففي الأشراط الكلاسيكي، المثير هو التعزيز وهو يسبق السلوك أما في الأشراط الإجرائي فنتيجة السلوك هي التعزيز. إذن، في الأشراط الإجرائي التعزيز

يتبع السلوك. الأشراط الإجرائي يمكن وصفه نظامياً بتصوير أو رسم سلوك الفأر في الجهاز، وهو معمل مجهز صممه سكينر من أجل تدريب الحيوانات وعمل البحوث وصار من المألوف تسميته (صندوق سكينر) وهو الجهاز الذي يعمل دراسة دقيقة ومحكمة لسلوك الحيوان . عندما يوضع الفأر المحروم من الأكل داخل الصندوق فهو يمكن أن يتصرف بطرق عشوائية مختلفة. هنا الفأر يمكن أن يتحرك في جميع جوانب الصندوق لاكتشافه. فيما بعد، الفأرة يمكن أن تقوم ببعض الحركات كأن تحك نفسها أو تتبول من خلال تحركها، الفأرة يمكن في أي نقطة أن تضغط على الحاجز الذي على جدار الصندوق . ضغط هذا الحاجز يتسبب في نزول الطعام أمام الفأر. سلوك الفأر كان له تأثير على البيئة. الطعام يقوم بدور التعزيز ليزيد من احتمالية ظهور ذلك السلوك ثانية. عندما يظهر هذا السلوك ثانية فمعنى ذلك أنه قد تعزز. في الأخير، الفأر يبدأ في ضغط الحاجز بتتابع سريع، مع توقف للأكل فقط. عندما نكيف أو نطوع الفأر الذي حرم من الطعام في صندوق سكينر ليضغط على الحاجز ويعزز تلك الحركة أو التصرف (السلوك) بسقوط الطعام أمامها ، نستطيع أن نتوقع بدقة ما تنوي الفأرة عمله في جلسات لاحقة في صندوق سكينر. أيضاً، نحن نستطيع التحكم في سلوك الفأر بتغيير التعزيز. كما لاحظ سكينر أن قدرة الشخص الذي يعمل التعزيز يحدد السلوك المرغوب. الكائن يقوم بعدد من السلوكيات وعندما يظهر السلوك المرغوب فيه يتم تعزيزه . لأن التعزيز المناسب يزيد من احتمال ظهور السلوك ثانية.

التشكيل : Shaping :

من المعروف أن السلوك الذي يرغب الواحد منا تدريب كائن ما على عمله شيء معقد ومتطور حيث أننا لا نتوقع أن يعمل الكائن هذا السلوك بصورة طبيعية بعد فترة قصيرة من دخوله القفص (الصندوق). لنفترض أن شخصاً أراد تدريب حمامة على النقر في نقطة سوداء صغيرة داخل دائرة بيضاء. إذا انتظرنا ذلك السلوك حتى يظهر عفوياً، فالواحد قد ينتظر وقتاً طويلاً جداً لذلك، سكينر طور وطبق إجراء سماه (التشكيل)، حيث يقوم بصياغة أو تشكيل سلوك الكائن عنوة من أجل الوصول إلى السلوك المرغوب. في التشكيل أو الصياغة السلوك الغير مميز للكائن تدريجياً

يتشكل على ضوء مجموعة خطوات منظمة ويتزايد حتى يقارب السلوك المرغوب. في البداية، الحمامة تتحرك عشوائياً داخل الصندوق. عندما تتحرك في اتجاه الدائرة، فهي معززة بكرة الطعـام في الحوض الذي يقع تحت الدائرة وفي المرة القادمة التي تقترب فيها من الدائرة، هي تقوم بالتعزيز وهكذا حتى تتمكن أخيراً من النقر في النقطة السوداء الصغيرة في داخل الدائرة. من خلال التشكيل، الكائن يمكن أن يوجه لتطوير سلوك يمكن ألا يكون قد صدر أو نشأ عفوياً فقد نجح سكينر من خلال التشكيل على إدخال أو تطوير سلوكيات لدى الحيوانات التي عادة لا تقوم بمثل هـذه الصورة. بعض من هذه الأعمال فريدة وغريبة، فمثلاً سكنير نفسه درب الحمام وعلمه كيف يلعب البينج بونج وعلى استخدام صواريخ أرض جو. كما دربهم على النقر على أشياء كانت معروضة على شاشة بطريقة تجعلهم يوجهون القذائف بمجرد النقر. حمام سكينر لم يدرب لكي يقوم بتوجيه صواريخ فعلية، لكنه أظهر لنا أنه كان من الممكن لهم عمل ذلك. من خلال طرق تشكيل السلوك، مدربي حيوانات آخرين استطاعوا عمل خدع وأدوات غير مألوفة. أرنب يمكن تدريبها على القفز في سيارة مطافيء خاصة بالأطفال وضرب الجرس. الحيوانات كانت معلمة على عزف الآلات الموسيقية كما أنها تقفز من خلال إطار أو طوق، وتؤدي حركات معقدة، وتقوم بأداء خدع أخرى. سكينر يعتقد أن معظم سلوكيات الحيوانات والإنسان متعلمة عن طريق التعود أو الإشراط الإجرائي. بالتأكيد فإن عملية تعلم لغة الواحد الأصلية تتضمن تعزيزاً وتشكيلاً للسلوك الإجرائي. فالرضيع يصدر أصواتاً عفوية معينة، هذه الأصـوات ليست محددة أو مقصـورة على لهجة الوالدين الأصلية لكنها تمثل كل اللغات المحتملة أصلاً، فالرضيع معزز للقيام بالثرثرة. فيما بعد، الطفل يعزز ليعمل أصواتاً قريبة من الكلمات المفيدة في لغته الأصلية. في النهاية الطفل يجد تعزيزاً فقط للقيام بكلام مفيد. إذن، عملية التشكيل تدخـل في عملية تعلم الحـديث بالإضافة إلى سلوكيات إنسانية أخرى متعددة.

أنواع التعزيز وأقسامه:

وصف سكينر ثلاثة أنواع رئيسية للتعزيز تؤثر في سلوكياتنا بشكل ملحوظ وهي:

١ ـ التعزيز المستمر.

٢ ـ التعزيز المتقطع.

٣ ـ التعزيز النسبي.

١ ـ التعزيز المستمر: في هذا النوع نجد أن السلوك المرغوب يتم تعزيزه في كل وقت يظهر فيه فالحمامة أو الفأرة التي تحصل على الطعام في كل وقت تقوم فيه بنقر النقطة السوداء الصغيرة داخل صندوق التجربة أو بمجرد ضغطها على حاجز معدني ستستمر في سلوكها هذا لأن النتيجة إيجابية ومستمرة. هذا النوع مؤثر ويعمل على تطوير وتقوية سلوكيات معينة ولكن بعد توقف التعزيز إياه فسنجد أن الاستجابة تختفي أو تنطفىء تدريجياً.

٢ ـ التعزيز المتقطع: في هذا النوع يتم تعزيز الكائن بعد فترة معينة بغض النظر عن ظهور الاستجابة المرغوبة من عدمه ويمكن تقديمه وفق ضوابط وقواعد ثابتة ومتغيرة. هذا النوع يظهر مراراً وتكراراً في حياتنا اليومية فمثلاً طلاب المدارس يخرجون في فسحة بعد الحصة الثالثة أو الموظفين الذين يستلمون رواتبهم في نهاية كل أسبوع كأجرة تعتبر أمثلة حية للتعزيز المتقطع.

٣ ـ التعزيز النسبي: هذا النوع من التعزيز محدد بعدد من الاستجابات المناسبة والتي يصدرها الكائن، فالحمامة يمكن أن تعزز بعد نقرها للنقطة السوداء خمس مرات، عامل المصنع يمكن أن يدفع له بناءً على عدد القطع التي يستكملها في العمل.

في حين أن التعزيز المستمر أكثر فاعلية وتأثيراً في تطوير وتقوية السلوك نجد أن التعزيز النسبي يعتبر أكثر فاعلية وتأثير في عملية الاحتفاظ بهذا السلوك.

الاستجابات التي نحتفظ بها تحت ظروف التعزيز النسبي تقاوم الانطفاء

واحتمالية اختفاؤهـا أقل، مثال ذلك ما يحدث في محلات القمار حيث تعلموا هذا المبدأ جيداً فنجد بعض المقامرين يجلسون حول طاولات اللعب لمدة طويلة بعد تقسيم الحصص المالية وانتهاء اللعبة.

بالإضافة إلى المعززات الثانوية والأولية، وصف سكينر نتائج المعززات المشروطة العامة مثل المديح والحب والعطف والتي نتعلمها ولها القوة في تعزيز كم هائل من السلوكيات المختلفة. مع نمونا، نجد أننا نتحرك من المعززات الأولية إلى أنواع أكثر عمومية فمثلاً في البداية الأطفال يستجيبون للطعام أو أي شيء يحقق حاجاتهم الأساسية ولكن فيما بعد نجدهم يستجيبون للمخصص المالي وفي نفس الوقت يربطون هذه المعززات مع المديح والحب الذي يصاحبهم.

سكينر يميز بين التعزيز الإيجابي والعقاب والتعزيز السلبي، حيث يرى أن: -

١ - التعزيز الإيجابي: هو أي شيء يعمل على زيادة مرات ظهور أو تكرار سلوك معين.

٢ - العقاب: هو النتيجة الغير مرغوبة والتي تلي السلوك وخصصت لإيقافه.

٣ - التعزيز السلبي: ينسب إلى مثير غير محبب يمكن إيقافه بواسطة سلوك معين.

سكينر يعتقد أن العقاب هو الأسلوب المألوف لضبط السلوك في أي مجتمع. إذن فالعقاب يمكن أن يوقف سلوكاً ما ولكنه لا يقضي عليه أو يزيله بالضرورة. العقاب يخلق الخوف لكن في حالة انخفاض حدة هذا الخوف، نجد أن السلوك سيعود للظهور، كما يمكن أن يؤدي إلى تأثيرات جانبية غير مرغوبة مثل الكره أو الغضب أو العجز.

العلاج النفسي والتغير السلوكي:

يفسر سكينر سلوك العصابي أو الشخص الشاذ بناءً على مبادىء التعلم التي يحافظ عليها هذا العصابي أو الذهاني الذي تم تطويعه بواسطة بيئته ليتصرف بطرق غير مناسبة، فمتى ما رغبنا في تغيير سلوك شخص ما فلا بد من إعادة بناء بيئته.

بطريقة لا تساعد أو تدعم سلوكه الشاذ ولكن تعزز السلوك المرغوب. إذن فسكينر في وصف العصابي لا يرى ضرورة في نسبته إلى مفاهيم مثل النكوص أو الصراع أو الكبت، فدور المعالج يقوم على تحديد التصرفات الشاذة وتغييرها أو استبدالها بسلوكيات أكثر تكيفاً وملاءمة من خلال عملية التطويع أو الأشراط الإجرائي. هنا نحن لا نحتاج إلى مراجعة لماضي الفرد وتاريخه أو حتى تشجيعه على استعادته أو معايشته، فالعلاج لا يعتمد على الفهم الذاتي أو الاستبصار فهذه ليست ضرورية للتغيير السلوكي المطلوب. إذن العلاج السلوكي يقوم وبكل بساطة على إعادة بناء أو تكوين البيئة بطريقة تجعل من السلوكيات المرفوضة سلوكياً مناسبة ومرغوبة.

التناقض هنا يظهر واضحاً بين فرويد وسكينر في مسألة العلاج فالأول يبحث عن زيادة الفهم الذاتي للفرد، بينما الثاني لا يؤمن إلا بالأساليب الذرائعية والعملية ويصر على أن تعديل السلوك لا يتحقق إلا بإزالة السلوكيات المرفوضة من خلال تغيير شامل لتلك البيئة التي يظهر فيها هذه السلوك.

أسلوب سكينر في تعديل السلوك كان ناجحاً في عدة جوانب فشل فيها العلاج التبصيري التقليدي، وكمثال لواحد من نجاحاته المثيرة هو علاجه للأفراد البكم والذين لأسباب واضحة لـم يذعنوا أو يتجاوبوا مع العلاج التبصيري والذي يعتمد في الأساس على الحديث والنقاش. هذا الأسلوب الذي استخدمه سكينر شاع وانتشر بين عدد من الباحثين والدارسين فهذا لوفاس (Lovas) يقوم بمحاولة تدريس الأطفال البكم الكلام بتطبيقه لبرنامج منظم لمفهوم التشكيل يتناسب مع وصف سكينر للتطويع أو الإشراط الإجرائي. فلقد قام لوفاس في تجربته هذه باختيار الطعام أو الأكل المعزز للأطفال بحكم أنه مثير مألوف لهم، حيث يقوم بتعزيز الطفل بقطعة من الحلوى أو الطعام في كل وقت يقوم فيه بأداء صوت أو نغمة معينة، ويقوم تدريجياً بتشكيل هـذه الأصوات حتى تقـارب في مجملها الكلمات المفيدة، وبعد ذلك يقوم لوفاس بتعزيز الطفل عندما يتعامل أو يتصل بالآخرين في عبارات كاملة وهكذا دواليك. هذه الطرق تعمم لتتضمن تدريباً على سلوكيات أخرى مرغوبة وبما أنه المحافظة على السلوك الجديد المتعلم يعتمد على المحافظة على البيئة المساعدة على ظهوره، لذا نرى لوفاس يدخل الوالدين

وغيرهم من السلطات المؤثرة كالمدرسين والبوليس ورجال الدين في برنامجه لتعديل السلوك، وذلك بعمل تعديلات في بعض الأوضاع المشابهة في البيت أو المدرسة لأننا بهذه الطريقة نعمل على توسيع دائرة التعزيز التي تسمح لنا بسيطرة وتحكم أكبر.

الأساليب المتعددة التي يطبقها سكينر وأتباعه في العلاج تعتمد على التوجيه المباشر، حيث يخلق المعالج وضعاً معيناً يواجه فيه المريض بمثيرات محددة هدفها تسهيل عملية عدم تعلم الاستجابة المرفوضة وتبديل ذلك بسلوكيات أكثر ملاءمة وبهذه الطريقة نجد أن المعالج يوجه ويحدد مدة وسير العلاج، حيث يعطي مريضه تعليمات محددة ليتبعها ويمكن حتى أن يملي عليه بعض الواجبات المنزلية لتنفيذها خلال فترة الجلسات العلاجية.

تأثير سكينر امتد إلى مختلف المؤسسات المجتمعية فطرقه وأساليبه طبقت في المدارس لعلاج المتخلفين عقلياً وفي مؤسسات الصحة النفسية ومراكز التأهيل حيث شاع استخدام تكنيك (اقتصاد المنح) حيث يعزز المريض للقيام بسلوكيات معينة وذلك بإعطائه فيشات (قطع معدنية) من نوع معين كحوافز لقاء قيامه بترتيب سريره أو ارتدائه للملابس بطريقة منظمة أو لمجرد تحدثه مع زملائه المرضى بأسلوب مهذب أو لبق وما إلى ذلك من سلوكيات مرغوبة تعزز بواسطة المنح التي يمكن تبديلها وتغييرها كأن تكون مرة قطعاً من الحلوى ومرة أخرى مشاهدة التلفزيون أو الخروج إلى أحد المنتزهات أو حضور بعض المناسبات الثقافية أو الاجتماعية.

أما في المجال التربوي فقد طور سكينر ومعه سدني برسلي (Presley) مكينة التدريس والتي هي عبارة عن جهاز الكتروني بواسطته يمكن تدريس الطلاب بدون حاجة لحضور المدرس. مبادىء سكينر تشكل أساساً لأنظمة متعددة من الإرشادات الفردية المبرمجة. في مثل هذه البرامج، العمل مقسم إلى وحدات صغيرة تتطلب الإجابة والدقة في متطلبات كل وحدة قبل أن يسمح للطالب بالتقدم إلى الوحدة التالية. طبعاً هناك تعزيز فوري يتمثل في التغذية الرجعية التي نزود بها الطالب بعد إجاباته الصحيحة أو الخاطئة. هناك من يرى الحاجة إلى تطبيق أكثر نظامية لمبادىء التعلم التي قال بها سكينر في مدارسنا.

أخيراً، مفاهيم سكينر ومبادئه طبقت بنظامية في مواقع صناعية وتجارية لتشجيع العاملين على مزيد من الإنتاجية. أحد المدراء وجد أن شركته قد وفرت مليونين من الدولارات خلال فترة ثلاث سنوات عندما قامت بتطبيق نظام تحسن الأداء المبني على التغذية الرجعية الدقيقة والتعزيز الموجب.

اليوتيبيا الاجتماعية:

اهتمام سكينر بالبيئة التي تصيغ الفرد وتشكله قاده طبيعياً لرغبته في تصميم مجتمع أو بيئة مثالية. لقد رأينا، من خلال تعديل السلوك كيف كان سكينر قادراً على تطوير سلوكيات في الحيونات لم تكن معروفة من قبل. بعض أساليبه أظهرت احتمال تدريب أنواع من الكائنات الحية مثل الحمامة لتقوم بأداء أعمال لا يجيدها حالياً إلا الإنسان. سكينر يخلص من كل ذلك إلى أن السلوك البشري يمكن أن يصل إلى مستويات وطاقات عظيمة عندما تتوفر البيئات المناسبة.

من أجل تسهيل عملية تنشئة ابنته الثانية، طور سكينرسريراً هوائياً زوده باحتياجاته الطبيعية من الحرارة والرطوبة وفق تنظيم دقيق ووضع في متناول الطفل جميع ألعابه وحاجاته المسلية. هذا السرير الهوائي يمنح للطفل حرية أكثر في الحركة وخفف عن والدته عدة مسؤوليات عادة ما ترتبط بتربية الطفل الروتينية متيحاً لها التركيز على الأنشطة الأخرى والطرق الإيجابية للاتصال والارتباط بالطفل ومع أن السرير الهوائي لم يكتسب شعبية أو يلقى قبولاً ملحوظاً إلا أن عدداً من الآباء استخدموه وجربوه.

في عام ١٩٤٨ كتب سكينر كتابه المعروف (Walden II) والذي تحدث فيه عن مفهومه لليوتيبيا حيث يمثل (والدن تو) اسماً لمجتمع صمم بواسطة أخصائي نفسي خيري أو محسن بقصد تطبيق برامج للتعزيزات الإيجابية. الشخصيات الرئيسية في الكتاب هما فريزر وبرهوس. فريزر هو الأخصائي النفسي الذي أسس (والدن تو) أما برهوس فهو مدرس علم النفس الذي يعتبر في البداية ناقداً للمجتمع لكنه في النهاية (نهاية الرواية) يقرر العيش في والدن تو. ولأن التعزيزات الإيجابية لا الوسائل التنفيذية هي التي تستخدم لتشكيل السلوك في والدن تو لذا فالسكان

يبحثون عن تلك المعززات وعلى أمل أن يتصرفوا بطرق منتجة ومسئولة اجتماعياً. في عام ١٩٧١ م سكينر كتب (ما وراء الحرية والكرامة) وقد أثار جدلاً حول موضوع خلق المجتمع الهندسي السلوكي.

كما أشار إلى أن أهم المشاكل الرئيسية التي تواجه مجتمع اليوم مثل الحرب والانفجار السكاني والبطالة، التضخم الاقتصادي.. الخ كلها مشاكل سببها السلوك الإنساني. سكينر يقول بأن ما نحتاج إليه هو تكنولوجيا سلوك تتيح لنا التكيف مع هذه المشاكل. أيضاً سكينر في كتاب ما وراء الحرية والكرامة يؤمن بأن التكنولوجيا السلوكية الدقيقة لا يمكن تكوينها إلا إذا كانت لدينا الرغبة في التخلي عن عدد من الخيالات أو الأوهام والأساطير الخرافية. سكينر يرى أن السلوك الإنساني تحكمه قوى معينة في البيئة أما مفهوم الإرادة الحرة فلا يعدو كونه أسطورة فقط.

سكينر يرى أننا نشعر بالحرية عندما نكون معززين وسبق لنا تعلم سلوكيات مؤثرة. سر أو مفتاح سلوكنا موجود في البيئة وليس داخل الفرد فالكائن البشري لا يعدو كونه حزمة أو رزمة من السلوكيات تشكل بواسطة بيئته. في توقعاته المثالية يمكن القول بأن سكينر قد تغير أو تحول إلى فيلسوف اجتماعي حيث يرى أن التطور يمكن تعريفه بأنه (بقاء الثقافة) فالثقافة التي تساعد أفرادها في التكيف مع بيئتهم من أجل الحصول على ما يحتاجون إليه وتجنب الأشياء الخطيرة فيها هي ثقافة تساعدهم على العيش والبقاء. باختصار، التطبيقات الثقافية تستمر لأن لها قيمة تكيفية كما أن البقاء لأي ثقافة يعتمد على وضع التطبيقات التي تتيح للأعضاء أو الأفراد في ذلك المجتمع فرصة التكيف مع بيئتهم الطبيعية والثقافات الأخرى التي تحيط بهم. إذن فمن أجل أن تبقى الثقافة يجب تشجيع الأفراد في تلك الثقافة على العمل لبقائها، فالفرد لا يعيش لنفسه ولكن لمصلحة مجتمعه. المعززات الإيجابية يجب أن تطور فهي التي تشكل السلوك البشري وتدفع الأفراد للعمل من أجل بقاء الثقافة بصورة أكبر لذا فنحن نحتاج إلى مزيد من السيطرة والتحكم في البيئة حسب أقوال سكينر. عمليات التحكم لا يجب إنكارها بل يجب أن تدرس ونفهمها حتى يمكن لنا تعلم كيفية تطبيقها بفاعلية في تطوير المجتمع الذي نريده، فنحن لدينا القوة على تطوير التكنولوجيا السلوكية التي تساعدنا في تحقيق هذه الغايات.

نظرية سكينر: فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

زودنا سكينر بمعلومات تجريبية وبحوث كثيرة لتأكيد أفكاره لذلك فهو يعتبر أكثر أصحاب النظريات المعاصرين الذين يثيرون البحث لتصديق مفاهيم المدرسة السلوكية. أعماله تميزت بالدراسة المستفيضة لموضوعات فردية تتعلق بالحيوانات والطيور في الغالب. مفاهيم سكينر بوضوح مشتقة من بحوث معملية تجريبية، أفكاره لقيت اختباراً عملياً معتبراً وتم إخضاعها لأساليب ومناهج عملية صارمة.

نظرية سكينر رائعة في بساطتها فلها خصائص طيبة فيما يتعلق بقدرتها على التنبؤ ومراقبة السلوك خصوصاً في الأنواع الدنيا من الكائنات الحية.

سكينر باستمرار يقدم فلسفته الاجتماعية كما لو كانت علماً تطبيقياً مع كل الشواهد الصادقة والمناسبة. على كل، سكينر يذهب إلى ما وراء تطوير نظرية علمية عندما يبدأ تصميم اليوتيبيا الخاصة به، فهو يستثير قيماً والتزامات أخلاقية حيث أن قيمة المجتمع تنطوي على بقائه وأن الكائنات الإنسانية لا بد وأن تتخلى عن أوهام فكرة الحرية والكرامة. هذه استنتاجات أخلاقية. نظرية سكينر تحتل موقعاً قوياً في علم النفس الأمريكي اليوم ، فهي نظرية مؤثرة فلقد رأينا أن أساليب سكينر للتعديل السلوكي كانت مستخدمة للتأهيل وسط تطبيقات عملية أخرى. هناك من يوصي باستخدام أساليب سكينر وتطبيقاته في المدارس وفي البيت. سكينر لا يمكن بأي طريقة أن نقول عنه أنه معزول بأفكاره وتوصياته فله أعداد كبيرة من الأتباع والراغبين في تطبيق أساليبه السلوكية على مدى أوسع. بعض أصحاب نظريات الشخصية إنتقدوا سكينر لأنه لم يطور نظرية للشخصية على الإطلاق كما يدعون بأن سكينر لا يضع للشخص مكاناً في نظريته، بل على الأصح، هو يتحدث عن البيئة. سكينر لا يمانع هذا الانتقاد فهو ليس بصاحب نظرية في الشخصية ولا يتحدث كذلك فهو يقوله بأن وجود نظرية للشخصية أمر غير ضروري. كما يعتقد أن غالبية أصحاب النظريات يطمئنونا خطأ ويوهموننا في التفكير بأننا نستطيع فهم أو تفسير سلوكنا. سكينر ليس ميالاً إلى فهم أو تفسير السلوك، بل نجده ميالاً إلى التنبؤ بالسلوكيات التي سوف تظهر تحت ظروف معينة وفي تغيير تلك الظروف حتى يمكن التحكم في ذلك السلوك. لقد ركز سكينر اهتمامه لوضع قوانين تحكم

السلوك بدلاً من تطوير نظرية في الشخصية. نحن قد رأينا أن نظرية سكينر كانت فعالة في عمل تنبؤات وسيطرة مؤثرة. نظريته بالتحديد فعالة في التعامل مع سلوك أنواع أقل من الإنسان كما أنها فعالة في التعامل مع السلوك الإنساني عندما يكون ذلك السلوك ظاهراً تحت أوضاع من التعزيز السلبي أو الإيجابي! في المصطلحات اليومية، نحن يمكن لنا القول بأنها مؤثرة في التعامل مع الأوضاع الإنسانية التي يحيط بها العقاب أو الثواب.

في حين أننا لا نشك بأن الأشراط الإجرائي والتعزيز والتشكيل يلعبون دوراً عظيماً في اكتساب الطفل للغة، هذه المفاهيم بمفردها لا تزودنا بتفسير كامل لكيفية تعلم الطفل كيف يتكلم، أيضاً مفاهيم سكينر لا تقيم وزناً للأخطاء المفيدة والتي تعلمها الطفل أثناء تعلم الكلام . سكينر يتحدث عن التحكم الذاتي . مفاهيمه لا نظرياته يمكن أن تستخدم بواسطة الفرد لتطوير أساليب للتحكم الذاتي. مفاهيمه لا تؤمن بأن القدرة الفردية تخلق مثل هذه البرامج للتحكم الذاتي، ولا حتى نظرياته تشرح أو تفسر حقيقة أنه في بعض الأوقات، الفرد حتى وإن كان محفزاً للتغيير فهو لا يستطيع تطبيق هذه البرامج بفاعلية. سكينر في مثل هذه الحالات سيقترح أن الفرد يمكن أن يستخدم محكاً أو سيطرة غير مجدية أو حتى تعزيزاً غير مقصود للسلوك الذي هو أو هي يرغب في إزالته. سكينر أيضاً أكد على أن كل سلوك محدد بالبيئة وإذا كان ذلك صحيحاً، فمن الواجب منطقياً أن يتبع ذلك القول بأن مفاهيم سكينر وإفاداته محددة بواسطة بيئته. إذن سلوكه الخاص كصاحب نظرية سيكون مفتوحاً للتغيير بتعديل أو تبديل البيئة! من بين كل النظريات التي تمت مناقشتها في هذا الكتاب، سكينر وفرويد كانا أكثر إثارة للجدل والنقد والمشاغبات حتى أن بعض المفاهيم والجوانب أعتبرت في نظر الكثيرين تهجمية. فبالنسبة لفرويد، الفرد محفز بقوى لا يدركها أو يعيها في حين يرى سكينر أن شخصية الفرد تشكلها بالكامل قوى محددة حاصل بيئته، إذن فكلاهما يقترحان أننا، ككائنات بشرية لا نتحكم في أنفسنا.

ملخص:

(١) سكينر اختار وصف متغيرات وقوى في البيئة هي التي تشكل السلوك الظاهر

بدلاً من تطوير نظرية في الشخصية لأنه يعتقد أن مصطلح (الشخصية) ومفاهيم التركيب الداخلي تعتبر في النهاية أشياء غير ضرورية، ففهم السلوك لا يتم بطريقة صحيحة إلا من خلال فهمنا للعلاقة الموجودة بين الاستجابات الفردية والمثيرات البيئية.

(٢) الإشراط أو التطويع الإجرائي يتضمن تعزيزاً وتشكيلاً للاستجابات العفوية. فهو يختلف عن التطويع الكلاسيكي في طبيعة السلوك والذي نصنعه بدلاً من أن يظهره مثير ما وطبيعة التعزيز والتي تتبع السلوك ولا تسبقه.

(٣) سكينر يميز بين ثلاثة أنواع مختلفة من التعزيز هي:

١ ـ المستمر.

٢ ـ المتقطع.

٣ ـ التعزيز النسبي.

فالنوع المستمر أكثر فاعلية مع السلوكيات الجديدة. في حين نجد أن النوع النسبي المتغير أكثر فاعلية للاحتفاظ بهذا السلوك الجديد أو الحديث التطوير. سكينر أيضاً يصف تأثير المعززات المشروطة العامة ويميز التعزيز السلبي والإيجابي والعقاب.

(٤) العلاج باستخدام أسلوب تعديل السلوك يعتمد على إعادة تكوين البيئة حيث تتم إزالة السلوكيات المرفوضة لتستبدل بسلوكيات مرغوبة. أسلوب سكينر كان ناجحاً في أوضاع فشلت طرق التبصير التقليدي في التعامل معها أو معالجتها، فقد استخدمت أساليبه وطرقه في برامج التربية والمجتمعات العلاجية والصناعية.

(٥) سكينر ركز على تطوير يوتيبيا اجتماعية، تمثل مجتمعاً مهندساً بطريقة سلوكية وضع فيه ووظف برنامجاً من المعززات الإيجابية لتشكيل السلوك.

(٦) في تخميناته اليوتيبية ، تعكس إفادات سكينر إفتراضات فلسفية بالإضافة إلى تعميمات علمية وذلك بعدم السماح بأي استثناءات وبغرس التزامات وقيم أخلاقية.

⑦ التعلم الراديكالي ونظرية السلوك يشكلان تحولاً من التأمل الباطني إلى التركيز على التأمل الخارجي كطريقة رئيسية للاختصاصي النفسي.

⑧ نظرية سكينر كانت بكل وضوح نتاج بحوث وتجارب معملية وطبقت فيها أساليب علمية صارمة مع العلم بأننا في الوقت الراهن نعترف بأن الافتراضات الفلسفية تشكل أساساً وأرضية لنظريته.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

B. F. Skinner's most influential work is the Behavior of Organisms (Appleton century- Crofts, 1938), in which he formulates a theory of behavior in terms of the principles of conditioning. However, the lay person will probably be more interested in About Behaviorism (Random House, 1974), in which Skinner clarifies his position in a highly readable way. Also of interest are his utopian speculations in Walden II (Macmillan, 1948) and Beyond freedom and Dignity (Knopf, 1971). Skinner is in the habit of writing down ideas as they occur. In twenty - five years he has filled over one hunderd spiral - bound notebooks. A selection of these have been published in Notebooks (Prentice - Hall,1982). Those who are interested in a more technical presentation of his work should turn to Science and Human Behavior (Macmillan, 1953); Contingencies of Reinforcement: A Theoretical Analysis (Appleton - Century - Crofts, 1969); and Cumulative Record (Appleton - Century - Crofts, 1961); and Cumulative Record (Appleton - Century - Crofts, 1961), a collection of his research papers and detailed analysis of his experiments.

الجزء السادس
نظريات التعلم الاجتماعي والمعرفي المعاصرة

«Contemporary Cognitive and Social Learning Theories»

في السنوات الأخيرة زاد الاهتمام بموضوعات الأسلوب المعرفي ومفاهيم التعلم الاجتماعي. هذه النظريات ظهرت من تقليد أو مذهب التعلم والسلوك لكنها تهدف إلى تصحيح بعض من النواقص في المذهب السلوكي الراديكالي. نظريات التعلم والسلوك الاجتماعي والمعرفي تعكس الطرق والإجراءات العلمية المتأنية التي تميز الأسلوب السلوكي. في نفس الوقت، هذه النظريات وسعت عدداً من مفاهيم نظرية التعلم الأصلية وجمعتهم مع حركات راهنة أخرى في علم النفس.

منذ عام ١٩٠٢ م حتى بداية السبعينات الكشف عن العقل البشري كان خارج العرف في علم النفس الأمريكي، فكبار مفكري المذهب السلوكي مثل واطسون وسكينر لا يشجعان الآخرين على البحث فيما يتعلق بالعقل لأن ذلك شيء لا يمكن ملاحظته مباشرة لذلك فهو ليس ضرورياً لفهم السلوك الإنساني. اليوم، الموقف يختلف، فنظريات التعلم والسلوك الاجتماعي والمعرفي تعترف بأنه لا يمكن لنا فهم الشخصية والسلوك البشري ما لم ندرك ونعرف ماذا يدور في عقل هذا الإنسان. بل أكثر من ذلك، هم أدركوا أن العقل وعملياته يمكن البحث فيها علمياً. مع أننا لا نستطيع مباشرة ملاحظة عمليات العقل ولكن بمقدورنا الكشف عنها بواسطة وسائل من الشواهد المادية! كما هو الحال في العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء، أصحاب نظريات التعلم والسلوك الاجتماعي والمعرفي انتقلوا في بحوثهم وأفكارهم من أوضاع معملية بسيطة جداً إلى أوضاع معقدة واستخدموا بشكل ملحوظ العينات البشرية لا الحيوانات. الظروف في المختبر عملت بطريقة تشبه الحياة العادية في الخارج إلى حد كبير كما أن بعضاً من الاحتمالات والافتراضات تحت البحث معقدة جداً، لكن الإجراءات المعملية أصبحت وبصورة ملموسة متطورة مما يتيح لها إمكانية التعامل مع مثل هذه الظروف المعقدة.

الفصل السابع عشر

الأسلوب السلوكي الاجتماعي: إلبرت باندورا

Albert Bandura: A Sociobehavioristic Approach

أهداف الفصل:

١ ـ شرح مقصد بندورا بالحتمية المتبادلة وتحديد العوامل الثلاثة التي تدخل في ذلك.

٢ ـ شرح المقصود بالتعلم والملاحظة.

٣ ـ تحديد العوامل الثلاثة التي تؤثر في التقليد أو المحاكاة.

٤ ـ وصف العمليات الأربع التي تدخل في التعلم بالملاحظة.

٥ ـ مناقشة دور التعزيز في التعلم بالملاحظة. ومقارنة مفهوم بندورا للتعزيز بمفهوم سكينر.

٦ ـ مناقشة الجدل الدائر حول تأثير التلفزيون والعدوان.

٧ ـ مناقشة الخطوات التي يقترحها بندورا لتغيير سياسة وبرامج التلفزيون.

٨ ـ مناقشة مساهمات بندورا في تعديل السلوك.

٩ ـ التقييم فلسفياً وعلمياً وأدبياً.

يؤمن البرت بندورا بأنه يمكن تفسير السلوك الإنساني عن طريق الحتمية المتبادلة والتي تضمن عوامل سلوكية ومعرفية وبيئية، إذن فنظرية بندورا نشأت داخل الإطار السلوكي والتعليمي وتعكس تركيزاً على التأمل الخارجي. على الرغم من ذلك، إدراك جوانب القصور في المذهب السلوكي الراديكالي، جعل بندورا يؤمن بأنه من المرغوب فيه إعادة تقديم المتغيرات الداخلية مثل الفاعلية الذاتية (إدراك الفرد لفاعلية وقوة تأثيره الشخصي). إن بندورا بإعادته تقديم أو إدخال المتغيرات الداخلية هذه لم يضحي بالالتزام السلوكي للبحث التجريبي والطرق العلمية المتشددة فالنتيجة التي توصل لها تتمثل في تصحيح بعض من

الصراعات الموجودة في نظريات التعلم والسلوك ودمج مفاهيمها مع نتائج حديثة في مجال المعرفة وعلم النفس الاجتماعي.

حياته الخاصة:

ولد البرت بندورا في ٤/ديسمبر/١٩٢٥ في مدينة البرتا بكندا وكان والده مزارعاً. التحق بالمدرية الثانوية حيث لم يكن هناك إلا عشرين طالباً واثنين من المدرسين، لذلك فكان على الطلاب تعليم أنفسهم إلى حد كبير وقد واصلوا الدراسة والعمل للحصول على مهن وظيفية. حصل بندورا على البكالوريوس في الأدب من جامعة كلومبيا البريطانية في فانكوفر عام ١٩٤٩ والماجستير والدكتوراه من جامعة ستانفورد حيث لا زال هناك. كان بندورا مفكراً وكاتباً نشطاً، طبع عدداً من الكتب المهمة والمقالات الجيدة. عمل مع ريتشارد والترز (أول طالب دكتوراه في قسمه في جامعة ستانفورد) على تأليف ونشر عدد من الكتب والمقالات التي شكلت أساس نظريته، بندورا حصل على أوسمة وجوائز عدة لمساهماته في علم النفس وعمل كمستشار لعدد من الهيئات كما اختير كرئيس للجمعية النفسية الأمريكية عام ١٩٧٣، في الوقت الحاضر يعمل كمدرس في جامعة ستانفورد لمادتي علم نفس العدوان وتغير الشخصية.

النظام الذاتي والحتمية المتبادلة: Self - System and Reciprocal Determinism:

بعكس سكينر، بندورا لا يؤمن بأن السلوك الإنساني ينظم في الأساس من خلال عناصر موجودة في البيئة وفي نفس الوقت فهو لا يتفق مع المحللين النفسيين الذين ينظرون للسلوك على أنه محدد إلى حد كبير بواسطة قوى داخلية لا ندركها أو نعيها. بناءً على مرئيات بندورا، السلوك الإنساني يعود إلى الحتمية المتبادلة التي تتضمن عوامل بيئية وسلوكية ومعرفية. العمليات ذات العلاقة بالذات تلعب دوراً رئيسياً في نظرية بندورا،لكنه لا ينظر للذات كعامل نفسي (Psychic Agent) يتحكم في السلوك. بدلاً من ذلك فهو يستخدم مصطلح (النظام الذاتي) ويعني به المفاهيم والتركيبات المعرفية التي تشكل أرضية للإدراك والتقييم وتنظيم السلوك. إذن فالذات في نظرية التعلم الاجتماعي مجموعة من العمليات والتركيبات المعرفية

والتي بواسطتها يرتبط الناس ببيئتهم مما يساعد في عملية تشكيل سلوكهم.

بندورا ينتقد سكينر لكونه متطرفاً جداً في تركيزه الرئيسي على العوامل الخارجية، فالتفسير الذي يطرحه سكينر غير كامل ويقدم وجهة نظر مبتورة عن الطبيعة الإنسانية لأنه لا يأخذ في الاعتبار العمليات الداخلية التي توجه السلوك أيضاً. من ناحية أخرى، بندورا ينتقد نظريات التحليل النفسي لاستخدامها تعليلاً مكرراً ومملاً في نسبة السلوك للقوى اللاشعورية. إن القول بأن هذا السلوك العدواني يعود إلى دوافع عدوانية تحتية أو سلوك مسيطر لحوافز لا شعورية معناه أنك تعطينا وصفاً لا تفسيراً للسلوك ومثل هذا التعليل لا يضيف جديداً لحقيقة أن السلوك موجود. بندورا لا يختبر وجود السلوك المحفز، فهو ببساطة يشعر بأنه في علم السلوك مثل هذه الأمور غير مفيدة. فهي لا تسمح لنا بالتنبؤ بكيفية سلوك الشخص في وضع معين ولا هم يأخذون في الحسبان التباين الكبير للسلوك في ظروف مختلفة. في مفهوم بندورا للحتمية المتبادلة، وعلى الرغم من أن المثيرات تؤثر في سلوكنا، إلا أن العوامل الشخصية الفردية مثلاً الاعتقادات والتوقعات أيضاً تؤثر على كيفية تصرفنا، فاختياري مثلاً لساندويتش تونة كغذاء ليس ببساطة محدد بقائمة الطعام ومثيرات بيئية أخرى ولكن أيضاً بموقفي تجاه التونة وتوقعاتي لطعمها ومذاقها. إضافة لذلك، نتائج سلوكنا تخدمنا لتغيير البيئة، إذن، فالعوامل السلوكية والمعرفية والبيئية تؤثر في كل واحد وكل هذه العوامل الثلاثة تعمل كمحددات متشابكة لو أردنا عمل رسم توضيحي لتلك العملية، فسنجد كل عامل يحمل سهماً بمثله ويشير إلى الإثنين الآخرين ليظهر تفاعلهم المتبادل.

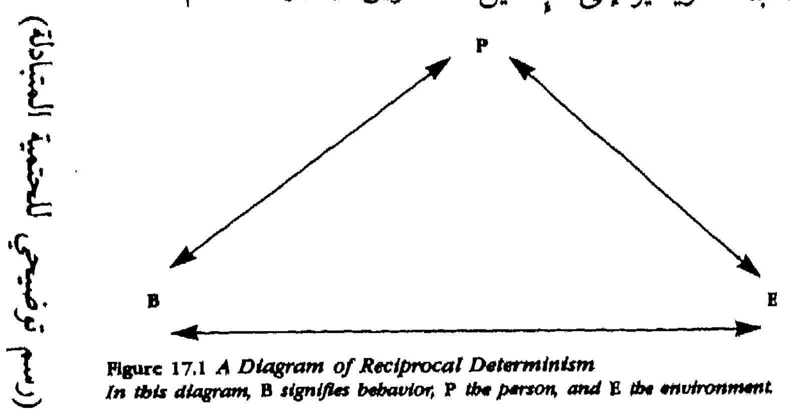


Figure 17.1 ***A Diagram of Reciprocal Determinism***
In this diagram, B signifies behavior, P the person, and E the environment.

عدد من الاختصاصيين النفسيين وافقوا على أن السلوك ينبع من تفاعل الشخص مع بيئته بدلاً من ظهوره نتيجة تأثير عامل بمفرده. بندورا يؤمن بأن مفهومه مهم لأنه (أي المفهوم) يؤكد على الطبيعة التبادلية للتفاعل بين العوامل الثلاثة. بندورا يقول بأن المثيرات الخارجية تؤثر في السلوك من خلال تدخل العمليات المعرفية، فالناس حين يتصرفون ويقومون ببعض السلوكيات، فهم أيضاً يفكرون فيما هم يعملون. اعتقاداتهم تؤثر في كيفية تأثر سلوكهم بالبيئة فالعمليات المعرفية تحدد أي المثيرات ندركها ونعترف بقيمتها وكيف ننظر لها وكيف نتصرف بناءً عليها. العمليات المعرفية تسمح لنا أيضاً باستخدام الرموز والدخول في نوع من التفكير يتيح لنا التخمين بمجموعة التصرفات المختلفة ونتائجها. لأن تصرفاتنا تمثل انعكاساً لما في البيئة من مثيرات فنحن قادرين على تغيير البيئة الحاضرة وبذلك ننظم ونرتب التعزيزات لأنفسنا لتؤثر في سلوكنا. مشاهدة التلفزيون خير مثال على تشابك هذه العوامل الثلاثة وتأثير بعضها على الآخر حيث أن الأشياء التي يفضلها المشاهد (معرفية) والسلوك أثناء المشاهدة (سلوك) والبرامج المقدمة (بيئية). التأثير النسبي للعوامل الثلاثة المتشابكة يختلف باختلاف الأفراد والأوضاع والمواقف. فخلال عملية التفاعل المتبادل، الحدث نفسه يمكن أن يكون مثيراً، أو استجابة، أو معززاً بيئياً اعتماداً على النقطة التي تبدأ في تحليلها تسلسلياً. إذن، فمن غير المجدي أن نحاول ونبحث في أسباب بيئية مطلقة للسلوك. المقابلات أو اللقاءات العرضية سلسلة منفصلة من الأحداث لها محـدداتها السببية لكن ظهورها مع بعض يأتي مصـادفـة ، وعلم النفس لا يستـطيع التنبؤ باحتـمالية اللقـاءات العرضية لكنه يستطيع توضيح العوامل التي تؤثر فيما تتركه من نتائج وآثار.

التعلم من خلال الملاحظة:

بندورا عرف بتأكيده على عملية التعلم عن طريق الملاحظة أو بالقدوة. فهو يشير إلى أن معظم السلوك الإنساني متعلم باتباع نموذج أو مثال حي وواقعي وليس من خلال عمليات الأشراط الكلاسيكي أو الإجرائي. فبملاحظتنا للآخرين نطور فكرة عن كيفية تكون سلوك ما وكيف أن المعلومات تساعدنا وتعمل كدليل أو موجه لتصرفاتنا الخاصة. إذا كان التعلم محدداً بتلك السلوكيات التي تعزز مباشرة فإنه

سيكون غير كاف وعملية خطيرة فمثلاً معظم أصحاب الدراجات النارية لا يقفون أمام إشارة المرور الحمراء وذلك لكونهم معززين مباشرة بسلوكياتهم الخاصة، إذا كان التعزيز المباشر مطلوباً، فمعدل الحوادث سيكون مرتفعاً مما هو عليه. أصحاب الدراجات النارية يتعلمون عن طريق الإرشادات اللفظية وملاحظة سلوكيات السائقين الآخرين. نحن قد رأينا أو سمعنا عن الآخرين اللذين يعبرون الإشارة الحمراء ونحن مدركين للنتائج المحتملة. هذه العوامل توجه تصرفاتنا بالإضافة إلى النتائج المباشرة لسلوكنا. المحاكاة أو القدوة تقلل المدة أو الوقت المطلوب لتحقيق عملية التعلم وتساعد في إزالة النتائج غير السارة لتلك الاستجابات غير المناسبة. إننا بالتعلم عن طريق ملاحظة الآخرين نستطيع تجنب عمل أخطاء فادحة. أما لو اعتمدنا على التعزيز المباشر فقط فمعنى ذلك أننا سنعيش في عالم خطير. بندورا يرى أن معظم سلوك البشر متعلم من خلال الملاحظة سواء بالصدفة أو بالقصد. الأطفال الصغار يتعلمون كيف يؤدون مهام معينة وذلك بمشاهدة الآخرين يقومون بها وبعد ذلك إعادتها وتطبيقها على أنفسهم. الطفل الصغير يتعلم الحديث وذلك باستماعه لكلام الآخرين وتقليدهم فلو أن تعلم اللغة كان معتمداً بالكامل على التطويع أو الأشراط الكلاسيكي أو الإجرائي فمعنى ذلك أننا لن نحقق هذا التعلم ما دام أن الطفل لن يحصل على التعزيز المطلوب حتى بعد أن يكون وبعفوية يطلق أصواتاً تقارب الكلمة الحقيقية. تطبيقياً الوالدان يعيدان كلمات مفيدة مراراً وتكراراً لأطفالهم الذين يقلدون تلك الكلمات خلال مرحلة تعلمهم الكلام.

على كل حال، فالتعلم من خلال الملاحظة قد يتضمن سلوكيات جديدة، فالملاحظون قادرون على حل المشاكل بالشكل الصحيح حتى بعد أن يكون النموذج أو القدوة فاشلاً في حل نفس المشاكل. إذن، التعلم الملاحظ يتجاوز مجرد التقليد فالملاحظ يتعلم من أخطاء القدوة مثلما يتعلم من نجاحاته وإيجابياته. التعلم من خلال الملاحظة يمكن أن يشتمل على سلوكيات إبداعية وتجديدية. بندورا يرى أن الملاحظين يستنتجون سمات متشابهة من استجابات مختلفة ويصفون قوانين من السلوك تسمح لهم بتجاوز ما قد رأوه أو سمعوه. من خلال هذا النوع من التنظيم نجدهم قادرين على تطوير أنماط جديدة من التصرف يمكن أن تكون

مختلفة عن تلك التي لاحظوها بالفعل.

التحليل التجريبي لتأثير القدوة:

نظرية بندورا في التعلم بالملاحظة تعتمد إلى حد كبير على التحليل التجريبي لتأثير القدوة على السلوك. في تجربة القدوة المفحوص يلاحظ شخصاً آخر يؤدي سلوكاً أو سلسلة من السلوكيات وبعد ذلك تتم ملاحظة المفحوص لمعرفة ما إذا كان سلوكه يحاكي سلوك ذلك النموذج أم لا. سلوك المفحوص تتم مقارنته مع المجموعة الضابطة والذين لم يلاحظوا النموذج لنرى ما إذا كانت هناك فروق رئيسية. دراسة بندورا المشهورة هي تلك الدراسة التي تضمنت استخدام دمية كبيرة تشبه الرجل، طولها أربعة أقدام وأطفال ما قبل المدرسة لاحظوا الرجل يلعب مع الدمية بطريقة فيها نوع من العنف، حيث كان يهاجم الدمية فيضربها ويركلها مع الصراخ وتوجيه السباب والشتائم لها. أطفال آخرون لم يروا الرجل يعامل هذه الدمية بعنف وعندما أتيحت للمجموعة التجريبية فيها بعد فرصة اللعب مع الدمية بأنفسهم تصرفوا بطريقة تشبه سلوكيات ذلك النموذج وسلوكياتهم العدوانية كانت ضعف تلك التي لدى المجموعة الضابطة. من خلال تعديل متغيرات مستقلة متعددة في هذا النوع من التجربة، بندورا وزملاؤه برهنوا على وجود ثلاثة عوامل تؤثر في عملية الاقتداء والمحاكاة وهي: (١) خصائص القدوة. (٢) صفات الملاحظ (٣) آثارالمكافآت المرتبطة بالسلوك أو نتائج المكافآت المرتبطة بالسلوك.

أولاً: خصائص النموذج أو القدوة: تؤثر في المحاكاة والتقليد فنحن قد نتأثر بشخص يتمتع بخصائص مشابهة لنا ولكن ليس أولئك المختلفين عنا كثيراً فالمفحوصين هناك احتمال كبير بمحاكاتهم للنماذج التي تماثلهم في العمر والجنس. أيضاً هؤلاء قد يتأثرون بالقدوة الذي يشبههم في المركز الاجتماعي والوظيفة والكفاءة والسلطة. هناك سلوكيات أبسط وأكثر قابلية للمحاكاة من تلك السلوكيات المعقدة كما أن أنواعاً معينة من السلوك تبدو أكثر ميلاً ومناسبة للتقليد والمحاكاة من غيرها، فالسلوكيات العدوانية تأتي منسوخة وتحتذي بشكل دقيق خصوصاً بواسطة الأطفال الصغار.

ثانياً: خصائص الملاحظ: الناس الذين ينقصهم الاحتـرام الذاتي وغيـر المؤهلين يكونون على وجه الخصوص عرضه وأكثر قابلية لتقليد القدوة أو النموذج كذلك أولئك الاتكاليين أو من سبق لهم الحصول على مكافأة نتيجة مطابقة سلوكهم لسلوك آخر. بندورا أضاف جانباً تطورياً جديداً لنظريته حيث يرى أن ما يتعلمه الشخص ويؤديه بعد ملاحظة القدوة يتغير مع العمر. انتباه الطفل، فهمه، تذكره لما قام به القدوة، يعتمد على مستواه العام وتطوره المعرفي.

ثالثاً: آثار الثواب: النتائج المرتبطة بالسلوك تؤثر في فعالية المحاكاة. المفحوصون تكون احتمالية محاكاتهم للسلوك كبيرة إذا اعتقدوا أن مثل هذه التصرفات ستفضي إلى نتائج إيجابية. النتائج ليس من الضروري أن تكون محددة أو كافية، مع أنهم في بعض الأحيان كذلك فسلوك المحاكاة قد يكون متأثراً بنتائج الثواب أو العقاب طويل المدى. بندورا يعتقد أن هذا المتغير أقوى من المتغيرين الآخرين فالفرد يمكن أن يتوقف عن محاكاة النموذج أو القدوة الذي يماثله في المستوى والخصائص فيما لو كانت آثار أو نتائج الثواب غير كافية. علاوة على ذلك، بندورا يرى أنه حتى الأفراد الواثقين من أنفسهم سيقومون بمحاكاة سلوك الآخرين عندما تكون قيمة الثواب واضحة وأكيدة.

عمليات التعلم بالملاحظة:

بندورا يؤمن بأن التعلم من خلال الملاحظة ليس أسلوباً بسيطاً للمحاكاة. إنه عملية بناءة وحكماً حيوياً. التعلم بالملاحظة محكوم بأربع عمليات مترابطة هي: -

1. عمليات الانتباه.
2. عمليات التذكر.
3. عمليات تكاثر حركية.
4. العمليات الدفاعية.

أولاً: عمليات الانتباه: الواحد منا لن يتعلم كثيراً بالملاحظة إذا لم ينتبه أو يهتم بسلوك القدوة. المفحوص أو الشخص يجب أن ينتبه للقدوة ويدرك الأنشطة المقلدة حتى يتمكن من الحصول على المعلومات المطلوبة. القدرة على عمل

تمييزات بين الملاحظات وتحليل المعلومات مهارات يجب أن تكون حاضرة قبل أن يظهر التعلم بالملاحظة. في كل يوم بل في كل لحظة تمطرنا خبراتنا بعدد كبير من المثيرات الحسية لكن نحن لا نستطيع أن نتبين كل هذه المثيرات في لحظة معينة لذا نرى أن معظمها يمر بدون ملاحظة أو انتباه. عدد من المتغيرات يؤثر في عمليات الانـتباه. بعض من هذه المتغيرات يتعلق بخصائص القدوة، أخرى تتعلق بطبيعة النشاط وجزء آخر مرتبط بالشخص نفسه. نماذج أخرى تتم ملاحظتها أكثر من غيرها ولذا فهي أسهل في النسخ والتطبيق. مثلاً لو كنت جالساً في مقهى أو مطعم، وظهر على شاشة التلفزيون مذيع مرموق ومعروف فستجد اهتماماً وانتباهاً ملحوظاً من المشاهدين في حين أن الأشخاص الذين لا يملكون خصائص قيادية أو اجتماعية أو شعبية أو شخصية مميزة يتم تجاهلهم لأنها نماذج لا تحظى بالاهتمام والعناية.

بندورا يشير إلى أن الناس الذين يرتبط بهم الفرد يحددون الأنواع السلوكية التي يلاحظها الواحد لأن الارتباطات، سواء باختيارنا أو بالصدفة، تحدد أنواع الأنشطة التي سوف نظهرها مرات ومرات. إن الأشخاص الذين يعيشون في وسط المدينة الكبيرة حيث الازدحام والعصابات والمشاكل المرورية والجرائم لديهم فرصة مشاهدة سلوكيات تتسم بالعنف والعدوانية أكبر ممن يعيشون في الأرياف لذلك يتوقع أن تكون احتمالية تعلم أساليب عدوانية من الاستجابات لدى هؤلاء أكثر من غيرهم.

طبيعة السلوكيات المقلدة تؤثر في حجم الاهتمام أو الانتباه الذي نوجهه لها فالتغييرات الحركية والسريعة تفرض مثيرات تتحكم في مستوى ودرجة الانتباه. من جانب آخر إذا كان النشاط معقداً جداً، فمعنى ذلك أنه قد يسبب الاستغراب والدهشة لعقولنا، فمثلاً أداء بعض رقصات الفلكلور الشعبي ستنال اهتمام جميع الناس على مختلف الأعمار خصوصاً عندما تؤدي عن طريق نماذج قيادية ومشهورة تجيد هذا النوع من الفن. بندورا هنا يشير إلى أن هذه الأنواع من الأنشطة والنماذج غالباً ما تظهر على شاشات التلفزيون، فهو إذن يرى أن التلفزيون قد وسع مجال النماذج المتاحة للناس هذه الأيام، ففي حين كانت مصادر النماذج لدى أجدادنا

محدودة داخل إطار عائلاتهم ومجتمعهم المحلي فقط، نجد أن وسائل الإعلام المتعددة في وقتنا الراهن قد جعلتنا معرضين لتباين كبير من النماذج التي لها كبير التأثير في لفت الأنظار والانتباه. أخيراً، الخصائص الشخصية، مثل ميولنا الخاصة وحاجاتنا، ورغباتنا تحدد الأشياء التي نعيرها اهتماماً ونلقي لها بالاً.

ثانياً: **عمليات التذكر**: ـ من أجل أن نتأثر بملاحظة نموذج ما، الفرد يجب أن يتذكر أعمال وأقوال النموذج عندما يلاحظ سلوكيات شخص ما بدون الاستجابة في نفس اللحظة، فأنت قد تقوم بها من أجل أن تستخدمها كدليل وموجه للتصرف والسلوك في مناسبات قادمة.

هناك شكلان أساسيان من الرموز التي تسهل عملية التعلم بالملاحظة هما:

١ ـ اللفظي.

٢ ـ التخيلي.

بالنسبة للراشدين، معظم العمليات المعرفية، التي تتحكم في السلوك لفظية لا بصرية، فمشاهدة نموذج معين، قد يجعل الفرد يتلفظ أو يتحدث لنفسه بما يفعله هذا القدوة. مهارة الحفظ تعتمد على القدوة في تطوير كود فعال من خلال علامة لفظية متأنية للمثيرات المقلدة. العلامات والتصورات الحيوية تساعد في عملية التمسك بالسلوكيات مدة أطول وهي حقيقة يعتمد عليها أصحاب الدعاية التلفزيونية ويستغلونها في التأثير على المشاهدين. في التعلم بالملاحظة نحن نصنف المثيرات المقلدة في رسوم وأشكال تذكرية وهي التي يتم التصرف فيها بإبداع فسلوكنا يختلف عن الكمبيوتر والذي فقط يخزن ويتصرف بناءً على تلك المعلومات أو المواد المخزنة فيه.

البروفة (Rehearsal) تعتبر عاملاً مساعداً وهاماً للتذكر حيث أنه في حالة عدم القدرة على أداء السلوك آنياً، فمن الممكن القيام به ذهنياً. مثل هذه البروفات أو التمارين تجعل الاحتمال كبيراً بأن يقوم الفرد بتأدية هذه الأنشطة والأدوار بصورة فعالة عندما يحين الوقت المناسب. المستوى الأعلى للتعلم بالملاحظة يظهر عندما يطبق السلوك المقلد رمزياً وبعد ذلك يقوم بتطبيقه فعلياً.

ثالثاً: عمليات التكاثر الحركية: الميكانيزم الثالث للتقليد يتضمن عمليات التكاثر الحركية فمن أجل أن نحاكي نموذجاً معيناً يجب أن نحول التمثيل الرمزي للسلوك إلى تصرفات مناسبة. الاستجابة يجب أن تنفذ بنفس الطريقة التي كان عليها السلوك الأصلي. عمليات التكاثر الحركي تتضمن أربع مراحل فرعية هي:

١ ـ التنظيم المعرفي للاستجابة.

٢ ـ بداية الاستجابة.

٣ ـ مراقبة الاستجابة.

٤ ـ تصفية وتنقية الاستجابة.

من أجل أن نؤدي نشاطاً ما، يجب أن نختار وننظم استجابتنا على المستوى المعرفي. فنحن نقرر ماهية الأشياء التي سوف نقوم بها، ثم نبدأ استجابتنا بناءً على فكرة كيف يمكن أن تنفذ هذه الأشياء. قدرتنا على القيام بأداء هذه الاستجابة جيداً سوف يعتمد على ما إذا كانت لدينا المهارات الضرورية لتنفيذ السلوكيات والعناصر التي تضمنها النشاط. إذا كانت لدينا المهارات المطلوبة فمن السهل علينا تعلم مهام جديدة عندما تكون هذه المهارات مفقودة فمعنى ذلك أن التكاثر المطلوب لهذا النشاط سيكون ناقصاً لذا فنحن يجب أن نطور المهارات الضرورية قبل أن نتوقع أداء النشاط بصورة جيدة. المهام المعقدة جداً مثل قيادة السيارة أو العزف على آلة البيانو غالباً يتم تقسيمها إلى أجزاء وعناصر عدة، كل جزء مقلد ومطبق بصورة منفصلة وبعد ذلك يضافون ويجمعون على بعضهم البعض. عندما نبدأ في أداء بعض الأنشطة فنحن لا نجيدها في البداية حيث تكثر أخطاؤنا ونحتاج إلى إعادة للسلوك وعمل التصحيحات حتى نتمكن من تكوين النموذج أو فكرتنا عنه. أحياناً من الممكن بالنسبة لنا أن نتصرف كما لو كنا نقاداً لأنفسنا، نراقب سلوكياتنا ونزودها بتغذية رجعية.... الخ.

المهارات التي نتعلمها من خلال التعلم بالملاحظة تصبح متكاملة بالتدريج من خلال عملية المحاولة والخطأ. نحن نتبع سلوك القدوة وبعد ذلك نبحث عن

تحسين تقديراتنا من خلال التغذية الرجعية والانسجام.

رابعاً: العمليات الدافعية: النظام الأخير الذي يتعلق بالتعلم بالملاحظة يتكون من عمليات دافعية فنظرية التعلم الاجتماعي تعمل تمييزاً بين الاكتساب (ما تعلمه الشخص ويستطيع القيام به) والأداء وهو ما يستطيع الشخص بالفعل القيام به. الناس لا يقومون بكل شيء يتعلمونه، فمثلاً غالبيتنا يعرفون الكيفية النظرية لسرقة المحلات فقد رأينا بعض اللصوص في الحياة الواقعية أو من خلال التلفزيون وألفنا تلك السلوكيات المتعلقة بالجريمة ولكن ذلك لا يعني أننا سنقوم بارتكاب جريمة السرقة. هناك احتمال كبير بأن ندخل في سلوك مقلد إذا كان ذلك السلوك يؤدي إلى نتائج قيمة واحتمال ضعيف بتقليد ذلك السلوك إذا كانت النتائج عقابية. هنا القوانين التقليدية لنظرية التعزيز تظهر جلية على الرغم من أن التعزيز ليس من الضروري أن يكون مباشراً. نحن أيضاً نتعلم من ملاحظة نتائج سلوك الآخرين، فنحن نعرف ونلاحظ ما يحدث للمجرمين كعقوبة ومن جانب آخر، نميل إلى تقليد ومحاكاة تلك التصرفات التي تبدو فعالة بالنسبة للآخرين. أخيراً، نحن يمكن أن ندخل في عملية تعزيز ذاتي كما نكون أيضاً استجابات تقييمية تجاه سلوكنا الخاص وهذا يقودنا إلى مواصلة الدخول في سلوكيات مرضية ذاتياً ونرفض تلك السلوكيات التي لا نحبها ولا نرتاح لها. لا سلوك يظهر بدون باعث فالدافع الصحيح ليس فقط لنرى أو نقوم بالأداء الفعلي للسلوك لكن أيضاً التأثير في العمليات الأخرى التي تدخل في التعلم بالملاحظة. عندما لا نحفز لتعلم شيء ما، فنحن قد لا نعيره اهتماماً، بل نضيف لذلك بأننا لا نرغب في ممارسة أنشطة تتطلب مجهوداً كبيراً في التجربة والتدريب الضرورية للتكاثر الناجح. إذن فالحوافز تظهر كعنصر رئيسي في التعلم من خلال الملاحظة.

لاحظ بندورا أن عدداً من السلوكيات المقلدة تظهر بسرعة تجعلها سهلة في البحث عن العمليات التي تشكل أرضية للتعلم بالملاحظة. على كل حال، فإنه من المهم التسليم بذلك من أجل فهم الظاهرة والتنبؤ بالظروف التي يظهر فيها التعلم. ففي النمو المبكر قدوة الأطفال يتكون في الغالب من تقليد فوري لكن مع الكبر، الأطفال يطورون مهارات رمزية وحركية تساعدهم أو تتيح لهم متابعة سلوكيات أكثر

تعقيداً. الفشل في تكوين أو تكاثر سلوك مقلد ينتج من انتباه غير كاف، أو رمزية واحتفاظ غير ملائمين، أو نقص في الاستعدادات الجسمانية أو المهارة أو التطبيق أو الحافز الغير مناسب أو أي فرع من هذه العمليات أو الأشياء جميعاً.

التعزيز في التعلم بالملاحظة:

بندورا يرى أن أي سلوك يقوم به الفرد يمكن تعلمه بدون تجربة مباشرة للتعزيز، فنحن مثلاً لا نحتاج إلى تعزيز لكي نعير اهتماماً للأصوات المزعجة لأن تأثير المثير نفسه يتحكم في اهتمامنا وانتباهنا. التعلم بالملاحظة يظهر في الغالب حينما لا يكون النموذج ولا الملاحظ معززين مباشرة وهناك تأجيل بين السلوك الأصلي الذي تم تقليده والاستجابة المتأخرة أو التالية. بندورا يرى أن التعلم بالملاحظة يظهر من خلال عمليات رمزية عندما يكون الواحد منا عرضة للأنشطة المقلدة وقبل صدور أي استجابة، لذا فهو لا يعتمد على تعزيز خارجي. في حين أن مثل هذا التعزيز يلعب دوراً في التعلم بالملاحظة إلا أنه ليس شرطاً بل مساعداً فقط، فدوره يسبق الاستجابة ولا يتلوها. توقعات الفرد وتخميناته للعقاب أو الثواب تؤثر في كيفية سلوكه.

نظرية التعلم الاجتماعي تطرح عدداً من التعزيزات مثل التعزيز الجوهري والتعزيز العرضي والتعزيز الذاتي والتعزيز المكتسب.

١ ـ التعزيز العرضي : **(Extrinsic Reinforcement)** هو تعزيز خارجي وعلاقته بالسلوك اعتباطية وليس نتيجة طبيعية للسلوك ، فمثلاً إنتفاخ اليد نتيجة لمس فرن حار معناه تعزيز عرضي أو خارجي ، لكن احتراق الأصبع ليس كذلك. التعزيز الخارجي فعال في خلق تغير سلوكي وله دور هام في النمو المبكر. فعدد من الأنشطة التي نحتاج لتعلمها من الصعب القيام بها في بداية الأمر ولا تصبح هذه الأنشطة ذات قيمة ومعنى إلا عندما نصبح بارعين ونجيدها بطريقة فيها مهارة ومقدرة . الطفل يتعثر مرات عند محاولته قراءة بعض الكلمات أو الحروف وفي حالة عدم حصوله على تشجيع إيجابي في المراحل المبكرة لهذا التعلم فإنه سيصبح مثبطاً ويتوقف عن التعلم .

بندورا يرى أنه بناءًعلى نوعية الأنشطة والطريقة التي تستخدم بها المكافآت يمكن القول بأن البواعث العرضية ترفع من مستوى الميول والرغبات في ممارسة الأنشطة أو تخفيضها! إذن فالعملية هي ما يحققه أو يعمله الناس من خلال تلك البواعث نفسها لتحديد كيف أن المكافآت العرضية تؤثر في الدافع! بندورا ينصح باستخدام البواعث لتعزيز الكفاءة والاهتمامات، لكن في حالة الأنشطة والتي قد لا تكون ملائمة أو مهمة للشخص ولكنها ضرورية من الناحية الاجتماعية فلا بد من عمل المكافآت وزيادة الثواب والدعم.

٢ ـ **التعزيز الجوهري:** (**Intrinsic Reinforcement**): يظهر في ثلاثة أشكال مختلفة، فبعض التعزيزات الجوهرية تظهر طبيعية في علاقتها بالسلوك عن طريق التأثير الحسي، فالطفل الذي لمس الفرن الساخن وأحرق أحد أصابعه يعتبر مثالاً لهذا النوع من التعزيز. سلوكيات أخرى تولد تأثير فسيولوجيا فمثلاً تمارين الاسترخاء تخفف من التعب والإنهاك العضلي. في مواقف وأمثلة أخرى ليس السلوك نفسه أو التغذية الرجعية هي المكافأة ولكنه إحساسنا وشعورنا نحو الموقف. إن قيام شخص بعزف قطعة موسيقية صعبة أو معقدة بطريقة ممتازة تجعلنا نشعر بالإنجاز وتحقيق شيء هام، لذا فالرضا الذاتي يعزز من تطبيق أو ممارسة هذا السلوك.

٣ ـ **التعزيز البديل:** (**Vicarious Reinforcement**): يظهر عندما نتعلم سلوكاً مناسباً من نجاحات وأخطاء الآخرين في الحياة اليومية، نحن في العادة نشاهد الناس الآخرين يقومون بسلوكيات متعددة ونراقب ما يحدث لهم. التعزيز البديل يمكن أن يأخذ شكلاً عقابياً أو ثواباً، فالطفل الذي يرى أحد أقربائه يتلقى صفعة على وجهه لقيامه بارتكاب أمر أو عمل غير مقبول يتعلم بسرعة عدم القيام بهذا السلوك. التعزيزات البديلة تعدل أفكارنا ومشاعرنا وتصرفاتنا في خمس طرق هي:

١ ـ التعزيزات لها وظيفة إعلامية تقول لنا ماذا سيحدث للآخرين عندما يتصرفون بطريقة معينة.

٢ ـ التعزيزات لها وظيفة دافعية أو حافزية وذلك بإثارة التوقعات فينا والتي تجعلنا نتلقى عقوبات أو جزاءات بسبب تصرفات مماثلة.

٣ ـ التعزيزات لها وظيفة تعليمية انفعالية فالنماذج في العادة تعبر عن رد فعل انفعالي في حين يتلقى هؤلاء عقاباً أو مكافأة وهذه الاستجابات بالتالي تثير الانفعالات فينا.

٤ ـ التعزيزات البديلة لها وظيفة تقييمية تؤثر في كيفية تقييمنا للأنشطة المختلفة ونتائجها. التعزيزات تساعدنا في تحديد ما إذا كنا نحب أو نكره سلوكيات متعددة.

٥ ـ التعزيزات البديلة لها وظيفة تأثيرية فنحن نتأثر بالطريقة التي يستجيب فيها النموذج للمعاملة التي يتلقاها.

٤ ـ **التعزيز الذاتي: (Self - Reinforcement)**: ينسب إلى حقيقة أن الناس لديهم استعدادات لردود فعل ذاتية تتيح لهم السيطرة على اعتقاداتهم ومشاعرهم وتصرفاتهم. الناس لا تتحرك أو تتصرف مثل المراوح الهوائية التي تتغير في اتجاهات مختلفة لتصرفاتهم الخاصة سواء بالطرق العقابية أو الثوابية الذاتية.

بندورا ينظر للكتابة على أنها مثال عام لسلوك يعتبر منظماً ذاتياً، فطالما أنا أكتب فأنا لا أحتاج إلى شخص ما يقف على رأسي يعزز كل كلمة وعبارة أكتبها. بدلاً من كل ذلك، أنا أضع أهدافاً لنفسي وأعمل على تحقيقها أنقح وأراجع النسخ حتى أكون راضياً عن ما كتبته. الكائنات البشرية لا تعتمد بالكامل على دعم خارجي عند قيامها ببعض السلوكيات وذلك لوجود قدرة على رد الفعل الذاتي. التعزيز الذاتي يزيد من الأداء من خلال وظيفته الدافعية فالأفراد يحفزون ويدفعون أنفسهم لكي يعيشوا على مستوى معين من الأهداف والمعايير! حجم الحافز أو الدافع الذي نضعه يختلف بناءً على طبيعة الباعث ومعيار الأداء الفردي. الأفراد يضعون أهدافاً مختلفة لأنفسهم ويستجيبون لسلوكياتهم بطرق مختلفة. متسابق ما قد يكون راضياً عن نفسه في حالة قيامه بقطع مسافة ميل واحد في خمس دقائق ولكن متسابق آخر يريد أن يكمل هذه المسافة في مدة أقل. المعايير التي تحكم الاستجابات التعزيزية الذاتية كونت بواسطة التدريس أو النموذج. المعايير العالية دائماً تحاكى لأنها تهذب من خلال المكافأة الاجتماعية حيث أن الجميع يباركها ويكبرها. بعد تعلم الأفراد وضع أو تحديد معايير لأنفسهم نجدهم يستطيعون التأثير

على سلوكياتهم من خلال نتائج تفرز ذاتياً فنجدهم يبدأون في مكافأة أو معاقبة أنفسهم بطرق متعددة. أخيراً بندورا يعتقد أن معظم سلوكنا كراشدين منظم بالعملية المستمرة للتعزيز الذاتي.

التلفزيون والعدوان:

رأينا أن بحوث بندورا التي تمت تحت ظروف مخبرية دقيقة تظهر أن الأطفال والبالغين قد يطورون أنماطاً معقدة من السلوك، والاستجابات الانفعالية والمواقف والاتجاهات من خلال الاطلاع على نماذج حية. بعض تجارب بندورا كانت بالتحديد مصممة للبحث في تأثير مشاهدة التلفزيون على تطوير الاستجابات العدوانية، كما ذكرنا بالنسبة لنموذج الدمية (بوبو)! في كل الدراسات التي قام بها بندورا، استنتج أن الأطفال الذين يلاحظون النموذج العدواني وشاهدوه أظهروا استجابات أكثر عدوانية من الأطفال الذين لم تتح لهم فرصة مشاهدة النموذج العدواني، من هنا استنتج بندورا أن التعرض المتكرر لمشاهدة العدوان والعنف على التلفزيون يشجع الأطفال على التصرف بعنف وعدوانية ملحوظة. عندما يبلغ الطفل السادسة عشر في الولايات المتحدة على سبيل المثال يكون قد أمضى في مشاهدة التلفزيون وقتاً أطول من الوقت الذي قضاه في المدرسة. حجم أو مستوى المواد والمشاهد العدوانية في التلفزيون أظهر ارتفاعاً مستمراً من عام ١٩٥٤ م - ١٩٦٩ م ولم تظهر انخفاضاً حتى عام ١٩٧٢ م ففي هذا العقد الأخير، حجم العنف يمكن أن يقال عنه أنه قد انخفض وبعض من الفضل في ذلك يعود إلى الحملات المكثفة التي تزعمها بندورا في سبيل محاربة ووقف البرامج والمواد التي تحمل صوراً عدوانية ومظاهر عنف شديدة. إذن بدون شك براهين بندورا التي قدمها فيما يتعلق بقوله إن النماذج الحية العدوانية تؤدي إلى تطوير السلوكيات العدوانية حظيت باهتمام ملحوظ تركز على العلاقة المحتملة بين العنف في المجتمع والعنف على التلفزيون، حتى إنه قد قيل إن بعض الأعمال العدوانية التي تمت في الحياة الواقعية كانت مستثارة بواسطة أحداث على التلفزيون واستشهدوا بالفيلم الذي عرض على شبكة التلفزيون الأمريكي (NBC) بعنوان (رحلة الأيام المظلمة) فلقد دبرت مؤامرة إجرامية مماثلة في الحياة الواقعية. هذه السلوكيات

والصور العدوانية جعلت الكونجرس الأمريكي يعمد إلى الاهتمام بهذا الموضوع ويطلب إجراء المزيد من الأبحاث خلال عقد الستينات ١٩٦٠ - ١٩٧٠ للتأكد من فرضية ما إذا كان هناك علاقة سببية بين العنف المتلفز والعدوان في الحياة اليومية. النتائج جاءت متباينة، فهناك باحثون يرون وجود هذه العلاقة السببية فيما يعتقد آخرون بعدم وجودها أو محدوديتها. فمن ضمن تلك الدراسات ما تم تطبيقه في دراسات مخبرية حيث تم تعريض بعض الأطفال والكبار لبرامج تلفزيونية ذات عنف أو عكسه ومنحوا الفرصة لتطوير أو تكوين نزعات عدوانية ضد بعضهم البعض وجاءت نتائج هذه الأبحاث لتؤكد أن الأشخاص الذين شاهدوا العنف تلفزيونياً وجهوا عدواناً أقوى ضد الضحايا ولكن الأشخاص الذين لم يكونوا عرضة للعنف أصلاً لم يظهروا شيئاً من هذا القبيل. طبعاً مراجعات الدراسات التجريبية استنتجت أن مشاهدة العنف تجعل المشاهد أكثر ميلاً للعنف، كما أن دراسات أخرى أظهرت أن من يشاهدون أفلاماً أكثر عنفاً تتكون لديهم ميولاً عدوانية أكثر من أولئك الذين يشاهدون عنفاً أقل حدة على التلفزيون. من جانب آخر، دراسات أخرى ترى أن مشاهدة السلوك والعدوان على التلفزيون يمكن في الواقع أن تخفض السلوك العدائي وتساعد في السيطرة عليه، فالطفل الذي يثار ليدخل في خيالات عدوانية يمكن أن يظهر انخفاضاً ملحوظاً في السلوك العدواني. مجموعة ثالثة من الباحثين استنتجت أن الشواهد غير دقيقة فهم لم يستطيعوا التمييز أو تحديد نمط سببي واضح بين مشاهدة أنواع مختلفة من برامج التلفزيون والسلوك اللاحق.

في عام ١٩٨٢م صدر عن المعهد القومي للصحة النفسية الأمريكي بحث كان أكثر تحديداً بالنسبة لتأثير التلفزيون حيث جاء فيه (أن الإجماع بين غالبية الباحثين يؤكد على أن العنف على التلفزيون بالفعل يؤدي إلى سلوك عنيف أو عدواني بواسطة الأطفال والمراهقين الذين يشاهدون تلك البرامج). التقرير يصف ثلاث نظريات أخرى لها علاقة بالتعلم بالملاحظة والعنف.

النظرية الأولى: نظرية عمليات الإثارة: (Arousal Processes) والتي تؤكد أن الإثارة الفسيولوجية تنتج من مشاهدة أحداث عنيفة على التلفزيون.

النظرية الثانية: نظرية عمليات التبرير أو التسويغ: (Justification

(Processes ترى أن الناس والذين هم الآن عدوانيين يجدون مبرراً لتصرفاتهم العدوانية وذلك بمشاهدة تلك الشخصيات على التلفزيون.

النظرية الثالثة: نظرية تغيير الاتجاه: (Attitude Change) ترى أن الناس الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة هم أكثر سلوكاً وعدم ثقة ويميلون إلى التفكير بأنه يوجد في العالم عنف أكثر مما يعتقده الآخرون.

إذن فمن الواضح أن هناك علاقة بين مشاهدة العنف على التلفزيون والسلوك العدواني ولكن مع ذلك فلا يوجد شواهد علمية تثبت أن العلاقة علاقة سببية مباشرة.

بالإضافة إلى ما ذكر حول علاقة مشاهدة العنف على التلفزيون بالسلوكيات العدوانية، فهناك عوامل أخرى تلعب دوراً ملموساً في ظهور العنف والعدوانية. عوامل مثل مثيرات أو مؤثرات البيت والمجتمع والاستعدادات الفردية والعوامل الموقفية أو الموضعية... الخ.

بندورا على الرغم من قناعته بأن العنف مرتبط بثقافاتنا منذ القدم كما هو الحال في الأساطير اليونانية القديمة وليس بسبب تأثير التلفزيون والثقافة المعاصرة فقط. يقترح علينا أربع خطوات يرى ضرورة استخدامها لتخفيض الممارسات الراهنة في التلفزيون وهي:

١ ـ نحن يمكن أن نناشد الهيئات الحكومية السيطرة على التسويق التجاري لبرامج ومواد العنف.

٢ ـ يمكن أن نعتمد على نظام ذاتي في صناعة وبرامج التلفزيون.

٣ ـ نحن يمكن أن نوجد طرقاً للحد من العنف العام ومراقبته ويمكن ذلك من خلال دليل برامج التلفزيون (TV Guide) والذي يوضح العنف ونوعيته في كل فيلم أو برنامج تلفزيوني.

٤ ـ نحن يمكن أن نشجع ونكافىء التطبيقات المرغوبة والبرامج الهادفة في مجال التلفزيون، فبرنامج مثل (شارع السمسم) برهن على أن المعروض من المواد يمكن أن يكون تعليمياً لا يشوبه العنف ومع ذلك ممتع ويجذب أعداداً كبيرة من المشاهدين. بندورا يؤمن أن هاتين الخطوتين الأخيرتين لن تعملا على إزالة

المشكلة ولكن يمكن أن تساعدا فقط في التعامل معها بطريقة بناءة وفعالة.

العــلاج النفســي وتعــديــل الــسلوك: (Psychotherapy and Behavior Modification):

بما أن الملاحظة شيء رئيسي في تعلم السلوكيات، فإن لها مكانة مرموقة في تعديل السلوكيات المرفوضة. لقد أضاف بندورا إلى تكنيكات تعديل السلوك الاستخدام النظامي للقدوة أو النموذج كتكنيك مساعد في عملية تغيير السلوكيات. الخواف الاجتماعي (Phobia ، خوف غير منطقي) وردود فعل انفعالية أخرى تعدلت بفاعلية وبصورة ملحوظة وذلك عندما قام المريض بمشاهدة نماذج تستجيب لنفس الموقف بطرق أكثر ملاءمة وعقلانية. أسلوب القدوة استخدم مع الأطفال والكبار من مختلف الفئات كطلاب الجامعة والنزلاء المنومين في مستشفيات الصحة النفسية والأطفال الذين لا يستطيعون النطق. الخ. وذلك بتعليمهم بعض المهارات التي تساعدهم في التخاطب والتعاون وتخفض القلق وتحسن من مستوى الأداء. في كل حالة، القدوة أو النماذج تصور أو تشرح الطريقة المناسبة للتعامل مع الموقف والمريض يشجع على تقليد النموذج. إذن من أجل أن نزيل خوف شخص ما من حيوان ما، الشخص يمكن أن يشاهد فيلماً يتضمن نماذج حية تتفاعل مع الحيوان المقصود أو المخيف وبعد ذلك يشجع هذا الشخص على التفاعل مع الحيوان وذلك النموذج.

بندورا يشير إلى أن الناس الذين يتصرفون بطرق شاذة هم في الغالب يملكون حساً ضعيفاً من الفاعلية الذاتية، فهم لا يؤمنون بأنهم يستطيعون بنجاح أداء السلوكيات التي تتيح لهم التكيف مع الحياة اليومية. توقعاتهم المتدنية تقودهم إلى تجنب تلك المواقف التي تسبب تهديداً لهم وتشعرهم بعدم قدرتهم على القيام بأداء أدوار جيدة، لذلك نراهم ونتيجة لما سبق لا ينخرطون في نشاطات يمكن أن تظهر قدراتهم وتعمل على تغيير حسهم أو شعورهم بالفاعلية الذاتية.

استراتيجيات بندورا العلاجية صممت لمساعدة المرضى في تحسين إدراكهم لقدرات التأثير والفعالية الشخصية، فهو يوصي بأن يستخدم المعالجون مجموعة من التكنيكات من أجل تعزيز ثقة مرضاهم بأنفسهم. إذن ففي علاج مجموعة من

المرضى الذين يخافون من الأماكن الشاهقة أو العامة كالأسواق والمطاعم والعمارات الشاهقة، بندورا استخدم مجموعة من الإجراءات المختلفة حيث اجتمع في البداية بهؤلاء الأشخاص في مجموعة صغيرة حيث قام بنفسه أو بمساعدة من مساعديه بترتيب تلك المواقف أو الأماكن التي تزرع الخوف في نفوسهم حسب شدتها، كما علمهم كيف يستخدمون أساليب الاسترخاء والتفكير بإيجابية وبعد ذلك يقومون بتجارب ميدانية حيث يتم تشجيعهم على الانخراط والتفاعل مع المواقف والأشياء المخيفة. كذلك بعض الاستجابات والسلوكيات المناسبة تم عرضها وتقديمها عن طريق المعالج أو أولئك الأشخاص الذين مروا بتجربة الخواف الاجتماعي وتجاوزوها. التعرض لهذه المواقف يتم بصورة تدريجية حتى يستطيع هؤلاء تحسين فاعليتهم الذاتية وبالتالي زيادة المدة أو الوقت الذي يقضونه في تلك المواقف المخيفة!

بندورا كان مهتماً على وجه الخصوص بفاعلية العلاج النفسي وإجراءاته، فهو يؤمن بأننا لا بد وأن نبني إجراءاتنا العلاجية على فهم جيد للميكانيزمات الأساسية والتي بواسطتها يظهر التغيير المطلوب كما أنه لا يجب أن نطبق هذه الإجراءات على مستوى عيادي حتى يكون لدينا شاهد واضح على قوة تأثيرها وفاعليتها . في تلك الحالات التي يتم التأكيد فيها على إحداث تغييرات في البيئة ، بندورا يؤكد أن تأثيرها قصير المدى لأنه طالما أن الشخص تحت المراقبة المعالج أو في بيئة محكمة فمعنى ذلك التحكم في السلوك ولكن ماذا بعد ذهاب تلك المراقبة والضبط الخارجي إن ما يحدث هو انتكاس ذلك السلوك .

عدد من الأنماط السلوكية المرفوضة والتي لها تأثير سلبي على المدى الطويل مثل: الشراهة في الأكل، التدخين، المشروبات الكحولية وسوء استخدام العقاقير، تكون مهمة المعالج فيها مساعدة الفرد في اكتساب بعض الاستعدادات للسيطرة على سلوكه الخاص. هناك عدة عناصر مختلفة تدخل في عملية الرقابة الذاتية، لكن الشيء الذي ينظر له بندورا بعناية هو (تأجيل الإشباع)، والذي يتضمن تأجيل ثواب آني من أجل الظفر بثواب أو مكافأة أكثر قيمة في المستقبل. دراسات بندورا أظهرت أن المحاكاة قد تؤثر في القدرة على تأجيل وإشباع الرغبات فمثلاً في

المجتمع الأمريكي التنافسي، تعتبر القدرة على تأجيل الإشباع مهارة مطلوبة إن لم تكن ضرورية.

بندورا استجاب لتلك الاتهامات التي تقول إن تعديل السلوك يتضمن تغييراً في الكائنات البشرية ونكراناً لحريتهم حيث يشير إلى أن الإجراءات المستخدمة لخلق نمط سلوكي مناسب إذا كانت ذات قيمة قليلة للعميل فهي عادة لا تفرز نتائج دائمة أو ذات أثر طويل .

بندورا يرى أن العلاقة بين المعالج والعميل ليست علاقة سيطرة ورقابة ولكنها علاقة تعاقدية بين شخصين متفقين تعديل السلوك يرفع من حرية الأفراد ولا يقيدها فالشخص الذي لديه خوف هو حقيقة غير حر لكنه مشلول أو مكبل باستجاباته السلوكية. بندورا أشار إلى أن عدداً من الظروف الاجتماعية الراهنة لها تأثيرات غير إنسانية وتفصل الأفراد عن بعضهم البعض مما يجعل أو يطور لديهم القابلية للعنف والشغب.

نظرية بندورا: علمياً وفلسفياً وأدبياً:

أصبحت نظرية بندورا من النظريات المألوفة في دراسة الشخصية، كما أنها تعتبر من النظريات المقبولة في المجال الأكاديمي حيث أنها تركز على البحوث التجريبية وتحاكي الأسلوب العلمي بوضوحها ودقتها. حديث بندورا عن المتغيرات الداخلية، وتركيزه على الحتمية التبادلية وبحوثه في الجوانب الإنسانية للأفراد أتاح لنظريته التعامل بدقة مع تلك الاستجابات الاجتماعية المعقدة خلافاً لتلك النظريات السلوكية الراديكالية فنظرية سكينر مثلاً يمكن أن يعتمد عليها لفهم السلوك المتعلم من الحيوانات كما أنها لا تهتم إلا بعادات وسلوكيات بسيطة متعلمة للكائنات البشرية بعيداً عن شرح وتفسير تلك السلوكيات الإنسانية المعقدة مثل عملية الإبداع واتخاذ القرارات، في حين أن نظرية بندورا تحسب حساب تلك الأنواع المعقدة من الأنشطة متيحة المجال لمزيد من السلوكيات الإنسانية لتصبح أكثر قابلية للتحليل العلمي. عمل بندورا ساعد في التغلب على النظرة السلوكية المبكرة للطبيعة

الإنسانية كمكينة إنتاجها أو خراجها يعتمد على المواد أو المدخلات التي نقوم بتغذيتها وبتزويدها بها. هذه النظرية تعتبر مثالاً ممتازاً للأسلوب العلمي في دراسة الشخصية، فهي تعتمد على أرضية علمية بحثية أمبيريقية قابلة للمزيد من البحوث والتجارب المعملية، حيث أثارت عديداً من البحوث والدراسات في مجالات أخرى متعددة، كما أن مصطلحاتها وأفكارها الرئيسية كتبت بأسلوب واضح وبطريقة (خير الكلام ما قل ودل) كما أنها منسجمة ومتناسبة مع المفهوم الحاضر للعالم.

لكن مع كل ذلك فقد لقي عمل بندورا نقداً لتركيـزه على السلوكيات الظاهرة، على الرغم من إشادته وإيمانه بأهمية العوامل الخفية، ولتشدده ضد التحليل النفسي، مما جعل بندورا يتجاهل مشاكل إنسانية واضحة مثل الصراع والدوافع اللاشعورية.

كما رأينا نظريات السلوك والتعليم تميل إلى تقييد أنواع الظواهر التي يستطيع الاختصاصي النفسي دراستها والطرق التي يستطيع بها دراسة وبحث تلك الظواهر ولعل انشغال أتباع هذه النظريات بالطريقة العلمية الموضوعية والسلوكيات الظاهرة يمكن أن يكون لها أثر في تقييد البحث النفسي كما يمكن أن تمنع المدارس من فهم أشمل للطبيعة الإنسانية. كما رأينا فأصحاب نظريات التعلم والسلوك فشلوا في اعتبار أو تقدير أن العمل العلمي مبني في أساسه على الافتراضات الفلسفية. سكينر مثلاً، ولعدة سنوات لم يعترف بالالتزامات الفلسفية التي تشكل عمله. بندورا على الرغم من أنه لم يناقش بوضوح افتراضاته الفلسفية باستثناء الحتمية التبادلية ـ فهو أكثر تطوراً من سكينر في اعترافه بأن المحاولات العلمية تعتمد على الافتراضات الفلسفية. على الرغم من حرص أصحاب نظريات التعلم والسلوك على تحديد أنشطتهم بالعلوم الأمبيريقية ومناهجها العلمية إلا أنهم أثاروا قضايا فلسفية وتساؤلات أخلاقية، وقد كان ذلك واضحاً في محاولاتهم تطبيق نظرياتهم على الجوانب التي تشمل تحسين المجتمع والسلوك الإنساني. بندورا طور أشكالاً جديدة ومؤثرة من العلاج النفسي، مثل القدوة كما تحدث عن مخاطر للنماذج العدوانية. نتائج أخرى من التعلم بالملاحظة توصل إليها من خلال دراسة مشاكل حياتنا اليومية في المعامل والمختبرات العلمية، برهنت بوضوح على أن بندورا قد

استخدم أسلوباً علمياً وعملياً تشكل الفلسفة أحد مضامينه الأساسية. بندورا ساعد في تجديد أسلوب التعلم والسلوك وذلك بغرسه في البعد المعرفي وبالاعتراف ببعض من أسسه الفلسفية. إن التركيز العلمي الذي أولاه بندورا لمفاهيمه وبحوثه جعل أسلوبه شعبياً مما يؤكد استمرارية هذا الأسلوب وتأثيره القوي.

ملخص:

① بناءً على اعتقادات بندورا، السلوك الإنساني يعود إلى الحتمية التبادلية التي تتضمن عوامل بيئية ومعرفية وسلوكية والتي يختلف تأثيرها النسبي في العديد من المواقف ومع الكثير من الأفراد.

② بندورا يؤمن بأن معظم السلوك الإنساني متعلم خلال عملية التعلم بالملاحظة وذلك بمتابعة نموذج معين وملاحظته.

③ ثلاثة عوامل تؤثر في القدوة: خصائص القدوة، صفات الملاحظ، نتائج الثواب المرتبطة بالسلوك.

④ بندورا وصف أربع عمليات تدخل في التعلم بالملاحظة هي:

١ ـ عمليات الانتباه.

٢ ـ عمليات التذكر.

٣ ـ عمليات التكاثر الحركي.

٤ ـ عمليات الدافعية.

⑤ التعزيز العرضي والجوهري والبديل والذاتي كلها تلعب دوراً في التعلم بالملاحظة هنا بندورا بعكس سكينر لا يؤمن بأن التعزيز المباشر ضروري للتعلم لكي يظهر.

⑥ بندورا يؤمن أن التعرض المتكرر للعدوان والعنف على التلفزيون يشجع الأطفال على التصرف بعدوانية.

⑦ بندورا اقترح أربع خطوات يمكن أن تؤخذ في الاعتبار عند تغيير

الممارسات الراهنة لصناعة أو عمل التلفزيون.

⑧ بندورا أضاف الاستخدام النظامي للقدوة كأسلوب علاجي لتعديل السلوك وطور استراتيجيات صممت لمساعدة الناس على تحسين حسهم عن الفعالية الذاتية. كما قام ببحوث في مجال الرقابة الذاتية.

⑨ نظرية بندورا تحاكي النماذج العلمية وتضاهيها.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

Albert Bandura's writings are quite difficult and highly technical. The most comprehensive statement of his position is Social Learning Theory (Prentice - Hall, 1977)(. His concept of personality also emerged in two arti - cles written for the American Psychologist: «Behavior Theory and the Models of Man» (1974, 29, 859 - 869) and «The Self System in Reciprocal Determinism» (1978, 33, 344 - 358). Also significant is Aggression: A Social Learning Analysis (Prentice Hall, 1973).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن عشر
نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي : جوليان روتر
Julian Rotter: A Cognitive Social Learning Theory

أهداف الفصل الثامن عشر:

١ ـ تحديد الاتجاهين الرئيسيين في بحوث الشخصية واللذين وردا في نظرية روتر.

٢ ـ وصف المتغيرات الأربعة التي ضمنها روتر صيغته للتنبؤ بالسلوك.

٣ ـ مناقشة مفاهيم روتر للحاجة والحد الأدنى لمستوى الهدف.

٤ ـ وصف مقياس (I - E) ومناقشة الفكرة التي تقيسها والنتائج التي قادت لها.

٥ ـ مناقشة تطبيقات نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي في مجال العلاج النفسي.

٦ ـ تقييم نظرية روتر علمياً وأدبياً وفلسفياً.

نظرية روتر تمثل محاولة جادة لربط اتجاهين رئيسيين في بحوث الشخصية هما النظرية المعرفية والنظرية التعليمية. في جوانب عدة، نظرية روتر تمثل أسلوباً كلاسيكياً في التعلم يعتمد على قانون الأثر لثورنديك وهي تشير إلى أن السلوكيات التي يصحبها رضى تميل إلى التكرار في حين أن السلوكيات التي يصحبها إحباط تميل إلى الانطفاء والاندثار. روتر يؤكد على أهمية التعزيز الخارجي ويؤكد أن معظم سلوكنا متعلم . كما يؤكد على حقيقة أنه المعنى الذاتي وتفسير البيئة الذي في الواقع ينظم حياتنا. تأثير التعزيز والقرار المتعلق بمقدار ما نتعلمه يعتمد على عوامل معرفية داخلية.

حياة روتر الخاصة:

ولد جوليان روتر في بروكلين بولاية نيويورك عام ١٩١٦ م وحتى اليوم لم يكتب بعد عن حياته المبكرة أو يشير إلى كيفية تأثيرها على تطوير نظريته. حصل روتر على درجة البكالوريوس من كلية بروكلين والماجستير من جامعة أيوا عام ١٩٣٨ م أما الدكتوراه في علم النفس فكانت من جامعة أنديانا في عام ١٩٤١ م.

تأثر خلال دراسته بأعمال ونظرية ألفرد أدلر وكيرت ليفين حيث تعلم من نظرية أدلر تقدير غائية وهدف السلوك ومن ليفين تعلم تقدير الترابطية في السلوك وأن هناك عوامل عدة مسؤولة عن أي سلوك.

عمل خلال الحرب العالمية الثانية كاستشاري نفسي للجيش، وبعد الحرب عمل في جامعة أوهايو الحكومية حيث كان جورج كلي هو رئيس قسم علم النفس الإكلينيكي. في أوهايو طور روتر نظريته في التعلم الاجتماعي حيث وصفها في كتاب ألفه باسم (التعلم الاجتماعي وعلم النفس الإكلينيكي) والتحق بجامعة كونتيكت في عام ١٩٦٣ م حيث عمل كمدرس في قسم علم النفس. في الفترة من ٧٦ - ١٩٧٧ م ترأس الجمعية النفسية الشرقية، بالإضافة إلى مساهماته في برنامج التدريب النفسي والإكلينيكي بجامعة كونكتيكت

المفاهيم الرئيسية:

هناك أربعة مفاهيم رئيسية في أسلوب التعليم الاجتماعي الذي قال به روتر وهي:

١ - إحتمالية وقوع السلوك (Behavior Potential).

٢ - المحصلة المتوقعة (Expectaney construct).

٣ - قيمة التعزيز(Reinforcement value).

٤ - الوضع النفسي (Psychological Situation).

هذه المتغيرات الأربعة يمكن قياسها وربطها في صيغة محددة تتيح لنا التنبؤ بسلوك الشخص في أي وضع معين.

١ - احتمالية السلوك:

ينسب هذا المصطلح إلى احتمالية أن سلوكاً معيناً سيظهر في وضع معين. روتر استخدم مصطلح (السلوك) بتوسع ليشمل وينسبه إلى طبقة عريضة من الاستجابات التي تتضمن الحركات الخارجية، والتعبيرات اللفظية وردود الفعل الانفعالية والمعرفية. في أي وضع معين، الفرد يمكن أن يستجيب بردة فعل لعدد من المواقف بعدد مختلف من الطرق. مثلاً، عندما يواجه الطالب

اختباراً صعباً، يمكن أن يصبح متنرفزاً، يكثف دراسته ويزيد من ساعات مذاكرته، يفكر في إجابات بديلة، محاولة كالغش، ادعاء المرض. . الخ. كل واحدة من هذه الاستجابات يمكن النظر لها على أنها محتملة بالنسبة لأي فرد في مثل هذا الموقف. السلوك المحتمل محدد لكليهما السلوك المعين والتعزيز المرتبط! إذن، نحن يجب أن نعرف أي هدف يرتبط به السلوك قبل أن نقول كيف سيظهر. السلوكيات الخفية بالإضافة للظاهرة يمكن ملاحظتها وقياسها والتنبؤ بها والسلوكيات الخفية تستنتج من السلوكيات الظاهرة. فالفرد الذي يأخذ وقتاً طويلاً للإجابة على سؤال معين مقارنة بزملائه يمكن النظر له على أساس أنه يعمل تقييمه بين حلول وخيارات بديلة. نحن يمكن أن نسأل الشخص أن يقول أو يقرر عن سلوكه الخفي. روتر يؤمن بأن المبادىء التي تحكم السلوكيات الخفية هي نفسها التي يمكن تطبيقها على أي سلوك نلاحظه. الدراسة الموضوعية للاستجابات المعرفية الداخلية أمر صعب لكنه ضروري لفهم كامل السلوك.

٢ ـ **المحصلة المتوقعة:**

تعزى إلى التوقع الذاتي للفرد حول نتيجة سلوكه فهي توقع أو تخمين هنا التوقعات مبنية على خبرة سابقة فالفرد الذي أظهر قدرة وثباتاً في الرياضيات يتوقع أن يؤدي بنجاح مقررات الرياضيات. التوقع تخمين ذاتي ليس مبنياً بالضرورة على كل المعلومات الموضوعية وثيقة الصلة.

أيضاً التوقعات تختلف في عموميتها أو مداها، فبعض التوقعات تنسب إلى مدى أوسع من السلوك ولذلك فهي تحكم معظم أنشطة الفرد. مثال للتوقع العام جداً هو الاعتقاد أن محاولات الواحد منا الخاصة سوف تكون فعالة في جلب نتائج وتأثيرات مرغوبة.

بعض التوقعات الأخرى تعتبر ضيقة ومحدودة إلى حد ما وتحكم موقفاً واحداً فقط، مثل توقع أن الواحد سيحصل على مخالفة لوقوفه في موقف سيارات تستخدم العدادات. التوقعات العامة هامة على وجه الخصوص.

عندما يواجه الفرد موقفاً جديداً، حيث يمكن أن تكون النتيجة المتوقعة مبنية فقط على نتائج مواقف قديمة مماثلة

٣ ـ قيمة التعزيز:

ينسب إلى أهمية تعزيز محدد بالنسبة للفرد . ففي موقف معين ، جورج قد يرفض أن يقوم بغسيل سيارة والده عندما يعتقد أو يظن أن المكافأة الوحيدة التي يمكن أن يحصل عليها لقاء ذلك هي الشكر اللفظي. من جانب آخر، هو قد يكون قلقاً بشأن غسيل السيارة إذا اعتقد أنه سيحصل على عشرة دولارات لقيامه بعمله الروتيني هذا .

القيمة التعزيزية لمكافأة معينة تختلف من فرد لآخر فمثلاً بعض الأطفال أكثر ميلاً إلى إسعاد والديهم من الأطفال الآخرين. أيضاً الناس تدخل في أنشطة وأعمال لأسباب مختلفة، فشخص ما قد يذهب إلى الحفلة من أجل التعرف على أصدقاء أو أشخاص جدد، في حين نرى شخصاً آخر يبحث عن المتعة والبهجة لا أكثر ولا أقل . بعض المكافآت قد تكون منسجمة ومتوافقة والبعض الآخر غير ذلك فالطفل قد يسأل أن يختار بين لعبه وصندوق من الحلوى كمكافأة له على فوزه في مباراة ما. روتر يرى أن الأفراد يميلون إلى أن يكونوا متناسقين في القيمة التي يضعونهاعلى تعزيزات مختلفة، فكل واحد منا له مجموعة متميزة من الأشياء المفضلة التي لا يستغني عنها في أي موقف! إذن فالقيمة التعزيزية، مثلها مثل التوقعات، مربوطة بمعززات مختلفة مبنية على خبرات ماضية. خارج هذه الترابطات، نحن أيضاً نشكل توقعات للمستقبل، مما يعني وجود علاقة بين القيمة التعزيزية والنتيجة المتوقعة.

٤ ـ الموقف أو الوضع النفسي:

الموقف ينسب إلى المحيط النفسي الذي يستجيب فيه الفرد والذي تحده تصورات الشخص . إن أي موقف له عدة معان لمختلف الأفراد وهذه المعاني تؤثر في الاستجابة. مفهوم روتر للموقف النفسي يأخذ في الاعتبار أهمية المؤثرات الموقفية والموضعية. هنا مثلاً، يمكن أن يكون

لدى الفرد حاجة قوية للعنف لكن قد لا يتصرف بعنف في موقف معين اعتماداً على توقعات التعزيز. روتر يؤمن بأن المؤشرات المعقدة لكل موقف ترتفع وتبرز في توقعات الأفراد لنتائج التعزيز السلوكية وللتسلسلات التعزيزية.

من خلال هذه المتغيرات الأربعة نحن نستطيع التنبؤ بالسلوكيات التي قد تظهر في مواقف معينة. طبعاً، حتى هذا التاريخ أصحاب نظريات التعلم الاجتماعي لم يستطيعوا تطوير الأساليب الدقيقة للملاحظة والقياس والتي تتيح لهم اكتشاف الروابط المناسبة، لكن بلا شك أن الصيغ والمعادلات التي طورت لتنظيم أو لتحديد العلاقة بين هذه المتغيرات الأربعة ساعدت هؤلاء العلماء والمفكرين على تقدير وملاحظة حجم تعقيدات هذه المتغيرات التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند التوقع.

روتر استخدم عدداً من الأساليب المختلفة في محاولاته لقياس المتغيرات التي تدخل في صياغته أو معادلته. بعض من هذه الأساليب تعتمد على تقارير ذاتية من الفرد وبعض الاستبيانات اللفظية. الملاحظات السلوكية استخدمت كطريقة مؤثرة على قوة ومكانة هذه الأفكار، حيث يمكن ملاحظة الناس أو الأفراد في سلوكياتهم وهم يتلقون تعزيزاً تلو الآخر، إن الملاحظات المتكررة لسلوك فرد ما على مدى طويل تعطينا مؤشراً على كيفية أن سلوكيات معينة تميل إلى الظهور. إن تطور أو نمو الأساليب القياسية الدقيقة لهذه الأفكار يتم فقط في مرحلة مبكرة جداً.

مفاهيم الحاجة ومستوى الهدف الأدنى (The Concepts of Need and Minimum Godl Level) من المفاهيم التي لها دور كبير في نظرية روتر فهو يؤمن بأن السلوك البشري موجه ومحدد بواسطة حاجات يمكن أن تستنتج من الطرق التي يتفاعل الفرد فيها مع البيئة! إن الحاجة كما يراها روتر، مجموعة من السلوكيات التي تترابط بطريقة تؤدي إلى نفس التعزيزات أو مثيلاتها. روتر يفرق بين الحاجات الغير متعلمة ذات الأساس البيولوجي وبين الحاجات السيكولوجية والتي هي شروط أو ظروف معرفية داخلية نتيجة التجربة لا الغريزة. الحاجات السيكولوجية تظهر من خلال الترابط بين الخبرات مع تعزيز الأفعال المنعكسة والحاجات الأساسية

مثل الجوع ، والعطش والتحرر من الآلام والمثيرات الحسية . مع نمونا ، حاجاتنا السيكولوجية تصبح أقل اعتماداً على الحاجات الفسيولوجية وتزداد إرتباطاً بمؤشرات بيئية . منـذ طفـولتنـا ونحن وإلى حد كبير نعتمـد على الآخـرين من أجل إرضاء حاجاتنا ، عدد من أهدافنا المتعلمة ، كالحاجة للحب والحنان ، والاعتراف والاتكالية هي ذات جذور أو أصول اجتماعية . بعض من حاجاتنا أو دوافعنا محددة جداً فلذلك نجد السلوك المصاحب من السهل التنبؤ به . دوافع أخرى أكبر وأكثر تحديداً تجعل من الصعب التنبؤ بسلوكيات معينة تتضمنها تلك الحاجات .

روتر توصل من خلال عدد من البحوث التطبيقية إلى وضع ست فئات من الحاجات السيكولوجية :

١ ـ الاعتراف والمكانة : حاجة الفرد إلى البروز أمام الناس والقيام ببعض الأنشطة الاجتماعية التي تجعله يبدو في نظر الآخرين مؤهلاً وقادراً.

٢ ـ السيطرة : الحاجة إلى السيطرة على سلوكيات الآخرين.

٣ ـ الاستقلالية : الحاجة إلى اتخاذ القرارات الشخصية معتمداً على الذات فقط.

٤ ـ الاتكالية والحماية : الحاجة إلى الآخرين ضد الإحباطات أو منعها أو المساعدة في تحقيق الأهداف.

٥ ـ الحب والحنان : الحاجة إلى القبول والحب من الآخرين.

٦ ـ الراحة الجسمانية : الحاجات المتعلمة للرضى الجسماني المرتبط بالأمن.

كما أن الحاجة لها ثلاثة عناصر أساسية هي :

١ ـ احتمالية الحاجة : وهي أن مجموعة من السلوكيات الموجهة تجاه نفس الهدف سوف تستخدم في وضع معين.

٢ ـ حرية الحركة : وهي درجة التوقع لدى الشخص عن مجموعة معينة من الاستجابات التي سوف تؤدي إلى تعزيز مرغوب .

٣ ـ قيمة الحاجة: الأهمية المرتبطة بالأهداف أنفسهم أو المدى الذي يفضل الفرد فيه هدفاً على الآخر.

إنه من الواضح أن التنبؤ بالسلوك في المواقف الاجتماعية المعقدة في حياتنا اليومية صعب للغاية، فهو يتطلب دراسة مكثفة وكم هائل من المعلومات والباحث لا يكفي فقط أن يقيم احتمالية الحاجة ولكن يأخذ في الحسبان التوقعات والقيم التي نضعها على حاجات مختلفة بالإضافة إلى كيفية تغيرها أو اختلافها من موقف لآخر، وكيف أنها أيضاً تتعارض مع بعضها البعض. أما مفهوم المستوى الأدنى للهدف فينسب إلى المستوى الأدنى من التعزيز المحتمل الذي ننظر له كإشباع أو إرضاء في موقف معين. طالب ما قد يعتبر حصوله على (C) في أحد المقررات عقاباً له، في حين أن شخصاً أو طالباً آخر سيكون سعيداً في حصوله على تلك الدرجة. إن مفهوم حرية الحركة مع المستوى الأدنى للهدف مفيدين للتنبؤ بالسلوك وفهم توافق الشخصية، فالفرد الذي يتكيف في وضع معين لديه حرية أعلى من الحركة ومستويات حقيقية لأهدافه التي ينشدها. إذن، فالفرد الذي يتكيف بشكل جيد في الدراسة هو الفرد الذي وضع أهدافاً أكاديمية لنفسه تتعادل مع قدراته فيدخل في كم هائل من السلوكيات صممت لتحقيق تلك الأهداف. أما الفرد الذي لا يتكيف فهو الذي يضع أهدافاً بعيدة عن الواقع، مثل الحاجة إلى الحصول على (A) في الاختبارات مما يجعله يدخل في سلوكيات لا يمكن التنبؤ بها وتعكس توقعاً منخفضاً من النجاح. هناك توازٍ واضح بين مفهوم روتر للشخص الذي لم يستطع التكيف ويعاني من حرية محددة في الحركة ومع ذلك يضع أهدافاً غير واقعية، ومفهوم أدلر للعصابي الذي يضع أهدفاً خيالية لا يمكن تحقيقها ويعاني من مشاعر النقص.

التحكم الداخلي والخارجي في التعزيز:

أحد المفاهيم الهامة في نظرية روتر هو التحكم الداخلي والخارجي في التعزيز فلقد رأينا كيف أن توقعات الفرد فيما يتعلق بما ينتج عن سلوكياته يؤثر على تصرفاته. روتر يؤمن بأن هذه التوقعات يمكن أن تعمم إلى درجة أعلى من حرية الحركة ولتباين أكبر من التعزيزات. إذن، فالفرد، قد يؤمن بناء على خبراته الماضية

بأن التعزيزات التي حصل عليها تعتمد على سلوكياته الخاصة أو، عكسياً، قد يؤمن أن التعزيزات يسيطر عليها أو يتم التحكم فيها بواسطة قوى خارجية. الأفراد الذين يتم التحكم فيهم داخلياً يفترضون أن سلوكياتهم وتصرفاتهم الخاصة تعتبر مسؤولة عن النتائج التي تحدث لهم. إذن هناك تباين بين السيطرة الداخلية والخارجية، فمثلاً (ماري) قد تؤمن بأن معظم الجوائز أو المكافآت متوقفة على سلوكها الخاص لكن البعض الآخر محكوم بواسطة قوى خارجية! (جون) قد يشعر بأن القوى الخارجية تتحكم في معظم الأحداث لكن محاولاته يمكن أحياناً أن تؤثر في النتائج. (توم) يمكن أن يرى معظم المكافآت تعود جزئياً لمحاولاته الخاصة وجزئياً لمتغيرات لا يستطيع التحكم فيها! الاختصاصيون النفسيون استخدموا مفاهيم لقياس ما إذا كان الناس يعتقدون أنهم يتحكمون في مصيرهم أو حياتهم! الكفاءة، والإجادة والعجز والاغتراب بعض من المفاهيم أو المصطلحات الكثيرة التي استخدمت لهذا الغرض، روتر يؤمن أن مفهومه أو فكرته لها ميزة على الآخرين لأنها جزء متكامل من النظرية النظامية والتي يمكن عن طريقها عمل التنبؤات في سنواته المبكرة! روتر قام بعدد من الدراسات والتجارب بقصد الإفادة عما إذا كان الناس يتعلمون المهام ويتصرفون أو يؤدونها بتباين عندما يرون التعزيزات مرتبطة أو غير مرتبطة بسلوكياتهم الخاصة، نتائج هذه الدراسات والتجارب جعلته يطور مقياس (I - E) والذي يقيس إدراك الفرد لمكان السيطرة أو التحكم. هذا المقياس يتكون من ثلاث وعشرين فقرة إجبارية وست فقرات تعبئة ويقوم المفحوص بالإشارة إلى أي الزوجين (الفقرات) تصف شخصيته بدقة. الدرجة النهائية تتراوح ما بين صفر - ٢٣ حيث تشير الدرجات الأعلى إلى وجود تحكم خارجي عظيم.

روتر يؤمن أن الاعتقاد المتطرف سواء في المكان الخارجي أو الداخلي للتحكم شيء غير واقعي وغير صحي.

العلاج النفسي:

مفاهيم روتر وجدت تطبيقاً لها في حقل علم النفس الإكلينيكي، فبصورة عامة، روتر يرى أن الأفراد الغير متوافقين يتميزون بحرية أدنى من الحركة وقيمة الحاجة لديهم عالية. كما أنهم يؤمنون بأنهم غير قادرين على الحصول على

الإرضاءات والإشباعات التي يرغبونها من خلال محاولاتهم الخاصة. لذلك نراهم بدلاً من العمل بواقعية لتحقيق أهدافهم، يبحثون عن الحصول عليهم من خلال التخيل أو هم يتصرفون بطرق لتجنب الفشل. فمثلاً مشكلة الإدمان أو تشرد الأحداث ينظر لها على أنها مرتبطة بتناقص بين قيم حاجة الفرد للاعتراف وحريته في التحرك لتحقيقها. إن حرية أقل من الحركة قد تكون نتيجة لنقص في المعرفة أو القدرة على تطوير سلوكيات ضرورية لتحقيق أهداف الواحد. الفرد المعوق قد يكون لديه توقعات منخفضة بسبب عجزه في تعلم المهارات الأساسية. الحرية المنخفضة للحركة قد تنشأ من طبيعة الهدف نفسه، فإذا كان الهدف غير اجتماعي أو ضد المجتمع ، فالسلوك لتحقيق الهدف معناه دعوة مفتوحة للعقاب . توقع الفشل قد ينشأ من التعميم الخاطىء لخبرات الإحباط من جهة لأخرى، فالطفل المشلول الذي تمنعه هذه الإعاقة من المشاركة في المسابقات الرياضية قد يعمم بأن الآخرين لا يحبونه. والأفراد الذين يتلقون عقاباً شديداً كأطفال قد يعممون من تلك الخبرات على حاضرهم. الأفراد الغير متوافقين غالباً يطبقون التوقعات والسلوكيات من موقف لآخر وبطريقة غير مناسبة ، هؤلاء يميلون إلى البحث عن مكافآت عاجلة أو آنية ويفكرون بالنتائج طويلة المدى لسلوكياتهم ويؤكدون على إشباع حاجتهم على حساب الآخرين.

الأفراد الغير متوافقين دوماً غير مدركين للشخصية الانهزامية في تصرفاتهم ولإمكانياتهم الواقعية التي تحقق النجاح. روتر استفاد واستخدم ميكانيزمات الدفاع التي نادى بها فرويد لكنه (روتر) يعود للنظر إليهم كسلوكيات هروبية أو إحجامية. إذن، الإسقاط يتضمن لوم الآخرين على أخطائه الخاصة لتجنب العقاب والعقلانية تتضمن عمل اعتذارات من أجل تجنب العقاب. بناء على نظرية التعلم الاجتماعي، فكل الدفاعات والأعراض المرتبطة بالمرض النفسي والعقلي يمكن النظر لها كسلوكيات إحجام أو خيال. .

المعالج في مدرسة التعلم الاجتماعي سيبحث عن مساعدة شخص غير متوافق وذلك بتخفيض التناقص بين قيمة حاجته وحرية الحركة. روتر يشير إلى أنه من الضروري أن يكون المعالج مرناً، بصورة عامة ونظرية التعلم المعرفي تركز

على الاتجاه لحل المشكلة في العلاج وتطوير مهارات حل المشكلة قبل البحث عن طرق بديلة لتحقيق الهدف، وتحليل نتائج سلوك الفرد، والتمييز بين المواقف، إذن فالمعالج يتسنم دوراً توجيهياً وحيوياً.

روتر مراراً أكد على استخدام التغير البيئي من أجل إحداث تغيير في الشخصية، فهو قد يعدل اتجاه أولئك الذين يعيشون مع المريض أو التوصية بتغيير في المدرسة أو الوظيفة. عمل روتر فيما يتعلق بأهمية البيئة الملاءمة للتغيير قاده إلى إدراك كيف يمكن عمل المستشفى النفسي مجتمعاً علاجياً بنفسه وفي أمثلة أو جوانب أخري ، روتر وظف استراتيجيات سلوكية متعددة مثل التحصين المنتظم، التطويع أو التكييف التنفيري، التدريب التوليدي، والتدريب السلوكي في مهارات معينة. نظرية روتر في التعلم الاجتماعي تؤكد على الحاجة إلى تهذيب البصيرة في دوافع الواحد الخاصة مع نموهم وتطورهم من خلال التجارب والخبرات الماضية، وتهذيب الاستبصار في دوافع الآخرين والاستبصار في النتائج طويلة المدى في سلوك الفرد. روتر يشير إلى أنه ليس كافياً للعملاء فهم أصول مشاكلهم لكنهم يجب أن يعلموا سلوكيات جديدة تساعدهم في التغلب على هذه المشاكل. نظرية التعلم الاجتماعي تفهم العلاج النفسي بتوسع في محيط التفاعل الاجتماعي، فدور المعالج هو مساعدة المريض على تطوير علاقة مرضية قوية مع بيئته الاجتماعية. الأسلوب المعرفي في دراسة الشخصية يوحي بأنه سيكون أسلوباً مثمراً، فالعوامل المعرفية قد تزودنا بالحلقة التي تساعدنا لتجاوز الثنائية التقليدية بين العوامل الموضعية (Stituational) والوراثية (dispositional) في السلوك! الأنماط السلوكية والمعرفية المتميزة تحدد المعنى المتميز الذي لدى المثيرات والمعززات لأفراد متعددين. الأسلوب المعرفي للفرد يؤثر في تكيفه مع العالم والكفاءة الشخصية التبادلية. حديثاً، كانت هناك محاولات لتكوين نماذج إجرائية للمعلومات المعقدة والتي يمكن في النهاية أن تثير كماً متعدداً من الأنشطة العقلية الإنسانية، بالإضافة إلى كل ذلك، فهناك اتصال متزايد بين علم النفس المعرفي والفسيولوجيا العصبية المبنية على الاعتقاد بأن الأنظمة المعرفية قد تكون مربوطة بأنظمة عصبية تحتية. معظم البحوث في الشخصية اليوم تتضمن عناصر معرفية إلى حد ما. من هنا فالاهتمام بالعوامل

المعرفية في تحديد الشخصية حقيقة لا يمكن نكرانها.

تقييم نظرية روتر: فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي التي ينادي بها روتر تتضمن مبادىء نظرية التعلم التقليدي مع ميل إلى المعرفة. وضع روتر هنا يمثل نزوحاً واضحاً عن المذهب السلوكي الراديكالي لسكينر لكنه يحتفظ بالأسلوب والطريقة الصارمة والسمات الكلاسيكية للتعلم.

إذن فهي نظرية قد تثير مزيداً من البحوث والدراسات فتأكيدات روتر على العوامل المعرفية أعظم من تأكيدات بندورا، لذا يمكن القول، باختصار نظريته تتماشى إلى حد كبير مع الاتجاهات المعاصرة في علم النفس التعليمي. روتر أيضاً تبنى تقديراً جديداً للاستبطان كأسلوب علمي ويعمل ذلك فهو عمل تصحيحاً صادقاً للتضييق الدقيق الذي يُميز السلوك الراديكالي ونظرية التعلم. فالمصطلحات التي استخدمها روتر قد عرفت عملياً وقابلة للقياس كما تخضع للاختبارات التطبيقية والتجارب العملية، خصوصاً فيما يتعلق بمفهوم مكان السيطرة. عمل روثر له قيمة مشجعة ومعتبرة وقد تخوله في النهاية للتنبؤ بالسلوك. أيضاً نظريته أثارت مزيداً من البحوث ولاقت تطبيقاً عريضاً في المكان الإكلينيكي حيث أثبت المقياس (I - E) فائدته وجدواه، ولأن مفاهيم روتر وضعت بأسلوب بسيط وسهل فقد تم مقارنتها بنظريات عدة ومعقدة. نظرية روتر تعرضت لنقد لنقص العمق فيها، فهي لا تأخذ طابع المجازفة في الافتراضات وتعمل أكثر من مجرد تلخيص معرفة موجودة وعامة. على الرغم من أنها تزودنا بمفاهيم دقيقة وصارمة وقابلة للقياس، فهي لا تثير معرفة عميقة أو فهماً جديداً، وهذا قد يكون الثمن الذي يجب على روثر دفعه للدقة والسلطة والتنبوئية التي يحظى بها عمله.

ملخص:

① نظرية جوليان روتر تتضمن أو تجمع بين اتجاهين رئيسيين في بحوث الشخصية هما: النظرية المعرفية ونظرية التعلم.

② هناك أربعة مفاهيم رئيسية يتضمنها أسلوب التعلم الاجتماعي المعرفي هي: الاحتمالية السلوكية، المحصلة المتوقعة، القيمة التعزيزية والموقف أو الوضع

السيكولوجي . هذه المتغيرت الأربعة يمكن قياسها وربطها مع بعضها في صيغة معينة تتيح لنا التنبؤ بسلوك الشخص في أي موقف أو وضع معين .

(٣) مفاهيم الحاجة ومستوى الهدف الأدنى يساعدان أيضاً في التنبؤ بالسلوك وفهم التوافق في الشخصية .

(٤) روتر طور مقياس (I - E) لقياس سيطرة التعزيز الداخلي مقابل الخارجي والمقياس تم استخدامه بشكل ملحوظ في بحوث كثيرة واعطى نتائج هامة .

(٥) مفاهيم روتر طبقت في علم النفس الإكلينيكي والعلاج فيما يتعلق بمشاكل التوافق وتطوير استراتيجيات للتغيير .

(٦) نظرية روتر وإن تفوقت أو برزت علمياً إلا أنها لاقت نقداً في سطحية مفاهيمها !

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

The best introduction to Julian Rotter's theory is Personality, co - authored with D. J. Horhreich (Scott Foresman, 1975). Students who are interested in his point of view will also want to consult J. B. Rotter, J. E. Chance, and E. J. Phares, Applications of a Social Learning Theory of Personality (Holt, Rinehart & Winston, 1972) and H. M. Lefcourt, Locus of Control: Current Trends in Theory and Research (Erlbaum, 1976).

الفصل التاسع عشر

زن بودازم: Zen Buddhism

أهداف الفصل:

١ - تحديد ومناقشة صفتين عامتين لعلم النفس الشرقي.

٢ - مناقشة أصول (زن) وذلك بوصف قصة بوذا، وتعليماته وكذلك الفروع الرئيسية للفكر والتي تنبع من البوذية المبكرة.

٣ - وصف تعليماته (زن البوذية). وإظهار كيف أنهم يمثلون ردة فعل ضد العقلانية.

٤ - شرح المقصود بـ (ساتوري Satori).

٥ - وصف عنصرين أساسيين في تطبيقات (زن) هما (زازن وكون).

٦ - وصف بعض ممارسات زن وحياة المعبد.

٧ - مقارنة طرق التحرير أو التغير العلاجي النفسي الذي طوره الشرق والغرب.

٨ - تقييم النظريات الشرقية للشخصية فيما يتعلق بوظيفتهم كفلسفة وعلم وأدب.

هناك مجموعة من المعتقدات الشرقية مثل: الهندوسية والبوذية والكونفوشوسية والطوطم. والصوفية .... الخ والتي ينظر لها في الغرب كديانات أو فلسفات شرقية. ومع ذلك، وفي عدد من المجالات هذه الأنظمة الفكرية لا تشبه الفلسفة أو الديانة بقدر ما تماثل فن علم النفس والعلاج النفسي. اهتمام هذه المعتقدات الفلسفية الأساسي يركز على الموقف الإنساني والذي يتعلق بمعاناة الكائنات الإنسانية وإحباطاتها. هذه الحركات أو الفلسفات أيضاً، تولي أهمية للأساليب التي تحقق التغيير. الفكر الشرقي يهدف إلى تحويلات في الشعور والمشاعر والأحاسيس والانفعالات وعلاقة الفرد بالعالم الآخر والناس. كل حركة من هذه الحركات في الفكر الشرقي يمكن النظر لها على أنها تحتوي على خصائصها النفسية وتفهم على أنها بحث عن الفهم الذاتي!.

الخصائص العامة لعلم النفس الشرقي:

على الرغم من وجود عدة فروق بين النظريات أو الفلسفة الشرقية فكل الحركات الشرقية تقريباً لها خصائص معينة ومشتركة. يعقوب نيدل مان (Needleman) طرح سمتين تميزان الحركات الشرقية عن النمط الفكري في الغرب وهما:

١ - التركيز على الذات.
٢ - التركيز على الممارسة.

① التركيز على الذات:

في الغالب الديانات الشرقية تركز على الذات، لكن هذه الذات التي يتم التركيز عليها ليست الأنا الشعورية أو العقل الفردي لعلم النفس الغربي، فالشرقيون ينظرون للذات الحقيقية على أنها عميقة جداً وأعمق في الوعي الداخلي الذي يوحد الفرد مع الكون أو العالم. بعض المفكرين الشرقيين يشيرون إلى أن معظمنا يشوش أو يربك نفسه مع الدور الاجتماعي أو الهوية الاجتماعية التي حددها الآخرون لنا والتي يطلق عليها يونج (القناع) أو (Persona) هذه الهوية هي مايا (Maya) أو (الخداع أو التضليل) (Illusion). الأنا هي ببساطة عرف اجتماعي وإلا فإنه لا يوجد (أنا) (I) ولا (فرد) في الواقعية المطلقة وهذه الأنا (I) لا يجب أن تختلط مع الواقعية لأن الخلط أو الارتباك الحاصل بين ذات الواحد ودوره الاجتماعي هو الذي يقود إلى مشاعر العزلة، والغربة والوحدانية، فهناك تضارب أو صراع بين من أكون (أنا) وما يتوقعه الآخرون مني ويقولون إنني أكون وكلما حاولت أن أوحد نفسي مع دوري الاجتماعي أو هويتي فأنا أصبح أكثر غربة عن هويتي الحقيقية!.

نحن نبحث عن إرضاء لحاجاتنا الجسمانية لكي نتحرر من الألم والخوف ولنحقق أو نكتسب ثروة ومالاً، وننجب ونحب ولنحصل على التقدير والشرف والاعتراف والمديح من زملائنا. إننا نسعى لإشباع حاجاتنا ورغباتنا أو إرادتنا لنكتشف فقط أنه في النهاية لا يوجد بين هذه الحاجات أو الإرادات العالمية حقيقة ترضي حاجاتنا العميقة. إن هدف علم النفس الشرقي هو تحويل تلك الرغبات بدلاً

من إشباعها. إن الوعي الحقيقي يتضمن أن يكون الكائن كلًا متكاملاً، مرتفعاً فوق مستوى الفرد ويصبح متوحداً مع الكون والعالم كما هو الحال في التجربة الذروة (Peak Experience).

٢ التركيز على الأسلوب العملي:

علم النفس الشرقي أساساً علم تطبيقي، فكتابات المفكرين الشرقيين لا تقوم على إبلاغ قرائهم كيف يعملون الشيء ولكنهم يقدمون لهم الطرق والسبل التي متى ما استخدموها فسيتحقق لهم عملها أو تنفيذها. إن المفكرين الشرقيين يؤمنون بأن الحقيقة التي نبحث عنها ليست موجودة في الكتب ولكنها تظهر فقط في مجرى ومسار الحياة فلكي نسمح لها بالخروج فنحن نحتاج إلى عملية وليست وصفة وهذه العملية تتم من خلال توجيهات المعلم (guru) والذي ينظر له على أنه رمز أو شخص لا يمكن الاستغناء عنه لمثل هذه الرحلة الروحانية.

إن ممارسة علم النفس الشرقي تتضمن تدريباً منظماً للجسم والعقل (الفكر والبدن) يتيح للواحد منا إدراك الحقيقة التي تنطوي داخل تكوينه الداخلي فأتباع الفكر الشرقي يقدمون أو تقدم لهم مجموعة من الأساليب ، فهو أو هي تم تعليمه أن يتأمل أو يشترك في تدريبات جسمانية ونفسية.

مثل هذه الأساليب ليست مفقودة في الغرب كلية، فالجدلية السوقراطية كانت أسلوباً معيناً حيث يقوم المدرس بدور القابلة متيحاً للحياة الداخلية للفرد أن تكون مفتوحة وليست مطوية. كذلك المسيحيين واليهود يمارسون أساليباً ونظماً وطقوساً تهدف إلى تهذيب الجانب الروحاني للنفس. فرويد بدأ تكنيك التداعي الحر وهو الذي بواسطته يكشف الفرد عن بعض جوانب النفس والتي لا يعرفها الفرد سابقاً أو يدركها. على كل فبعض الناس قد يذهب إلى الكنيسة أو المعبد في إحدى المناسبات الدينية ويستمتع بتلك الخدمات الجميلة وقد يحققون بعضاً من التعبير الانفعالي عن طريق بعض الطقوس والممارسات والتي قد تخفف امتعاضهم اليومي ، لكن هذه الممارسات لا تجعلهم يبدأون أو يدخلون في عملية تحول جذري في حياتهم، فهم كمن يحاول أن يعالج مرضاً بالسماع عن طريقة جديدة للعلاج لكنه

لم يذهب إلى طبيب للمعالجة نفسها على الإطلاق.

من بين تلك الأشكال الفكرية الشرقية العديدة الهندوسية والبوذية والكنفوشوسية والصوفية، ولكن واحدة على وجه الخصوص لقيت اهتماماً في الغرب ألا وهي (بوذية زن). وقد تم اختبارها لأنها تمثل الفكر الشرقي إلى حد كبير ولكن هذا لا يغني عن المراجعة والاطلاع على الحركات الفكرية الأخرى عندما يتعلق الموضوع بنظرية الشخصية ولكن التركيز على دراسة إطار فكري واحد بتعمق أفضل من دراسة مختصرة لوجهات نظر أو حركات فكرية متعددة.

انتشار زن في الغرب:

يعتبر البوذي الياباني (ديستس تياتارو سوزوكي) هو الشخص المسؤول عن نقل مفاهيم وتعليمات هذه الحركة الفكرية (بوذا زن) إلى الغرب وهو بلا شك يعتبر حجة في هذا المجال خصوصاً في القرن الحاضر فقد خصص وقته لدراسة مفاهيم وترجمة حركة زن وفلسفتها للقارىء الغربي. ولد سوزوكي ١٨٦٩ م وتعلم في جامعة طوكيو ودرس (بوذية زن) في أنجاكوجي في كماكورا وتهذب فيها على يدي المعلم روشي. تضلع سوزوكي في هذا المجال ودرس أصول أعمال زن في الثقافات أو اللغات الصينية وبالي واليابانية وسان سكرت، فأصبح مدركاً لمضامينها ومحتوياتها مما جعله يعمل كمدرس لفلسفة البوذية في جامعة أوتاني في طوكيو ويؤلف أكثر من عشرين كتاباً بالإنجليزية عن موضوع البوذية وثمانية عشر كتاباً باليابانية . يعتبر كتابه الذي صدر في عام ١٩٢٧م (مقالات في بوذية زن) الكتاب الذي إسترعى اهتمام الرأي العام في الغرب ودفعه إلى الاهتمام بهذه الأفكار الشرقية . سوزوكي لم يكن مفكراً فقط أو عالماً بل كان ممارساً للبوذية وعلى الرغم من أنه لم يكن كاهناً أو قسيساً لأي عقيدة بوذية لكنه كان معروفاً ومشهوراً ومحبوباً في بلده اليابان . لقد حاول أن يشرح ويترجم للغرب تجربته ويجعل لهذه الحركة شعبية قوية في الغرب واستمر في مواصلة جهاده لنشرها هناك حتى توفي عام ١٩٦٦م عن عمر يناهز الخامسة والتسعين سنة .

أصول زن:

زن (Zen) مدرسة من مدارس البوذية والتي تمثل الجوهر الأساسي لتعاليم

البوذية . والتي أسسها ونادى بها قاوتاما أو بوذا (Buddha) . ولد صدهارثا قاوتاما (Sid-dhartha Gautama) في عام ٦٥٠ قبل الميلاد في مدينة (كابيلا فاستو) في شمال الهند حيث أن مكان ميلاده بالتحديد غير معروف. يعتبر والد قاوتاما أحد نبلاء وأثرياء الهند آنذاك وقد ترعرع ولده ونشأ في نعيم وترف وحصل على كل ما يحقق له الراحة، ولكن الإبن (صدهارثا قاوتاما) شعر بالضيق والتبرم من هذه الحياة والعيش الرغيد في ظل تألم ومعاناة الناس الآخرين وشقائهم خصوصاً المرضى والكهول وحاول استدرار عطف والده وشقيقته ولكنه لم يصل إلى نتيجة مما جعله في سن التاسعة والعشرين يترك البلاد ويهجرها ويهجر زوجته وطفله الصغير من أجل البحث عن شيء يخفف من محنته ومعاناته، فذهب حسب أقواله يبحث عن الأمن المطلق في نيرفانا (Nirvana) أو (أعلى حالات الوعي والنعيم). قاوتاما اختفى أو انسحب وبقي في الغابة وقضى قرابة الست سنوات متسولاً روحانياً. درس قاوتاما ولبعض الوقت مع الهنود عن اليوغا والفلسفة ولكنه استمر في عدم رضاه عن هذا الوضع مما جعله فيما بعد ينضم إلى مجموعة من خمسة زهاد مارسوا الصوم عن الأكل إلى أن وصل به الأمر إلى شجب كل لذات ورغبات الدنيا حتى كاد أن يهلك من المجاعة ولم يتغير شيء من معاناته أو قلقه. عندما بلغ قاوتاما سن الستة والثلاثين وبالتحديد في يوم ٨ أبريل عام ٥٠٨ قبل الميلاد قاوتاما كان في حالة من الإجهاد فجلس تحت إحدى أشجار التين والتي عرفت فيما بعد بالشجرة البوذية بعد أن كان في معاناة من الإنهاك. هناك قاوتاما أدرك أنه لا المحاولات الفكرية ولا التطرف في الزهد تستطيع تزويدنا بالطريق إلى الحقيقة، فلقد انتظر تحت تلك الشجرة حتى حصل على القوة الخارقة (Enlightenment) ! تأمل طوال الليل وعاني من مختلف مستويات الوعي حتى وصل مرحلة بعدها عرف باسم بوذا. قوته المتميزة أو الخارقة أيقظت فيه الحقيقة المطلقة، وحررته من دورة السبب والنتيجة الموت والبعث كما عبر عنها في مذهب كارما (Karma)(وهو الاعتقاد القائم على أن تصرفات الشخص تحدد قدره أو مصيره في الحياة القادمة).

بعدة فترة من الراحة، بوذا قرر أن يشرك الآخرين معه في رسالته حيث قضى بقية عمره يدرس تعاليم هذه الحركة الفكرية فتنقل من مكان لآخر وتحدث مع أي

شخص يريد الاستماع له. قاد بوذا أتباعه في عملية التأمل والمناقشات ووصف بأنه عطوف وقيادي وقد أكمل عمله لمدة خمس وأربعين سنة حيث توفي بعد أن تجاوز الثمانين من العمر في عام ٤٨٥ قبل الميلاد. طور بوذا أربع حقائق نبيلة أو فاضلة في مذهبه الفكري هي: -

١ - الحقيقة الأولى: وتصف وضعنا الإنساني على أنه معاناة وإحباط نتيجة لرفضنا قبول الشخصية الزائلة أو العابرة للحياة والأشياء الأخرى.

٢ - الحقيقة الثانية: وتخبرنا أن سبب معاناتنا هو الجهل والذي ينبع من فهمنا لمفاهيم وأفكار ثابتة عن العالم والتي هي في الواقع زائفة (maya) أو وهمية مثل مفهوم الأنا الفردية المنفصلة.

٣ - الحقيقة الثالثة: ونقول بأننا نستطيع تجاوز الدائرة المغلقة والوصول إلى حالة من النعيم (Nirvana) ونيرفانا هذه تنسب إلى إطفاء أو محو كل تلك الرغبات والامتعاض والأنانية التي يسببها التوحد مع ذات الواحد المنفصلة فهي إذن ليست مكاناً ولكن هي على الأصح حالة من الفكر أو العقل.

٤ - الحقيقة الرابعة: طريق بوذا الذي يقود إلى تحقيق القوة الخارقة ويهرب من المعاناة والشقاء. هذا السبيل أو الطريق النبيل يتكون من ثمان خصائص هي: -

أ - النظر أو الرؤية الصحيحة.

ب - المعرفة الصحيحة.

جـ - الكلام الصحيح.

د - التصرف الصحيح.

هـ - أسلوب العيش الصحيح.

و - المحاولة الصحيحة.

ز - الوعي الصحيح.

حـ - التأمل والتفكير!

قاوتاما استخدم مصطلحاً من الثقافة أو الأدب الهندي هو مصطلح أبنشادز

(Upanishads) وهو تجميع لمناقشات خاصة أو سرية بين الرجل المقدس وحواريه والتي صممت لتعرف التابع أو الحواري بالمعنى الداخلي للحياة. أكثر من مائتين من هذه المناقشات كتبت بوضوح وبدون غموض فهي مناقشات تبدو لنا على شكل سلسلة من الملاحظات تتيح المجال لمزيد من الأسئلة والإجابات. أبانـشادز كانت موضع عدد من التأويلات المختلفة ومع كل ذلك فقد أظهرت هذه التفسيرات دفعة قوية يمكن النظر إليها على أنها مذهب (براهما، Brahma) أساس الوجود ومذهب اتمان (Atman) أو وهم وخداع الفردية. براهما هي أساس الوجود فلقد وصفت على أنها حياة، متعة، فراغ... الخ. تنقسم بوذا إلى قسمين رئيسيين هما: ـ

١ ـ هينايانا (Hinayana).

٢ ـ ماهايانا (Mahayana).

أو كما عرفتـا باختصـار (هينـا) و(ماها) . هاتان الفئتان كان بينهما شقاقاً وخلافاً كالخلاف بين مذهبي البروتستانت والكاثوليك مثلاً!

بصورة عامة هينايانا البوذية أكثر تحليلاً وتوقعاً وتتبع في ذلك مدرسة نظامية ومتحجرة من الاعتقادات فمن تعاليمها أن الفرد يمكن أن يحقق النجاة أو التحرر من مصائب الحياة من خلال معرفة وانضباط صارمين. الماهايانا البوذية على النقيض أكثر سلاسة ومرونة حيث تتيح المجال لظهور الكثير من التغييرات، حيث أنها تؤكد على الحاجات الروحانية للناس العاديين، كما أنها تركز على الحب لا المعرفة وفتحت المجال لعقائد مختلفة.

كلا المدرستين (الماهايانا والهينايانا) تتفقان على أن الذات الفردية أو الأنا ما هي إلا وهم، ولكنهما تتناقضان أو لا تتفقان على ما الذي يتم اكتشافه عندما يتجاوز الشخص معوقات هذه الأنا الفردية ولم يعد بمقدوره مقاومة الحياة التي تتجاوزها. بوذا كان صامتاً أو لم يحرك ساكناً حول سؤال ما هي الذات؟ الهينيانا يعتقدون أن سكوته يعني أنه لا توجد ذات على الإطلاق، ولكن الماهيانا من جهة ثانية يفترضون أن الذات الحقيقية تظهر عندما يتم التخلي عن الأنا الخاطئة. هذه الذات الحقيقية متوحدة مع كلية أو تكامل الكون.

زن البوذية تنبع من مدرسة ماهايانا وترعرعت في الصين خلال القرن السادس عندما أدخلها البطريرك المشهور (بودهي دهارما) (Badhidharma) وتكونت تحت اسم عقيدة تشان (Chan Sect) والتي تعني نفس مصطلح (زن) في اليابانية، وكلا المصطلحين يترجمان بصورة عامة ليعنيان التأمل.

عقيدة (تشان) دمجت عناصر من الفلسفة الصينية طاوزم (Taoism) في نظامها. كلمة (طاو: Tao) تعني حسب معتقدات كونفوشيوس وبوتسي (الطريق) (القانون) (الطبيعة) و (الحقيقة) ولكن الفكرة العامة لـ (طاو) يبدو أنها تعني الحركة والنمو وهي معادلة أو مماثلة لبراهما أبانشاد! لاتوس (Lao - Tse) يقول إن محاولة تخيل أو تصور (طاو) كمحاولة الإمساك بظل الواحد أو السباحة ضد التيار. ويمضي في القول بأن شقاء الإنسانية ناتج عن محاولاتنا فهم الظل أو المجرى الذي دائماً يروغ منا، ونحن يمكن لنا الحصول على السلام فقط بمجاراة التيار والسماح له بأن يحملنا ويقرر قدرنا ومصيرنا. طاو تنقسم إلى قسمين هما:

١ - ين «Yin». ٢ - يانق «Yang».

وهما ليسا ثابتين بل ديناميكيين في ترابطهما فلا يستطيع أحدهما التحرك بدون الآخر فكلاهما يحتوي على دائرة تتغير باستمرار وكل واحدة تحتوي في داخلها على بذرة الأخرى والتي تظهر في الشكل البياني أدناه في صورة دوائر متناقضة أو متقابلة صغيرة.

ين مع يانق..

Figure 10.1 *The Classic Diagram of Yin and Yang*

(يانق) دائماً مرتبطة بالنور والإبداع والقوة والعضلات، بينما (ين) توصف على أنها مظلمة معتمة، أنثوية، تقبلية تكاثرية. في القرن الثاني عشر، بوذازن تغذت عن طريق اتصالها بالفلسفة الصينية، كما أنها أصبحت شكلاً دينياً رئيسياً في اليابان، كما أن الفن والعمارة والأدب والشعر ستبقى شواهد على مدى تأثير بوذازن على التعبيرات الثقافية فيها، مع أنها في الوقت الحاضر ليست لها السيطرة المعروفة

سابقاً، وقد دخلت إلى الفكر الغربي في الولايـات المتحدة خـلال السنوات الخمسين الأخيرة.

تعليمان زن:

زن بوذا ينظر لها على أنها ردة فعل قوية ضد الفكر الذي يميز غالبية أساليب الحياة الفلسفية والدينية والنفسية. معلمو زن يرون أن حل مشاكل الحياة لا يمكن وجوده من خلال القنوات الفكرية ولكن فقط من خلال طرق الحدس والتجربة. انطلاقاً من هذا الفهم فمن الصعب وصف (زن) على أنها ديانة أو فلسفة، فزن لا يضع مذهباً للاعتقاد الديني ولا يزودنا بطريقة للبحث والكشف الفلسفي. أيضاً فمن غير المناسب أن ننظر لـ (زن) على أنها علم نفس فهي لا تقدم نظرية عن النفس أو الـروح أو الذات ، زن كلية فارغة من الأفكار الذهنية لذا فالحديث عن زن معناه فوراً تشويهها وتقديمها بصورة مغلوطة! مثالياً، الواحد منا يستطيع معرفة «زن» فقط بواسطة تجربة حقيقتها وكونه شاهداً عليها. تعليمات زن طرحت بأسلوب لا يفهم معنـاه الحقيقي إلا الحـواريون والأتبـاع . مثـال ذلـك قولهم (أذهب فارغ اليدين وانظر إلى المجداف في يدي) وهذه العبارة وإن كانت سهلة القراءة لكنها صعبة الفهم حيث تبدو غامضة وغير مترابطة لمن لا يعرف تعليمات زن. هناك من يرى أن معلمي زن بوذا يتعمدون جعل تعليمات عقيدتهم غامضة وغير مفهومة حتى لا يكون تعمقهم الشديد محل تساؤ ل واستفسار. ومع كل ذلك فعلماء زن يدعون بأنه لا يوجد لديهم شيء يخفونه لأنه لا يوجد في الأصل شيء يخفى وإفادتهم غامضة وغـير مفهومة لأن اللغة الإنسانية أصلاً غير مناسبة أو ملائمة للتعبير عن حقائق زن. إذن فتعليمات زن يجب أن تجرب شخصياً لكي تفهم فهي أي (زن) لا تثبت شيئاً ولا تنفي شيئاً آخراً، بل هي بكل سهولة تشير إلى الطريق. زن تسألنا أن نأخذ الأمور أو الأشـياء كما هي وأن ندرك الأشياء ونحس بها بدون تأمـل أو تجريد. كما أنها زن تتجنب أي شيء خارجي أو سطحي، فهي تشجب كل السلطات الخارجية بالقول إن أي حقيقة هناك يجب أن تأتي من الداخل وتمر بمعاناة شخصية. زن تشجعنا ألا نتقيد بالأنظمة والقوانين الأخلاقية والاجتماعية والروحانية بل على الأصح نحن يجب أن نخلق أنظمتنا الخاصة من خلال تجربة وخبرة الحياة كما نعيشها.

الحقيقة هي الحياة، فهي لا يمكن فهمها أو إمساكها أو تخيلها أو تصورها وكل ما نستطيع عمله أو تسييره هو أفكارنا الذاتية الخاصة. علماء ومعلمي زن يقولون إن التعريف أو التحديد معناه قتلها، مثال ذلك، إذا كانت الريح ستتوقف عن الهبوب حتى نستطيع الإمساك بها فهي إذن لم تعد ريحاً. الحياة متملصة بنفس الطريقة، فنحن نحاول إيقافها والاحتفاظ بها وفهمها وتحديدها حتى نستطيع إعادة لحظاتها السعيدة ونتجنب لحظاتها السيئة، ولكن الحياة تتحرك ومحاولاتنا لإيقافها تفشل! زن خبرة وتجربة وليست تفسيراً أو إيضاحاً من هنا، فمعلمي زن لا يركزون على الحديث والكلام فهم بكل بساطة يطبقون ويمارسون الحياة بدون عمل أية تأكيدات أو تنكرات لها.

مفكرو زن لا يرون قيمة للكلمات لأن هذه الكلمات تجعلنا فقط غريبين على الواقع وعندما يستخدم المعلمون الكلمات فهم يستخدمونهافي محيط مختلف، وهــذا هو السبب الذي يجعلنا نرى إجابات مفكري وعلماء زن قصيرة ومباشرة فهم لا يضيعون وقتهم في شروحات وإيضاحات طويلة، فإفاداتهم تؤخذ فقط على أنها مساعدات للفهم فقط. إن ممارسة زن تتضمن أو تتطلب تدريباً منظماً للعقل فهي مصممة لتخلق في الأتباع حالة من الفكر تسمح للقوة الخارقة بالظهور. إن زن تمرن الفكر أو العقل ليرى العادي والمألوف في الحياة اليومية كاللغز الأعظم في هذا الوجود. زن يرفض التعامل مع مفاهيم مجردة، فهي تتعامل فقط مع حقائق معيشية في الحياة، فتشير إلى الحقائق في وسط تجربتنا اليومية.

هناك عنصرين رئيسيين في تطبيقات وممارسات زن هما:

١ ـ زازن «Zazen».
٢ ـ كوان «Koan».

حيث تعتبر زازن شكلاً من التأمل والتفكير في حين تعتبر كوان إفادة كلاسيكية أو تساؤل! معلمو زن يعترفون بأن هذه الممارسات في الواقع سطحية ومتكلفة. هدف زن هو القوة الخارقة (Enlightenment) أو كما تسمى في لغتهم (Satori) فلا وجود لزن بدون هذا المفهوم والذي لا يقبل بالتحليل العقلي أو الفكري ولكن لا بد من معايشته وتجربته شخصياً. تمتاز الحياة في معابد (زن) بالعمل الشاق والنظام

الصارم والزهد والاقتصاد والبساطة وهي خصائص تنعكس على طقوسهم وممارساتهم في العبادة والأكل والعمل.

الفكر الشرقي والعلاج النفسي:

قام المفكر الغربي واتس (Watts) بعقد مقارنة بين الطرق المستخدمة في الفكر الشرقي والغربي بخصوص الحرية والتغيرات العلاجية النفسية، فوجد أن العلاج النفسي الغربي وطرق الحياة في الشرق تهدف إلى التغيير في الأفراد المضطربين أو العصابيين بينما نجد أن النظم الشرقية تهتم بالتغيير في وعي الناس العاديين والأصحاء.

العلاج النفسي الشرقي أدرك منذ زمن طويل أن الثقافة التي يعيش فيها الفرد لا تحدد فقط ما هو عادي وشاذ في ذلك المجتمع ولكن أيضاً تزودنا بالمحيط الذي يمهد لتنشئة شكل من العصاب يثبته ويبقيه مختلف أعضاء ذلك المجتمع! في الغرب، فرويد يلفت نظرنا إلى الهجوم الذي نقوم به ضد الكائن البشري وذلك بممارسة الكبت الاجتماعي. على مستوى أوسع، مهمة المحلل النفسي هو تحرير مريضه من الأشراط أو التعويد الاجتماعي المجهد حتى يستطيع أن يعمل بفاعلية أكبر. العلاج النفسي الشرقي يذهب إلى أبعد من التحليل النفسي الكلاسيكي وغيره من المعتقدات الغربية، فهو لا يبحث فقط عن إعادة الفرد المضطرب إلى العمل أو الوضع الصحي والاجتماعي والعادي ولكن يتعداه إلى الإشارة إلى أن معاناة الشخص العادي بالإضافة إلى الشاذ سببها التوهم. إن العصاب الذي تعاني منه الإنسانية ينطوي على حقيقة أننا نأخذ صورة من ثقافتنا بحرفية أكثر من اللازم ونتوجد مع دورنا الاجتماعي بشكل مبالغ فيه! إن تكوين الذات (كفرد) عملية اجتماعية يخلقها تاريخ علاقاتنا مع الآخرين والذي يحدد المجموعة أو الفئة التي نتبعها في الهوية الذاتية. أيضاً واتس يشير إلى أن العلاج النفسي الغربي يقصر عن كونه طريقة للتحرر لأنه يفشل في التعامل مع المشكلة الأكبر وهي رأب الصدع الموجود بين الفرد والعالم. فرويد يستطيع حل مشكلة الفرد وعلاقته بالواقعية لأنه يؤمن إلى حد كبير بأن هناك صراع لا يمكن إصلاحه بين الأنا والعالم، حيث يرى أن العالم فقير جداً عندما يتعلق الأمر بإشباع حاجاتنا. أخيراً زن ترى أن الناس

تكون وتبني واقعها الخاص من خلال تطور الثقافة والمجتمع الذي تعيش فيه.

النظريات الشرقية: فلسفة وعلماً وأدباً:

المفكرون الشرقيون لم يطوروا نظريات في الشخصية مقارنة بالنظريات الغربية الحديثة، ولكنهم كتبوا وقالوا الكثير عن العلاقة بين الذات والكون وهذه تمثل أدباً أكثر من أي شيء علمي أو فلسفي أو نظري. مع كل ذلك فمن الممكن أن نلخص بعض المفاهيم عن الشخصية والتي تضمنها التفكير الشرقي والتي يمكن أن تدخل مجال المقارنة مع النظريات الغربية مثال ذلك أن التركيز في الفكر الشرقي (على العلاقات) وليس فردياً ، فالشخص لا ينظر له ولا اعتبار له في توحده وعزلته ولكن بعلاقاته بالذات والآخرين وبالكون الأكبر. بالتأكيد فالمفاهيم الشرقية في الشخصية غير مؤهلة لتكوين علم أو فلسفة أو نظرية.

لقد طبقت بعض المحاولات في الغرب لتصديق أو تأكيد موضوعية تلك الادعاءات التي تقول بأن تكنيكات تأملية معينة تؤدي إلى نتائج فعالة ولكن بالنسبة للمفكرين الشرقيين فالحقيقة لا تستند على مثل هذه الأرضية أو الأسس. إن النظريات الشرقية أحياناً تعتبر فلسفة أو ديناً، ومع ذلك فهم لا يتضمنون التخمين أو المنطق الذي يميز الفلسفة والديانة الغربية. إذن، فمن باب الدقة تسمية هذه النظريات أو نعتها بالأدب فهي نظريات تطبيقية لها مجموعة متعددة من الأساليب التي تعمل على رعايةٍ وفهمٍ أعمق للذات!

هذه الممارسات تحرك الفرد بعيداً عن الفكر والوعي العقلاني وتغذي فيه وعياً عميقاً يتجاوز الوعي اليومي. تدريب الجسم والعقل يتم بطريقة نظامية فالنظم الشرقية تهدف إلى إتاحة الفرصة للفرد أن يدرك الحقيقة التي تقع داخل تكوينه!

تأثير المفاهيم الشرقية ظاهر في أعمال بعض مفكري نظريات الشخصية مثل يونج وفروم وهورني... الخ. اليوم ومع تزايد فرص التعاون والتنافر بين الشرق والغرب فإنه من الضروري أن يحاول كل جانب تفهم الآخر لأن في ذلك خدمة للجميع!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملخص:

① علم النفس الشرقي يتميز بتركيز على الذات وتأكيد على الأساليب التطبيقية.

② صدهارثاقوتاما (بوذا) شجب وتنكر لكل شيء وتركه وراءه في سبيل بحثه عن السعادة والنعيم. بعد سنوات عديدة من الزهد المتطرف حقق القوة المتميزة. بوذا طور مذهب الحقائق الأربع النبيلة والتعليمات المفضلة عن براهما واتمان. (هينايانا) و (ماهايانا) هما قسمان رئيسيان للبوذية. زن بوذا نبعت من فرع أو قسم ماهايانا وتتضمن عناصر من الطاوية!

③ زن البوذية هي ردة فعل عنيفة ضد التفكير والعقلانية والتي تميز عدداً من الأساليب النفسية والدينية والفلسفية في الحياة. حل مشاكل الحياة بناءً على مرئيات وتعاليم زن لا يتم من خلال قنوات فكرية بل من خلال تجربة وحدس شخصي.

④ هدف زن هو الوصول إلى القوة المتميزة أو الخارقة وهي مفهوم لا يخضع للتحليل العقلي أو الفكري ولكن لا بد من معايشته أو تجربته شخصياً.

⑤ إن تطبيق أو ممارسة زن تعني تدريباً منظماً للفكر حيث أن هناك شقين في ممارسة زن هما:

١ ـ زازن: وهو شكل من التأمل.

٢ ـ كوان وهو تساؤل أو إفادة ظاهرها التناقض.

⑥ الحياة في معبد زن يتميز بالعمل الشاق والنظام الصارم والترشيد في الإنفاق والاقتصاد والبساطة. هذه الخصائص تنعكس على طقوسهم في الأكل والعمل والتأمل.

⑦ في حين أن العلاج النفسي الغربي قد ركز على تغيير في الأفراد المضطربين والعصابيين، نجد أن الأنظمة الشرقية مهتمة بالتغيير في وعي الناس الأصحاء أو العاديين مشيرة إلى أن الشقاء مصدره الوهم!

⑧ النظريات الشرقية لا تتضمن الخاصية المنطقية والتخمين الموجود في

النظريات الغربية، لذلك فنحن وبدقة نميزها على أنها أدب أو فن أكثر منها فلسفة أو علم .

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

The writings of D. T. Suzuki and Alan Watts, leading exponents of Zen Buddhism in America, provide an excellent introduction to the thought of Zen. Having introduced Zen to the English - speaking world in his renowned series of Essays in Zen Buddhism (Rider and Company, London, beginning in 1927), Suzuki wrote some twenty additional major works in English and at least eighteen in Japanese.Recognizong that the entire set of essays was somewhat lengthy and cumbersome, in 1934 Suzuki re - edited several of the major essays to constitute a shorter work, An Introduction to Zen Buddhism (Grove Press. 1964), that is probably the best introduction to Zen for the lay person. The companion volume, Manual of Zen buddhism (Grove, 1960), is recommended for use with it.

Alan Watts wrote numerous books on Eastern thought that have attracted a wide lay audience. His best Known is probably the Spirit of Zen (Grove Press, 1958), describing the way of life, Work and art in the Far East. Watts's Psychotherapy East and West (Pantheon Books, 1961) relates Eastern thought to the needs of Western culture and offers reflection on Western Psychotherapy.

A good additional reference for the student who wishes to enter further into the spirit of Zen is R. H. Blyth, Haiku (Houkseido, 1952). Haiku is a short japanese poem form consisting of only three lines, with usually the first and last lines of five syllables and the second line seven syllables. Other Books that are easily available and meaningful to students

are Chuang Tsu, Inner Chapters, translated by Gia - Fu feng and jane English (Vintage Books 1974); Lao - Tse, Tao Te Ching, translated by Gia - Fu Feng and jane English (Vinthag Books, 1972); Jane Hamilton - Merritt. A Meditator's Diary (Harper Row, 1976); and sheldon Kopp, If You Meet the Buddha on the Road, Kill Him (Science and Behavior Books, 1972). A more difficult but useful book is Rune E. A. Johansson's the Psychology of Nirvana (Doubleday Anchor, 1970).

الفصل العشرون

النظرية التحليلية الوجودية: رولو مي:

Rollo May: Existential Analytic Theory

أهداف الفصل:

١ ـ تحديد الأسس التقليدية التي دمجهارولو مي!

٢ ـ وصف فلسفة الوجودية.

٣ ـ شرح الأسلوب الوجودي في المنهج العلمي.

٤ ـ وصف المشكلة الرئيسية التي يعتقد مي أننا نواجهها في نهاية القرن العشرين.

٥ ـ شرح كيف ينظر مي للقلق وكيف أصبح خطراً عظيماً في الثقافة المعاصرة.

٦ ـ مناقشة مصدر المعضلة الإنسانية بناءًعلى رأي مي.

٧ ـ تحديد أربعة مفاهيم وجودية وضعها مي تتعلق بالكائنات البشرية وشرح كيف أنهم يزودوننا بقاعدة بنائية لعلم الشخصية.

٨ ـ مناقشة ما يتعلق بإعادة اكتشاف الذات.

٩ ـ إظهار كيف يواجه مي التناقضات في كل من الأهداف التالية: الحب، الشجاعة والإبداع، القوة، الحرية والقضاء والقدر والنية.

١٠ ـ وصف الأسلوب الوجودي في العلاج النفسي.

١١ ـ وصف طرق مي في البحث.

١٢ ـ تقييم نظرية مي فيما يتعلق بوظيفتها كفلسفة أو علم أو أدب.

يمثل عمل (رولو مي) محاولة فريدة للجمع بين التحليل النفسي في علم

النفس والحركة الوجودية في الفلسفة. فكما رأينا كتابات فرويد تعكس نزعات من فلسفة القرن العشرين والتي لا تناسب وقتنا الحاضر. في مزجه لوجهات نظر المدرستين التحليلية والوجودية، مي لم يؤكد فقط التأثير المستمر لعدد من مساهمات فرويد ولكنه أيضاً طور موقفه الأصلي، فقد ساعد في وضع الأرضية الصلبة للفلسفة وأهمية القيم للأخصائي النفسي ونظرية الشخصية.

السيرة الذاتية:

ولد رولو مي في ٢١ أبريل /١٩٠٩م في بلدة آدا بولاية أوهايو وترعرع في مدينة مورين في ولاية ميتشغان. كان والده دائماً يتندر بالقول أن التعليم الزائد أثر على ابنته وجعلها تتعرض لبعض المواقف أو الاضطرابات الذهانية، في حين شعر رولو أن هذا التعليق يعتبر شيئاً غير إنساني وهدام وهذا جعله يكره مرض (معاداة المفكرين) مع أنه كان ينظر لوالده على أنه رجل متعاطف.

أنهى (مي) دراسته في إحدى كليات ولاية ميتشغان فجأة بعد رئاسته لتحرير مجلة طلابية متطرفة وحول دراسته إلى كلية أوبرلن في أوهايو حيث حصل على البكالوريوس في عام ١٩٣٠م وبعد تخرجه ذهب إلى اليونان حيث قام بالتدريس في كلية (أناتوليا) لمدة ثلاث سنوات وكان يقضي العطلة الصيفية هناك متنقلاً بين الجزر اليونانية وينظم إلى مجموعات من الأدباء والرياضيين وغيرهم من الفنانين حتى أنه طهر تأثير الفلسفة والثقافة اليونانية على كتاباته فيما بعد. عقب ذلك ذهب مي إلى فيينا حيث درس مع ألفرد أدلر وتأثر بأسلوبه بشكل ملحوظ! مي لم يقبل على الإطلاق تلك النظرة أو المفهوم الميكانيكي للشخص. بعد عودته إلى أمريكا كان علم النفس هناك يبدو بسيطاً وساذجاً، لذلك التحق بمركز اتحاد الغائيين في نيويورك ليس بقصد أن يصبح قسيساً ولكن بقصد إلقاء الأسئلة وإشباع الفضول، فهو يستطيع هناك أن يتعمق في دراسة موضوعات كاليأس والانتحار والقلق وغيرها من القضايا التي تجاهلها الاختصاصي النفسي. رولو كان يأمل أيضاً أن يتعلم أضداد هذه القضايا كالشجاعة والمتعة والحياة. في ذلك الاتحاد كون صداقة طويلة مع أحد زعماء الفكر البروتستانتي وهو بول تليش (Tillich) حيث ساعد ذلك في إثراء ثقافتها وكتاباتها. خلال عمله أو دراسته في هذا الاتحاد، حدث إنفصال بين

والـديه مما جعله يقـطع دراستـه ويعـود إلى إيست لانسنق في ميشغـان ليهتم بها تبقى من عائلته وهم والدته وأخته الصغرى وأخوه. خلال ذلك الوقت عمل كمرشد للطلاب في كلية ميشغـان الحكـومية ولكنـه عاد بعد ذلك إلى نيويورك حيث ألف كتابه (أدب الإرشاد النفسي) والتحق بجامعة كولومبيا وحصل على أول دكتوراه في علم النفس الاكلينيكي . مي تعـرض في شبـابـه للإصـابـة بمـرض السل ، حيث لم يكن هناك علاج لهذا الداء حينذاك فقضى ثلاث سنوات في (Sarnac TB Sanatorium) في شمال نيويورك غير عارف بمصيره وخـلال مرضه قرأ عدداً من الأعمال منها مشكلة القلق لفرويد و مفهوم الرعب لـ كيركيغارد (Kierkegaard) الذي أوجد الحركة الوجودية في الفلسفة.

مرض مي ساعده على تقدير أهمية وجهة نظر الوجودية، فكتابه، (معنى القلق ١٩٧٧ م) يعتبره الكثيرون الكتاب الأول الذي شجع على اتحاد حقيقي بين علم النفس والفلسفة وبرهن على أهمية فهم علم النفس.

حياة (مي) المهنية كانت عملية ومنتجة فقد عمل كمرشد للطلاب في كلية مدينة نيويورك وكون عيادة خاصة لممارسة التحليل النفسي وصار عضواً في (The White Institute) . كما درس في جامعات برنستون ـ ييـل ـ هارفارد ـ ونيويورك بالإضافة إلى تأليفه لعدد من الكتب وحصوله على جوائز عديدة!

الاتجاه الوجودي:

هي حركة ظهرت في علم النفس والعلاج النفسي المعاصر في مختلف أنحاء أوروبا، وجذور هذه الحركة تعود إلى حركات المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية والفلسفـات المبكـرة لكـير كيغـادر (Kierkegaard) ومـارتن هيدجـر (Heidegger) وجين بول سارتر (Sartre). الفلسفة الغربية كانت في العادة تبحث عن جوهر الكينونة والقوانين والمبادىء الثابتة والتي يعتقد أنها تحكم الوجود! في علم النفس ، الاتجاه الـوجـودي يعـبر عن نفسه في محاولته فهم الكائنات البشرية فيها يتعلق بالقوى والدوافع والانعكاسات المشروطة . الوجوديون يشيرون إلى أن القانون يمكن أن يكون حقيقياً ولكنه يظل غير واقعي ، لذا فهم يسعون لردم الهوة بين ما هو حقيقي تجريدي وبين ما هو واقعي وجودي .

تجريدي وبين ما هو واقعي وجودي.

أيضاً فالوجوديون يرون أنه لا حقيقة أو واقع لنا ككائنات بشرية ما عدا ما نشارك فيه وما نعيه فتلك هي الأشياء التي لنا علاقة بها. كذلك فالمعرفة ليست تفكيراً ولكنها عمل وفعل. مي، ينكر صدق المفاهيم النفسية مثل الدوافع والأشراط ولكنه بكل بساطة يشير إلى أننا لا نستطيع أن نشرح أو نفسر بدقة الشخص على هذا الأساس ولكن عندما نحاول فهم الشخص بهذه الطريقة فسنجد أنفسنا نتحدث عن تجريدات وليس عن تشخيص للوجود. هم يقولون إن الأخصائيين النفسيين يميلون إلى دراسة تلك الظواهر التي تخضع وتقبل بالتحليل والمراقبة وتسمح للواحد بصياغة قوانين مجردة ولكنهم لا يهتمون بعلاقة هذه الظاهرة بالحياة اليومية الواقعية.

الأسلوب الوجودي ليس ضد الأسلوب العلمي بل هو يحرك ويدفع بالكثيرين لمناصرة ودعم المناهج العلمية. بعكس الأسلوب التقليدي للعلماء حيث يتم شرح المعقد عن طريق الأبسط، الوجوديون يؤمنون أن الأسلوب الاختزالي مضلل وأن الأبسط يمكن أن يفهم ويشرح فقط في ظل الأكثر تعقيداً. عندما يظهر مستوى جديد من التعقيد، يصبح حساساً وضرورياً لفهم الأشكال التي سبقته، فما يجعل الحصان حصاناً ليس ما يشترك فيه مع الكائنات التي يتطور معها ولكن ما يشكله ويميزه كحصان! إذن فالعلم، يجب أن يبحث عن الخاصية المتميزة لما يحاول أن يفهمه وأعني بذلك الكائن البشري. النظرة الوجودية تقوم على النظرة الكلية أو وحدة الشخص قبل أي انفصال أو تجزئة في الجسم مقابل العقل أو الطبيعة مقابل التنشئة أو الذاتي مقابل الموضوعي أو أي بعدين فكريين. الوجودية تسأل ما معنى أن تكون وتعيش تحت تلك الظروف النفسية والتاريخية والثقافية. إذن فاتجاه الوجوديين يقوم على مقاومة النزعة التي تقول بمعاملة الشخص كشيء!

المعرفة ليست ببساطة موضوعية أو ذاتية ولكنها أيضاً شخصية تبادلية نابعة من المواجهة بين الكائنات البشرية مع بعضها البعض، فالفهم من خلال المواجهة الوجودية والتحليل النفسي ترعرعا في وضع ثقافي واحد كما أن كلاهما يبحث عن

فهم للقلق واليأس والاغتراب الذي يشعر به الناس عن أنفسهم ومجتمعهم. خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر، مفهوم الشخصية تصدع وتجزأ إلى عناصر منفصلة كالإرادة والعقل والانفعالات وكانت هناك نزعة قوية لجعل الشخص كالآلة يعامل وفق النظام الصناعي الذي يعملون فيه. في النصف الثاني من القرن العشرين، مي أشار إلى أن المشكلة الرئيسية التي نواجهها هي الشعور بالضعف (قناعة بأن الفرد لا يستطيع أن يعمل أي شيء فعال مقابل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية).في بداية الخمسينات من هذا القرن لاحظ مي أن عدداً من مرضاه الذين جاؤوا طلباً للمساعدة كانوا يعانون من مشاعر داخلية كالفراغ. مي توقع أن تجربة الفراغ بين الناس والضعف أو فقدان القوة والتي رآها في مرضاه ستصبح في يوم ما وبائية وهو ما حدث بالفعل، ففي السبعينات كثر الحديث عن الطاقات الإنسانية ومع ذلك فهناك ثقة محددة جداً من قبل الفرد في طاقاته وقدرته على القيام بعمل مميز ومؤثر. هذا الشعور بالشلل صاحبنا حتى في الثمانينات ولعل ما نشاهده الآن من عجز الفرد وعدم تأثيره وفقدانه للقوة التي تجعله يقوم بعمل مؤثر فيما يتعلق بذلك التهديد الذي تخلفه الحرب النووية يعتبر شاهداً على صدق ما نقول. إذن فتهديد الحرب النووية وغيره من الظروف الاجتماعية المعلقة ما هي إلا أعراض للمشكلة الأعمق. النساء والرجال في وقتنا المعاصر أصبحوا يشعرون بالضعف وعدم الأهمية أو القيمة. هذا العجز الذي نعاني منه يقود إلى القلق والكبت مما يؤدي إلى الخمول والتعب والذي يمثل شكلاً من أشكال الحماية والوقاية. التعب أو الخمول والعجز يولدان أيضاً العنف والعدوانية والتي على المدى البعيد تغرب الأفراد عن بعضهم البعض وتساعد في زيادة العزلة والوحدانية.

القلق:

لقد أصبح مألوفاً وصف عصرنا الراهن بعصر القلق، مع أنه قبل عام ١٩٥٠ م لم يكن هناك أكثر من كتابين يهتمان بوصف القلق وصفاً موضوعياً ويقترحان طرقاً بناءة للتعامل معه وهما كتاب فرويد (مشكلة القلق) وكتاب كيركيغارد (مفهوم الرعب) لكن بعد كتابة مي لكتابه (معنى القلق) والذي نشر لأول مرة في عام ١٩٥٠ م، مئات الأعمال من كتب ومقالات وبحوث في مجال القلق تلت ذلك

العمل. قام مي بتنقيح كتابه في عام ١٩٧٧ م وأكد على أهمية تطوير نظرية متكاملة خاصة بالقلق. يعتبر عمل مي متميزاً بمحاولاته تركيب وتنظيم الآراء أو المفاهيم في الفلسفة وعلم النفس، حيث قام بتطبيق التركيب والتنظيم التحليلي لمعضلات الحب والإرادة، والقوة والبراءة أو الطيبة والإبداع والحرية والقدرة. بعض الاختصاصيين النفسيين يفضلون استخدام مصطلح (الضغوط) بدلاً من (القلق) ولكن مي يؤمن بأن هذه النزعة غير صحيحة وغير مناسبة أو ملائمة كلمة الضغوط (Stresses) أصبحت مألوفة أو شعبية لأنها تأتي من الهندسة والفيزياء، فهي يمكن أن تحدد وتعرف وتقاس بسهولة ودقة وهي تركز على ما يحدث للشخص في حين أن القلق مربوط وبوضوح بوعي الفرد وذاتيته. مي اقترح التعريف التالي للقلق: ـ هو الفهم المرتبط بتهديد بعض القيم التي يحملها الفرد ويؤمن بأهميتها وضرورتها لوجوده كشخص! القلق، يراه مي، كخاصية وجودية للكائن البشري، فهو يهدد القاعدة الأمنية التي تتيح للفرد أن يمارس أو يجرب نفسه كذات في علاقته بالأشياء وهذا يعني أنه في القلق، التمييز بين الذات والشيء محطم أو لا وجود له. إحتمالية القلق شيء متأصل أو فطري على الرغم من أن الأحداث المعنية التي يمكن أن تكون تهديداً أشياء متعلمة، فالخوف هو تعبير عن القلق في شكل موضوعي معين. مي يقترح أن القلق مكثف في ثقافتنا التنافسية العصرية بسبب الاغتراب والعزلة الشخصية والتي ظهرت من نمط معين ينظر لذات الفرد كشيء وقيمته الذاتية تعتمد على انتصاره وتغلبه على الآخرين. إذن فالقلق عرض آخر للمشكلة الأعمق.

محاولاتنا المتزايدة والراهنة لتحديد القلق في الواقع تزيد من كثافته وتعمقه، فواقع الأمر يؤكد أن انهيار التكنولوجيا التي نصنعها موجودة في محاولاتنا الفاشلة لاستخدامها في ملء الفراغ الموجود في وعينا المتناقص. هنا، مي، يريد أن يذكرنا بأننا لا نستطيع العيش في حالة فراغ لمدة طويلة من الزمن، فنحن نحتاج إلى شيء ما لملء هذه الفجوة وقد تكون سلطة هدامة أو وباء اجتماعياً مثل الكحول أو المخدرات. ففي بداية هذا القرن، أتاح الفراغ العاطفي والانفعالي الذي كانت تعاني منه أوروبا مجالاً للدكتاتوريات الفاشية لبسط سيطرتها على السلطة، ونحن

في الوقت الراهن نرى أعداداً كبيرة من الشباب، وبطريقة تبدو منظمة ومتأنية يستهلكون ويضيعون أنفسهم في شرب الكحوليات وتعاطي المخدرات. المشكلة هي أن الوعي والمسؤولية والنوايا الإنسانية ليست قادرة بعد على مجاراة التغييرات السريعة في مجتمعنا المعاصر، فلو عرفنا أو أدركنا وضعنا التاريخي وظروفه السيكولوجية فقد يكون بمقدورنا التحرك من الأنشطة الانهزامية الذاتية إلى الأنشطة البناءة.

فقدان القيم:

مصدر مشكلتنا هو افتقادنا للقيم الرئيسية في مجتمعنا. فمنذ عصر النهضة، والقيمة المسيطرة في المجتمع الغربي هو المكانة التنافسية والتي تقاس بالنجاح المهني والمالي. مثل هذه القيم لم تعد فعالة في وقتنا الحاضر حيث أنه يجب علينا أن نتعلم العمل مع الآخرين من أجل أن نعيش. المنافسة الفردية لم تعد تجلب المنفعة أو الخير العظيم للفرد أو المجتمع بل صارت تخلق المشاكل التي لم تكن موجودة من قبل!

معضلتنا الإنسانية تنبع من قدرتنا على الوقوف خارج ذواتنا والارتباط بها فهذه القدرة تسمح لنا بتكوين قيم تميزنا ككائنات بشرية. فنحن ولعدة قرون كنا نقيم أنفسنا عن طريق سيطرتنا أو قدرتنا في التغلب على ظروف الطبيعة ثم بدأنا في استخدام تلك الطرق التي نجحت في السيطرة على الطبيعة مع أنفسنا، فأصبحنا بذلك نخضع أو نطوع ذواتنا لأشياء غير شخصية يمكن اضطهادها. مع فقدان القيمة المسيطرة للفردية فقدنا إحساساً بالقيمة والكرامة الإنسانية، فأصبحنا غرباء على الطبيعة وعلى بعضنا البعض. اليوم نجد عدداً من الشباب يشعر بارتياح أكثر في التحدث مع الكمبيوتر بدلاً من الحديث مع شخص آخر. الحل في الإجابة على معضلتنا هذه تكمن في اكتشاف وتجسيد مجموعة جديدة من القيم. هناك من يقترح أننا نحتاج إلى إعادة تجديد للقيم التقليدية والتي تجسدها الفلسفة والدين والتي سمحنا لها بالاندثار والضياع.

إذن فالخيارات هي خياراتنا والمسؤولية هي مسؤوليتنا، فنحن يمكن لنا الانسحاب والعيش في القلق، والتخلي عن قدرتنا واستعدادنا الإنساني المتميز

والاستسلام لسلطة التكنولوجيا التي خلقناها أو أننا نقوم جميعاً بحشد القوى التي نحتاج إليها للاحتفاظ بحساسيتنا ومسؤوليتنا ونعمل بوعي مع بعضنا البعض لتطوير مجتمع جديد.

إعادة اكتشاف الذاتية:

مي يؤمن بأن الوعي بالذات هو العلامة المميزة للكائن البشري، فالوعي الذاتي يعتبر مصدراً لخصائصنا العليا وسماتنا السامية، حيث يتيح لنا التمييز بين ذواتنا والعالم، أن نتعلم من الماضي ونخطط للمستقبل، أن نرى ذواتنا كما يراها الآخرون ويكون لنا تعاطف معهم. مثل هذا الوعي الذاتي يجب أن ندرك أنه يأتي على حساب القلق والأزمات الداخلية . إن معنى ذلك أننا يجب أن نقف معتمدين على ذواتنا ونطور هويتنا بعيداً عن آبائنا وأجدادنا. الذاتية مولودة في محيط اجتماعي وتنمو في علاقات شخصية تبادلية، ولكن مع ذلك يصر مي على قدرتنا واستعدادنا لتجربة وتكوين ذواتنا الخاصة.

الفرضيات الوجودية المتعلقة بالشخص:

الاختصاصيون النفسيون لا بد وأن يسألوا أسئلة تتعلق بتكوين ووجود البشرية مثل سؤال، ما هي طبيعة الشخص كشخص؟ .كشخص اكلينيكي، مي يعترف صراحة بأنه قد عمل افتراضات فلسفية ووجودية معينة عن معنى أن نكون كائنات بشرية لخصها على النحو التالي : -

١ ـ كل الكائنات الحية تتمركز حول ذاتها وتسعى جاهدة للمحافظة على هذا التمحور أو التمركز ، وهذه المشكلة يقع فيها المريض أثناء العلاج النفسي .

٢ ـ الكائنات البشرية لديها النزعة وإمكانية مشاركة الآخرين والخروج من دائرة التمحور الذاتي.

٣ ـ المرض طريقة يسعى الفرد من خلالها إلى الحفاظ على كينونته وهي خطة للبقاء والعيش حتى وإن كانت تلك الطريقة تحد من احتمالات المعرفة والتصرف الممكنة.

٤ ـ الكائنات البشرية يمكن أن تشترك في مستوى معين من الوعي الذاتي الذي يتيح لها تجاوز الوضع الآني أو الموقف الفوري والنظر إلى مجالات أرحب تسمح بكم هائل من الاحتمالات.

إعادة اكتشاف المشاعر:

يرى مي أن معظم الناس يعودون إلى الوراء لاكتشاف مشاعرهم المبكرة، فمعظمنا لا يوجد لديه إلا أفكار غامضة لما يشعر به وفي أوقات محددة أيضاً. مي يؤمن بأننا لابد وأن ندرك أننا نلعب دوراً حيوياً في تكوين أجسامنا ومشاعرنا لذلك فوعي الواحد منا بمشاعره وخصائصه الجسمانية يعني تكوين الأرضية العملية المطلوبة لفهم ومعرفة ماذا نريد. هنا، مي لم يغب عن باله الإشارة إلى أن وعي الواحد منا برغباته لا يعني أن يتصرف بناءً على تلك الرغبات ولكن من المؤكد أنه لا يمكن لنا أن نكون أساساً للحكم على ما سنعمل أو نرفض إلا بمعرفتنا من البداية برغباتنا وماهية الأشياء التي نسعى لتحقيقها. مي يقول بأنه لكي تكون شخصاً، فلا يكفي أن تبقى على اتصال بمشاعرك ورغباتك فقط ولكن لا بد من مواجهة تلك الأشياء التي تحرمك من المشاعر والإرادة فتطور الكائن البشري عملية طويلة من التميز بدءاً من الاتحاد والترابط الأولي مع الأم حتى التحرر والتحول إلى فرد!

مراحل الوعي الذاتي:

حدد مي اربع مراحل للوعي الذاتي هي: -

١ ـ مرحلة البراءة والطهارة وتظهر قبل ولادة الوعي بالذات وهي تمثيل واقعي وخاصية للرضيع.

٢ ـ مرحلة العصيان حيث يسعى الفرد فيها إلى تكوين قوى داخلية تكفل له تأمين حقوقه الخاصة، وتشكل الطفولة والمراهقة أبرز خصائص هذه المرحلة والتي قد تتضمن العدوانية والانحراف.

٣ ـ مرحلة الوعي الطبيعي بالذات وهي المرحلة التي نعني عندما نتحدث عن الشخصية السوية أو السليمة، فهي ببساطة تعني أن يكون الشخص قادراً على

التعلم والاستفادة من أخطائه والعيش كفرد مسؤول.

٤ ـ مرحلة الوعي الإبداعي أو الخلاق ويتضمن القدرة على رؤية شيء ما خارج نطاق التصورات والقيود العادية وذلك باكتساب واكتشاف شيء خاطف ولماح من الحقيقة الموضوعية كما تظهر في الواقع. هذا الوعي الخلاق نادر الحدوث وهو يشبه إلى حد كبير مفهوم (الخبرة الذروة) التي نادى بها أبراهام مازلو!

أهداف التكامل:

عند تحليله الوجودي للشخصية، قلل مي من قيمة الازدواجية التقليدية لمفهومي الذاتية والموضوعية وذلك برؤيته للذات كوحدة واحدة مما يعني وعياً خلاقاً بأهمية الذات وقيمتها.

مي في مناقشاته لأهداف التكامل كشف وإلى حد كبير عن رغبة في مناقشة قضايا رئيسية في الشخصية وبطريقة حاول فيها تجنب النزعة أو الميل إلى تجريد الشخص والحياة من الازدواجية ومفاهيمها المصطنعة. فهو يرى أنه بدلاً من تكوين تصورات تجريدية، فنحن نحتاج إلى معرفة ومواجهة تناقضات حياتنا الخاصة، حيث نجد في التناقص شيئين متقابلين يوضعان ضد بعضهما البعض فيظهران متناقضين ولكن مع ذلك لا يمكن لأحدهما البقاء أو الوجود بدون الآخر، فمثلاً، الخير والشر، والحياة والموت والجمال والقبح مفاهيم تبدو في تناقض ظاهر لكن هذا هو ما يعطيها معنى وحياة وقيمة.

أ ـ الحب: ـ كان ينظر له على أنه يمثل الحل الأمثل للمشاكل الإنسانية ولكن الآن أصبح الحب هو المشكلة. هنا مي يريد أن يقول أن المشكلة الحقيقية هي في عدم قدرة البعض منا على الحب، فقد تحول عالمنا إلى عالم فصامي بعيد عن التلاقي والاتصال، غير قادر على الإحساس أو تكوين علاقات وثيقة، فالفتور والبلادة في المشاعر والعواطف هي التوجهات المسيطرة علينا تجاه الحياة فنعمل على تشكيل وسائل الوقاية والحماية اللازمة لمواجهة الاستثارة المفرطة لمجتمعنا المعاصر. مي يعتقد أن إعادة اكتشاف وتجربة العناية والرعاية مقابل الفتور هو الذي سيتيح المجال لنا للوقوف في طريق هذه المهازل التي تميز حياتنا اليومية الراهنة وذلك

لأنهما سيعملان (الرعاية والعناية) على تطوير أخلاقيات جديدة تتسم بالصدق والأمانة لتشكل أساس علاقاتنا الإنسانية.

ب ـ **القصد أو الغرضية**: ركز مي على أهمية وضع القرار والإرادة محوراً أو مركزاً للشخصية وهو بذلك لا يريد أن ينفي التأثيرات الحتمية ولكن قصده من ذلك هو وضع الحتمية والحرية في مستوى أعمق وبهذه الطريقة نجد مي قد أدخل مفهوم القصد والذي يشكل أساساً للإرادة والقرار حيث يعتبر القصد بعداً يتخلل ويتضمن في نفس الوقت القطبية أو الثنائية التناقضية الموجودة في الشعور واللاشعور أو الحتمية والحرية.

إذن فالقصد هو اهتمام تخيلي يشكل بناءً تحتياً لأهدافنا ويوجه تصرفاتنا. القصد يوجه الإدراك فإدراكي لقطعة من الورق سيختلف اعتماداً على ما كنت أقصد كتابته عليها أو عمل صاروخ أو طائرة منها، فمن خلال القصد نعطي معنى للعالم.

جـ ـ الجـذوة : **(Daimonic):** في عالم العقـلانية جاء مي ليقـدم لنا مفهوم الجذوة وهي أي وظيفة طبيعية لها القدرة على السيطرة على الشخص ككل. الجنس والغضب والتعطش للسلطة، كلها تتحول إلى شر مستطير عندما تسيطر على الذات بدون تقدير لتكامل الذات. نحن يمكن أن نكبت هذه الجذوة ولكن لا نستطيع تجنب نتائجها، فنحن عندما نكبتها نصبح أسرى لها، كما حدث مع الملايين من الناس في المرحلة المتفائلة والتي أدت إلى ظهور هتلر. الجذوة هي شيء هدام وهلاك في نفس الوقت وعندما ندركها أو نعيها تصبح جزءاً من ذواتنا.

د ـ **الشجاعة والإبداع** : ـ الشجاعة هي القدرة على التحرك إلى الأمام على الرغم من اليأس. في الكائنات البشرية الشجاعة ضرورية من أجل أن يكون لها كيان خاص. الشجاعة الإبداعية هي اكتشاف أشكال ورموز وأنماط جديدة يمكن أن يبنى عليها المجتمع الجديد. الاختصاصيون النفسيون يتجاهلون الإبداع لأنه من الصعب جداً دراسته ولكن من المؤكد أن أزمتنا المعاصرة تتطلب شجاعة وإبداعاً إذا كنا بالفعل نريد التعامل معها بفاعلية وتأثير.

هـ ـ القوة : ـ كما رأينا سابقاً، فإن العامل الرئيسي في أزمتنا المعاصرة هو

شعورنا بعدم وجود قيمة أو أهمية لنا بالإضافة إلى فقداننا للسلطة أو القوة. الحياة الإنسانية ينظر لها كما لو كانت صراعاً بين الوصول إلى إحساس بأهمية الذات من جهة والشعور بالهوان والضعف من جهة أخرى. مي يؤمن بأن بذور العنف مزروعة في العجز والفتور، فعندما يصبح الناس عاجزون فمعنى ذلك أننا نشجع على العنف بدلاً من السيطرة عليه فغالبية الذين يقومون بالأعمال العنيفة يبحثون عن تعزيز للاحترام الذاتي.

مي يرى أن الناس العاجزين أو الضعفاء أحياناً يرحبون بالاضطهاد من أجل أن يشعروا بأن لهم قيمة أو أهمية أو يسعون للانتقام بطرق سلبية وعدوانية ومثال ذلك استخدام الكحول وتعاطي المخدرات. مي يشير إلى أن الجدل حول موضوع العنف في التلفزيون سوف يكون أشد إذا نحن عملنا ضد الصورة السلبية لمشاهدة التلفزيون ذاته بدلاً من مجابهة النماذج العدوانية التي تعرض فيه أو تسيطر عليه. فالعدوان شيء رئيسي للحياة الإنسانية، ومن السذاجة النظر إليه على أنه سمة أو خاصية ثقافية فقط. هدفنا هو أن نتعلم كيف نستخدم قوتنا أو سلطتنا بطرق مناسبة للموقف وأن نكون حازمين ومثابرين لا أشخاصاً عدوانيين. لذا يجب أن نجد طرقاً اجتماعية تسمح لنا بأن نشترك في السلطة ونوزعها بيننا حتى يشعر كل شخص بأن له قيمة أو أهمية.

و ـ **الحرية والمصير**: ـ يوجه دائماً للاتجاه الوجودي انتقاد لتصويره الفرد على أنه حر طليق لا قيود عليه ولا حدود لسلطاته. مي يذكرنا بأن الحرية تقترن بالقدر وتعني الانفتاح والقابلة للنمو والمرونة والتغير من أجل الوصول إلى قيم إنسانية عظمى، إذن فالحرية تعتبر أساس للفهم الوجودي للطبيعة الإنسانية لأنها تشكل بناءً تحتياً لقدراتنا على الاختيار والتقييم.

إن النزعة، خصوصاً في أمريكا، نحو الاعتقاد بأنه لا شيء ثابت وأننا نستطيع تغيير كل شيء نرغبه لا تمثل سوء إدراك فقط للحياة ولكنها أيضاً تدنيس لها. أحد أهداف العلاج النفسي هو زيادة وعي المريض بمصيره أو قدره وذلك من أجل أن يحس أو يجرب معنى الحرية. نحن نحصل على حريتنا الشخصية فقط عندما نأتي أو نواجه حدود حياتنا الخاصة. الماضي، مثلاً، لا يمكن تغييره ولكن فقط يمكن

الاعتراف به والتعلم منه حتى نتمكن من اختيار المستقبل. بعض الأشياء لا يمكن تغييرها أو لا نستطيع تغييرها لكن نحن نستطيع تغيير موقفنا تجاهها.

العلاج النفسي:

يمكن تلخيص خصائص العلاج النفسي الوجودي في النقاط التالية: -

① الهدف الأساسي للعلاج هو مساعدة المريض في فهم ذاته وطريقة كينونته في هذا العالم.

② يجب علينا كبشر أن نكون واعين مدركين لذواتنا ومسؤولين عنها، فنعمل على تحقيق ذواتنا انطلاقاً من القول الشائع (نكون أو لا نكون) ونجعله خياراً دائماً وقائماً لنا في كل لحظة.

③ إن عبارة (أنا موجود) ما هي إلا شرط أولي لحل مشاكل معينة فمثلاً الناس قد يتخلون عن هويتهم من أجل أن يكونوا مقبولين من قبل الآخرين ومن أجل تجنب الوحدانية علماً بأنهم بعملهم هذا يفقدون سلطتهم وتميزهم الشخصي الفريد.

④ في زمن فرويد كان الكبت والقمع ينظر لها كأنماط عصابية مألوفة، أما اليوم فالامتثال والخضوع هي الأنماط الأكثر سيادة وألفة.

⑤ إن التنكر لطاقات الفرد وإمكانياته الكامنة يؤدي إلى معاناته من الذنب والذي لا يأتي من الحرمان الثقافي ولكنه يظهر من حقيقة الوعي الذاتي وإدراك الفرد لحقيقة أنه لم يشبع أو يرضي طاقاته الكامنة.

⑥ إن مواجهة مثل هذا الذنب في العملية العلاجية يؤدي إلى نتائج بناءة، لذا فمهمة المعالج الرئيسية هي السعي لفهم المريض وفهم أسلوب كينونته وطريقة تنظيم كيانه في هذا العالم.

⑦ عدد من الأدوات العلاجية النفسية يرتبط استخدامها بالطريقة التي تظهر وجودية مريض معين في لحظة معينة من تاريخ حياته.

⑧ يؤمن مي بأن التداعي الحر مفيد، وعلى وجه الخصوص، في عملية

الكشف عن مفهوم القصد أو الغرضية.

⑨ يؤكد مي على أهمية الحاضر وعلى أن تكون العلاقة بين المعالج والمريض علاقة واقعية.

⑩ يرى مي أن عملية التحويل أو الطرح عندما تظهر أثناء العلاج النفسي فمعناه تشويه المواجهة العلاجية فالمعالج يسعى إلى دفع المريض لمعايشة واقعه ووجوده الحاضر.

⑪ يحذر مي من استخدام العلاجات العقاقيرية في العلاج النفسي لأنها تورث نتائج سلبية، فإزالتها لأعراض القلق مثلاً، يمكن أن يجعلها تزيل أو تقضي على دوافع المريض نحو التغيير وبذلك نجده ينكر أو يتجاهل الفـرص المتاحة له للتغيير والتعلم.

⑫ يستخدم مي في بعض الأحيان تكنيكات العلاج الجشطلتي خصوصاً تلك الأساليب الحركية التي تعتمد على التغييرات الجسمانية.

⑬ يؤكد المعالجون الوجوديون على أهمية الالتزام أو الانتظام فالمريض لا يمكن أن يحصل على الاستبصار المطلوب ما لم يكن مستعداً لاتخاذ القرارات المحددة والتوجهات الواضحة نحو الحياة.

طرق البحث:

في الخمسينات انتقد مي الاختصاصين النفسيين لأنهم خصصوا دراسات لتلك السمات التي تتعلق بالسلوك الإنساني الذي يتداخل مع السلوك الحيواني وبالتالي وصفهم في مصطلحات فسيولوجية وأخرى سلوكية كالمثير والاستجابة. مي، أيضاً، انتقد البحوث النفسية المعـاصرة لاهتمـامها المفـرط بالمعلومـات والبيانات والأرقام على حساب النظرية.

في الوقت الحاضر يرى مي أن معظم بحوثنا محكومة بأسطورة الرجـل التكنولوجي والذي وصفه على أنه مجموعة من الفرضيات التي تسلم بأن الكائن البشري محكوم بواسطة ما يستطيع أن يفهم عقلياً وأن انفعالاته الشخصية تتبع أو تلي هذا الفهم وبالتالي فإن قلقه أو خوفه يمكن معالجته. ما يحاول مي عمله هو

مساعدتنا في تطوير شكل جديد وطريقة تتناسب مع ظروف وقتنا الراهن وبعد كل ذلك يذكرنا بأن كل واحد يستطيع عمل البحوث المناسبة فالمساهمة الجيدة تكمن في رؤية شكل جديد للمشكلة. مي يؤمن كذلك بأن الأشكال الجديدة من الرموز والأساطير الهادفة لفهم الطبيعة الإنسانية يحتمل إلى حد كبير أن تأتي من الأدب والثقافة والفن والإنسانيات والدين لا من علم نفسنا الحاضر.

أسلوب مي الفريد في البحث يمكن النظر إليه في نشاطين معينين هما:

١ ـ بحث أو دراسة الأمهات الغير متزوجات.

٢ ـ دراسة تسلسل الحلم.

ففي البحث الأول نجد مي عند دراسته لكل امرأة استخدم المقابلات الشخصية واختبار رورشاخ وقائمة القلق وبعض الفحوصات الجسمانية الطبية. هذه الدراسة جعلته يحصل على ملاحظات كثيرة تتعلق بمعنى القلق نفسه وأصل القلق العصابي في علاقة الطفل والأب وكذلك الانتشار الواسع للقلق العصابي بين النساء في الطبقة الاجتماعية المتوسطة. مي يؤمن بأن الأحلام تعكس طريقة الفرد في إدراك عالمه كيف يتكيف معه وما هو المعنى الخاص الذي يعطيه لهذا العالم فأحلامنا تعكس مقاصدنا واهتماماتنا العميقة.

إن الغـرض من تأويل الحلم ليس إطلاع الفرد على معنى هذا الحلم فقط بل توسيع وعي الفرد وإدراكه حتى تكون المعايشة والتجربة أكثر عمقاً واكتمالاً. في الأحلام نقاوم وبنجاح إغراءات التفكير العقلاني وبدلاً من ذلك ندخل في صراع مع مشاكلنا الحقيقية فقط.

نظرية مي فلسفياً وعلمياً وأدبياً:

مي بوضوح يعترف بأن العلم ينبع من أشكال فلسفية مبكرة ويعتمد بشكل رئيسي عليها. في العلاج النفسي مي هو (الصديق العنيد) يطلب من مرضاه أن يتصارعوا مع القوى العاجزة في دواخلهم ليظهروا ثانية إلى الحياة أو الواقع فهو لا يهتم بما يقوله بعض الاختصاصيين النفسيين عن مفاهيمه التي أدخلها ومنها القصد والإرادة وكيف أنه يبدو غبياً في إصراره على تلك المفاهيم. نظرية مي ليست نظرية

علمية في الشخصية فهي لا تعطينا سلسلة من الفرضيات التي يمكن اختبارها بواسطة إجراءات تطبيقية ولكن بدلاً من ذلك هي تعطينا صورة فلسفية لمعنى أن تكون شخصاً في عالم اليوم. إنه لمن المهم أن نصل إلى التمييز بين الافتراضات الفلسفية والإفادات العلمية، فالفشل في ملاحظة ذلك الفرق يؤدي إلى الغموض والارتباك. إذن فمي يشجعنا على اختبار الافتراضات الفلسفية الخاصة بمحاولاتنا العلمية حتى نستطيع إقامة حوار مبدع بين فلسفتنا وعلمنا. ففي الوقت الذي كانت فيه فلسفة فرويد امتداداً للافتراضات المتأصلة في المجتمع العلمي آنذاك، نجد أن مي بدأ كفيلسوف، فهو يختلف عن أصحاب نظريات التعلم والسلوك التقليديين في اختباره المفتوح لافتراضاته الفلسفية كما أنه يختلف عن المفكرين الإنسانيين في إصراره على أن نواجه الجوانب السيئة والشريرة فينا مباشرة.

بعض الاختصاصيين النفسيين يميلون إلى تجاهل نظرية مي لأنهم لا يستطيعون معاملتها كفرضية علمية ولكن من المؤكد أن الاستجابة لمي تأخذ واحداً من الأشكال الثلاثة التالية: -

١ - نحن يمكن أن نتفق معه ونكيف أفكاره الفلسفية لتصبح جزءاً من نشاطنا العلمي.

٢ - نحن يمكن أن نرفض وجهات نظره على أساس فلسفي ونحتفظ بالأخرى.

٣ - نحن يمكن أن نقول بأنه لا توجد وجهة نظر ملائمة قال بها مي أصلاً وطبعاً لو اخترنا الاستجابة الأخيرة أو الموقف الثالث فنحن هنا سنواجه مسؤولية اقتراح إطار فلسفي بديل يزودنا بنموذج أكثر إقناعاً لفهم الشخصية.

ملخص:

(١) عمل مي يجمع بين الحركة الوجودية في الفلسفة ومدرسة التحليل النفسي في علم النفس.

(٢) الوجودية تؤكد على الوجود لا الجوهر فهي ترى أنه لا حقيقة أو واقع إلا إذا شاركنا أو ساهمنا فيه فيما تعتبر المعرفة تصرفاً من العمل!

③ الوجوديون يؤمنون بأن انشغال الاختصاصي النفسي بالقوانين والتنبوئية يقف عائقاً في طريق فهم الشخص الواقعي وهم ينادون بمزيد من التحديد والتطوير لطرقنا ومناهجنا العلمية فهم يسعون لدراسة تركيب الوجود الإنساني وينظرون إلى وحدة الشخص قبل أي انفصال في الذاتية والموضوعية.

④ المشكلة الرئيسية التي نواجهها في الفصل الثاني من القرن العشرين، بناءً على رأي مي، هو الشعور بالعجز في مواجهة الحرب النووية.

⑤ مي يعرف القلق بأنه الفهم المرتبط بتهديد قيمة أساسية. القلق كثف في الثقافة المعاصرة بواسطة العزلة والاغتراب الشخصي كما أن عدداً من محاولاتنا لتبديد القلق انتهت في الواقع إلى زيادته وتعاظمه.

⑥ مصدر المعضلة الإنسانية سببه غياب القيم في مجتمعنا فالعلامة المميزة للإنسان هي قدرته على تكوين القيم فنحن اليوم في حاجة إلى أن نكتشف ونثبت مجموعة جديدة من القيم.

⑦ مي يفترض أن (أ) كل الكائنات الحية تتمحور حول ذواتها وتسعى للاحتفاظ بذلك التمركز (ب) كما أنهم يمكن أن يتركوا تمحورهم ليشاركوا الآخرين (جـ) المرض طريقة للاحتفاظ بالكيان (د) الكائنات الإنسانية قد تدخل في مستوى من الوعي الذاتي يسمح لها بتجاوز الحاضر والبحث أو تقدير البدائل المناسبة.

⑧ إعادة اكتشاف الذاتية يتضمن إعادة الكشف عن مشاعرنا الخاصة ورغباتنا والتعارك مع تلك المشاعر التي تحرمنا من الإحساس والإدراك! هناك أربع مراحل للوعي الذاتي هي: ـ البراءة ـ العصيان ـ الوعي العادي للذات ـ الوعي الإبداعي للذات.

⑨ ناقش مي عدداً من القضايا الرئيسية في الشخصية بطرق تتجنب التجريد وتسهل مواجهة التناقضات. فالحب الذي تعودنا أن نراه إجابة للمشاكل الإنسانية أصبح الآن هو المشكلة. كذلك مفهوم القصد الذي يهدف إلى ردم الهوة بين الموضوعية والذاتية قدم لنا مفهوماً آخراً أكد على حاجتنا إلى الإبداع والشجاعة واكتشاف قوتنا وسلطتنا وكيف أن حريتنا يجب أن ينظر لها على ضوء مصيرنا وقدرنا.

(١٠) في العلاج النفسي الوجودي يسعى المعالج إلى فهم المريض وطريقة كينونته في العالم. كما استخدم بعض أساليب التحليل النفسي والجشطلت.

(١١) مي انتقد البحث السيكولوجي المعاصر لتركيزه واهتمامه بالبيانات والمعلومات والأرقام وعدم اهتمامه بالنظرية.

(١٢) نظرية مي ليست نظرية علمية في الشخصية تعطينا سلسلة من الفرضيات يمكن اختبارها بطرق أمبيريقية ولكن بدلاً من ذلك فهو يقترح صورة فلسفية للطبيعة البشرية مترابطة ومتصلة ومتكاملة.

قراءات مقترحة

Suggestions for Further Reading

Rollo May's books are extremely readable and enlightening for the lay person. His theory of personality was initially outlined in Man's Search for Himself (Norton, 1953) and Psychology and the Human Dilemma (Van Nostrand Reinhold, 1967). The Meaning of Anxiety (Norton, 1950; revised, 1977) is now considered a classic. In it May encouraged a genuine union between psychology and philosophy and demonstrated the importance of values for psychology. Love and Will (Norton, 1969) explores the experience of sex and love in contemporary society. It was hailed by the New York Times as the «most important book of the year». May's most recent works are freedom and Destiny (Norton, 1981), which rethinks the problem of determinism and personal freedom, and The Discovery of Being (Norton, 1983), which describes the human search for being and nonbeing in an age of anxiety.

الفصل الأخير
نظرية الشخصية: استنتاج

أهداف هذا الفصل:

١ ـ مقارنة نظريات الشخصية فيما يتعلق بتركيزهم على الفلسفة والأدب والعلم.

٢ ـ مقارنة نظريات الشخصية فيما يتعلق بموقفهم من بعض القضايا الفلسفية.

٣ ـ مناقشة تاريخ مصطلحات النفس وعلم النفس منذ بداية الفكر الاغريقي حتى اليوم.

٤ ـ الإشارة إلى كيفية تطبيق علم النفس الغربي لتعريف (الأمبيريقية) وكيف أن الطريقة قد تفصلنا عن التجربة.

٥ ـ إيضاح لماذا من المهم أن ننظر لنظريات الشخصية كفلسفة وأدب وعلم.

في هذا الفصل الأخير نسعى إلى عمل بعض المقارنات وطرح بعض المفارقات بين النظريات وذلك بالإشارة إلى المشكلة في النظرية الشخصية واقتراح وجهة نظر مستقبلية.

نظريات الشخصية: فلسفة وعلماً وأدباً:

مع أن نظريات الشخصية فرع من علم النفس العلمي الأكاديمي إلا أنهم يتضمنون أدباً وفلسفة. كعلماء، أصحاب نظريات الشخصية يسعون إلى تطوير فرضيات عملية تتيح لهم فهم السلوك الإنساني. وهم كفلاسفة، ينشرون أو يحاولون تبصيرنا بمعنى أن نكون أشخاصاً أما كأدباء فهم يميلون إلى تطبيق ما هو معروف عن الناس والسلوك لتكوين حياة أفضل.

بعض من النظريات التي تناولناها بالتحليل والنقاش تعكس بوضوح اهتمامات فلسفية، فمثلاً المدرسة التحليلية تميل إلى الاتجاه الفلسفي أكثر من الاتجاه العلمي، في أسلوبها. هذه النظريات التي تتبع للمدرسة التحليلية تطورت في بيئة

اكلينيكية والقائلين بها هم في الغالب من الأطباء الذين طوروا مفاهيم نظرية خاصة بهم داخل محيط العلاج. ومع أن طرقهم ونتائجهم في الغالب أمبيريقية، أي مبنية على الملاحظة إلا أنه لا يمكن وصفها بالأساليب العلمية الدقيقة أو الصارمة.

نظريات فرويد ـ يونج ـ أدلر ـ وفروم تمثل التزاماً عميقاً بالفلسفة والتي تشكل أساس الحياة ولكن هاري ستاك سوليفان يضع أهمية أعظم على البحث الأمبيريقي أكثر من زملائه السابقين. إن نظرية التحليل النفسي تعتبر إلى حد كبير فلسفية، حتى في الوقت المعاصر نرى مثلاً أحد أتباع المدرسة التحليلة مثل أريك أريكسون والذي وإن كان لا يصر على الجانب العلمي لكنه حاول أن يجعل افتراضاته الفلسفية واضحة. النظريات الأخرى تبذل محاولات أعظم لتكون نظريات عملية ناجحة ، فالنظريات السلوكية تعبر عن نهج علمي في أساليبها والتزام بالطرق العلمية الصارمة وتركيز على التجارب والملاحظات المتأنية والدقيقة.

جون دولارد ونيل ميلر يؤكدان على البحوث الإمبيريقية في محاولاتهم لمزج مفاهيم النظرية التحليلية النفسية مع المفاهيم الأفضل في المدرسة السلوكية. التأكيد على انتهاج الأساليب والطرق العلمية في البحث استمر في عهد سكينر وألبرت بندورا وجوليان روتر. كذلك فنظريات السمات أظهرت التزاماً عميقاً بالمناهج العلمية والشواهد الصادقة. نظرية كاتل مثلاً، تعتبر مثالاً ممتازاً لمحاولة فهم الشخصية من خلال النموذج العلمي، كذلك فهناك بعض أصحاب نظرية الشخصية الذين حاولوا استخدام أسلوب توافقي Interdisciplinary في الطرق العلمية. كارل روجرز ميز بدقة ووضوح بين الافتراضات الفلسفية وفرضياته العلمية مؤكداً الحاجة إلى وضع وجهة نظر متوازنة.

هناك نظريات أخرى تهتم في الأساس بأدب نظرية الشخصية أو التطبيقات العلمية. فلقد رأينا كيف أن النظريات الشرقية لا تنشد الصدق في مفاهيمها أو الدخول في تخمين فلسفي، بل على الأصح، هم يهتمون بتقديم مجموعة من التطبيقات لتهذيب الفهم الأعمق للذات. فرويد وهورني وسوليفان وأدلر وروجرز عملوا مساهمات جادة ورئيسية لفهم وتطبيق أو ممارسة العلاج النفسي. إذن ـ فالنظريات بصورة عامة مزيج من الأدب والفلسفة والعلم وإن تميزت أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفوقت سمات أحد هذه الجوانب الثلاثة على غيرها إلا أنه يمكن القول بأن هذه النظريات تعكس بدرجة أكبر أو أقل الاهتمام الفلسفي أو العلمي أو الأدبي. فمثلاً على الرغم من أن نظريات السلوك والتعلم تسعى إلى تقديم تصور عن الشخصية، فهي أيضاً تعكس الافتراضات الفلسفية الرئيسية التي تؤثر في فرضياتهم العلمية وتطبيقاتها العملية.

في البداية، أصحاب نظريات التعلم والسلوك لم يكن بمقدورهم إدراك أو معرفة الجذور الفلسفية لهذا الأسلوب، لكن في السنوات الأخيرة اعترفوا بأن الافتراضات الفلسفية تشكل أرضية تحتية لأعمالهم. لقد أصبح في الوقت الحاضر مألوفاً ومعروفاً بأنه حتى الأسلوب الأكثر علمية وتشدداً في فهم الشخصية يتناول التساؤلات الفلسفية ويقترح إجابات فلسفية! في الحقيقة، يمكن لنا القول أن الفرق الرئيسي بين نظريات الشخصية يبدو واحداً من المواقف الفلسفية وليس الطريقة العلمية.

من هنا فحقيقة الأمر تسمح لنا بالقول بأن الفرق الرئيسي بين نظريات الشخصية يبدو فارقاً فلسفياً وليس الأسلوب أو الطريقة العلمية هي ما يفرق أو يميز بين هذه النظريات.

القضايا الفلسفية:

نظريات الشخصية يمكن عقد مقارنة بينها فيما يتعلق باتجاهاتها ومواقفها نحو القضايا الفلسفية الأساسية التي تحدثنا عنها في مقدمة هذا الكتاب.

أولاً: أصحاب النظريات يختلفون في اعتقادهم فيما إذا كان الناس في الأساس أحراراً في التحكم في سلوكهم الخاص أو أن هذا السلوك في للأصل تحدده قوى لا يتحكم فيها أحد من الناس. كلاهما فرويد وسكينر ينظران إلى الفرد على أنه حتمي أو محدد ولكن لأسباب مختلفة جداً، فبالنسبة لفرويد، فالفرد مدفوع بقوى داخلية لا يعيها هو شخصياً، في حين أن سكينر يرى أن الفرد تشكل شخصيته قوى داخل البيئة التي يعيش فيها. أيضاً أصحاب النظريات يختلفون في المدى الذي يودون أن يروا فيه استخدام

نظرياتهم لتهذيب ورعاية الحرية في الطبيعة الإنسانية أو ممارسة سيطرة أعظم عليها. سكينر ينشد تطوير تقنية تستطيع التحكم في السلوك الإنساني، في حين أن روجرز يحاول أن يزيد إحساس العميل بالحرية والمسؤولية.

ثانياً: لقد حظي موضوع الثنائية باهتمام ومناقشات طويلة فمثلاً تأثير المحددات الموقفية (البيئية) والمحددات التكوينية على السلوك اختلف أصحاب النظريات فيما بينهم حول ما إذا كانت خصائص المولود الجديد أو العوامل البيئية هي التي لها التأثير الأكبر على سلوك الشخص. ففي حين تركز النظريات التكوينية على أهمية سمات الشخصية على المدى الطويل في فهم السلوك، نجد السلوكيين يؤكدون على أن العوامل الموقفية (situational) هي التي تحددسلوكيات الأفراد. إذن يمكن القول بأن التركيز أو التأكيد على الخصائص أو العوامل التكوينية أحياناً يقود إلى تأييد للتناسل الانتخابي في حين أن التأكيد على العوامل الموقفية البيئية قد يؤدي إلى محاولات لتغيير البيئة. من هنا قد نقول أنه لا غرابة في أن نرى كاتل يشجع على دراسة كيفية تحسين الخصائص الوراثية بواسطة السيطرة الجينية فيما نرى على الجانب الآخر بندورا يشجع على عمل دراسة للحياة الإنسانية المتقدمة وذلك بتحسين الظروف .

ثالثاً: قضية الشمولية (العالمية) مقابل التفرد (التميز) وهو موضوع لقي اهتماماً ملحوظاً وعلى الأخص من ألبورت (Allport) حيث يرى أن السمات المألوفة تسمح لنا بعمل تعميمات ومقارنات بين الأفراد لكنه في نهاية التحليل يؤمن بتميز كل فرد منا وتفرده بسمات خاصة. كما أن النظريات الشرقية تشير إلى أننا نحتاج إلى الرؤية من خلال توهم الوجود الفردي والمسمى (Maya) فيما يعتقد يونج أن الجزء المبكر من حياة الفرد مخصص للمهمة الفردية في حين أن السنوات الأخيرة تعكس الحاجة إلى السمو.

كذلك يعتبر استخدام وتطوير بعض المفاهيم المرتبطة بالتحرك إلى الأمام أو الاتجاه إلى الخلف بعداً رابعاً ذا تأثير على نظريات الشخصية. البورت اكتشف في دراسته للمصطلحات السيكولوجية والتي تبدأ بدلالة مثل (Re - and - pro) أن

معظم النظريات تميل إلى أن تكون ردة فعل فالمفاهيم مثل (الكبت Repression) و(النكـــوص Regression) في التحليل النفسي والانعكـاس و(التعـزيز Refelction) (Reinforcement) في نظرية المثير والاستجابة تؤكد على التركيز على الماضي والانــشــغـــال بالاتـــزان والانـــســـجـــام . بينـــما الـــنـــظريات الإنـــســـانـــية ترى أن الكائن البشري مدفوع نحو تنظيم وتوظيف القدرات وهو النمو وتحقيق الذات. أما النظريات المعرفية فتؤكد على الحاضر والمستقبل وليس على الماضي حيث ينظر إلى الفرد على أنه كائن حيوي وغرضي وليس كائناً سلبياً يسير على غير هدى. أخيراً، نظريات الشخصية يمكن عند المقارنة فيما بينها بخصوص نظرتها لاحتمالية التغيير وإمكانيته سواء كانت تلك النظرة تشاؤمية أو تفاؤلية نجد فرويد بوجه عام ينظر له على أنه شخص متشائم لإيمانه بأن السلوك الراشد تكون في سن الطفولة في حين أن النظريات التكوينية تؤمن بأن العوامل التكوينية تضع حدوداً دقيقة على تغيير الشخصية. أما أصحاب نظريات التعلم والسلوك وكذلك النظريات الإنسانية فهم عادة متفائلين جداً فيما يتعلق بموضوع إمكانية التغيير في الشخصية.

هذه القضايا الرئيسية في العادة تقدم أبعاداً قطبية ومع ذلك نجد أن رولو مي يذكرنا بأنها تناقضات للوجود الإنساني الذي ينشد الحل في تركيب إبداعي. إذن خلاصة القول هي أنه يجب على كل صاحب نظرية عدم تطويق نفسه أو الالتفاف حول قطب دون آخر في هذه المعضلة الثنائية لأن ذلك لن يخدم أو يعكس حقيقة الوجود الإنساني التي نسعى لفهمها.

التحديات التي تواجه نظريات الشخصية المعاصرة:

على الرغم من أن علم النفس يعتبر علماً حديثاً إلا أنه يقدم لنا أقدم الاهتمامات الإنسانية، حيث كان التقليد السائد هو الاهتمام بالجانب الروحاني والباطني للذات، أما محاولة فهم الشخصية الإنسانية في إطار الطريقة العلمية فهي إلى حد كبير محصلة مرتبطة بالقرن العشرين. مصطلح علم النفس أتى من الكلمة الإغريقية القديمة (Psyche) والتي قدمها في البداية الشاعر هومر للتعبير عن جوهر الكائن البشري. خلال العصر المسيحي المبكر وعندما حلت الفلسفة محل الشعر والبلاغة محل الأساطير، مصطلح (النفس Psyche) اتحد مع مصـطلح الروح

(Spirit) واستمر كذلك حتى وصل الأمر في النهاية إلى اتحاده مع مفهوم أكثر واقعية وعقلانية هو العقل (mind) ! مع حلول عصر النهضة مصطلح النفس (Psyche) أصبح مرادفاً للعمليات العقلية أو الشعورية فلقد لاحظنا أن واطسون مؤسس السلوكية، يشير مراراً إلى أن حالات الشعور ليست مثبتة بطرق موضوعية وليست مدروسة على أسس علمية. إذن يمكن القول إن علم النفس وتحت زعامة واطسون تحول من دراسة تأملية باطنية للوعي إلى دراسة للسلوكيات الظاهرة والملحوظة. نتيجة لهذا الوضع فقد ساد الجامعات الأمريكية أمر غير مألوف خلال معظم عقود القرن العشرين حيث اكتشف طلاب علم النفس، أنهم في الغالب دخلوا في دراسة السلوك وليس دراسة النفس (Psyche).

لقد أصبحت المدرسة السلوكية هي التقليد المسيطر على الفكر الأمريكي في الجامعات فالاختصاصي النفسي عمل على جعل علم النفس علماً تجريبياً يحاكي العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وهو طموح لا زال معنا إلى الوقت الراهن، حيث أن الاتجاه السائد في علم النفس الأمريكي لا زال يؤكد على الملاحظة الخارجية والطريقة العلمية الصارمة في الدراسة والبحث. هذا التأكيد موجود في الأسلوب المعرفي والذي في الوقت الراهن بدأ يسيطر على الفكر الأمريكي محتلاً مكانة أهم وأسمى من السلوكية.

ليس كل علماء الشخصية يؤكدون على أن الطرق العلمية الصارمة هي الأهم في فهم الشخصية فروجرز ومي ومازلو والبورت كانوا ناقدين للنظرة الضيقة لعلم النفس كعلم تجريبي وكانوا ميالين إلى تطوير اتجاهات أكثر إنسانية وتصميم أساليب بديلة لدراسة وفهم الشخصية.

ومع كل ذلك، ولسوء الحظ، فعلم النفس الإنساني قد أصبح قوة مثيرة للشقاق والجدل حيث أن أتباعه يقللون دائماً من جدوى استخدام العلم ويقومون بعمل القليل جداً في مجال البحث والتجريب لتأكيد مفاهيم نظرياتهم. حالياً، تعتبر المدرستان السلوكية والمعرفية واللتان تركزان على الملاحظة الخارجية والبحث التجريبي تياران قويان مسيطران على الدراسة السيكولوجية الأكاديمية الأمريكية.

لقد رأينا أن الجانب الرئيسي في العلم هو الملاحظة والنظريات العلمية

تعتمد على البيانات والأرقام الإمبيريقية والتي تستند على التجربة. هذه البيانات والأرقام أو المعلومات محددة بالنتائج الموضوعية. كما أن البيانات الأخرى التجريبية أو الملاحظة مثل الاستبطان الذاتي لا تقدر ولا تلقى اهتماماً ملحوظاً لأنه من الصعب اختبار تلك النتائج بطرق تجريبية.

المعلومات التاريخية والفلسفة الأسطورية بحكم أنها تتضمن عناصر ذاتية بالإضافة إلى الجوانب الموضوعية، في الغالب ينظر لها على أنها تتعارض مع العلم بناء على هذا التصور، العالم المؤهل لا يسمح للافتراضات الذاتية بالتدخل في عمله حيث يبقى موضوعياً وحراً في قيمه وأخلاقيات مهنته، ومن هنا نرى أن علم النفس الغربي يبدو لنا منعزلاً ويفصل نفسه عن الأساليب الممكنة في الاختبار والفحص بناء على أساس أن نتائجهم ليست موضوعية ولا تنسجم مع العلم. ديفيد باكان (Bakan) أشار إلى أن الطريقة العلمية الصارمة لعالم النفس التجريبي الغربي يمكن، في بعض الأوقات، أن تقف كعقبة في طريق عمله الأمبيريقي وتفصله عن المجال التجريبي الذي يحرص عليه. الفاحص أو العالم التجريبي عند قيامه بعمل تجربة متطورة لا يتعامل مع عالم الحياة اليومي، بل بدلاً من ذلك، هو يخلق عالماً مشابهاً من الأفكار والمفاهيم التخيلية الحسابية المنطقية والكمية. في هذا العالم الشبيه (Para - world)، الأحداث يتم اختبارها بتأن ويتم التحكم فيها بدقة من أجل تجنب الظواهر العشوائية في الحياة اليومية والتي تشكل خطورة على النتائج. إضافة إلى ذلك نجد أنه في التجربة المحكمة كل البدائل الممكنة والنتائج المحتملة يتم التنبؤ بها مقدماً. المجرب يمكن أن يتنبأ وفي حدود معينة بما سوف يحدث كنتيجة للتدليل والتغيير الذي يقوم به لتغيرات تجربته. إذن فكلما زاد مستوى دقة وتطور التجربة كلما زاد تعقدها أو انفصالها عن العالم التجريبي الذي تسعى لإيضاحه، فبدلاً من الحديث عن العالم، الاختصاصي النفسي يُكوّن عالماً مشابهاً وبدلاً من الحديث عن الشخص، الاختصاصي النفسي يكون شخصاً مشابهاً وما ذلك إلا لكي يخرج التجربة بالدقة والصرامة التي حددها في بداية عمله. إن اعتماد الاختصاصي النفسي الغربي على الطريقة التجريبية الصارمة يمكن أن يتداخل مع إمكانية التعلم من التجربة. التركيز على الطريقة العلمية الصارمة أيضاً

يحدد نطاق النتائج السيكولوجية والنظرية الشخصية. مثل هذا التركيز يقصر نتائج علم النفس على تلك التي يمكن تجربتها وبرهنتها داخل المختبر التجريبي.

عدد من التساؤلات مثل معنى أو هدف الحياة البشرية المطلق والتي تدخل عادة في دراسة الشخصية يمكن اعتبارها وفق هذه المقاييس خارج نطاق البحث.

عدد قليل من نظريات الشخصية هي تلك التي تماثل النظرية العلمية المثالية، فافتراضاتهم ينقصها الوضوح مما يجعل من الصعب اشتقاق إفادات أمبيريقية تسمح لنا بالتحرك من نظرية تجريدية إلى ملاحظة أمبيريقية! عدد من نظريات الشخصية كذلك فشلت في إفراز قدر مؤثر وقيم من البحوث مما يحرمنا من المقارنة التقييمية المهمة التي يمكن عملها بين النظريات.

جزئياً، المشكلة تنشأ من حقيقة أن نظريات الشخصية تكشف عن ظواهر بطبيعتها تشير إلى تعريف ضيق للعلم. في عمق الطريقة التجريبية نجد البحث عن سبب ونتيجة، فالنظريات التي تؤكد على الدافع أو الإرادة الحرة تجعل من الصعب البحث عن مسببات تحتية وتحدد إمكانية التنبؤ والضبط. علاوة على ذلك فهم يثيرون تساؤلاً حول قيمة التجربة كوسيلة رئيسية للوصول إلى معرفة وتبصر بالطبيعة الإنسانية.

نحن نحتاج إلى أن نتذكر أن علم النفس الأمريكي جاهد طويلاً من أجل أن يصبح علماً معتبراً، وقد أثر هذا الجهاد على روابطه المبكرة مع الفلسفة حيث حاول مسايرة العلوم الطبيعية. التدريب الجيد والتصميم التجريبي والطرق الإحصائية كانت ميزة لمناهج علم النفس الأكاديمي. وبسبب الجهاد المبكر للحصول على الاعتراف بعلم النفس كعلم، عدد من الاختصاصيين النفسيين وعلى وجه الخصوص أولئك الذين لهم اتجاهات سلوكية، كانوا مرتابين في المحاولات الراهنة لأصحاب نظريات الشخصية لتحدي المنهجية العلمية الصارمة ولذلك عادوا لتأكيد الشخصية الفلسفية لعلم النفس.

نتيجة لكل ذلك نجد أن معظم البحوث الحالية في الشخصية مجزأة ومحددة بمجال معين بحيث يمكن بدقة تعريفه وتحديده وربطه وقياسه أو اختباره.

إن الاكتشـافـات العلمية المهمة جداً لم تصنعها الحقائق المتراكمة ولكنها تمت عن طريق عملية إدراك العـلاقـات بين الحقـائق . الـطبيعـة البشرية يمكن فهمهـا فقط داخـل الإطار النظري أما الإسهام الحقيقي فيظهر في رؤية شكل جديد يتجنب التصورات الخاطئة للأساطير الموجودة. نحن طورنا الطريقة التجريبية كوسيلة أو أداة لأننا اكتشفنا أنه بإمكاننا زيادة فهمنا لنتصرف بفاعلية أكبر فيما لو كانت أنشطتنا موجهة بواسطة معلومات عن السمات المحددة لعالم حياتنا اليومية.

مع كل ذلك فنحن ندرك أن الأسلوب التجريبي البحت ليس هو الخيار المتوفر لصاحب نظرية الشخصية بل يجب علينا أن ندرك التأثير الذي يتركه تصورنا العلمي البحت لعلم النفس. إذن فنحن يجب ألا نجعل شعبية الأسلوب التجريبي في الأكاديمية الأمريكية تجبرنا على أن نغض الطرف عن أهمية الطرق الأخرى أو حقيقة الظواهر التي قد تستقطب اهتمامنا.

عدد من أصحاب نظريات الشخصية المعاصرة يشجعون على استخـدام الأسلوب الأمبيريقي حيث يشيرون إلى أن الطرق العلمية التقليدية قد لا تفشل فقط في أن تكون موضوعية مع المعلومات أو البيانات بل انها قد تضللها أو تعمل على خلق تمويه لهذه المعلومـات! هؤلاء المفكـرون يرون أننـا عنـدمـا نحـدد تحليلنـا لتلك الظواهر التي يمكن فهمها فيما يتعلق بالطريقة التجريبية الراهنة فمعنى ذلك تحيزنا الواضح لنتائج بحوثنا وتجاربنا.

إنه ليس من الحكمة لمشروع بحثي يدعي الكشف عن الطبيعة الإنسانية أن يرفض التعامل مع متغيرات متعددة ومفاهيم كثيرة وبيانات ومعلومات مهمة لا لشيء إلا لأنه من الصعب إثباتها وتحديدها في مصطلحات علمية. هذا الكتاب اقترح أن نظريات الشخصية بدون أدنى شك تحتوي على أشياء أكثر من العلم فهي تحتوي على الفلسفة والأدب، فكل نشاط نقوم به يعتمد على افتراضات فلسفية معينة. نظريات الشخصية المعاصرة مرتبطة ومحددة بواسطة افتراضات معينة تميز نظرتنا للعالم. نحن نحتاج إلى تقييـم لإفتراضاتنا الفلسفية على ضوء المعلومات العلمية المعاصرة وحكمنا على نتائجها يأتي في ضوء دقتها وصحتهاكفلسفة . إن التعبير النهائي أو المطلق للشخصية لا يوجد في مفاهيم العلم أو الفلسفة فقط بل نجده ظاهراً في أدب الحياة .

ملخص:

١) نظريات الشخصية يمكن مقارنتها فيما يتعلق بتركيزها على الفلسفة والعلم والأدب، فمثلاً نظريات التحليل النفسي تميل إلى التركيز على الفلسفة في حين نجد أن نظريات التعلم والسلوك تركز على العلم.

٢) كذلك يمكن مقارنتها فيما يتعلق بموقفها من القضايا الفلسفية الأساسية مثل الحرية مقابل الحتمية، التكوينية مقابل الموقفية والتفرد مقابل الشمولية، والتفاؤلية مقابل التشاؤمية. فمثلاً النظريات الإنسانية تؤكدعلى مسؤولية الفرد وإرادته الحرة في حين أن التحليل النفسي أو السلوكية ينظران للفرد كشيء حتمي.

٣) مع أن علم النفس يعتبر علماً حديثاً، فهو يمثل واحداً من الاهتمامات الإنسانية القديمة! مصطلح (Psychology) جاء من اللغة الإغريقية التي تعزى في الأصل إلى (النفس) وفيما بعد تعدل أو تطور ليعني الروح وأخيراً العقل. من خلال تأثير الحركة السلوكية، علم النفس أصبح يعنى بدراسة السلوك مع التأكيد على الطريقة العلمية الصارمة المبنية على الملاحظة الخارجية أو الظاهرة.

٤) في علم النفس الغربي الطريقة الصارمة التي يستخدمها الاختصاصي النفسي الغربي التجريبي يمكن أن تفصله في بعض الأحيان عن التجربة بدلاً من إيضاحها وإثباتها وذلك بعزلنا عن عالم حياتنا اليومية.

٥) نظريات الشخصية لابد وأن ينظر لها كفلسفة وعلم وأدب من أجل إنصاف الطاقة الكامنة والوجود الإنساني.

قراءات مختارة

Suggestions for Further Reading

For additional information on problems in current psychological research, see David Bakan, On Method: Toward a Reconstruction of Pychological Investigation (Jossey - Bass, 1969)! Bakan points out that our enormous expenditures on psychological research are not yielding much new information. He suggests ways in which psychology might become

«more scientific» and «less scienetistic».

The following three books were previously recommended in conjunction with the Introdution; they are again suggested as invaluable for the student who is interested in pursuing personality theory in greater depth: Joseph Rychlak, A Philosophy of Science for Personlity .Theory (Houghton Mifflin, 1968); T. S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, 2 nd ed. (University of Chicago Press, 1970); and I. The Science of Behavior and the Image of Man (Basic Books, 1972).

المختصر : Glossary

A

١ ـ سمات القدرة: Ablity Traits: أحد مفاهيم نظرية كاتل والتي تحدد كيف أن الشخص قادر على تحقيق هدفه بفاعلية.

٢ ـ الغياب: Absence: حالة متغيرة من الوعي حيث يمكن أن يكون هناك تغيير ملحوظ في الشخصية يتطور فيما بعد إلى فقدان للذاكرة أو نسيان للأحداث التي تقع.

٣ ـ القبول: Acceptance: اعتراف مطلق بالذات والآخرين والعالم.

٤ ـ التخيل الحيوي: Active Imagination: طريقة يستخدمها يونج في العلاج النفسي للاتصال بالأنماط البدائية.

٥ ـ البالغ: Adult: حالة الأنا في التحليل التعاملي أو التحولي الذي قال به بيرن والتي تسعى إلى تقييم وعمل خيارات واقعية بين البدائل التي تواجه الفرد.

٦ ـ الإغتراب : Alienation: في نظرية هورني ورد هذا المفهوم والذي يمثل حالة تكون فيها الذات الواقعية والذات المثالية في وضع منفصل.

٧ ـ المرحلة الشرجية: Anal Stage: إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي الذي قال به فرويد حيث يكون الشرج مصدر اللذة والصراع.

٨ ـ علم النفس التحليلي: مدرسة في علم النفس أوجدها كارل يونج.

٩ ـ Androgyny: وجود خصائص أنثوية وذكورية في الفرد مع القدرة على إدراك ذلك.

١٠ ـ Anima مصطلح في نظرية يونج يمثل نمطاً بدائياً للجانب الأنثوي في الرجل.

١١ ـ Animus: مصطلح في نظرية بونج يمثل نمطاً بدائياً للجانب الذكري لدى الأنثى.

١٢ ـ القلق Anxiety : حالة انفعالية تتميز بخوف غامض أو إحساس داخلي بأن شيئاً غير مرغوب فيه قد يحدث. القلق من وجهة نظر فرويد يعني وضعاً أو عيشاً تحت ضغط معين في وقت الولادة بسبب الخطر الواقعي بأن حاجاتنا كرضع عاجزين سوف لن تحقق. أما وجهة نظر سوليفان فالقلق هو أي شعور مؤلم أو انفعال مضر. في حين نرى مي يعتبر القلق هو فهم الشخص لوجود تهديد لبعض القيم التي يقدسها الفرد ويراها أساسية لوجوده كشخص.

ـ النمط البدائي : Archetype : من مفاهيم نظرية يونج ويعني اعتقاداً عالمياً يشكل لإدراك العالم بطرق معينة .

ـ كما لو «As If» : وضع فلسفي قال به فيهنقر وكانت له إنعكاساته في مفهوم أدلر عن الغائية الخيالية Fictional Finations. في نظرية سوليفان (كمالو) تعني عملية أمينة حيث يتصرف الفرد كما لو كان شخصاً آخراً في علاقات شخصية متبادلة.

ـ التدريب الحازم Assertive Training : علاج سلوكي يساعد الفرد على التعبير عن مشاعره.

ـ المذهب الوهمي: Atman : مذهب وهم الفردية في فكر البوذية.

ـ الاتجاه Attitude : شعور سلبي أو إيجابي تجاه الشيء. في نظرية يونج يمثل النمط النفسي الأساسي، وفي نظرية كاتل يمثل السمة الدنياميكية الظاهرة.

ـ الخلق التسلطي : Authoritarian Ethic : في نظرية فروم تعني نظام القيم والذي يقع مصدره خارج الفرد.

ـ Autism : اضطراب يتميز باستغراق الشخص في الخيال.

ـ الحب الذاتي: Autoeroticism : يعني في نظرية فرويد الأنشطة الجنسية للطفل.

ـ الاستقلالية مقابل الخجل والشك : Autonomy Vs. Shame and doubt : وهي إحدى المراحل النفسية الاجتماعية الثمان التي قال بها إريكسون وتقابل المرحلة الشرجية الفرويدية، حيث يواجه الطفل في هذه المرحلة مهمة تطوير سيطرة على جسمه وعلى الأنشطة الجسمانية.

- العــلاج التنفــيري Aversion Therapy : نوع من العــلاج يكــون فيه المثــير غير السار مواجهاً للاستجابة المرفوضة.

B

- القلق الأساسي : Basic Anxiety : في نظرية هورني، شعور بعدم الأمان حيث تصبح البيئة ككل مرعبة لأنه ينظر لها على أنها غير واقعية وخطيرة وظالمة وغير مقدرة.
- علاج الحاجات الأساسية: Basic needs therapy : إجراءات علاجية تسعى لتحقيق الحاجات الرئيسية للناس.
- التــوجيهــات الأســاسية Basic orientations : في نظرية هورني ، طرق رئيسية للتفاعل مع العالم.
- السلوك: Behavior : نشاط الكائن حيث يعرف في نظريـة التعلم على أنه استجابة لمثيرات، بينما يعرفه روجرز على أنه محاولة غرضية موجهة من الكائن لتحقيق حاجاته كما يتسنى له إدراكهم وفهمهم.
- تعديل السلوك Behavior modification : شكل من العلاج يطبق مبادىء من التعلم لتحقيق تغيرات فى السلوك.
- احتمالية وقوع السلوك: Behavior Potential : وفي نظرية روتر، يعني ذلك المتغير الذي يُنسب إلى احتمالية أن سلوكاً معيناً سيظهر.
- العلاج السلوكي: Behavior therapy : شكل من السلوك يهدف إلى إزالة أعراض المرض من خلال تعلم استجابات جديدة.
- البروفة السلوكية: Behavioral Rehearsal : شكل من لعب الدور يستخدم في العلاج.
- الشخصية الحيوية المحبة للنشاط Biophilous Character : في نظرية فروم، توجه الشخصية الذي يرادف التوجه الإنتاجي.
- السلوكية: Behaviorism : حركة في علم النفس أوجدها جون واطسون والذي يرى أن الاختصاصيين النفسيين يجب أن يركزوا اهتمامهم على دراسة السلوك الظاهر.
- حاجات «ب»: B - Needs : مصطلح استخدامه مازلو يعني به حاجات الكينونة التي تظهر من حافز الكائن لتحقيق ذاته وإشباع طاقاته الكامنة.

- الذات الجسمانية: Bodily self: في نظرية إلبورت تعني الوظيفة التي تتضمن معرفة حدود الجسم.

- براهما: Brahma: أساس وأرضية الوجود في الفكر البوذي.

C

- النزعة أو المزاج Cardinal disposition : في نظرية إلبورت ، النزعة أو المزاج الشخصي الذي بسبب انتشاره وعموميته يجعل كل سلوك تقريباً يقوم به الفرد يبدو متأثراً به.

- قلق الإخصاء: castration Anxiety: في نظرية فرويد، يعني خوف الطفل من فقدان قضيبه.

- الإفراغ: catharsis: إطلاق أو إعتاق انفعالي يظهر عندما ترد الفكرة أو تستدعي للوعي ويسمح لها بالتعبير والخروج.

- cathect: في نظرية فرويد تعني استثمار الطاقة اللبيدية في الشيء.

- القوانين السببية: causal Laws: قوانين ثابتة من السبب والنتيجة.

- المزاج المركزي: Central Disposition: في نظرية إلبورت، يُعتبر الميل المركزي نزعة متميزة جداً للفرد.

- cerebrotonia: يمثل في نظرية شيلدون، عنصراً من المزاجية يتميز بسيطرة القيود والكف والرغبة في الكتمان

الطفل: Child: في نظرية التحليل التعاملي أو التحويلي لبيرن تعني حالة الأنا التي تسجل تلك المشاعر والخبرات التي مر بها كطفل.

- المزاج الصفراوي: Choleric: أحد العناصر المزاجية في نظرية أبو قراط وينسب إلى الفرد الذي يميل إلى الغضب وسرعة الاستثارة.

- التعويد الكلاسيكي: Classical Conditioning: شكل من أشكال التعلم تصبح فيه الاستجابة مربوطة بمثير كان محايداً في السابق.

- Claustral Complex : في نظرية موري وتتضمن رغبة في اعادة أوضاع سائدة قبل الميلاد.
- العلاج النفسي المركز حول العميل Client - Centered Psychotherapy : أسلوب علاجي طوره روجرز ويركز على الأهتمام بالشخص الباحث عن المساعدة.
- النسق المغلق: closed System : مفهوم في الشخصية يسمح بالقليل أن لم يكن أي شيء جديد على الإطلاق من خارج الكائن ليؤثر أو يغير في الشخصية بأي طريقة مؤثرة.
- العمليات المعرفية: Cognitive Processes : في نظرية سوليفان، تعتبر طرقاً متطورة يعايش بها الفرد العالم ويرتبط بالآخرين.
- النظريات المعرفية: Cognitive theories : هي نظريات الشخصية التي تركز على العمليات المعرفية. مثل التفكير والحكم على الأشياء.
- التماسك: Coherence : أحد المعايير المستخدمة للحكم على الإفادات الفلسفية ويتضمن التأكد من نوعية أو حالة الثبات المنطقي.
- اللاشعور الجمعي: collective unconscious : في نظرية يونج، لا شعور شخصي تبادلي مشترك يتكون من طرق محتملة أو ممكنة للكائن البشري.
- السمات المألوفة أو المشتركة: Common Traits : في نظرية إلبورت، تعني السمات الافتراضية التي تسمح لنا بالمقارنة بين الأفراد بناء على أبعاد مشتركة معينة.
- التجانس: Compatiblity معيار لتقييم فرضيات متضادة.
- القسرية: compellingness : أحد المعايير المستخدمة لتقييم الإفادات الفلسفية وتتضمن نوعية وكيفية الاحتكام إلى شخص ما وبقوة دافعة.
- التعويض: Compensation : تعويض شيء ما أو التغلب على ضعف معين.
- ميكانيزمات تعويضية: Compensatory Mechanisms : في نظرية أدلر،

تعني النزعات الرادعة التي تمنع مشاعر النقص.

- المركب: Complex: في نظرية يونج، يعتبر المركب عبارة عن مجموعة من الاعتقادات والمشاعر والذكريات عن مفهوم معين.
- الشمولية: Comprehensiveness: واحد من المعايير لتقييم الإفادات الفلسفية فيما يتعلق بنوعية ووجود مدى وبعد وعمق للتغطية.
- الاحترام الإيجابي المشروط: (Conditional Positive ،Rogard): في نظرية روجرز، الاحترام الإيجابي يقوم فقط تحت ظروف معينة.
- الاستجابة المشروطة: Conditioned Responce: هي الاستجابة التي تأتي مربوطة بمثير من خلال التعلم.
- المثير المشروط: Conditioned Stimulus: مثير محايد سابقاً أصبح مربوطاً باستجابة.
- شروط الأهمية أو القيمة: Conditions of worth: في نظرية روجرز تعد شروطاً يفرضها الآخرون تشير إلى الوقت والمناسبة التي سيعطي فيها الفرد احتراماً معيناً.

الصراع: Conflict: أ - في نظرية فرويد، هو التنافر الأساسي الذي يظهر بين الهو والأنا والأنا الأعلى والعالم الخارجي. ب - في نظرية دولارد وميلر هو الإحباط الذي يظهر من موقف حيث تظهر الاستجابات المتنافرة في نفس الوقت.

- الانسجام: Congruence: في نظرية روجرز يمثل حالة من الانسجام التي تظهر عندما الخبرات الرمزية للشخصية تعكس الخبرات الفعلية للجسم أو الكيان.
- الشعور: Conscious: في نظرية فرويد، يعني الاعتقادات والمشاعر والرغبات التي يعيها ويدركها الشخص في أي لحظة معينة.
- الضمير: Conscience: في نظرية فرويد هو النظام الفرعي للأنا الأعلى الذي ينسب إلى الاستعداد للتقييم الذاتي والانتقاد والتأنيب.
- الصدق المشترك Consensual Validation: اتفاق بين الملاحظين حول الظواهر.

الملاحظين حول الظواهر.

- السمات التكوينية: constitutional traits: في نظرية كاتل وتعني

تلك السمات التي تكون أصولها في الوراثة أو الطبيعة الفسيولوجية للكائن.

- البدلية البناءة: constructive alterativism: في نظرية كلي تعني البدلية البناءة الافتراض بأن أي حدث قابل لعدد من التأويلات.
- الحلم البناء constructive reverie: في علاج سوليفان معناه الكشف عن المستقبل.
- نظرية الاستمرار: continuity Theory: هي النظرية التي ترى أن نمو الشخصية هو في الأساس تراكم لمهارات وعادات وفروقات بدون أي شيء جديد يبدو في موضوع التعويض الذي يقوم به الشخص.
- التعزيز المستمر: Continuous reinforcement: أسلوب يتم فيه تعزيز السلوك المرغوب في كل مرة يظهر فيها هذا السلوك.
- المجموعة الضابطة: control Group: في التجربة، المجموعة المفحوصة تتساوى مع المجموعة الضابطة وتستخدم هذه لمقارنة النتائج.
- اضطراب التحول: conversion disorder: ردة فعل للقلق أو الضغط يعبر عنه من خلال الأعراض الجسمانية، وهي المصطلح الحديث للهستيريا.
- الارتباط Correlation: طريقة أو أداةٍ إحصائية لعمل مقارنات بين بعض المتغيرات سمة للشخص التي تفسر وتجعل الخبرات مفيدة للكائن وتكون أسلوب الحياة.
- السلوك الظاهر: covert behaviow: هو السلوك الذي يمكن أن نلاحظه مباشرة فقط بواسطة الفرد الذي يجرب هذا السلوك أو يقوم بهذا التصرف بالفعل.
- الذات الإبداعية: creative self: في نظرية أدلر، الذات الإبداعية تعني سمة الشخص التي تفسر وتجعل الخبرات مفيدة للكائن وتكون أسلوب الحياة.
- تحليل المعيار: Criterion analysis: طريقة من طرق التحليل استخدمها آيزنيك والتي تبدأ بفرضية عن المتغيرات الممكنة والقيام بتحليلات إحصائية من أجل فحص الفرضية.
- المؤشر: cue: في نظرية دولارد و ميلر، مصطلح المؤشر يعني مؤشراً معيناً يدل ويخبر

الكائن متى وأين وكيف يستجيب.

D

- Daimonic: أي وظيفة طبيعية لها القوة والسلطة على الشخص وهو أحد مفاهيم نظرية مي.
- الموت Death impulses: في نظرية فرويد، وهي الحوافز والقوى التي تمثل العدوان.
- ميكانيزمات الدفاع: Defense Mechamisms: في نظرية فرويد وتعتبر إجراءات تمنع القلق وتحمي إدراكها الواعي.
- التعزيز المؤجل أو المتأخر: Delayed Reinforcement: تعزيز مؤجل بعد استجابة.
- البحث أو التحقيق المفصل: Detailed Inquiry: في نظرية سوليفان يعتبر البحث المفصل هو الموضع الثالث في المقابلة، حيث يقوم المعالج بفحص فرضياته حول المريض.
- الحتمية: determinism: النظرة الفلسفية التي تقول بأن السلوك تحكمه قوى وضغوط خارجية وداخلية.
- الجانب التشخيصي: diagnostic Profile: إجراء تقييم رسمي أصدرته آنا فرويد بقصد الكشف عن القضايا التطورية.
- النظرية المتقطعة: discontinuity Theory: نظرية في الشخصية ترى أنه خلال النمو يمر الكائن بتحولات أو تغييرات حقيقية حتى يصل إلى مستويات علمية وناجحة من التنظيم.
- التمييز: discrimination: القدرة المتعلمة على التمييز بين مختلف المثيرات
- الإزاحة: displacement: في نظرية فرويد تعتبر الإزاحة إحدى ميكانيزمات الدفاع حيث يفشل الفرد في إشباع الدافع أو الشيء الأصلي أو تحقيقه ويضطر إلى استبدال ذلك بشيء آخر يحقق له ولو بعض الرضا والإشباع.
- حاجات (د): D - needs: مصطلح استخدمه مازلو وينسب إلى حاجات العجز التي تنشأ من النقص أو الشح.
- تحليل الأحلام dreams analysis: أسلوب استخدمه فرويد وغيره من المحللين للكشف عن العمليات اللاشعورية.

- الحافز: drive: الارتباط النفسي للحاجة أو المثير الذي يسير الكائن ويدفعه إلى التصرف. أ) في نظرية فرويد، الحافز هو تمثيل نفسي للمصادر الجسمانية الداخلية للإثارة التي تتميز بمصدرها، هدفها وقوتها الدافعة. ب) في نظرية دولاردو ميلر الحافز يعني الدافع الرئيسي للسلوك.
- خفض الحافز! : drive reduction: مفهوم صاغه هول ويرى أن التعلم يظهر فقط إذا تلى استجابة الكائن خفض لبعض الحاجات أو الحوافز.
- الشبكة الدينامية Dynamic Lattice : في نظرية كاتل ، شبكة بواسطتها تترابط السمات الديناميكية .
- السمات الديناميكية: :dynamic traits: في نظرية كاتل، هي السمات التي تدفع الفرد نحو هدف ما.
- الديناميكية : :Dynamism في نظرية سوليفان، تمثل نمطاً من تحول الطاقة الذي يميز العلاقات الشخصية التبادلية للفرد.

E

- المراهقة المبكرة: Early Adolescence: في مراحل النمو لدى سوليفان، وتمثل فترة تمتاز بالنضج الجنسي والجسماني وتطور نمو جنسي متباين لكنه ثابت يعبر عن مشاعر جنسية.
- الانتقائي :Eclectic: اختيار الأفضل من بين مجموعة من المفاهيم والنظريات المختلفة .
- النمط الحشوي الخفيف: Ectomorphy: في نظرية شيلدون تمثل عنصراً أو تكويناً جسمانياً يشير إلى سيطرة الرخاوة والرقة على مكونات الشخص الجسمانية .
- Effectance Urge : المحرك المؤثر : أحد مفاهيم نظرية وايت ويمثل حافزاً يؤدي بالكائن إلى تطوير الكفاءة والقدرة على التعامل مع البيئة.
- Ego: الأنا: وهي في نظرية فرويدتمثل إحدى وظائف الشخصية الثلاث والتي تتبع مباديء الواقعية وتعمل بناء على عمليات ثانوية واختبار واقعي. أما في نظرية يونج فهي تمثل ادراكنا الوعي للذات .
- Ego - ideal: الأنا المثالية: وهي عبارة عن نظام فرعي في نظرية فرويد لنظام الأنا الأعلى يحتوي على صورة للأنا المثالية.

- Ego identity Versus rde confusion : هوية الأنا مقابل ارتباك الدور: إحدى مراحل أريكسون النفسية الاجتماعية حيث يواجه الواحد مهمة تطوير صورة ذاتية في مرحلة المراهقة.
- Ego integrity Versus despair: تكامل الأنا مقابل اليأس: مرحلة النضج في المراحل النفسية الاجتماعية لدى أريكسون حيث تتضمن قدرة الشخص على أن يعكس رضى وارتياح عن حياته الخاصة.
- Ego - Psychoanalytic Theory: نظرية الأنا النفسية التحليلية: النظرة التحليلية النفسية التي تؤكد على دور الأنا في نمو الشخصية.
- Electra Complex : عقدة إلكترا : مصطلح استخدمه بعض النقاد للتعبير عن الجزء النسائي المقابل لعقدة أوديب .
- Empathy : التعاطف: القدرة على إدراك ومعرفة وفهم مشاعر الشخص الآخر!
- Empirical : التجريبي أو الاختباري :
- Empiricism : مذهب التجربة والاختبار العملي والميداني ويمثل وجهة نظر فلسفية تقول بأن المعارف الإنسانية نظهر ببطء خلال التجربة مروراً بالملاحظة والخبرات المتعلقة بها.
- Empty Organism : الكائن الفارغ: تعبير استخدمه ناقدي نظرية سكينر لوصف مفهومه عن الطفل الرضيع أثناء الميلاد.
- Endomorphy: النمط الحشوي البدين: عنصر جسماني في نظرية شيلدون يشير إلى سيطرة اللحوم الناعمة على مختلف أجزاء الجسم.
- Environmental -émold traits: السمات التي صاغتها البيئة: وهي أحد أصناف السمات التي قام بتحديدها كاتل أساسها جاء من تأثيرات المحيط الاجتماعي والطبيعي.
- Epigenesis : التطور التسلسلي.

- Epiphany: الظهور المفاجيء لجوانب رئيسية في طبيعة الشيء.

- Equilibrium التوازن، والانسجام.

- Erg: أحد مفاهيم نظرية كاتل ويمثل سمة ديناميكية تكوينية.

- Erogenous Zones: مناطق الحساسية الجنسية الجسمية التي تزود الشخص باللذة.

- Essence: الجوهر: في الفلسفة يعني الجوهر تلك المباديء والقوانين الثابتة التي تحكم الفرد أو الكيان البشري.

- Evaluative Response: الاستجابة التقييمية: في نظرية روجرز هذه الاستجابة تعني وضعنا قيمة أو حكماً على الاعتقادات والمشاعر والرغبات أو السلوك.

- Existential dichotomy: الثنائية الوجودية: مفهوم في نظرية فروم ويعني المعضلة أو المشكلة التي تظهر ببساطة من حقيقة الوجود.

- Existentiatism: الوجودية: حركة فلسفية تدرس معنى الوجود.

- Expectancy construct: المضمون المتوقع: في نظرية روتر ويمثل توقعات الفرد الذاتية عن نتيجة أو أثر سلوكه.

- Exploitive Orientation: التوجه الاستغلالي: نمط للشخصية وضعه فروم حيث يستغل هذا الشخص الآخرين والعالم.

- Expressive behavior: السلوك التعبيري: مفهوم في نظرية ألبورت ويعني طريقة الفرد في الأداء.

- Extintion: الانطفاء: نزعة الاستجابة للاختفاء عندما لا يتم تعزيزها.

- Extroversion: الانبساط: اتجاه تمددي أو توسعي نرى فيه النفس تتجه نحو العالم الخارجي.

F

- Factor Analysis: التحليل العاملي: تكنيك وظفه كاتل للربط بين عدد من العلاقـات في وقت واحد.

- Family atmosphere: الجو العائلي: أحد مفاهيم نظرية أدلر ويعني خاصية للعلاقات الانفعالية بين أعضاء العائلة الواحدة.

- Family constellation: الكوكبة العائلية: أحد مفاهيم نظرية أدلر وتشير إلى وضع الواحد داخل عائلته فيما يتعلق بترتيبه الميلادي ووجود أو غياب أحد الوالدين أو من يقوم على رعايته..

- Feeling: الإحساس أو الشعور: وهو أحد الوظائف التي قال بها يونج ويتضمن تقييم العالم والحكم عليه.

- fictional finalism: الغائية الخيالية: أحد مفاهيم نظرية أدلر ويعني افتراضاً فلسفياً أو مفهوماً رئيسياً لا يمكن فحصه أو اختباره مقابل الواقعية.

- finalism: الغائية: أحد مفاهيم أدلر ويعني المبدأ الذي يعكس مفهوم التوجه الغرضي.

- fixation: التثبيت: أحد مكانيزمات الدفاع في نظرية فرويد حيث نرى توقفاً للنمو وحاجات مفرطة تميز مرحلة مبكرة تم إشباعها بطريقة مفرطة أو مرت بإحباط بعد!

- Frame of orientation and devotion: إطار من التوجه والتفاني في اعتقادات فروم يمثل الحاجة إلى نظام فكري ثابت يمكن له تنظيم الإدراكات وعمل معانٍ وحتمية من خارج البيئة.

- Free association : التداعي الحر: أحد التكنيات في نظرية التحليل النفسي حيث يقوم الشخص بالتعبير لفظياً بكل ما يرد على بال الشخص أو تفكيره.
- Freedom of movement : حرية الحركة: أحد مفاهيم نظرية روتر ويمثل درجة التوقع لدى الشخص حول مجموعة محددة من الاستجابات التي ستؤدي إلى تعزيز مرغوب!
- frigidity : البرود الجنسي: خاصية أو ميزة للامبالاة الجنسية أو نقص الاستجابة الجنسية.
- frustration : الإحباط: أحد مفاهيم نظرية دولاردو ميلر ويمثل الانفعال الذي يظهر عندما يعجز الفرد عن إرضاء حافز لأن الاستجابة التي ترضيه تم إيقافها أو صدها.
- functional Autonomy : الاستقلالية الوظيفية: أحد مفاهيم نظرية البورت حيث أن الدوافع الراهنة ليست بالضرورة مربوطة بالماضي لكن يمكن أن تكون حرة من الدوافع المبكرة.
- Functions : الوظائف : مفهوم في نظرية يونج يعني تلك الطرق التي نستخدمها للنظر وإدراك البيئة وتوجيه خبراتنا.

G

- Generalized Conditioned Reinforcers : المعززات المشروطة العامة: أحد مفاهيم نظرية سكيتر وهي تلك المعززات المتعلمة والتي له السلطة أو القوة على تعزيز مجموعة كبيرة من السلوكيات المختلفة.
- generativity Versus Stagnation : الإنتاجية مقابل الركود: المرحلة النفسية الاجتماعية التي قال أريكسون أنها تظهر في منتصف العمر حيث يواجه الواحد معضلة كيف تكون معطاء ومنتجاً ومبدعاً في حياتك.
- genital Stage : المرحلة التناسلية: المرحلة الجنسية النفسية في تصنيف فرويد

الانسجام والذي ينتج عندما لا تقوم خبرات الشخص الرمزية بتمثيل حقيقي للخبرات الواقعية.

- Individual Psychology : إحدى مدارس علم النفس التي طورها أدلر.
- Individuation : التفرد: أحد مفاهيم نظرية يونج في تحقيق الذات حيث يمثل تلك العملية والتي بواسطتها تستطيع أنظمة النفس الفردية تحقيق أو بلوغ الدرجة الأعلى من التميز والنمو والتعبير!
- Industry Versus inferiority : المثابرة مقابل النقص : إحد المراحل النفسية الاجتماعية في نظرية أريكسون والتي تستجيب لمرحلة الكمون الفرويدية أو تماثلها حيث يواجه الأطفال مهمة التعلم وإجادة تقنية ثقافتهم.
- Infancy : الرضاعة: إحدى مراحل النمو لدى سوليفان وتمثل الفترة من الميلاد إلى النطق المفيد حيث يتم التركيز على أهمية وقيمة الخبرات الشبقية.
- Inferiovity Complex : مركب النقص : أحد مفاهيم نظرية أدلر ويمثل نمطاً عصابياً يشعر فيه الفرد وبدرجة عالية بعدم كفائته أو قدرته.
- Inferiority feelings : مشاعر النقص : مشاعر يرى أدلر أنها تقود الشخص إلى الاعتقاد بعدم كفاءته وتظهر من خبرات الطفولة.
- Inhibition : الكف: حماية أو منع استجابة من الظهور لأنها في صراع مع استجابات لا شعورية قوية.
- Initiative Versus guilt : المبادرة مقابل الذنب: أحد مراحل النمو النفسي الاجتماعي التي طورها أريكسون وتقابل المرحلة القضيبية الفرويدية حيث يواجه الأطفال مهمة توجيه فضولهم وأنشطتهم تجاه تحصيل أهداف معينة.
- Iner space : الفضاء الداخلي : أحد مفاهيم نظرية أريكسون وتمثل نزعة لدى البنات لتأكيد خصائص الانفتاح مقابل الانغلاق في الفضاء أو المكان.
- Insight Therapy : العلاج التبصيري ويتضمن تلك الإجراءات العلاجية التي تهدف إلى زيادة الفهم الذاتي وتؤدي إلى تغييرات دافعية عميقة!

Intentionality: القصد أو الغرضية: أحد مفاهيم نظرية مي وتعني ذلك البعد الذي يقلل من قيمة الشعور واللاشعور ويعطي الأولوية للإرادة والقرار.

Interpretative Response: الاستجابة التأويلية وتمثل في نظرية روجرز تلك الاستجابة الهادفة إلى التمسك بالمعنى أو الدافع التحتي أو الأساسي.

Intimacy Versus Isolation: الود مقابل العزلة: إحدى مراحل أريكسون النفسية والاجتماعية وتظهر في الرشد المتوسط حيث يواجه الواحد مهمة تكوين علاقة قوية وعميقة وذات معنى مع شخص آخر.

Introversion: الانطواء: اتجاه نحو الانسحاب حيث يتم توجيه الشخصية نحو الجوانب الداخلية والعالم الذاتي!

Intuition: الحدس: أحد الوظائف التي قال بها يونج ويعني الإدراك بواسطة اللاشعور!

J

Juvenile era: فترة الصبا: إحدى مراحل النمو التي حددها سوليفان حيث يمر الطفل فيها بحاجة قوية إلى الرفاق!

K

Karma: كارما: وتعني في الفكر البوذي دورة السبب والنتيجة.

Koan: وهو أحد مفاهيم تطبيقات مذهب زن البوذية ويعني التساؤل أو الإفادة المتناقضة ظاهراً التي لا يوجد لها حل عقلاني أو فكري.

L

Late Adolescence: المراهقة المتأخرة: إحدى مراحل النمو لدى سوليفان وتمثل المرحلة الأخيرة قبل الرشد حيث يحقق فيها الفرد استقراراً وتكاملاً اجتماعياً واقتصادياً ومهنياً.

Latency Period: مرحلة أو فترة الكمون: إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي

الفرويدي حيث يعتقد أن الحافز الجنسي فيها يختفي أو يغيب!

- Latent dream: أحد مفاهيم نظرية فرويد ويمثل المعنى أو الدافع الحقيقي والذي يكون الأساس للحلم الذي نتذكره.

- Law of Effect: قانون الأثر: وهو الذي صاغه ثورندايك ويتضمن أن مصاحبة السلوك أو الأداء برضى وقبول يعني زيادة هذا السلوك وتكراره في حين أن مصاحبة الإحباط لهذا السلوك أو الأداء تعني انخفاضه واندثاره!

- Latent dream : أحد مفاهيم نظرية فرويد ويمثل المعنى أو الدافع الحقيقي شخص في المجتمع أو الحياة اليومية!

- Learning dilemma: معضلة التعلم: أحد مفاهيم نظرية دولارد وميلر ويقصد به الوضع الذي نضع فيه الفرد عندما لا نقوم بتعزيز استجاباته الحاضرة!

- Libido: اللبيدو: ١ - في نظرية فرويد اللبيدو يعني الطاقة النفسية والانفعالية النابعة من الحافز البيولوجي للجنس. ٢ - في نظرية يونج اللبيدو يعني الحياة الغير متميزة والطاقة النفسية!

- Life impulses : دوافع الحياة : في نظرية فرويد هذه تعني تلك الحوافز والقوى التي تحتفظ بالعمليات الحياتية وتضمن تكاثر الأنواع.

- Life lie: كذبة الحياة: أحد مفاهيم نظرية أدلر ويعني أسلوب الحياة الذي يتناقض مع قدرات واستعدادات الواحد الفعلية!

- Love: الحب: في نظرية فروم هذا المفهوم يعني العلاقة المنتجة والمعطاء للآخرين والذات والتي تتضمن الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة!

M

- Mandala: ماندالا: شكل رمزي في الثقافات الشرقية يعبر عن الشكلية والتكاملية والوجوه واستخدمه يونج كرمز للتعبير عن الذات الظاهرة أو الناشئة.

- Manifest dream الحلم الظاهر: فرويد يقول إن الحلم الذي نتذكره في

الصباح كما هو يسمى حلماً ظاهراً.

- Mantra: صيغة أو كلمة روحانية في الفكر الشرقي ترتل أو تردد خلال التأمل بقصد إثارة مستويات أعمق من الشعور!

- Marketing Orientation: التوجه التسويقي وهو أحد أنماط الشخصية التي قال بها فروم ويعني أن يقوم الشخص بجعل نفسه كسلعة قابلة للبيع والشراء في السوق التجاري.

- Masculine protest: التظاهر العضلي: أحد المفاهيم التي استخدمها أدلر في بداية تطويره لنظريته وكان يقصد به التعويض عن النقائص.

- Masochism: اضطراب جنسي يحصل الشخص من خلاله على لذة ولكن بعد معاناة وألم!

- Maya: مصطلح في الفكر الشرقي يعني الوهم.

- Melancholic: المزاج الملانخولي هو أحد الأمزجة الأربعة التي صنفها أبو قراط حيث يمتاز هذا النمط بالاكتئاب.

- Mesomorphy: النمط العضلي وهو أحد الأقسام الجسمانية التي وضعها شيلدون حيث يمتاز بسيطرة العظام والعضلات.

- Metamotivation: الدافع الأسمي: مصطلح استخدمه مازلو وينسب إلى نزعات النمو داخل الكائن.

- Metapsychological: مصطلح استخدمه فرويد للإشارة إلى الوصف الممكن والكامل للعمليات النفسية!

- Method of amplification: طريقة التضخيم وهي طريقة تحليلية استخدمها يونج في العلاج حيث يقوم الفرد بالتركيز لعدة مرات على عنصر ما ويعطي له ارتباطات متعددة!

- Minimum goal Level: المستوى الأدنى للهدف مصطلح استخدمه روتر

ويقصد به المستوى الأدنى من التعزيز الممكن والذي ندركه كشيء مرضٍ في وضع معين!

- Moral Anxiety: القلق الأخلاقي: أحد تقسيمات فرويد للقلق ويمثل الخوف من تأنيب الضمير!
- Morphogenic: وهو أحد مفاهيم نظرية ألبورت ويمثل أسلوباً في دراسة الشخصية يركز على فهم التفرد وتميز الشخصية!
- Motivation: الدافع: مصطلح استخدمه مازلو لتقليص التوتر وذلك بإرضاء حالات العجز أو النقص!
- Moving against: التحرك في الاتجاه المعاكس وهو أحد الطرق الرئيسية الثلاث التي قالت هورني إنها وسيلة نستخدمها للارتباط بالآخرين حيث يبحث الواحد عن حماية نفسه وذلك بالانتقام أو السيطرة على الآخرين.
- Moving away: التحرك بعيداً عن الآخرين: وهو أحد الأساليب الرئيسية التي ترى هورني أن الفرد يستخدمه ليبقى في منأى عن الناس.
- Moving toward: التحرك تجاه الآخرين: وهو أحد الأساليب الرئيسية التي ترى هورني أن الفرد يقبل بعجزه واعتماده على الآخرين.

N

- Narcissism: ١ ـ النرجسية شكل من التغلف الذاتي حيث لا يهتم الشخص إلا بما يدور أو يظهر داخل ذاته! ٢ ـ النرجسية حسب رأي كوهت يمثل اضطراباً يظهر عندما يفشل الفرد في تطوير حس أو معنى مستقل للذات.
- necrophilous character: الاهتمام بالأموات والجثث وتمثل أحد أنماط أو التوجهات التي نادى أو قال بها فروم حيث نجد الفرد مهتماً الأشياء الميتة والجثث والرغبة أو البحث عن سبل لتدمير الكائنات الحية!
- Need: الحاجة: ١ـفي نظرية موري الحاجة تعني قوة في المخ تنظم الإدراك

والفهم والسلوك بطريقة تغير الوضع الغير مرضي وتزيد من مستوى الرضا.

٢ - في نظرية روتر هي السلوك الذي يؤدي إلى التعزيز.

- Need Potential : احتمالية الحاجة ويمثل احتمال أن مجموعة من السلوكيات الموجهة نحو نفس الهدف الذي سيستخدم في وضع معين!

- Need value: قيمة الحاجة ويمثل الأهمية الملقاة على الهدف حسب رأي روتر!

- Negative identity: الهوية السلبية وهي الهوية التي تقابل القيم المسيطرة في ثقافة الفرد من وجهة نظر أريكسون .

- Negative Reinforcement: التعزيز السلبي للمثيرات التنفيرية أو المؤلمة والتي يمكن تلافيها أو تغييرها بسلوك معين!

- Neurotic Anxiety: القلق العصابي أحد أقسام القلق لدى فرويد ويمثل الخوف من عدم القدرة على السيطرة على الدوافع والحوافز الشخصية!

- Neurotic Trends: الاتجاهات العصابية في نظرية هورني يمثل تلك الاستراتيجيات الدفاعية المبالغ فيها والتي تسمح للفرد بالتكيف مع العالم.

- Nirvana: مصطلح في الفكر البوذي يعني اختفاء كل الرغبات والامتعاض والأنانية والتي يسببها مقصد الشخص مع الأنا الخاصة والمنفصلة!

O

- Objective test : الاختبار الموضوعي من وجهة نظر كاتل هو ذلك الاختبار الذي تم تصميمه بطريقة تجعل الشخص الذي أخذ هذا الاختبار لا يعرف شيئاً عن غرضه أو هدفه!

- Objectivism : الموضوعية وهي وجهة النظر الفلسفية التي تقول بأن المعرفة الصادقة تظهر تدريجياً من خلال التجارب والملاحظات.

- Observational Learning : التعلم بالملاحظة من وجهة نظر بندورا هو ذلك التعلم الذي يظهر من خلال الملاحظة بدون أي تعزيز مباشر!

- Oedipus complex: عقدة أوديب وتمثل الصراع النفسي اللاشعوري الذي يحب فيه الطفل والده المقابل لجنسه وذلك حسب رأي فرويد.
- Operant behavior: السلوك الأجرائي أحد مفاهيم نظرية سكينر ويمثل الاستجابة التي تظهر أو تعمل وفق البيئة وبدون حدوث أو وجود مثير بالضرورة!
- Operant conditioning: الإشراط الإجرائي: أحد مفاهيم نظرية سكينر ويمثل تلك العملية التي بواسطتها تضبح الاستجابة الاجرائية مربوطة بالتعزيز من خلال التعلم!
- Oral stage: المرحلة الشبقية وهي إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي عند فرويد حيث يكون مصدر اللذة الرئيسي والصراعات المحتملة هو الفم!
- Outer Space: الفضاء الخارجي: أحد مفاهيم نظرية سكينر ويمثل النزعة الموجودة لدى الأولاد لتأكيد خصائص السمو أو التدني في الفضاء أو الفراغ المكاني!
- Overcompensation: التعويض المفرط مصطلح استخدمه أدلر ويعني به المحاولة المبالغ فيها لتغطية عيوب ونقص يتضمن النكران وعدم القبول بالوضع الحقيقي أو الواقع العقلي!
- Overdetermination: التصميم المفرط ويمثل في وجهة نظر فرويد قوله بأن كل الأحداث لها أكثر من معنى أو تفسيرا!
- Overt behavior: السلوك الظاهر: وهو السلوك الذي يمكن قياسه وملاحظته بواسطة ملاحظ خارجي.

P

- Paradox: التناقض الظاهر: إثنان متضادان يبدوان للواحد على أنهما يرفضان بعضهما الآخر ولكن لا يمكن لأحدهما العيش بدون الآخر!

- Parataxic distortion: التشويه الانفعالي: مفهوم في نظرية سوليفان يعني ردة فعل لشخص ما كما لو كان هو شخص آخر!
- Parataxic Experience: الخبرة الانفعالية: مفهوم في نظرية سوليفان ويقصد به العملية المعرفية والتي يدرك فيها الواحد العلاقات السببية لكن ليس على أساس واقعي أو منطقي!
- Parent: الوالد: في نظرية بيرن تحليل التعامل، الوالد يمثل حالة من الأنا التي تدمج قيم الآخرين!
- Participent Observation: ملاحظة المشارك: أحد مفاهيم نظرية سوليفان والذي يعزى إلى حقيقة أن الملاحظ للعلاقة الشخصية التبادلية هو شخص مشارك فيها أيضاً.
- Peak Experience: الخبرة الذروة: أحد مفاهيم نظرية مازلو ويمثل تلك الخبرة المكثفة حيث يكون هناك فقدان للذات أو تسامٍ لها!
- Penis envy: حسد القضيب: أحد مفاهيم نظرية فرويد ويمثل وجهة نظر النساء حول أنفسهن على أنهن رجال مخصيين.
- Perfarmance Phase: مرحلة الأداء: في علاج ميلر دولارد تمثل هذه المرحلة اكتساب المريض لعادات واستجابات متكيفة وجديدة.
- Perseverative functional Autonomy: الاستقلال الوظيفي الدؤوب: وتعني في نظرية ألبورت تلك التصرفات والسلوكيات المكررة حتى وإن فقدوا وظيفتهم الأصلية!
- Persona: القناع: أحد مفاهيم نظرية يونج ويمثل نمطاً بدائياً ينسب إلى دور الواحد الاجتماعي وفهمه لهذا الدور!
- Personal dispositions: النزعات الشخصية: هي تلك السمات التي قال ألبورت أنها فريدة بالنسبة للفرد!
- Personal unconscious: اللاشعور الشخصي: هي تلك الخبرات التي يقول يونج أن الفرد يمر بها في حياته ويقوم بكبتها أو تناسيها مؤقتاً!

- Personality : الشخصية : ١ - في الأحاديث الاجتماعية الشخصية تعني الصورة الشعبية أو العامة للفرد. ٢ - في نظرية سوليفان الشخصية مضمون تخيلي يستخدم لتفسير وتوقع سلوكيات معينة. ٣ - في نظرية فروم الشخصية هي التكامل الموجود في خصائص الفرد النفسية. ٤ - أما ألبورت فيرى أن الشخصية هي ذلك التنظيم الديناميكي داخل الفرد في الأنظمة الفسيولوجية النفسية التي تحدد اعتقاده وسلوكه المتميز! ٥ - في نظرية كاتل، الشخصية هي ما يسمح لنا بالتنبؤ بما سيفعل الشخص في أوضاع معينة!
- Personification : التشخص: ويعني في نظرية سوليفان مجموعة من المشاعر والاتجاهات والاعتقادات التي تظهر من خبرات الفرد الشخصية التبادلية!
- Personalogy : علم الشخصية هو ذلك المصطلح الذي استخدمه موري في دراسته للأشخاص!
- Phalli Stage : المرحلة القضيبية: إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي التي قال بها فرويد حيث ترتبط مشاعر اللذة والصراع بالأعضاء التناسلية!
- Phenomenal Field : المجال الظاهراتي : في نظرية روجرز هذا المصطلح يعني المجموع الكلي للخبرات التي لدى الكائن!
- Phlegmatic : البلغمي : أحد أنماط أو أمزجة الشخصية التي قال بها أبو قراط ويمتاز الشخص فيها بالبرود والهدوء والإنهاك.
- Pleasure Principle : مبدأ اللذة : في نظرية فرويد هذا المبدأ يعني السعي لتخفيض التوتر والذي يتبعه الهو أو الهي!
- POI : اختبار طوره شوسترام لقياس التحقيق الذاتي!
- Polymorphous Perverse : الانحراف المنوع: مصطلح استخدمه فرويد ليؤكد القول بأن الأطفال ينحرفون في عدد من الطرق مما يعتقد بأنه نشاط جنسي تكاثري طبيعي!
- Positive regard : التقدير الإيجابي : مصطلح في نظرية روجرز يعني أن

يكون الشخص محبوباً ومقبولاً لما هو عليه ومن يكون!

- Positive reinforcement: التعزيز الإيجابي: أي شيء يخدم زيادة وتكرار ظهور الاستجابة!
- Preadolesecence: ما قبل المراهقة: في نظرية سوليفان تمثل مرحلة من مراحل النمو تتميز بالحاجة إلى الود والتعاطف مع شخص أو قرين من نفس الجنس!
- Preconscious: ما قبل الشعور: أحد مفاهيم نظرية فرويد ويقصد به تلك الذكريات والتي لا نعيها ولكن من السهل استرجاعها وطلبها في الشعور!
- Press: : الضغط: أحد مصطلحات نظرية موري ويعني تلك القوة التي تأتي من البيئة التي تساعد أو تعوق الفرد من تحقيق أهدافه.
- Primary. drive: الحافز الرئيسي أو الأولي: وهو الحافز المرتبط بالعملية الفسيولوجية الضرورية لبقاء الكائن!
- Primary Process: العملية الرئيسية أو الأولية: في نظرية فرويد تعني العملية الرئيسية ذلك النشاط السيكولوجي للهو أو الهي المتميز بتحقيق فوري للرغبة وتجاهل للاهتمامات الواقعية!
- Probing response: الاستجابة المتعمقة: في نظرية روجرز هذه الاستجابة تعني الاستجابة التي تنشد مزيداً من المعلومات!
- Proceeding: الإجراء: أحد مفاهيم نظرية موري ويمثل نمطاً سلوكياً هاماً وقصيراً له بداية ونهاية واضحة!
- Productive Orientation: التوجه الإنتاجي: نمط للشخصية قال به فروم ويمثل مثالية النمو الإنساني!
- Projection: الإسقاط: في نظرية فرويد الإسقاط يمثل واحداً من ميكانيزمات الدفاع التي تنسب إلى النسبة أو العزو اللاشعوري للاتجاهات والدوافع أو السلوك إلى شخص ما أو عنصر ما في البيئة!

ـ Propriate functional Autonomy: الاستقلالية الوظيفية الذاتية: أحد مفاهيم نظرية ألبورت ويعني به تلك القيم والاتجاهات والنوايا والاهتمامات المكتسبة وأسلوب الحياة والمتحررة من الدوافع المبكرة!
المبكرة!

ـ Proprium: الخصوصية: أحد مصطلحات نظرية ألبورت والذي ينسب إلى الخبرات المركزية للوعي الذاتي الذي لدى الشخص خلال نموه وتحركه إلى الأمام.

ـ Prototaxic Experience: الخبرة المبكرة: في نظرية سوليفان وتمثل العملية المعرفية والتي يستطيع فيها الرضيع التمييز بين الذات والعالم الخارجي!

ـ Psyche: النفس مشتق من المصطلح الاغريقي الذي يعني التنفس أو مبدأ الحياة وغالباً ما يترجم على أنه الروح أو الذات. ١ ـ في نظرية فرويد يعني الهو والأنا والأنا الأعلى. ٢ ـ أما في نظرية يونج فيقصد به الشخصية المتكاملة التي تنطوي على جميع العمليات السيكولوجية مثل الاعتقادات والمشاعر والأحاسيس والرغبات... الخ.

Q

ـ Q - data: وهو عبارة عن الاستبيانات والتقارير الذاتية في نظرية كاتل!

ـ Q - sort technique: أحد الأساليب المستخدمة من قبل روجرز لدراسة المفهوم الذاتي!

R

ـ Ratio Reinforcement: التعزيز النسبي: سلسلة من التعزيزات يتم فيها تعزيز الكائن بعد عدد من الاستجابات المناسبة!

ـ Rationalization: التبرير أو التسويغ: أحد ميكانيزمات الدفاع في نظرية فرويد والذي يتيح للفرد التعامل مع الانفعال أو الدافع تحليلياً وفكرياً بدون تدخل من الانفعالات!

- Reaction formation: تشكيل رد الفعل: أحد ميكانيزمات الدفاع التي نادى بها فرويد حيث يتم التعبير عن الدافع بما يقابله!
- Real self: الذات الحقيقية: أحد مفاهيم هورني ويعني أن يكون الشخص هو ما هو عليه فعلاً!
- Reality anxiety: القلق الواقعي: أحد مفاهيم نظرية فرويد ويقصد به الخوف من خطر حقيقي في العالم الخارجي!
- Reality Principle: مبدأ الواقع: في نظرية فرويد مبدأ الواقع هو الطريقة التي ترضى بها الأنا ودافع الهو بأسلوب يتلاءم مع العالم الخارجي!
- Reassuring Response: الاستجابة التطمينية: وهي إحدى الاستجابات التي نادى روجرز بضرورة استخدامها لطمأنة وتهدئة مشاعر العميل!
- Receptive Orientation: التوجه التقبلي: نمط من أنماط الشخصية في تقسيمات فروم حيث تكون ردود الفعل لدى الفرد استسلامية وتمتاز بالخضوع!
- Reciprocal determinism: الحتمية التبادلية: في نظرية بندورا هذا المفهوم يعني تنظيم السلوك بواسطة عوامل سلوكية وبيئية ومعرفية متداخلة!
- Reciprocal inhibition: الكف المتبادل: وهو تكنيك استخدمه ولبي في علاجه يقوم على تقديم استجابة تتنافس مع الاستجابة الغير متوافقة!
- Reconnaissance: الاستطلاع: وهي المرحلة الثانية في المقابلة في تصنيف سوليفان حيث يقوم المعالج بتطوير تاريخ الحالة وبعض من الفرضيات المبدئية!
- Reflective Response: الاستجابة الانعكاسية: في نظرية روجرز وهي تلك الاستجابة التي تنشد الوصول إلى أرضية وأساس المشاعر التي يعبر عنها العميل!
- Regression: النكوص: أحد ميكانيزمات الدفاع التي قال بها فرويد ويعني العودة إلى أشكال مبكرة من السلوك.
- Reinforcement value: قيمة التعزيز: هي ذلك المتغير الذي يشير إلى أهميته أو أفضلية استجابة معنية للفرد وذلك حسب وجهة نظر روتر!
- Relatedness: الصلة أو العلاقة: في نظرية فروم هذا المفهوم يمثل الحاجة

الرئيسية للارتباط بالآخرين وإعطائهم الحب والحنان.

- Rep Test: مقياس طوره كلي للكشف عن المضامين الشخصية!
- Repression: الكبت: ١ - ويمثل في نظرية فرويد ميكانيزم الدفاع والذي يتضمن إعاقة أو صد الرغبة أو الأمنية من التعبير أو الظهور حتى لا تتم معايشتها شعورياً أو التعبير عنها مباشرة في سلوكيات وتصرفات! ٢ - في نظرية ميلر ودلاردو: هو العملية المتعلمة لتجنب اعتقادات معينة وبتلك الوسيلة فقدان السيطرة أو الرقابة اللفظية!
- Resignation Solution: حل الاستقالة: هو أحد التوجهات الأساسية الثلاثة التي قال بها هورني ويمثل الرغبة في البقاء حراً من الآخرين!
- Resistance: المقاومة: في نظرية فرويد هي تلك القوة التي تمنع الفرد من أن يصبح واعياً للذكريات اللاشعورية أو أي عائق يتداخل مع العملية التحليلية!
- Respondent behavior: السلوك المستجيب: في نظرية سكينر وهي تلك الاستجابات الأوتوماتيكية أو الانعكاسية التي يثيرها أو يحرض على ظهور مثير ما!
- Ritualization: الطقوسية: في نظرية إريكسون الطقوسية تمثل ذلك الشكل من السلوكيات المعاد والذي له وظيفة توفيقية أو تكيفية!
- Role: الدور: ١ - في علم النفس الاجتماعي الذي يمثل مجموعة من التوقعات السلوكية تعد مسبقاً بواسطة مجتمع معين وتتبع أو يتحقق بواسطة أعضائها. ٢ - في نظرية كلي الدور يمثل تلك العملية أو السلوك الذي يلعبه الشخص بناء على فهمه للسلوك والمضامين لدى الناس الآخرين.
- Role confusion: ارتباك الدور أو تشوشه: وهو العجز عن تصور الذات الواحدة كعضو منتج في المجتمع وذلك حسب وجهة نظر إريكسون!
- Role playnig: لعب الدور وهو أسلوب استخدمه كلي في العلاج!
- Rootedness: الجذور أو الأصولية: هي تلك الحاجة الأساسية لدى الشخص بأنه يشعر بتبعيته للآخرين من وجهة نظر فروم!

S

- Sadism: السادية: اضطراب جنسي يحقق فيه الشخص لذة وذلك بإنزاله الألم بالآخرين.
- Safeguarding tendencies: النزعات الواقعية وهي تلك الميكانيزمات التعويضية التي تعوق أو تمنع مشاعر الخوف والخطر!
- Sanguine: الدموي: هو أحد الأنماط أو الأمزجة الجسمانية التي صنفها أبو قراط وتتميز فيه الشخصية بالانشراح والابتهاج والقوة والعناد والحيوية!
- Satiation: التشبع: وهو الدخول في سلوك والاستمرار فيه حتى الملل والتشبع من ممارسته!
- Satoni: القوة الخارقة أو المميزة في مذهب زن البوذي!
- Scientific method: الطريقة العلمية: هي طريقة بحث واكتشاف تتكون من خمس خطوات هي: معرفة المشكلة، تطوير الفرضية، عمل التنبوءات، اختبار الفرضيات وتحديد أو الوصول إلى الاستنتاج المناسب.
- Secondary dispositions: النزعات الثانوية وهي حسب رأي البورت تلك النزعات المحددة والمركزة للفرد والتي تميل إلى أن تكون موقفية في شكلها أو نمطها!
- Secondary processes: العمليات الثانوية: في نظرية فرويد هذه العمليات تمثل تلك الوظائف العقلية العليا التي تتيح للأنا تكوين تصرفات مناسبة وفحص مدى فاعليتهم وتأثيرهم!
- Security: الأمان: في نظرية سوليفان وتمثل حالة من السعادة والهناء والثقة الذاتية والتفاؤل حيث لا توجد هناك انفعالات أو مشاعر مؤلمة!
- Security Operation: العملية الأمنية: هي تلك الأداة الشخصية التبادلية التي يستخدمها الشخص لتخفيض القلق وتعزيز الأمان والاطمئنان وذلك وفق مرئيات نظرية سوليفان!
- Selective inattention: الغفلة الاختيارية: في نظرية سوليفان هذا المفهوم يعني

العملية الأمنية التي يفشل فيها الفرد في ملاحظة بعض العوامل في العلاقة الشخصية التبادلية التي يمكن أن تسبب القلق!

Self : الذات: ١ ـ من وجهة نظر يونج الذات هي ذلك النمط البدائي المركزي الذي يمثل الجهاد والنضال من أجل وحدة كل أجزاء الشخصية. ٢ ـ في نظرية روجرز الذات هي العمليات النفسية التي تتحكم في سلوك الشخص!

- Self - actualization : تحقيق الذات: في نظريات أرسطو ومازلو ويونج وروجرز تحقيق الذات يعني تلك الديناميكية الموجودة داخل الكائن ـ والتي تسعى أو تؤدي إلى تحقيق وإشباع وتعزيز الطاقات الكامنة والمتأصلة في الشخص.

- Self - Analysis : التحليل الذاتي: في نظرية هورني التحليل الذاتي هو تلك المحاولة النظامية لفهم الذات والتي تتم بدون مساعدة!

- Self as rational coper : الذات كتكيف منطقي: في نظرية ألبورت هذه الذات هي الوظيفة التي تتضمن إدراك الذات الخاصة كأداة حيوية لحل المشكلة!

- Self concept : المفهوم الذاتي: في نظرية روجرز المفهوم الذاتي يمثل ذلك الجزء من المجال الظاهراتي الذي أصبح متميزاً ويتكون من إدراكات وقيم «أنا» و «خاصيتي».

- Self - construct : المضمون الذاتي: هو ذلك الإدراك للمتشابهات الموجودة في سلوك الواحد بناء على علاقات السوق مع الناس الآخرين كما يرى ذلك جورج كلي!

- Self - effacing Solution : حل الطمس أو الاستغاثة الذاتية : إحدى التوجهات الرئيسية الثلاثة التي قالت بها هورني تجاه الحياة والتي تمثل استغاثة وطلب حب الآخرين وتعاطفهم!

- Self - efficacy : الفاعلية الذاتي : في نظرية إدراك الشخص لفاعليته وتأثيره!

- Self - esteem : الاحترام الذاتي: ١ ـ في نظرية سوليفان هو تلك

المشاعر من الكفاءة والقيمة الشخصية التي تجعل الشخص متماسكاً ومتلاحماً!
٢ ـ أما في نظرية ألبورت فالاحترام الذاتي هو تلك الوظيفة التي تتضمن مشاعراً من الافتخار حيث يطور الفرد من خلال ذلم عمل أشياء وأشياء كثيرة!

ـ Self - expansive solution : حل التمدد الذاتي : هو أحد التوجهات الرئيسية الثلاثة التي نادت بها هورني تجاه الحياة والتي تمثل جهاداً وكفاحاً من أجل الإجادة والتمكن!

ـ Self - extension : التوسع الذاتي : وهو أحد الوظائف التي نادى بها ألبورت وتتضمن حساً من التملك!

ـ Self - identity : الهوية الذاتية : وهي إحدى الوظائف التي نادى بها ألبورت وتنطوي على وعي بالاستمرارية والتشابه الداخلي!

ـ Self - image : الصورة الذاتية : في نظرية ألبورت هذا المفهوم بمثل تلك الوظيفة التي تنطوي على حس من توقعات الآخرين ومقارنتها بسلوك الفرد نفسه!

ـ Self - love : الحب الذاتي : في نظرية فروم الحب الذاتي شرط أولي لحب الآخرين.

ـ Self - system : النظام الذاتي : ١ ـ وهي دينامية الفهم الذاتي التي تظهر كنتيجة للخبرات الشخصية التبادلية من وجهة نظر سوليفان . ٢ ـ في نظرية بندورا النسق أو النظام الذاتي هو التركيبات المعرفية التي تكون أساس الإدراك والتقويم وتنظيم السلوك.

ـ Sensation : الحس : إحدى الوظائف التي قال بها يونج حيث ينسبها إلى الإدراك الحسي للعالم.

ـ Sence of identity : حس أو معنى للهوية : هي الحاجة إلى الوعي بالذات الخاصة وماهيتها كفرد وذلك حسب مرئيات أريك فروم.

ـ Sentiment : العاطفة : من وجهة نظر كاتل هي تلك السمة الأصلية الديناميكية التي صاغتها الظروف البيئية.

- Separation - individuation Process: عملية التفرد والانفصال: وتمثل تسلسلاً مرحلياً تمر به الأنا في مرحلة تطورها لتصبح فرداً أو شخصاً حسب رأي ميهلر!
- Shadow: الظل: وهو من وجهة نظر يونج يمثل نمطاً بدائياً يحتوي على الجوانب الحيوانية والاجتماعية!
- Shaping: التشكيل: يرى سكينر أن التشكيل يمثل تلك العملية التي بواسطتها تتم صياغة وتشكيل سلوك الكائن حتى يُقارب السلوك المرغوب.
- Slips: الهفوات: هي بعض الزلات أو الأخطاء العضوية كزلات اللسان وشطحات القلم وهي من ضمن الجوانب الهامة التي يؤمن فرويد بضرورة الاهتمام بل من قبل المحلل النفسي!
- Social interest: الاهتمام الاجتماعي: يرى أدلر أن الاهتمام الاجتماعي يمثل ذلك المحرك أو الباعث في الطبيعة الإنسانية الذي يعمل على تكوين تكيف وتأقلم للذات مع الظروف البيئية والاجتماعية!
- Somatotonia: المزاج العضلي: من وجهة نظر شيلدون هذا المزاج يمتاز بسيطرة النشاط العضلي والتأكيد الدائم على الجوانب الجسمانية والعضلية.
- Somatotype: النمط الجسماني: وهو مصطلح استخدمه شيلدون للتعبير عن نوع الجسم ونمطه من خلال أرقام من ١ - ٧ على مقياس معين وتشير هذه الدرجات إلى كل عنصر جسماني!
- Source Traits: السمات الأصلية: وهي حسب وجهة نظر كاتل تمثل تلك المتغيرات الأساسية التي تحدد المظاهر الخارجية أو الظاهرية!
- Specification equation: معادلة المواصفات: وهي المعادلة التي يرى كاتل أننا بواسطتها يمكن لنا في نهاية الأمر أن نصبح قادرين على التنبؤ بالسلوك البشري.
- Style of Life: أسلوب الحياة: هي تلك الطرق المحدد التي يسعى فيها الفرد للوصول إلى هدف الاستعلاء والتفوق حسب مرئيات أدلر!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- Subception: استجابة تقييمية متميزة للكائن تسبق الإدراك الشعوري.
- Sublimiation: التسامي: أحد ميكانيزمات الدفاع التي استخدمها فرويد وينسب إلى تحويل أو ترجمة الرغبة الغير مقبولة إلى تصرف أو سلوك مقبول اجتماعياً!
- Subsidiation: المساعدة الثانوية: في نظرية كاتل هذا المفهوم يعني وجود سمات معينة ثانوية بالنسبة لسمات أخرى!
- Successive approximation: التقريب المتتابع: في علاج ميلر دولارد هذا المصطلح يعني تلك التأويلات التي يقوم بها المعالج والتي تزوده تدريجياً بعلامات أكثر دقة لاستجابات المريض!
- Superego: الأنا الأعلى: أحد تقسيمات الشخصية التي نادى بها فرويد وتعني تلك الوظيفة التي تمثل تلك القيم والأفكار المكتسبة من الوالدين وغيرهما من المعايير الاجتماعية!
- Superiority Complex مركب الاستعلاء: من وجهة نظر أدلر هذا المصطلح يعني نمطاً عصابياً يقوم فيه الفرد بالمبالغة في قيمته وأهميته الشخصية.
- Surface Traits: السمات الظاهرة: وتمثل في نظرية كاتل المجتمعات وعناقيد من الاستجابات السلوكية الظاهرة التي تبدو مجتمعة أو تتفق مع بعضها البعض!
- Symbiotic relatedness: الصلة أو التقرب التكافلي: وهي تلك العلاقة والتي يفقد فيها الفرد أو لا يحقق فيها أصلاً استقلاليته!
- Syntality: السلوك الجماعي: ويقصد بها كاتل تصرف المجموعة ككل أو شخصيته الجماعية!
- Syntaxic Expereince: الخبرة اللغوية: في نظرية سوليفان هذه الخبرة تمثل المستوى الأعلى من النشاط المعرفي والذي يتضمن استخداماً للرموز واعتماداً على الصدق أو الثبات.

- Systematic desencitication : التحصين المنظم : علاج سلوكي طوره ولبي لتكييف المريض حتى يقوم باستبدال الاستجابة المرفوضة باستجابة جديدة ومطلوبة!

T

- Tabula Rasa : العقل الغفل : وهو تعبير أو مصطلح ارتبط بالمفكر جون لوك والذي يقترح أن العقل مثله مثل الصفحة البيضاء أو الفارغة وتسجل عليها خبرات ومعارف الطفل وتنقش تجاربه!
- Talking phase : مرحلة الحديث : هي إحدى مراحل العلاج التي قال بها دولارد وميلر وفيها يعمل المعالج على الحيلولة دون تعلم المريض لتلك العادات العصابية.
- Taoism : الطاوية : فلسفية صينية تؤكد على العيش في تفاهم وانسجام مع مجريات الطبيعة!
- Tat : مختصر لفظي لاختبار تفهم الموضوع والذي يعتبر أداة إسقاطية من صور غامضة ويسأل المفحوص عنها ويتم تسجيل استجاباته عليها!
- T - data : في الاختبار الموضوعي الذي استخدمه كاتل في أبحاثه ودراساته.
- Temperament traits : السمات المزاجية : من وجهة نظر كاتل هي تلك السمات التي تحدد كيف يتصرف الشخص من أجل تحقيق أهدافه!
- Termination : الإنهاء : وهي المرحلة النهائية في المقابلة العلاجية التي طورها سوليفان. والتي تمثل استنتاجاً ومقترحات محدودة!
- Thinknig : التفكير : إحدى الوظائف التي قال بها يونج وتنسب إلى إعطاء معنى وفهم للعالم!
- Token Economy : اقتصاد المخ أو الفيشات : هذا التكنيك العلاجي يقوم على مبدأالتعزيز الذي قال به سكينر حيث تتم مكافأة الأفراد لقيامهم بأداء

سلوك مناسب وذلك بإعطائهم فيشات أو قطع نقدية رمزية يمكن تبادلها وتداولها لعدد من المزايا والمحاسن المرغوبة المتعددة!

- Tracing The Life Line: اقتفاء أو تتبع خط الحياة: في العلاج النفسي أدلر استخدم هذه الطريقة لتحليل الذكريات والأحلام المبكرة لتحديد أسلوب حياة الفرد!

- Transactional Analysis: التحليل التعاملي: نظام علاجي طوره إريك بيرن لتشكيل العلاقات الإنسانية ذهنياً وفهمها من خلال أدوار تقوم بها حالات الأنا التي تمثل الأب والبالغ والطفل!

- Transcendence: السمو والتعالي: ١ ـ هي تلك الطريقة التي تهدف إلى ربط وتكامل الأنظمة المتباينة للذات تجاه هدف واحد هو التكامل والكلية مع كل البشر من وجهة نظر يونج! ٢ ـ أما فروم فيرى أن السمو هو تلك الحاجة الإنسانية الأساسية للارتقاء فوق مستوى الكيان أو الوجود الحيواني وتطوير كياني إنساني حيوي!

- Transference: الطرح أو التحويل: أسلوب يستخدم في التحليل النفسي الفرويدي ويمثل طريقة يقوم فيها المريض بالكشف عن الانفعالات والاضطرابات والصراعات التي شعر بها كطفل نحو بعض الأشخاص المهمين كالآباء والأمهات والمدرسين! وبالتالي يعمد إلى إسقاطها على المحلل النفسي!

- Trust Versus mistrust : الثقة مقابل الريبة: إحدى المراحل النفسية الاجتماعية التي قال بها أريكسون والتي تقابل المراحل الشبقية عند فرويد، وفيها يواجه الطفل مهمة الثقة في العالم!

U

- Unconditional Positive Regard: التقدير الإيجابي المطلق: أحد مفاهيم نظرية روجرز ويمثل ذلك التقدير أو الاحترام الذي لا يتوقف على أي سلوك معين أو شروط به!

ـ Unconditioned Stimulus and Respond : الاستجابة والمثير الغير مشروطة .

ـ Unconscious Processes : العمليات اللاشعورية : ١ ـ حسب وجهة نظر فرويد فهي تلك العمليات التي لا يعيها الشخص أو يدركها لأنها قد كبتت أو لم يسمح لها على الإطلاق بأن تصبح شعورية! ٢ ـ أما دولارد وميلر فيرى أنها تلك المؤشرات والحوافز والتي لا نعيها وذلك بسبب عدم وضع علامات عليها أو لأننا نكبتها!

ـ Urethral Complex : مركب التلذذ البولي : وهو ذلك المركب الذي قال موري أن الشخص يجد لذة مرتبطة بعملية التبول!

ـ Usefulness : المنفعة والجدوى : ١ ـ في النظريات العلمية تعني قدرة المعرفية على تكوين تنبؤات من الخبرات التي يمكن لنا ملاحظتها. ٢ ـ أما أدلرفيرى أن المنفعة هي قدرة الهدف على تكوين وتهذيب حياة مثمرة منتجة.

V

ـ Virtues : الفضائل والمزايا : هي القوى الموجودة في الأنا والتي تظهر مع كل مرحلة نفسية اجتماعية في نمو الشخصية كما يحدد ذلك أريك أريكسون!

ـ Visceratonia : المزاج الحشوي الداخلي : وهو أحد الأمزجة التي قال شيلدون أنها ترتبط بالنمط الجسماني الحشوي البدين والذي يمتاز بالميل إلى الراحة والاسترخاء وحب الناس والأكل!

W

ـ Wish Fulfillment : تحقيق الرغبة : يرى فرويد أنها تلك العملية أو النشاط الهادف إلى تخفيض التوتر عن طريق تشكيل صورة للشيء الذي يمكن أن يرضي الحاجات.

ـ Withdrawal - destructivenesse : الهدم والانسحاب : وهو من وجهة نظر فروم

تلك العلاقة التي تتميز ببعد المسافة والتعب أو العدوان.

- Womb envy : حسد الرحم: هو ذلك المفهوم الذي طورته هورني وتقول فيه بأن الرجال والأولاد يحسدون أو يغارون من النساء لقدرتهن على الحمل وتنشئة ورعاية الأطفال!

Y

- Yin and Yang : قوتان عن طريقهما تكشف الطاوية عن نفسها.

Z

- Zazen : يقصد به ممارسة التأمل!

- Zendo : يقصد به القاعة أو الصالة المخصصة للتأمل!



مطبوعات نادي الطائف الأدبي

١	سوق عكاظ في التاريخ والأدب	إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي
٢	البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣	لكل مثل قصة	مناحي ضاوي القثامي
٤	شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم (محاضرة)	حمد الزيد
٥	مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي
٦	رحلة العمر	علي حسين الفيفي
٧	هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	د. غازى القصيبي
٨	خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
٩	فلسفة السلام	هشام ناظر
١٠	معاناه	محمد منصور الشقحاء
١١	المضيفات والممرضات في الشعر العربي المعاصر (محاضرة)	عبد الرحمن المعمر
١٢	ملف نادي الطائف الأدبي الأول	اعداد النادي
١٣	أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادى
١٥	رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦	صور من الحياة والمجتمع	علي خضران القرني
١٧	ذكريات	أحمد علي
١٨	خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩	حديث في الاعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني
٢٠	البيت أولاً (محاضرة)	هشام ناظر

الرقم	العنوان	المؤلف
٢١	جوانب صحية في التشريع الإسلامي (محاضرة)	حمد الدعيج
٢٢	المحراب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	كتاب القصة (الأول)	اعداد لجنة القصة
٢٤	مقالات في الأدب (١)	اعداد النادي (كتاب دوري)
٢٥	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر
٢٦	نشر النور والزهر جـ ١ ، ٢	محمد سعيد العامودي واحمد علي
٢٧	ملف نادي الطائف الأدبي (الثاني)	اعداد النادي
٢٨	معجم معالم الحجاز جـ (١)	عاتق بن غيث البلادي
٢٩	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين صالح
٣٠	في الأدب والحرب	حسين سرحان
٣١	أهازيج	محمد ابراهيم جدع
٣٢	نافذة على الحائط المهدوم	هند صالح باغفار
٣٣	الطائف (محاضرة)	عبد القدوس الأنصاري
٣٤	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء
٣٥	الرواد الثلاثة	عبد الله الخياط
٣٦	كتاب القصة (الثاني)	اعداد لجنة القصة
٣٧	من حديث الكتب	محمد سعيد العامودي
٣٨	مقالات في الأدب (٢)	اعداد النادي
٣٩	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي
٤٠	الوان من الأدب جـ (١)	شعبان جبر يل عبد العال
٤١	هتاف الحياة	عبد الله جبر
٤٢	كنز الأنساب ومجمع الآداب	حمد الحقيل
٤٣	القصاص	عبد الله سعيد جمعان
٤٤	معجزة القرآن الكريم البيانية (محاضرة)	د. حسن محمد باجوده

٤٥	الصمت والجدران	سباعي احمد عثمان
٤٦	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل
٤٧	كتاب الشعر (الأول)	اعداد لجنة الشعر
٤٨	الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٩	ملف نادي الطائف الأدبي (الثالث)	اعداد النادي
٥٠	كتاب القصة (الثالث)	اعداد لجنة القصة
٥١	علم العروض	د. عبد الهادي الفضلي
٥٢	أحيحه بن الجلاح الأوسي	د. حسن باجوده
٥٣	المسحوق	محمد حمد الصويغ
٥٤	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٥	الموسوعة الأدبية جـ (٣)	عبد السلام طاهر الساسي
٥٦	ترانيم الصباح	عبد السلام هاشم حافظ
٥٧	في موكب الأبطال	علي حسين عويضه
٥٨	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد
٥٩	دعونا نمشي ط ٢	أحمد السباعي
٦٠	كلمات حب الى المدينة المنورة	عبد السلام هاشم حافظ
٦١	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر
٦٢	تأملات في الفكر والمجتمع	عبد الله بوقرى
٦٣	الأحاجي والألغاز الأدبية ط ٢	عبد الحي كمال
٦٤	حنين	علي صالح الغامدي
٦٥	تذكرة عبور	عبد الله سعيد جمعان
٦٦	أزهار	علي حسين الفيفي
٦٧	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد
٦٨	أوراق مطوية	أحمد السباعي
٦٩	شعراء الحجاز ط ٢	عبد السلام طاهر الساسي

٧٠ ابن الطراوة النحوي — د. عياد عيد الثبيتي

٧١ لكل مثل قصة (٢) — مناحي ضاوي القثامي

٧٢ لا ليلك ليلي ولا أنت أنا — عبد العزيز الصقعبي

٧٣ تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج الطائف لابن فهد — ت : محمد الشقحاء وحمد سعيد كمال

٧٤ المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب — تحقيق د. ابراهيم الزيد

٧٥ الجب الكبير — حسن ناصر المجرشي

٧٦ رسائل الى نازك — سعد البواردي

٧٧ بهجة المهج للميورقي — تحقيق د. ابراهيم الزيد

٧٨ ملف نادي الطائف الأدبي (٤) (٥) — اعداد النادي

٧٩ الزهور الصفراء — محمد المنصور الشقحاء

٨٠ الفنون الصغرى — ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

٨١ المبالغة في البلاغة العربية — عالي سرحان القرشي

٨٢ رحلة إلى الغرب — الشيخ احمد علي

٨٣ الطائف عروس المصائف — اعداد / حسان محمد سعيد كمال

٨٤ شعراء ثقيف في العصر الأموى — عيضه عبدالغفور السواط

٨٥ ملف النادي السادس — اعداد لجنة الملف بالنادي

٨٦ زائر الأمس — علي حسين الفيفي

٨٧ نشر اللطائف في قطر الطائف — تحقيق : عثمان محمود حسين الصيني

٨٨ ملف النادي السابع — اعداد لجنة الملف بالنادي

٨٩ بين الحداثة والاصالة — احمد فرح عقيلان

٩٠ ملف النادي الثامن — اعداد لجنة الملف بالنادي

٩١ النورس — ترجمة حسين محمد باغي

٩٢ ابن سينا — د. علي عبدالله الدفاع

٩٣ الأخطبوط والمستنقع — عقيلي عبدالغني الغامدي

٩٤ الأندية الأدبية في سطور — اعداد نادي الطائف الأدبي

الرقم	العنوان	المؤلف
٩٥	بوح السنابل	عبدالعزيز مشري
٩٦	ملف النادي التاسع والعاشر	اعداد لجنة الملف بالنادي
٩٧	تاريخ الطائف قديماً وحديثاً	مناحي ضاوي القثامي
٩٨	قصائد تتركأ على عكاز	سعد البواردى
٩٩	دليل المعلم	اعداد ادارة التعليم بالطائف
١٠٠	القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية	الدكتور طلعت صبح السيد
١٠١	الصوت والصدى	حسين بن علي بن سرحان
١٠٢	تعليم البنات	محمد أحمد جمال
١٠٣	الملف ١١ ، ١٢	اعداد لجنة الملف بالنادي
١٠٤	سفينة الضياع	ابراهيم الناصر الحميدان
١٠٥	قصائد من الصحراء	محمد المنصور الشقحاء
١٠٦	الشرط	عبدالله محمد حسين
١٠٧	كاتب كتاب	حمد الزيد
١٠٨	بين معلقتي أمريء القيس	للدكتور عبدالله قازي
١٠٩	الثرى والثريا	عبدالله محمد جبر
١١٠	شعر ابن قيس الرقيات	د. / عبدالله عبدالكريم العبادي
١١١	دليل الإدارة المدرسية	اعداد : عبدالله سالم القاضي
١١٢	دارسة في القصة القصيرة	محمد المنصور الشقحاء
١١٣	ملف النادي	اعداد : لجنة النادي
١١٤	ـ ليلة عرس نادية	عبد الله الزهراني
١١٥	ـ تقاسيم على الرمس	دخيل الله أبو طويلة

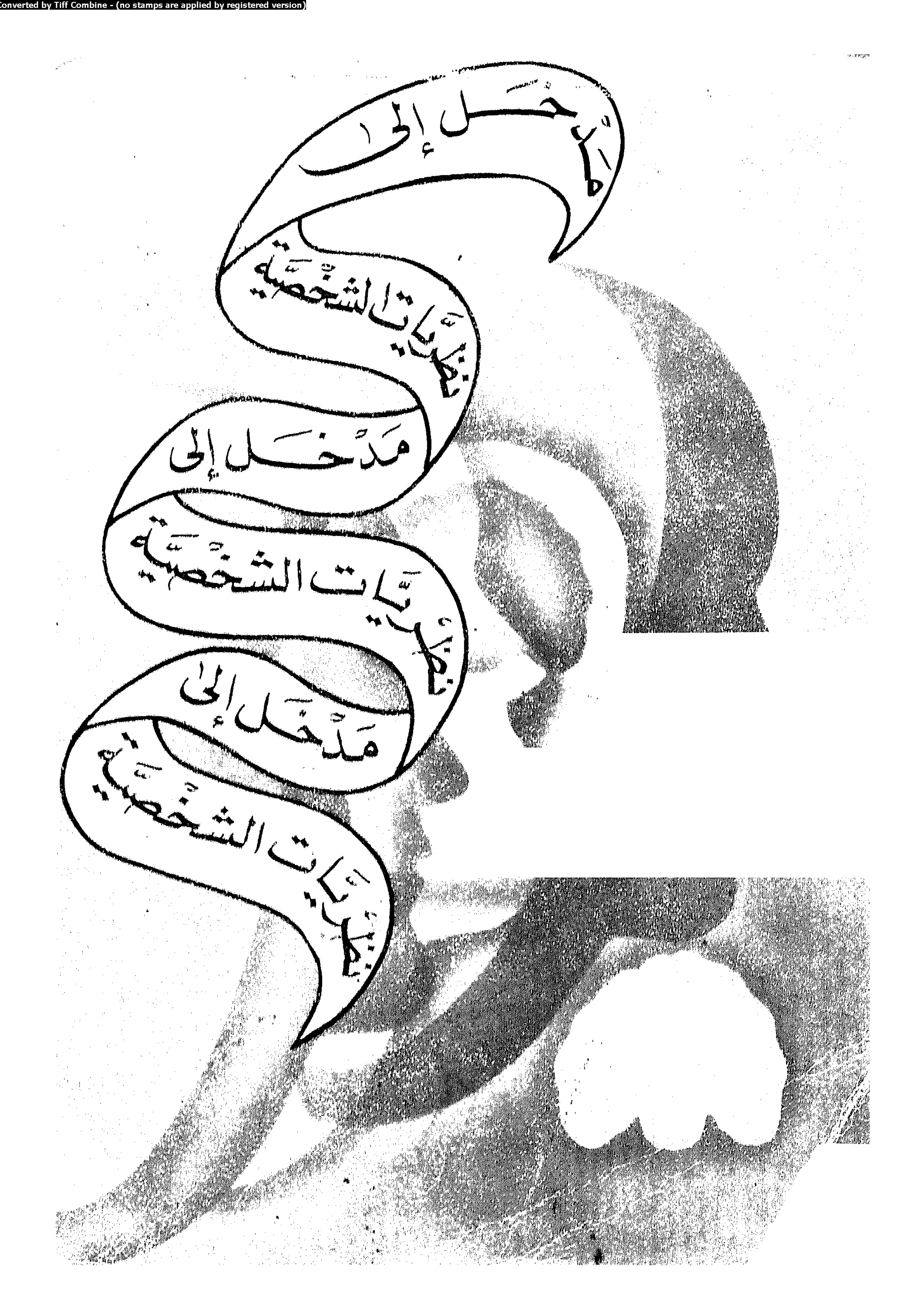
تطلب مطبوعات نادي الطائف الأدبي ـ من مكتبة التراث بمكة المكرمة ـ العزيزية

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

لعام ١٤١١هـ ١٩٩١م



دار الحارثي للطباعة والنشر
DAR AL-HARITHY FOR PRINTING & PULISHING.
AL TAIF P.O.BOX:1281 - الطائف ص.ب: ١٢٨١



مدخل إلى
نظريات الشخصية
مدخل إلى
نظريات الشخصية
مدخل إلى
نظريات الشخصية